المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

كلية الدعـوة والإعلام

الدراسات العليـا

قسم الدعوة والاحتساب



التخطيط للدعوة الإسلامية

دراسة تأصيلية

بحث مقدم لنيـل درجة المـاجسـتير

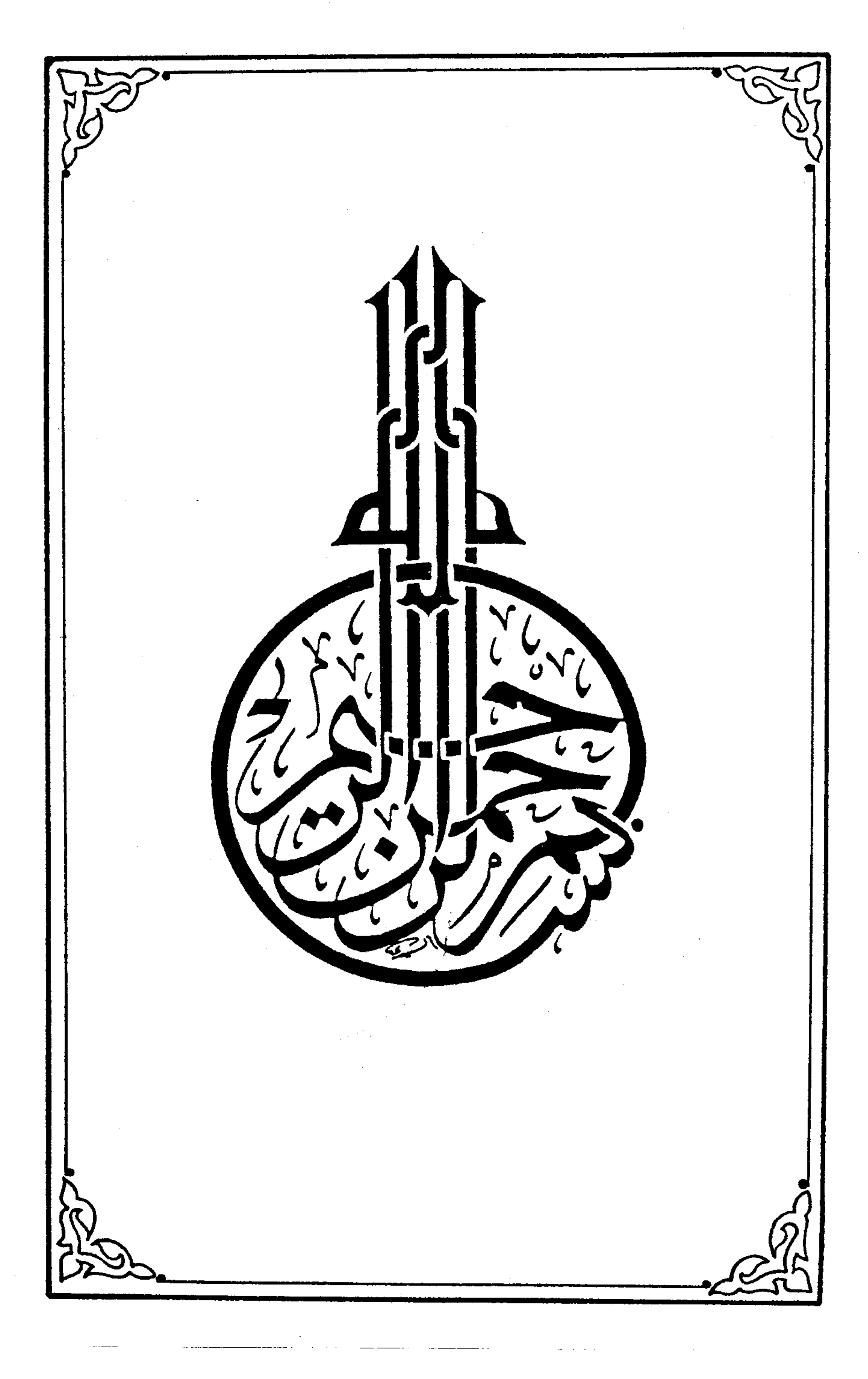
إعداد الطالب

عبد المولى الطاهر المكي

إشراف الدكتور

مصطفى مصطفى صيام

١٤١٥هـ - ١٩٩٥م


بسم الله الرحمن الرحيم



أهمية الدراسة

الحمدلله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ .. وبعد:

الرسول ﷺ إنما بعث هاديا ومبشّرا ونذيرا، وفعله ﷺ قدوة وهدى لأمته حتى يقتدوا به، كما قال الله تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ حسنةٌ لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾(١).

ثم إنه ﷺ مع تأييد الوحي وتسديده له، لم يستغن عن التخطيط والتدبير والأخذ بالحيطة والحذر، لذلك كانت النتائج المنطقية لهذا الجهد - بعد توفيق الله تعالى - هذا النجاح العظيم الذي تحقّق بأن انقلب وضع العالم رأسا على عقب . إضافة إلى أن التخطيط فيه اقتداء بالرسول ﷺ فإنه لايقلّ عن أن يكون واجبا من الواجبات الدينية المأمور بها .. فقد قال تعالى : ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون﴾ (٢) . والقيام بهذا الواجب في وقتنا الحاضر له مستويات متعدّدة، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات أو المجتمعات أو الحكومات، فلكي تقوم هذه الأمة الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر، يلزمها تخطيط محكم وتدبير حكيم حتى تستطيع الوفاء بذلك الواجب من أدنى مستوياته متمثّلا في الأفراد إلى أعلى مستوياته ممثّلا في الحكومات . وهذا التخطيط من باب الإتقان الذي يحبّه الله تعالى كما قال ﷺ : «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه»(٣) .. وهذا الإتقان ليس من باب التحسينات التي يحبّها الله تعالى بل هو من الواجبات التي أمر بها، لأن ما لايتم الواجب إلا به فهو واجب، والنهوض بواجب الدعوة الإسلامية اليوم وإقامة دين الله تعالى في أرضه وإعادة العزّة للمؤمنين والتمكين لهم في الأرض من أوجب الواجبات المنوطة بالأمة .. وإذا نظرنا إلى التحديات التي تجابه الأمة الإسلامية ثم نظرنا إلى واقعها بين الأمم الأخرى وكيف تأخذ تلك الأمم بأسباب النهوض على بصيرة واعية وخطط متقنة، علمنا مدى حاجتنا إلى الأخذ بتلك الأسباب، التي لايتم النجاح إلا بها

---

(١) الأحزاب، آية ٢١ .

(٢) آل عمران آية ١٠٤ .

(٣) العلاّمة الشيخ محمد بن عبدالرحمن السخاوي، المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، ص ٢٠٤، وذكره العجلوني في كشف الخفاء وعزاه إلى أبي يعلى والبيهقي والطبراني بألفاظ متقاربة دون الحكم عليه، انظر «كشف الخفاء» (١/٢٨٥-٢٨٦) .

لأنها من سنن الله تعالى في الخلق، وأن الأخذ بالأسباب يؤدي إلى وقوع المسبب باذن الله تعالى فعندما أخذ غيرنا بأسباب النهوض نهض فتقدم وتفوق وعندما تخلينا نحن عن هذه الأسباب تخلفنا[1] ثم إن الأخذ بالأسباب نفسها لابد له من وعي وإدراك بحيث لايتم بصورة عفوية بل لابد له من تخطيط قائم على علم بتلك الأسباب ومعرفة بموجب تحققها أو تخلفها ...

فلو نظرنا إلى هجرة الصحابة رضي الله عنهم - إلى الحبشة وهجرتهم وهجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، وجدنا تخطيطا واضحا ومحكما لايصعب على الدارس تلمس آثاره واستبيان معالمه[2] . وغير ذلك كثير في سيرته ﷺ .

ومن سنن الله تعالى في خلقه أيضا أنه لايغيّر مابقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم .. قال الله تعالى : ﴿إن الله لايغيّر ما بقوم حتى يغيّروا ما بأنفسهم﴾[3]، فمن أجل أن يتغير ما بعالمنا الإسلامي من واقع دعوي ، وفرقة وشتات وهوان، وليعود إلى مجده ومكانه الريادي والقيادي في العالم، الموسوم بقوله تعالى : ﴿كنتم خير أمّة أخرجت للناس، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[4]، فلابد له من تغيير ما أصابه من ركون وتكاسل .. وهنا نتساءل عدة تساؤلات : - هل هذا التغيير ممكن؟، وإذا كان ممكنا فهل له سنن يحسن الأخذ بها؟ ثم كيف يتم هذا التغيير نحو الأفضل والأجود؟.

وهذه التساؤلات تبيّن لنا أهمية التخطيط لأجل التغيير المنشود لأن تحقيق التغيير نحو الأفضل يقتضي الجواب عن تلك التساؤلات والجواب عنها هو التخطيط المراد، لأن التخطيط يستلزم معرفة المشكلة وتحديدها ووضع الحلول وفق الإمكانات والوسائل المتاحة ومن ثم المتابعة، والتنفيذ .

وإذا كان التغيير المنشود هو التمكين للعالم الإسلامي والمسلمين فلماذا فشلت غالب الحركات الإصلاحية التي قامت في العالم الإسلامي في التغيير نحو الأفضل وإصلاح الواقع؟ وإذا قارنّا بين نتيجة جهد هذه الحركات ونتيجة جهد الحركات الصهيونية مثلا نجد أن الأخيرة حالفها النجاح في كثير من أهدافها، فهل كان هذا النجاح عشوائيا محض صدفة؟ أم هو نتيجة لدقّة التخطيط وحسن الأخذ بالأسباب والوسائل الموصلة إلى الهدف؟ ولاشك أن ذلك يعود إلى الفرض الثاني وهو الدقة في التخطيط والإحسان في

---

(١) محمد الغزالي، سر تأخر العرب والمسلمين : ص ١٣ داد الصحوة للنشر، القاهرة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥ .

(٢) الدكتور يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص ٤٧، بتصرف، بيروت مؤسسة الرسالة، ط ١٤٠٦هـ، ١٩٨٥م .

(٣) الرعد آية ١١ .

(٤) آل عمران آية ١١٠

الأخذ بالأسباب[1]، والنظام الإسلامي يعتبر مخططا عاما للبشرية كلها، لدينها ودنياها كما قال تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولاتنس نصيبك من الدنيا﴾[2] وفي الأثر«فاعمل عمل امرئ تظن أن لن يموت، وأحذر حذرا تخشى أن تموت غدا» .[3]

وكذلك فإن الإسلام يدعو الإنسان إلى أن يأخذ من يومه لغده، ومن شبابه لهرمه، ومن صحته لسقمه، ومن فراغه لشغله، وهذا كله نظر إلى المستقبل. وقد قصّ علينا القرآن الكريم قصّة يوسف عليه السلام وفيها تخطيط اقتصادي تمويني لمدة خمسة عشرة عاما ، قام عليه النبي الكريم يوسف عليه السلام تفكيرا وتنفيذا[4]، والتخطيط يعني التفكير الهادي والدراسة المستوعبة لكل عمل يريد الإنسان أن يقدم عليه حتى يمضي فيه على هدى، ويمشي على صراط مستقيم .

ولكن إذا نظرنا إلى واقع المجتمع الإسلامي، فإننا نجد هذا الأسلوب في العمل غائبا إلى درجة كبيرة، فكثير من الأفراد والجماعات في المجتمع الإسلامي ليس لديهم تخطيط مسبق لما تريد أن تعمله، بل تاركة نفسها نجدها تسير سيرا عشوائيا، تعمل مالاتريده، وتريد مالا تعمله، وتدفع دفعا إلى السير في غير طريقها، بينما الواجب أن تسير في خط واضح المعالم، محدد المراحل بين الأهداف، معلوم الوسائل .

ولطالما سمعنا الشكوى تلو الشكو من الخطط الماكرة المحكمة التي تحاك ضد الدعوة الإسلامية ودعاتها، ولطالما اعتذر أهل الدعوة عندما تصيبهم المحن والفتن بأن هذا من مخططات الأعداء ولكن إلى متى نظل نحن الأمة التي يخطط عدوّها لضربها فينجح؟ لماذا لانخطط نحن لأنفسنا؟ لماذا لانفسد على عدوّنا خطته؟ أليس لنا عقول كما لهم؟! أليست لدينا طاقات وإمكانات قد لا تتوفر كلها لديهم؟ أليست لنا عقيدة تمدّنا بالهداية والقوة وتشعرنا بأننا أهل لأن نسود ونقود ؟ .

وهذا ما سوف يتضّح لنا في ثنايا البحث بإذن الله تعالى.

---

(١) جودت سعيد، حتى يغيّروا ما بأنفسهم ص ٧ ، ط ٦، ١٤٠٤هـ . المؤلف دمشق .

(٢) القصص آية ٧٧ .

(٣) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان : (٣/٤٠٢) ح ٣٨٨٧ ط دار الكتب العلمية بيروت – لبنان .

(٤) الدكتور يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، مؤسسة الرسالة ١٩٧٤م، ص ٢٣١

أهداف البحث

١ - الإسهام في توضيح الأسلوب الصحيح في الدعوة إلى الله في المجتمع الإسلامي .
٢ - تحديد عناصر التخطيط الدعوي .
٣ - بيان إيجابيات التخطيط وسلبيات تجاهله في الحقل الدعوي، والتعرف على العقبات التي تحول دونه في المجتمع الإسلامي وطرق مواجهتها .
٤ - إظهار الصورة الواقعية للتخطيط للدعوة في المجتمع الإسلامي .
٥ - التعرف على آراء علماء العصر الحاضر في التخطيط الدعوي .

الدراسات السابقة في الموضوع :

بذلت جهدي كي ألتمس ما قدم من دراسات سابقة تناولت هذا الموضوع بشكل أو بآخر، فوجدت أن معظم الباحثين المعاصرين الذين أدلوا بدلوهم في دراسة موضوع التخطيط أو الموضوعات الأخرى ذات الصلة به كان تناولهم تناولا سريعا معتذرين في ذلك بسبب قلة المادة العلمية التي تناولت هذا الموضوع حينا، وعدم وجود قاعدة يبنى عليها حينا آخر .

التخطيط للدعوة الإسلامية :

بحث قدّمه الدكتور علي محمد جريشة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، لتصدره ضمن سلسلتها «دعوة الحق» وجاء الكتاب في (١٤٠) صفحة من القطع الصغير، واحتوى على مقدمة وثلاثة أبواب وخاتمة .

وقد اشتكى في مقدّمة بحثه من قلة المراجع وندرتها بل انعدامها في موضوع التخطيط[١] .

وفي الباب الأول - نظرة إلى الحاضر - تحدث عن الخريطة السياسية للعالم، والمذاهب الفكرية السائدة في الوقت الحاضر والقوى الدولية المسيطرة على العالم حاليا .

وفي الباب الثاني - نظرة إلى المستقبل - تحدث فيه عن نفس القوى الدولية التي ذكرها في الباب الأول، وعن أطماعها في عالمنا الإسلامي مع دراسة مدى استمرار هيمنتها في المستقبل وكيفية التصدي لها، وتحدث أيضا عن المستقبل الإقتصادي والاجتماعي للعالم في ظروف سيطرة تلك القوى .

---

(١) التخطيط للدعوة الإسلامية، د. علي محمد جريشة، ضمن سلسلة دعوة الحق التي تصدر عن رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة، العدد السابع، السنة الأولى ١٤١٠هـ .

وفي الباب الثالث - خطوط عريضة - تحدث عن نقطة الانطلاق للدعوة، ويرى أن الإنطلاق ينبغي أن يكون من الداخل، من داخل النفس، ثم من داخل الصف، ثم نتجه بعدها إلى الخارج .

ولم يتطرق لموضوع التخطيط إلا في صفحتين اثنتين وتحدث فيهما عن صعوبة الكتابة في موضوع التخطيط، وكيف أن اليهود خطّطوا لاحتلال الأراضي الفلسطينية ونجحوا في ذلك .

أساليب التخطيط للإذاعات الدينية :

وهي دراسة تطبيقية على إذاعة القرآن الكريم بالرياض، بحث مكمل لنيل الماجستير في الإعلام، تقدم به الطالب أحمد عبدالعزيز النغيمشي، كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية .

وقد جاء البحث في ثلاثة فصول، تحدث في الفصل الأول عن مفهوم التخطيط وأهميته، ومفهوم التخطيط الإعلامي ومراحله وأشار إلى التخطيط الإعلامي الإسلامي، وان كان الموضوع عن الإعلام إلا أنه لايخلو من إشارات تفيد في مجال التخطيط للدعوة، إلا أنه لم يتعرّض إلى التخطيط الدعوي .

أسس التخطيط والإنتاج لبرامج الأطفال في التلفزيون:

وهي أيضا دراسة تطبيقية على برامج الأطفال المحلية في التلفزيون السعودي «القناة الأولى» دراسة مقدّمة لنيل درجة الماجستير في الإعلام، بجامعة الإمام، تقدم بها الباحث عبدالله بن ناصر الحمود .

وجاءت الدراسة في بابين، تحدث في الفصل الثالث من الباب الأول عن مفهوم التخطيط لبرامج الأطفال في التلفزيون وأهمية تخطيط برامج الأطفال والهدف من تخطيط برامج الأطفال، ومقومات التخطيط لتلك البرامج .

وعلى الرغم من أن البحث جله كان دائرا حول موضوع التخطيط لبرامج الأطفال في التلفزيون السعودي، فإنه يمكن الاستئناس به في موضوع التخطيط للدعوة في المجتمع الإسلامي، إذ إن التخطيط للدعوة في المجتمع الإسلامي بالضرورة يتناول الإهتمام بأمر الأطفال باعتبارهم هم النواة الأساسية في المجتمع وهم جيل المستقبل، وإذا أحسنا تربيتهم وتوجيههم نكون قد خطونا خطوة نحو المستقبل .

التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام :

بحث قدم لنيل درجة الماجستير، بالمعهد العالي للدعوة الإسلامية بجامعة الإمام، تقدّم به الباحث محمود كرم سليمان، وجاء البحث في فصل تمهيدي وثلاثة أبواب، تحدث في المقدّمة عن المراد بتخطيط الإعلام وفي الباب الأول تناول التخطيط للإعلام الإسلامي وسياساته، وفي الباب الثاني تعرض للخطط الإعلامية الإسلامية وأهدافها وسياساتها .

والبحث في جملته يتحدث عن التخطيط الإعلامي الإسلامي، ولعل العلاقة الوثيقة بين الدعوة والإعلام تجعل الفائدة من مثل هذه البحوث ممكنة، إذ إن الإعلام الإسلامي هو صوت الدعوة الإسلامية ولسان حالها .

ومن هنا فليست هناك - حسب علمي - دراسة متخصّصة سابقة في هذا الموضوع، وآمل بهذا البحث أن أسهم في سد الفراغ في هذا الجانب المهم .

[ز]

الإحساس بالمشكلة البحثية

تتميّز كافة البحوث العلمية بوجود مشكلة بحثية يدركها الباحث ويتصدّى لها، ومن هنا فإن البحث العلمي لاينبع من فراغ بل إن سمته الرئيسة هي وجود مشكلة تحتاج إلى دراسة وتحليل[1].

وقد شكل اهتمام الباحث بدراسة السيرة النبوية وما احتوت عليه من جوانب عديدة من أهمّها جانب التخطيط للدعوة، أحد الدوافع الأساسية لهذا البحث.

ولئن كان التخطيط قد أصبح علما رئيسيا في حياة كثير من الشعوب المتقدّمة - ماديا - اليوم وغائبا عن معظم شعوب الأمة الإسلامية، فما ذاك إلا أن تلك الشعوب المادية قد أدركت أهمية التخطيط في طبيعة هذه الحياة[2].

وقد أصبح هذا التخطيط ضرورة في جميع نواحي النشاط الإنساني، خاصّة بعد أن ارتقت أساليبه وطرقه بالاستفادة من التقدّم العلمي الكبير في مجالات البحوث العلمية وغيرها.

وقد نجحت كثير من الدعوات الهدّامة والعقائد المحرفة بفضل أخذها بأساليب التخطيط العلمي، نجاحا كبيرا، وقد استطاعت هذه الدعوات وفق تخطيط دقيق غزو الشعوب الإسلامية فكريا وماديا، وصرف كثير من المسلمين عن منابع دينهم الصافية، وعلى سبيل المثال لا الحصر ما حققته الحركة الصهيونية في العالم الإسلامي وغيره[3].

وكذلك ماحققته الحركات التنصيرية والصليبية بفضل تخطيطها وحسن تدبيرها، فقد استطاعت تحقيق نجاح كبير في كثير من بلدان العالم الإسلامي، يصل في بعض المجتمعات الإسلامية إلى تغيير نظام الحياة فيها.

وفي المقابل - وللأسف الشديد - فإننا نجد كثيرا من القائمين على أمر الدعوة الإسلامية وعلى كل المستويات سواء الحكومات أو الجماعات الإسلامية أو الأفراد، لم يأخذوا بأسلوب التخطيط في النشاط الدعوي، ولعل ذلك يتضح من تفرّق كلمة المسلمين وتبعثر جهودهم الدعوية وهم الذين أمرهم ربهم بالوحدة كما قال تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾[4].

وأيضا يتضّح لنا غياب التخطيط للدعوة في المجتمع الإسلامي عندما نشاهد كثيرا

---

(١) أ. د. سمير حسين، بحث في الإعلام، الأسس والمبادئ، ١٩٧٩م ص ٣٧.

(٢) عدنان النحوي، ملامح الشورى، ط ٢ ١٤٠٤هـ ص٥١٨.

(٣) عبدالرحمن حسن حنبكة الميداني، مكائد يهودية عبر التاريخ، ط ٥، دار القلم، دمشق ١٤٠٥هـ، ص ٢٣٧.

(٤) آل عمران آية ١٠٣

من الإنحرافات السلوكية والأخلاقية في معظم مجتمعات المسلمين، وكذلك الفصام بين عقيدة المسلم وسلوكه، وانتشار المنكرات والبدع والخرافات في بعض المجتمعات الإسلامية .

ومن مظاهر غياب التخطيط القصور في تبليغ الدعوة لغير المسلمين سواء الموجودين منهم داخل المجتمع الإسلامي نفسه، أو خارجه .

لقد وفد إلى بعض بلدان العالم الإسلامي أعداد كبيرة من العمالة من أجل اكتساب الرزق، وهذه العمالة معظمها لايدين بدين الإسلام، وللأسف لاتكاد تجد نشاطا دعويا موجها لهؤلاء الوافدين، وفق تخطيط محكم وإعداد مسبق، لإنقاذهم من الضلال وهدايتهم إلى النور - اللهم إلا ما تقوم به بعض الجهات الدعوية في نطاق ضيّق وغير هذا من القضايا والمشكلات في المجتمع الإسلامي والتي تحتاج إلى دراسة وتخطيط حتى يتم علاجها .

المشكلة البحثية :[1]

يمكن حصر المشكلة البحثية في السؤال التالي:

- ما أهمية التخطيط للدعوة الإسلامية؟ وهل هذا التخطيط مشروع؟ وما عناصر هذا التخطيط؟ وهل له تأثير في نجاح الدعوة؟ وكيف نتغلّب على العقبات التي تعترضه ؟.

تساؤلات البحث :

أسئلة عديدة تثيرها هذه الدراسة منها:

- ماذا يقصد بالتخطيط؟
- وما أنواعه؟
- وماذا نقصد بالتخطيط للدعوة الإسلامية؟
- وهل هذا التخطيط مشروع؟
- وما عناصره؟ وما ضوابطه؟
- وما هو تأثير التخطيط في نجاح الدعوة؟
- وما هي مقوّمات التخطيط للدعوة في المجتمع الإسلامي؟
- وهل هناك عقبات تقف دون التخطيط للدعوة؟، وما هو سبيل علاجها ؟
- وما هو رأي علماء العصر الحاضر في التخطيط للدعوة؟

منهج البحث :

إنّ طبيعة هذه الدراسة تقتضي استخدام مناهج متعدّدة وصولا للغاية التي أسعى إليها، وقد حاولت أن أنتهج بعون الله وتوفيقه ، المنهج العلمي السليم، حيث استقيت المادة العلمية في معظمها من المصادر الأصلية وبعض المراجع الحديثة، وهذا ما جعل منهجي خلال هذه الدراسة يتضمّن اتجاهين رئيسين :

الإتجاه الأول: المنهج التاريخي :

بما أن الدراسة نظرية تأصيلة لموضوع التخطيط للدعوة الإسلامية فقد ركزت على

---

(١) يرى بعض من كتب في مناهج البحث بأنه «يمكن أن تجعل مشكلة البحث في صيغة سؤال يحتاج إلى إجابة محدّدة» ومن الذين يرون ذلك :

أ - د. أحمد بدر، أصول البحث العلمي ومناهجه، ص ٩٦، مرجع سابق .

ب - طلعت همام، سين وجيم في مناهج البحث، ص ٥٣ .

دراسة السيرة النبوية من مصادرها الأساسية واستخلصت ما ظهر لي فيها من شواهد ودلالات على التخطيط للدعوة، هذا مما ألزمني باستخدام المنهج التأريخي القائم على دراسة الماضي طبقا لما تركه من آثار[1]، وقد أعانني في إلتزام هذا المنهج المصادر الأولية الأصلية وبعض الدراسات التحليلية، وكتب فقه السيرة .

الإتجاه الثاني: منهج المسح:

بما أن هذا البحث يعد من البحوث الوصفية فإنه من المناسب استخدام صياغة منهج المسح حيث إنه يعد واحدا من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية التي تهتم بدراسة الظروف الاجتماعية والسياسية لحل مشكلات المجتمع.

أدوات البحث :

أ / الاستبانة :

بما أنه مطلوب من الباحث أخذ رأي العلماء في العصر الحاضر في بعض موضوعات التخطيط للدعوة الإسلامية فإنني قد قمت بتصميم أكثر من استبانة ووزعتها على مجموعة من العلماء المتخصصين في مختلف المجالات العلمية، وقد حصلت من خلال تلك الاستبانات على آرائهم وقد اخترت مجموعة منها وصغتها بأسلوب علمي وجعلتها في ملحق في آخر الرسالة وذلك التكرار لبعض الإجابات على الأسئلة .

ب / المقابلة :

كذلك قمت بمقابلات شخصية لعددٍ من العلماء المختصين في العلوم الشرعية والعلوم الاجتماعية واستعنت بآرائهم في موضوعات التخطيط المختلفة .

تقسيم الدراسة :

ولاستيعاب هذه الدراسة والخروج منها بأفضل النتائج المرجوة منها جاءت خطة البحث من تمهيد وخمسة فصول، ثم عرض لأهم النتائج والتوصيات، تعرّضت في التمهيد للتعريف بمصطلحات الدراسة، صياغة الدعوة لغة واصطلاحا ، والتخطيط لغة واصطلاحا ، ثم ذكرت أنواع التخطيط بصفة عامة، وبيّنت مفهوم التخطيط للدعوة الإسلامية، وأهم الفوائد التي يحققها للدعوة، ثم ذكرت ضوابطه التي تميزه عن غيره .

---

(١) أنظر المنهج التاريخي د. عبدالرحمن بدوي – مناهج البحث العلمي ص ١٩ .

ثم جاء الفصل الأول من الدراسة : والذي عنونت له بمشروعية التخطيط في القرآن والسنة فقسمّته إلى مبحثين، تناولت في المبحث الأول مشروعيته في القرآن مستدلاً لذلك ببعض الآيات التي يستنبط منها المشروعية بعد الرجوع منها إلى التفاسير المعتمدة والموثوقة وأقوال العلماء المعاصرين .

وفي المبحث الثاني تناولت مشروعية التخطيط في السنة النبوية الشريفة مستشهدا ببعض الأحاديث والمواقف العملية والتقريرية للرسول ﷺ في سيرته وحتى وفاته، وذلك بعد الرجوع فيها إلى مصادرها الأصلية .

قد أخذت آراء بعض العلماء المعاصرين في مشروعية التخطيط للدعوة الإسلامية وذلك عن طريق تصميم استبانتين مستقلتين [1] .

أما الفصل الثاني فخصصته لعناصر التخطيط الدعوي، وهي : معرفة الواقع، وتحديد الأهداف وتحديد الوسائل المستخدمة .

فالمبحث الأول معرفة الواقع : تعرّضت فيه للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي والديني الذي كان قائما عند ظهور الدعوة الإسلامية، وكيف كان تخطيط الرسول ﷺ لتغييره .

والمبحث الثاني : تناولت فيه الأهداف الرئيسة التي وضعها الرسول ﷺ وسعى لتحقيقها منذ بعثته وحتى وفاته .

أما المبحث الثالث : فكان عن أهم الوسائل التي استخدمها الرسول ﷺ على ضوء معرفته لواقع بيئته، وبعد تحديد الأهداف التي كان يسعى إليها .

أما الفصل الثالث : فقد كان عن أشكال ومقوّمات التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي، وقد تحدثت في المبحث الأول منه عن أشكال ومقومات التخطيط للدعوة الفردية وفصّلت في ذلك بعد أن بيّنت الفرق بينها وبين الدعوة الجماعية، ودلّلت على ذلك بأمثلة من القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة .

وفي المبحث الثاني تناولت أشكال ومقوّمات التخطيط للدعوة الجماعية، وذكرت أهم المقومات الأساسية التي يجب أن تتوفر في التخطيط للدعوة الجماعية .

أما المبحث الثالث فخصصته للحديث عن أشكال التخطيط للهيئات والمؤسسات الدعوية في المجتمع الإسلامي، وتناولت أهم المقوّمات الأساسية للتخطيط لتلك المؤسسات مسترشدا في ذلك بمواقف وشواهد من القرآن الكريم والسيرة النبوية ، ثم بعض أقوال وآراء القائمين على تلك المؤسسات في المجتمع الإسلامي .

أما الفصل الرابع، فقد تناولت فيه تأثير التخطيط في نجاح الدعوة وقسّمته إلى ثلاثة مباحث :

---

(١) أنظر ملحق رقم (١) في آخر البحث .

المبحث الأول : معرفة المواقع الخصبة، وبيّنت فيه أن الدعوة عندما تكون قائمة على تخطيط سليم تستطيع أن تعرف القدرات البشرية التي توظفها في أماكنها المناسبة وكذلك تستطيع الإلمام بالمواقع الجغرافية التي يمكن أن تستفيد منها في خطتها، وقد بيّنت مدى استفادة الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ وعهد الخلفاء الراشدين من ذلك .

أما المبحث الثاني : فكان عن تنظيم وترتيب العمل، إذ إنه ينتج عن التخطيط السليم وضوح الرؤية وتحديد الأولويات، وقد استشهدت في ذلك بنماذج من السيرة النبوية وبعض المواقف للخلفاء الراشدين .

وختمت هذا الفصل بمبحث عن إمكانية تقويم العمل الدعوي، وبيّنت فيه أهم الأسس التي يقوم عليها هذا التقويم وذكرت بعض الشواهد من القرآن الكريم والسنة النبوية .

وفي الفصل الخامس : تناولت أهم عقبات التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي وسبل مواجهتها وقسّمته إلى أربعة مباحث :

خصصت المبحث الأول : للكلام في البعد عن المنهج الإسلامي الصحيح وكيف أنه يمثّل عقبة كأداء أمام التخطيط السليم للدعوة، وما هي العوامل التي أسهمت في هذا البعد، وبعض طرق مواجهتها .

أما المبحث الثاني : فتناولت فيه الجهل بمخططات الأعداء وذكرت نماذج وشواهد على ذلك وأهم الوسائل والأساليب وكيفية التصدّي لهذه المخططات .

أما المبحث الثالث : فقد تناولت فيه قضية ندرة الدعاة المؤهلين، وقد أبرزت كيف أنها تُعدّ عقبة أمام التخطيط السليم وأهم أسبابها ومظاهرها وبعض طرق علاجها مستشهدا في ذلك بالواقع المعاصر وأقوال وآراء بعض العلماء المعاصرين والمهتمين بأمر الدعوة الإسلامية .

أما المبحث الرابع : كان عن ضعف التنسيق بين الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي، وقد تناولت مفهوم التنسيق ومبرراته وأساليبه وواقعه في المجتمع الإسلامي، وقدمت بعض المقترحات في سبيل علاج ذلك الضعف .

وختمت هذه الدراسة بخلاصة بينتها في نقاط تشكل أهم النتائج التي توصلت إليها وضمنتها بعض التوصيات والاقتراحات التي آمل الانتفاع بها .

ولإعانة القارئ على مطالعة البحث وجزئياته بسهولة قمت بوضع فهرس للمصادر والمراجع حسب الترتيب الأبجدي لتلك المصادر والمراجع، وفهرس ثانٍ للآيات القرآنية، وفهرس للأحاديث النبوية، والآثار، وفهرس لموضوعات البحث .

الصعوبات التي واجهت الباحث:

لقد عزمت على الكتابة في موضوع التخطيط للدعوة الإسلامية بعد أن شرح الله صدري لذلك رغم ندرة المراجع وقلتها، ولا أبالغ إن قلت وانعدامها . وذلك أمر كما أشرت إليه آنفا أدركه الباحثون الذين حاولوا أن يلقوا الضوء على بعض جوانب الموضوع سواء كان ذلك على شكل مقال أو بحث موجز .

وتتلخص أهم الصعوبات التي واجهتني في سبيل هذا البحث في النقاط الآتية :

أولا : عدم وجود دراسات متخصصة سابقة تناولت الموضوع بشكل متعمق منفرد إلا بالقدر الذي تتطلبه تلك الدراسة ، وهي غير متخصصة فيه، ولذلك جاءت الإشارات عابرة ومقتضبة .

ثانيا : الإضطراب الكبير والتباين الواضح بين مؤلف وآخر في عدم التعريف الدقيق لبعض المصطلحات الخاصة بالتخطيط بصفة عامة مما أوقع الباحث في حيرة من الأمر مما تتطلب جمع أكبر قدر من هذه التعريفات ثم المقارنة بينها للخروج بما هو أقرب وأنسب لهذه الدراسة .

ثالثا: الإلتزام بالمنهج الذي تستلزمه هذه الدراسة ذلك أن طبيعة هذا البحث كما تقدّم ذكره يتطلب استخدام مناهج متعددة وصولا للغاية التي أسعى لتحقيقها، وهذا يعني بذل قدر كبير من الدقة لأجل التوفيق بين هذه المناهج حتى لايجنح البحث فيأتي تأريخيا محضا، أو يركن لمنهج المسح، ويأتي وصفيا مجردا، . وهذا يعني أن يخضع البحث لمنطق تحري الحقائق الموضوعية وتحليل الحدث التأريخي بأسلوب علمي مميز وهو ما اجتهدت في التزامه بعون الله وتوفيقه، بل لعل هذا الأمر هو مانال من الباحث الكثير من الوقت والجهد .

رابعا : عندما شرعت في أخذ آراء بعض العلماء من خلال توزيع الاستبانات فإنني واجهت كثيرا من الصعوبات المتمثّلة في الآتي :

- تأخّر كثير من العلماء والمختصين في الإجابة على الاستبانة التي وزعتها مما جعلني أتردد عليهم مرات عديدة حتى حصلت على المطلوب والحمدلله .

- التباين الملحوظ في وجهات النظر حول إجابات بعض الأسئلة التي وجهت للعلماء والمختصين في المجالات المختلفة .

- العائد من الاستبانة كان قليلا بالنسبة للعدد الذي قمت بتوزيعه .

شكر وتقدير

لله عظيم الشكر والحمد فهو صاحب الفضل وأهل كل ثناء، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم.

ثم بعد أزجي جزيل شكري وتقديري لكل من أسهم وبذل لإخراج هذا البحث على هذا النحو .

ويطيب لي أن أتقدّم بجزيل الشكر والعرفان للقائمين على أمر هذه الجامعة المعطاء وأخصّ بالشكر القائمين على إدارة كلية الدعوة والإعلام ولعميدها ووكيلها لما بذلوه في سبيل خدمة العلم وطلابه، فأتاحوا لنا فرصة الدراسة، ومواصلة تعليمنا العالي، في هذه الجامعة على يد نخبة من الأساتذة الأجلاء، فلهم منا كل التقدير والاحترام .

ثم الشكر أجزله لأستاذي وشيخي فضيلة الدكتور مصطفى صيام المشرف على هذه الرسالة، فقد ذللت صحبته الصالحة كثيرا من الصعاب التي واجهتني فجزاه الله خير الجزاء على نصحه وإرشاده .

والشكر كذلك موصول لفضيلة شيخي وأستاذي فضيلة الدكتور سيد محمد ساداتي الشنيقطي وفضيلة الدكتور زيد بن عبدالكريم الزيد عميد كلية الدعوة والإعلام، وفضيلة الدكتور سعيد بن ثابت وكيل الكلية، وشيخي وأستاذي زين العابدين الركابي، والدكتور مسفر البشر وكيل الكلية للدراسات العليا، فلهم مني جميعا أسمى ايات الشكر والعرفان، على ما قدموه لي من نصح وإرشاد.

وكذلك أتوجه بالشكر للإخوة أمناء مكتبة جامعة الملك سعود وفي مقدمتهم الأخ سعد سليمان سعد، وكل الإخوة الزملاء بالجامعة على ماقدموه من جهد ووقت .

والشكر موصول كذلك للمناقشين الكريمين الذين تفضلا بقبول قراءة الرسالة ومناقشة الباحث وتقويمه .

وختاما ألتمس العذر عن التقصير فإن المرء مهما أوتي من علم ومعرفة وذاكرة فسيظل إنسانا معرّضا للخطأ والنسيان، إذ إن العصمة لم تكتب إلا للأنبياء والرسل، ولذلك فماكان من صواب وسداد فهو من توفيق الله سبحانه وتعالى، وماكان من زلات وهفوات فمن نفسي والشيطان، وأسأل الله المغفرة والعفو، وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . والصلاة والسلام على أشرف المرسلين .

الباحث

١٤١٥ - ١٩٩٥م

الفصل التمهيدي

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: التعريف بمصطلحات الدراسة.
المبحث الثاني: أنواع التخطيط.
المبحث الثالث: مفهوم التخطيط.
أهمية التخطيط.
المبحث الرابع: ضوابط التخطيط الدعوي.

الفصل التمهيدي

المبحث الأول

التعريف بمصطلحات الدراسة

المطلب الأول

الدعوة لغة واصطلاحا

أ) الدعوة لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: أن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد. ومعناه أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، بقول دعوت، أدعو، دعاء، والدَّعوة إلى الطعام تكون بالفتح، والدِّعوة إلى النسب تكون بالكسرة، ومنه داعية اللبن، وهو ما يترك في الضرع، ليطلب ما بعده، ومنه تداعت الحيطان إذا سقط واحد وآخر بعده، فكأن الأول يدعو إلى الثاني فيميله وهكذا[1].

وأيضا الدعوة في اللغة: «الطلب، يقال، دعا بالشيء، طلب إحضاره، ودعا إلى الشيء حثه على قصده، يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين، وإلى المذهب حثه على اعتقاده وساقه إليه»[2].

وبهذا تكون الدعوة إلى الإسلام تعني المحاولة القولية والعملية لإمالة الناس إليه.

---

(١) أبو الحسن أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، بتحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩م، ١٩٧٩م، ص٢٧٩، ٢٨٠.

(٢) انظر: ، المعجم الوسيط،مجمع اللغة العربية بالقاهرة، مادة دعا، الجزء العاشر، ص٢٨٦، ط٢، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار الأمواج للطباعة والنشر، بيروت، لبنان. والمصباح المنير، مادة دعا، الجزء الأول، ص٢٠٨، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، مصر

الدعوة اصطلاحا:

عرف علماء الإسلام والدعاة، الدعوة في الاصطلاح، بعدة تعريفات بينها تقارب وتشابه في جملتها، وكلها بمعنى عملية نشر الإسلام، وأذكر هنا بعضها:

١- هي العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق[١].

وهي كذلك «تبليغ الناس الإسلام وتعليمهم إياه وتطبيقه في واقع حياتهم»[٢].

وعرفها الأستاذ البهي الخولي بقوله هي: «نقل الأمة من محيط إلى محيط»[٣].

وعرفها الشيخ علي محفوظ: بأنها «حث الناس على فعل الخير والهدى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل»[٤].

وغيرها كثير من التعريفات التي ذكرت في كتب الدعوة المختلفة.

ولعل التعريف الذي أرجحه هنا هو التعريف الثاني القائل بأن الدعوة هي تبليغ الناس الإسلام وتعليمهم إياه وتطبيقه في واقع حياتهم»

وذلك لشموله لكل أركان العملية الدعوية، بما في ذلك أثر الدعوة على

---

(١) انظر: د.أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ط٣، مطبعة النهضة، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص١٠.

(٢) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م، ص١٧.

(٣) الأستاذ البهي الخولي، تذكرة دعاة الإسلام، مكتبة دار التراث، ط٨، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ص٣٥.

(٤) الشيخ علي محفوظ، هداية المرشدين، ص١٧، ط٩، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، دار الاعتصام.

المدعوين حيث إن الدعوة لا تقتصر فقط على تبليغ الناس الإسلام، كما عرفها البعض وقصرها على ذلك، بل لا بد للداعي من أن يراعي أثر دعوته، والتعريف كذلك شامل لمراحل الدعوة الثلاث: التبليغية والتكوينية، والتنفيذية.

وأيضا نجد أن التعريف يحتوي على عناصر عمل الأنبياء عليهم السلام، وعمل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، خاصة، وقد بين الله سبحانه وتعالى ذلك في كتابه الكريم وفصله في أكثر من موضع منها قوله تعالى: «هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين»[١].

فقد شمل قوله تعالى: «يتلو عليهم آياته» البيان والتبليغ وهو العنصر الأول من عناصر الدعوة، كما شمل قوله تعالى: «ويزكيهم ويعلمهم الكتاب»، التربية والتعليم ، أو مايعبر عنه عادة في المصطلح الدعوي بـ (التكوين)[٢]، كما شمل قوله تعالى: «والحكمة» التطبيق والتنفيذ، لأن الكتاب هنا القرآن الكريم، والحكمة السنة النبوية وهي الطريقة، أي طريقة تطبيق هذا القرآن ، فقد أوضحت السنة للمسلمين طريقة القرآن على مستوى الأفراد والجماعات[٣].

---

(١) سورة الجمعة، آية ٢.

(٢) انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، مدخل إلى علم الدعوة، ص١٧.

(٣) انظر تفسير الآية في ابن جرير الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآن (٩٤/١٤)، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط١٤٠٨هـ-١٩٨٨م، والتفاسير الأخرى.

المطلب الثاني

التخطيط لغة واصطلاحا

التخطيط لغة:

يقال: خط على الشيء، إذا رسم علامة، ليُعلم أنه قد حازه لنفسه وحجزه، ويقال: فلان يخُطُّ في الأرض: إذا كان يفكر في أمر ويدبره[١]

ويقال: خطّط الأرض والبلاد: جعل لها خطوطا وحدودا، والمكان: قسمه وهيّأه للعمارة.

والخطة: الأمر أو الحالة. وفي المثل: «جاء فلان، وفي رأسه خطة» أمر عزم عليه، وفي الحديث: «وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها»[٢]، أي أمرا واضحا في الهدى والاستقامة، والجمع خطط.

وقد ثبت أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها»[٣]

والخطة: بالكسر الأرض وجمعها خطط، وفي الحديث أنه ﷺ ورّث النساء خططهن»[٤].

ونخلص مما سبق إلى أن التخطيط يقصد به التفكير في أمر والعزم عليه

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، لبنان، بدون تاريخ طبع، ص٨٥٨.

(٢) هذا قول «لعروة بن مسعود» قاله لقومه بمناسبة ما سمع من خطته صلى الله عليه وسلم، يوم الحديبية، وهي في صحيح البخاري، انظر: صحيح البخاري مع الفتح، جـ٥، ص٣٣٠.

(٣) البخاري مع الفتح، جـ٥، ص٣٨٨، كتاب الشروط حديث رقم٢٧٣١، دار الريان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

(٤) مسند الإمام أحمد، جـ٦، ص٣٦٣، دار صادر بيروت.

بعد تحديده تحديدا دقيقا.

التخطيط اصطلاحا:

إن للتخطيط مدلولات متعددة عند الكثيرين، فأصحاب كل فن وعلم يعرفونه بما يتناسب مع فنهم وعلمهم، ولكنهم يتفقون جميعا على أن التخطيط هو التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل انطلاقا من نقطة معينة نحو غاية محددة. «ولقد أصبح اصطلاح (التخطيط) مستعملا الآن على نطاق واسع لم نشهد له مثيلا من قبل، بل حتى منذ سنوات قليلة، ولكننا نجد استعمال وترديد هذا المصطلح في كافة حقول المعرفة.»[1]

ويقول الدكتور عبد الكريم درويش: «قد جعل هذا العصر من التخطيط كلمة سحرية، ومن النادر أن يدور حديث الآن في السياسة، أو الاقتصاد أوالإدارة أو الإعلام، دون أن يذكر التخطيط»[2].

والمقصود بالتخطيط بمعناه الشامل الدقيق، هو وضع برنامج عام للعمل في فترة مقبلة، يقول فايول: «إن التخطيط في الواقع يعني التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مع الاستعداد لهذا المستقبل»[3].

ويعرفه هايمان بأنه: «تحديد مسبق لما سيتم عمله،إنه تحديد لخط سير العمل في المستقبل والذي يضم مجموعة منسجمة ومتناسقة من العمليات بغرض تحقيق

---

(١) د. إبراهيم درويش، الإدارة العامة في النظرية والممارسة، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٢م، ص١٦٤.

(٢) د. عبد الكريم درويش، ود. ليلى تكلا، أصول الإدارة العامة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م، ص٢٧١.

(٣) المرجع السابق، ص٢٧١.

أهداف معينة»[١].

وقد رأى البعض أن التخطيط بكل بساطة: «النظر إلى الأمام، ومحاولة التعرف على الظروف المستقبلية، بغرض تحديد الوسيلة أو الوسائل الكفيلة بتحقيق أهداف معينة بالموارد المتاحة»[٢].

وقد عرف أيضا بأنه «نشاط يتعلق بالمستقبل وبالاقتراحات والقرارات التي سوف تحكم هذا المستقبل وتطبق فيه، وذلك بالطبع في إطار البدائل الممكنة التي يجب تقييمها لاختيار البديل الأسلم والوسيلة التي تحققه»[٣].

فالتخطيط بهذه التعريفات السابقة هو النظر إلى المستقبل وإلى النتائج التي يرمي إلى بلوغها ، ثم تحديد الوسائل والأساليب والأعمال التي يؤدي تنفيذها إلى بلوغ الغاية المرجوة.

وعلى هذا فإن التخطيط عملية ذهنية تحتاج إلى عقلية صافية تستطيع أن تحدد الهدف وترسم طريقه بوضوح، لأنه عملية متعلقة بالمستقبل، تعمل على التنبؤ بما سيكون عليه وما يتعلق به من متغيرات محتملة الحدوث، وإعداد العدة لمواجهة الاحتمالات المنتظرة والتغلب على الصعوبات المتوقعة من خلال اختيار طريق من بين الطرق البديلة والممكنة، ويحتاج الأمر إلى العديد من البيانات والمعلومات عن الماضي والحاضر واتجاهات المستقبل حتى يمكن تحديد النتائج

---

(١) د. زكي محمود هاشم، الإدارة العلمية، ط٢، وكالة المطبوعات ، الكويت، ١٩٧٨م، ص٨٣.

(٢) د. صلاح الشنواني، التنظيم والإدارة في قطاع الأعمال، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، الاسكندرية، ط١، ١٩٨٣، بتصرف.

(٣) د. إبراهيم درويش، الإدارة العامة، ص١٦٧.

المستقبلية على أساس علمي مدروس"[1].

إذن فالتخطيط ليس مجرد تخمين أو تنبؤ عشوائي بالمستقبل، إنما هو عملية تقوم على أساس من التفكير العملي الدقيق المستند إلى دراسات شاملة ومستفيضة.

ونستخلص من التعريفات السابقة أن التخطيط يعني مرحلة التفكيروالتنبؤ والتحليل التي تسبق القيام بأي عمل وتتركز أساسا في اتخاذ القرارات المناسبة على أساس من الاختيار السليم بين البدائل المختلفة على ضوء المعلومات والظروف والإمكانات.

* بين الخطة والتخطيط:

قد يتساءل البعض عن طبيعة الاختلاف بين مصطلحي (الخطة) و(التخطيط) وهل هناك ضوابط معينة لكل منهما: وللإجابة على هذا السؤال فإنه اتضح لنا من التعريفات السابقة أن التخطيط يعني التنبؤ بالمستقبل والاستعداد له وهو أمر شائع في حياة الأفراد والجماعات منذ القدم.

أما الخطة: فهي الطريقة المثلى لتحقيق هدف معين، وهي تتضمن القرارات المتعلقة بتحقيق الهدف وطريقة التنفيذ ومراحله الزمنية، ومن هذا المفهوم لمصطلح الخطة نجد أنه يتضمن عنصرين أساسين[2]:

العنصر الأول: هو وجود هدف معين ومحدد تسعى الخطة إلى تحقيقه.

العنصرالثاني: هو وجود تنظيمات وترتيبات تم اختيارها وتقررت لتحقيق هدف معين.

---

(١) د. محمد عثمان إسماعيل، ود. حمدي المعاز، الإدارة العامة بين النظرية والتطبيق، دار النهضة العامة، ١٩٧٠م، ص٢٤٣.

(٢) انظر: د. عبد الكريم درويش، ص٢٧٣.

والعلاقة بين التخطيط والخطة، هي أن عملية التخطيط تستلزم وضع مجموعة من الخطط، أحداها عامة تمثل الأهداف التي ينشد المجتمع تحقيقها خلال مدة طويلة كما توضع خطط تفصيلية سنوية تمثل الترجمة التفصيلية لأهداف الخطة والمشروعات الواجب تنفيذها في كل سنوات الخطة العامة تحقيقا للأهداف التي وضعت من أجلها الخطة.[1]

(١) انظر المرجع السابق.

المبحث الثاني

أنواع التخطيط

تتباين وجهات نظر علماء الإدارة العامة في تقسيماتهم لأنواع التخطيط، حيث إنهم يتناولون دراسة تلك الأنواع من زوايا متعددة[1].

أولا: من حيث النطاق الجغرافي.

ثانيا: من حيث النطاق الزمني.

ثالثا: من حيث درجة الشمول.

رابعا: من حيث موضوعاته.

أ- من حيث النطاق الجغرافي: ينقسم التخطيط من حيث النطاق الجغرافي إلى تخطيط قومي، وتخطيط إقليمي.

والتخطيط القومي: هو التخطيط الذي يشمل نطاقه إقليم الدولة بأسره، بصرف النظر عن شموله لمختلف القطاعات[2].

والتخطيط الإقليمي: هو التخطيط الذي يتحدد نطاقه بمنطقة جغرافية معينة داخل الدولة، كالمحافظة أو المدينة أو القرية[3].

ويتم اتباع مركزية التخطيط في التخطيط القومي، ولا مركزية التخطيط في التخطيط الإقليمي.

ولا يعني هذا وجود فصل بين النوعين من التخطيط، بل يجب أن يراعي الجهاز

---

(١) د. محمد رفعت عبد الوهاب، علم الإدارة العامة، ط١٩٨٩م، ص١٣٢.

(٢) د. فرناس عبد الباسط البنا، التخطيط دراسة في مجال الإدارة الإسلامية، والإدارة العامة، ط ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، دار الكتب المصرية، ص٧٨.

(٣) د. ماجد الحلو، الإدارة العامة، ط١٩٨٣م، الإسكندرية، ص١٧٨.

المركزي للتخطيط القومي، الاحتياجات المحلية لمناطق الدولة الجغرافية، وأن تكون لديه معلومات عن موارد وإمكانات كل منطقة"[١].

وهناك ارتباط بين التخطيط القومي والإقليمي من ناحية ووجوب اهتمام التخطيط القومي بالتنسيق بين مختلف الخطط الإقليمية، كما يجب أن تكون الخطط المحلية متفقة مع الخطة القومية للبلاد"[٢].

ثانيا: من حيث النطاق الزمني: ينقسم من حيث النطاق الزمني إلى الأقسام الآتية:

أ/ التخطيط طويل الأجل: وهو التخطيط الذي يتعلق مداه بفترة زمنية طويلة، حددها البعض بعشر سنوات أو أكثر، ويعتبر البعض أن التخطيط لمرحلة زمنية قدرها خمس سنوات، أو أكثر من التخطيط طويل الأجل"[٣]، وتحقق الهيمنة على ظروف العمل لفترة طويلة.

ب/ التخطيط متوسط الأجل:

تنقسم الخطة الشاملة طويلة الأجل إلى مجموعة من الخطط متوسطة الأجل. يتراوح مداها الزمني بين خمس وسبع سنوات، ويهتم التخطيط متوسط الأجل بتفصيل الأهداف القومية، ويتميز هذا النوع من التخطيط بالمرونة في التنفيذ حتى يتمكن من مواجهة المتغيرات والظروف التي تطرأ أثناء عملية التنفيذ"[٤].

---

(١) د. عادل حسن، الإدارة العامة، ط١٩٦٤م، الاسكندرية، ص٣٥٦-٣٥٩.

(٢) د. فرناس عبد الباسط، مرجع سابق، ص٨٠.

(٣) د. ماجد الحلو، الإدارة العامة، ص١٧٧.

(٤) د. حمدية زهران، التخطيط الاقتصادي، الفكر - النظرية - التطبيق -، مكتبة عين شمس، ط١٩٨٣م، ص٧٥.

ج/ التخطيط قصير الأجل: وهو التخطيط الذي يتعلق مداه بمدة زمنية قصيرة، شهر، أو سنة، أو سنتين، ويعتبر هذا النوع من التخطيط أيسر أنواع التخطيط من حيث المدى الزمني، حيث يمكن التحكم في المتغيرات كما أنه يحقق المتابعة والتقييم المستمر خلال مراحل تنفيذ الخطة.[1]

ثالثا: من حيث درجة الشمول:

ينقسم التخطيط من حيث درجة الشمول، إلى التخطيط الشامل والتخطيط الجزئي.

أ/ التخطيط الشامل: هو التخطيط الذي يغطي كافة النشاطات في إطار الإمكانات والموارد الموجودة والمتوقعة[2].

ب/ التخطيط الجزئي: هو التخطيط الذي يهتم بنوع معين من أنشطة المجتمع ويركز عليها[3]، وغالبا ما يكون في إطار ضبط محدد لمشكلة معينة أو وسيلة محددة.

رابعا: من حيث موضوع التخطيط:

ذلك أن التخطيط يقسم وفق معيار الموضوع محل التخطيط إلى عديد من التقسيمات بقدر ما يوجد من موضوعات تكون محلا لوظيفة التخطيط.

ويقول في ذلك د. إبراهيم درويش: «ليس هذا تقسيما للتخطيط بقدر ما هو تعداد للموضوعات والحقول الدراسية التي يستعمل فيها التخطيط، والنتيجة الطبيعية أنه لا يمكن حصر تعداد الموضوعات التي أدخل فيها التخطيط بمعناه

---

(١) د. عادل حسن، علم الإدارة العامة، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٢) د. إبراهيم درويش، الإدارة العامة، في النظرية والتطبيق، ط٢، ١٩٧٦م، ص١٦٨.

(٣) د. فرناس البنا: التخطيط، دراسة في مجال الإدارة، ص٦٤.

الواسع»[1]، ويمكن في ضوء ذلك أن نعدد عددا من الموضوعات التي يشملها التخطيط ومنها: التخطيط الإداري، والتخطيط الاقتصادي، والتخطيط الإعلامي، والتخطيط الاجتماعي، والتخطيط التعليمي والثقافي، والتخطيط الدعوي، وغيرها.

ولكل موضوع من موضوعات التخطيط هذه، فلسفته الخاصة التي يقوم عليها، فالتخطيط الاقتصادي[2]، يرتكز على فلسفة تحقيق الرفاهية الاقتصادية لكل أفراد المجتمع.

والتخطيط الثقافي والتربوي[3]، يقوم على أن يهيء تكافؤ الفرص لأفراد المجتمع، والتخطيط الإداري يقوم من أجل توفير أقصى أسباب المنفعة للبيئة المحلية، والتخطيط الدعوي تقوم فلسفته على تحقيق عبادة الله في الأرض وإعمار الكون.

وهكذا نجد كل نوع من أنواع التخطيط يقوم على فلسفة معينة ينطلق منها.

ولعل هذه التقسيمات لأنواع التخطيط ليست مجال اتفاق، حتى بين علماء الإدارة أنفسهم ومن الشواهد على ذلك ما قالوه في الفقرات التالية:

يقول الدكتور إبراهيم درويش أستاذ الإدارة العامة بجامعة القاهرة أن مسألة تقسيم التخطيط هي مسألة نسبية بالدرجة الأولى، وتتوقف على نظر الباحث، وإمكانية التوصل إلى معيار يؤدي إلى التقسيم ويلاحظ أن كافة التقسيمات التي قيلت في هذا الصدد مجرد اجتهادات فردية لا تسمو إلى مرتبة التقسيم المنطقي

---

(١) الإدارة العامة في النظرية والممارسة، ص١٦٨.

(٢) د. عبد الكريم درويش، د. ليلى تكلا، أصول الإدارة العامة، ص ٢٧٣

(٣) د. عبد الله عبد الدائم، التخطيط التربوي، ط١، بيروت، ١٩٦٦م

المقبول، ومرجع ذلك إلى ما يأتي:

١- إن جميع التقسيمات التي اقترحت في هذا الصدد مستعارة من حقل الاقتصاد دون تطويرها، وحتى دون تحويرها بما يتلاءم مع تطبيقها في إطار الإدارة، وآية ذلك أن كُتَّاب الإدارة العامة يعرفون هذه التقسيمات بنفس التقسيمات التي يعطيها لها الكتاب في حقل الاقتصاد، ومن ثم فلا نستطيع التمييز في ضوء الكتابات التي صدرت في الإدارة العامة وتعرضت لأنواع أو لصور، أو لتقسيمات التخطيط، وبين كتابات الاقتصاديين في هذه الخصوصية.

٢- إن الاقتصاديين أنفسهم غير متفقين، على تقسيم معين لأنواع التخطيط، تبعا لعدم اتفاقهم على معيار محدد يقوم على أساسه تقسيم التخطيط[١].

وفي هذا الاتجاه يشير د. سليمان الطماوي، بعدما ذكر أنواع التخطيط: «... وأخيرا فإن أنواع التخطيط التي سبق ذكرها تعتبر واردة على سبيل المثال لا الحصر ذلك أن التخطيط ظاهرة عامة، وليدة تفكير منظم لإيجاد الحلول للمشكلات المتوقعة قبل حدوثها، والتخطيط بهذا المعنى أضحى ضرورة لكل المجتمعات في العصر الحديث، وأضحت أهميته تزداد في جميع مجالات الحياة، مما أدى إلى زيادة أنواعه ومجالاته، وأضحى كذلك كل مجتمع يأخذ بنوع من التخطيط، يتناسب مع ظروفه وإمكانياته»[٢].

ويرى الدكتور عادل حسن بعد ما ذكر أنواع التخطيط التي اقتبسها من كتاب (الإدارة العامة) للأستاذ (هوايت) عالم الإدارة الفرنسي «هذه الأنواع التي ذكرها (هوايت) للتخطيط ليست إلا أمثلة لأن الحقيقة ، أن التخطيط هو ظاهرة عامة من

---

(١) الإدارة العامة، ص١٦٧.

(٢) مبادئ علم الإدارة العامة، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٦٥م ص١٦٥.

المستحيل حصرها في نطاق معين وقصرها على ميادين دون أخرى، لأن التفكير المنظم، ومحاولة إعداد الحلول مقدما قبل أن يفاجأ المرء بالمشكلة قد أضحى من ضروريات العصر، ودعامة من الدعامات التي تقوم عليها المدنية الحاضرة»[1].

وبعد هذا السرد الموضوعي لأنواع التخطيط عند علماء الإدارة، قد اتضح لنا اختلافهم في التحديد الدقيق لأنواع التخطيط، وصعوبة إمكانية حصره في أنواع محددة، وعليه يمكننا بأن نقول أن التخطيط الدعوي واحد من أنواع التخطيط الذي يمكن دراسته ومعرفة عناصره وضوابطه والصعوبات التي تحول دون تطبيقه في المجالات الدعوية.

---

(١) د. عادل حسن، الإدارة العامة، ص١٣٣.

المبحث الثالث
مفهوم التخطيط الدعوي

كما مر معنا قد تعددت تعريفات التخطيط عند علماء الإدارة، إلا أنهم يكادوا يتفقوا على مفهوم عام للتخطيط، بأنه هو التنبؤ بما سيكون عليه المستقبل مع الإعداد والاستعداد لهذا المستقبل.

فهل يا ترى أن مفهوم التخطيط للدعوة الإسلامية يتفق مع هذا المفهوم؟ أم يختلف عنه؟

إننا نجد بعضا من الناس يقول[1]: أن التخطيط يتوخى الإنسان فيه التطلع إلى المستقبل فكيف للإنسان المسلم أن يتنبأ بالمستقبل وهو يعلم أن الغيب لله؟

---

(١) إن ممن يقول بهذا القول بعض الذين تأثرو بالفكر الصوفي، إذ يرى بعضهم أن التخطيط للغد والتنبؤ بالمستقبل، يتنافى مع التوكل على الله والإيمان بالقضاء والقدر، وإن واحدا من هؤلاء هو ابن عطاء الله الإسكندري(*)، إذ إنه يحذر دائما من أن يشغل المسلم نفسه بالغد، فضلا عما بعد الغد، ويطالبه بأن يحصر همه في اللحظة الحاضرة، لأن ما بعدها هو من مسؤلية الله عز وجل، ولو فكرنا في اللحظة التالية فانه يعتبر ذلك تعبيرا من عدم الثقة بالله، وتقوم جهات مسؤولة عن نشر التراث الإسلامي بنشر كتاب يدور موضوعه حول هذا المعنى وعنوانه (التنوير في إسقاط التدبير) وما التدبير إلا ما نعبر عنه الآن بالتخطيط. انظر: مجلة الأمة القطرية، شعبان، ١٤٠٥هـ مقال للدكتور/ سعيد إسماعيل علي، بعنوان (التحديات المستقبلية للفكر التربوي الإسلامي)

(*) أحمد بن محمد بن عبد الكريم، أبو الفضل، ابن عطاء الله الإسكندري، ٧٠٩-١٣٠٩هـ، متصوف شاذلي، من العلماء كان من أشد خصوم شيخ الإسلام ابن تيمية، له تصانيف، توفي بالقاهرة، انظر: خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط٨، ١٩٨٩م، جـ١، ص٢٢١-٢٢٢.

الذي ينفرد الحق تبارك وتعالى بعلمه، قال تعالى: «عالم الغيب والشهادة، وهو الحكيم الخبير»[١]، وقال تعالى: «قالوا لا علم لنا إنك أنت علام الغيوب»[٢] ولا شك أن هذا القول خاطئ، إذ الواقع أن حياة المسلم كلها تقوم على التخطيط، فإن الإسلام هو سلوك اليوم تجني ثماره غدا، والإسلام عمل في الدنيا غايته الوصول إلى غايات في الآخرة، وبهذا يكون التخطيط جزء من العمل الذي حض عليه الإسلام، قال تعالى: «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون»[٣]، وقال تعالى: «وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا»[٤].

وقال تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم..»[٥].

وفي قصة يوسف عليه السلام يذكر لنا القرآن كيف استطاع يوسف عليه السلام إنقاذ شعب مصر من مستقبل مخيف بحسن تدبيره، - ولو شئنا - استخدام مصطلحات العصر لقلنا بحسن تخطيطه، قال تعالى: «تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون...»[٦].

---

(١) سورة الأنعام، آية، ٧٣.

(٢) سورة المائدة، آية، ١٠٩.

(٣) سورة التوبة، آية، ١٠٥.

(٤) سورة القصص، آية ٧٧.

(٥) سورة الأنفال، آية ٦٤.

(٦) سورة يوسف، آية٤٧، وسوف أعرض لتفاسير هذه الآيات وأقوال العلماء حول دلالتها عند تناولي مشروعية التخطيط، في الفصل الأول بعنوان: مشروعية التخطيط في القرآن والسنة.

وكذلك جاءت النصوص الهادية في السنة النبوية، والتي يستفاد منها الدعوة للاستعداد للمستقبل، فقد ثبت أن الرسول ﷺ قال: «إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم الساعة حتى يغرسها فليغرسها، فله بذلك أجر»(١).

والمتأمل في معنى هذا الحديث الشريف يدرك المنزلة الرفيعة التي خص بها النبي صلى الله عليه وسلم، التخطيط، والعمل للمستقبل، فليس ثمة دعوة إلى انتهاج التخطيط أبلغ من هذه الدعوة، إذ يستفاد من مضمون الحديث أن التخطيط للعمل واجب على المسلم بغض النظر عما إذا كانت فائدته ستعود عليه شخصيا أو لا تعود.

إن رسول الله ﷺ يحث المسلم الذي انعقد عزمه على غرس نخلة، وأعد عدته لهذا العمل فجهز البذرة واختار بقعة الأرض المناسبة للغرس، ولكنه لم يكد يدخل في مرحلة التنفيذ حتى ظهرت علامات يوم القيامة، وهي النهاية المحتومة للحياة الدنيا، أن الرسول صلى الله عليه وسلم يحث المسلم في هذا المقام على إتمام الخطة التي أعدها إن استطاع ذلك على الرغم من أنه لن يستفيد هو أو غيره منها كما يبدو من ظاهر الأمر(٢).

وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصرح بالتفكير في العمل

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب اصطناع المال، جـ١، ص٥٦٣، مع شرح فضل الله الصمد، ط المكتبة السلفية، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، جـ١، ص١١، رقم٩.

والفسيلة هي النخلة الصغيرة.

(٢) انظر: حسن فتح الباب، التخطيط والتنظيم في الهجرة ، سلسلة دراسات في الإسلام، التي يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، بالقاهرة، السنة التاسعة، ١٥ ربيع الثاني، ١٣٨٩هـ، ٣٠ يونيو ١٩٦٩م، ص٣١.

للمستقبل، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم صام يوم عاشوراء فقالوا يا رسول الله أنه يوم تعظمه اليهود والنصارى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا كان العام المقبل إن شاء الله صمنا اليوم التاسع، قال: فلم يأت العام المقبل حتى توفي رسول الله ﷺ[١].

وجاء في الأثر أن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال: «فاعمل عمل امرئ تظن أن لن يموت أبدا، واحذر حذرا تخشى أن تموت غدا»[٢]. وهذا القول يمكن الاستئناس به في دعوة الإسلام للعمل المستقبلي.

وإننا كذلك نجد من المفكرين العرب من تحدث عن مفهوم التخطيط في الإسلام، ومن ذلك عبد الحميد بن يحيى[٣] كاتب الدولة الأموية حيث قال: «إن الكاتب يعلم بحسن أدبه، وبفضل عقله وسابق تجربته، يعلم الأمور والنوازل قبل نزولها، فيعد لكل أمر عدته وعتاده». ذكر هذا في توجيه عام أصدره لكتاب الدولة، وفيه نصائح كثيرة من بين هذه النصائح «أن يكون الكاتب له عقل،

---

(١) أخرجه مسلم بشرح النووي، كتاب الصيام، باب صوم يوم عاشوراء، جـ٨، ص٤، ط٣، دار الفكر، بيروت، لبنان.

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، جـ٣، ص٤٠٢، ح٣٨٨٧، ط دار الكتب العلمية، بيروت لبنان.

(٣) عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء المعروف بالكاتب، عالم بالأدب، من أئمة الكتاب، يضرب به المثل في البلاغة، واختص بمروان بن محمد آخر ملوك بني أمية، في المشرق، وبقي معه إلى أن قتلا معا في بوصير. انظر: الأعلام، الزركلي، جـ٣، ص٢٨٩.

وفضل تجربة، وبال واسع، يعرف به النوازل قبل وقوعها فيعد لها العدة قبل ذلك»[١] ، فاذا كان هذا من كلامهم فهذا واضح فيه أنهم يعدون الناس إعدادا للتخطيط للأمور قبل وقوعها، ويشترطون فيمن يقوم بمهام الدولة الإسلامية أن يكون من أصحاب الرؤى المستقبلية.

وأيضا نجد من المفكرين المعاصرين من يؤكد مفهوم التخطيط في الإسلام، يقول في ذلك د. يوسف القرضاوي: «والحقيقة أن فكرة الدين في جوهرها قائمة على أساس التخطيط للمستقبل، ففيه يأخذ المرء المتدين من يومه لغده، وبعبارة أخرى، يأخذ من حياته لموته ومن دنياه لآخرته، ولا بد له أن يخطط حياته، ويصنع لنفسه منهاجا يوصله إلى الغاية ، وهي رضوان الله ومثوبته»[٢] .

ولعل بهذه النصوص والأقوال قد تبين لنا أن التنبؤ بالمستقبل وإعداد العدة لمواجهته، لا يتعارض مع حقائق الدين الثابتة[٣] . وعليه ليست ثمة فروق بين المفهوم العام للتخطيط وبين مفهوم التخطيط الدعوي، اللهم إلا الاختلاف في الغايات والأهداف التي يسعى كل منهما لتحقيقها.

أهمية التخطيط:

تأتي أهمية التخطيط من كونه المنهج العلمي الذي يرسم صورة العمل في شتى المجالات ويحدد مساره، وبدونه تصبح الأمور متروكة للتلقائية والارتجالية،

---

(١) انظر : د. جعفر ميرغني، محاضرة بعنوان (التخطيط الإستراتيجي في صدر الإسلام) قدمها بمركز الدراسات الاستراتيجية، جامعة الخرطوم، السودان، نشرت بمجلة المركز، العدد الأول، السنة الأولى، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.

(٢) د. يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٦هـ ١٩٨٥م، ص٤٤.

(٣) انظر: الملحق رقم ( ) في نهاية البحث، عن رأي العلماء المعاصرين في مشروعية التخطيط.

التخطيط فهناك شبه إجماع من كتاب الإدارة على أن التخطيط هو الوظيفة الإدارية الأولى[1]، التي تسبق الوظائف الأخرى وتحدد نطاقها، وفي استعراض أهمية وظيفة التخطيط يقول كتاب الإدارة: لم تعد مشكلة التخطيط تتمثل في هل نخطط أم لا؟ فجميع المنظمات تخطط أعمالها بوسيلة أو بأخرى، ولكن المشكلة كيف نخطط بطريقة أكثر كفاءة؟

لأنه بانتهاج أسلوب التخطيط استطاعت كثير من المنظمات والهيئات تحقيق أهدافها القريبة والبعيدة، حيث يصعب تحقيقها بدون اتباع هذا المنهج الذي ساعدها على استخدام مواردها البشرية والطبيعية في أحسن صورة ممكنة [2].

هذا فيما يتعلق بأهمية التخطيط لعامة الأعمال التي يقوم بها الناس في دنياهم، أما بالنسبة لأهمية التخطيط للدعوة الإسلامية، فهو لا يقل أهمية من ذلك، بل تزداد أهميته باعتبار أن الدعوة الإسلامية تكليف شرعي على الأمة، تأثم إذا لم تقم به على أكمل وجه، ولا يتم لها القيام بهذا التكليف ما لم تحسن استخدام مواردها البشرية والمادية، في أحسن صورة ممكنة ضمن خطة محكمة.

ولأهمية التخطيط في الدعوة جعل الله لكل أمة شرعة ومنهاجا تسير عليه، قال تعالى: «ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا»[3].

---

(١) الوظائف الرئيسة للإدارة أربعة: ١- التخطيط، ٢- التنظيم، ٣- التوجيه، ٤- الرقابة. انظر د. أحمد الصباب، أصول الإدارة الحديثة، ط٢، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م، ص٩٠.

(٢) انظر: سيد الهواري، الإدارة، الأصول والأسس، مكتبة عين شمس، القاهرة، ١٩٧٦م، ص١٢، ود. سميرة محمد كامل، التخطيط الاجتماعي، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، بدون تاريخ طبع، ص٧.

(٣) سورة المائدة، آية ٤٨.

والمنهاج هو الطريق الواضح ، والخطة والنظام"[1].

وقد اتضح لي من خلال النصوص القرآنية التي سقتها في مبحث مفهوم التخطيط الدعوي، احتفاء القرآن بالدعوة للتخطيط في جميع الأمور، وكذلك التخطيط الواضح في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، فقد سار في دعوته على خطة محكمة، سواء في العهد المكي أو العهد المدني، فقد وضع لكل عهد خطته المناسبة له، مراعيًا في ذلك حال الدعوة والمدعوين، من حوله موازنا بين الإمكانات والواجبات، ناظرا في ذلك إلى المصالح القريبة والبعيدة للدعوة[2].

وقد سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على خطته ﷺ والتزموا طريقته في الدعوة إلى الله تعالى.

ثم أتى على الناس حين من الدهر، أغفل المسلمون فيه التخطيط وغفلوا عن أهميته، فاضطربت دعوتهم، وتعثرت خطاهم، وتمكن منهم أعداؤهم، فحاكوا لهم من الخطط ما أعجزهم[3]، فقابلوا تخطيطهم بنوع من الفوضى وردود الأفعال والإرتجالية، فكثرت الأخطاء الدعوية، وتركزت في حياة العاملين مما جعل الحاجة

---

(١) المدخل إلى علم الدعوة، د. محمد البيانوني، ص٤٤.

(٢) انظر: مبحث مشروعية التخطيط في السنة ص ٤٤ الفصل الأول، المبحث الثاني.

(٣) انظر على سبيل المثال: في خطط الأعداء(بروتوكولات حكماء صهيون » ففيها نماذج من تخطيط الأعداء، وكتاب (التنصير: خطة لغزو العالم الإسلامي) الترجمة الكاملة لاعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة بليين أيري بولاية كولورادو في الولايات المتحدة الأمريكية، سنة ١٩٧٨م، ونشرته دار
MARC THE GOSPEL AND ISLAMA 1978 CO MPENDIUN. وكتاب أحجار على رقعة الشطرنج، ترجمة محمد خليفة التونسي، وكتاب، أجنحة المكر الثلاثة، للأستاذ عبد الرحمن حبنكة، وكتاب الغارة على العالم الإسلام لشاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ومساعد اليافي، وغيرها كثير.

كبيرة إلى التنبيه على أهمية التخطيط للدعوة الإسلامية في العصر الحاضر حتى تتكافأ أساليب ووسائل الدعوة الإسلامية مع أساليب أعدائها إن لم تتفوق عليها.

وتتضح أهمية التخطيط من خلال الفوائد التي يمكن أن يحققها للدعوة ومنها:

١- يسهل التخطيط مهمة قيادات الدعوة، لأن توضيح أساليب العمل وإجراءاته وخطواته يجعل الدعاة يدركون المطلوب منهم وكيفية إنجازه.

٢- تنسيق الجهود، وتركيز الانتباه على الأهداف مما يساعد على زيادة الكفاءة، وسرعة تحقيق الأهداف.

٣- يتيح التخطيط لقيادات الدعوة الرؤية الكاملة لكل المتغيرات ويمكنهم من معرفة المشاكل المتوقع حدوثها والاستعداد لها والعمل على تلافيها.

٤- تحقيق نوع من الرقابة العملية على مراحل التنفيذ تعتمد عليها الأجهزة الرقابية، كما تعتمد عليها القيادات في تقييم جهود الدعاة العاملين.

٥- يعطي التخطيط كلا من قيادات الدعوة والدعاة نوعا من الثقة، كما يحقق الأمن النفسي للدعاة لشعورهم بأنهم يسيرون على برنامج مدروس وحسب خطوات محددة، وأهداف واضحة فيجتهدون لأداء مهامهم في جو من الارتياح النفسي والإطمئنان مما يحفزهم على الدعوة بكفاءة عالية تزيد من جهودهم وتجعلهم يحققون الأهداف المرجوة في الوقت المحدد لها.

٦- يسهم التخطيط في استغلال الطاقات البشرية والإمكانات المادية أفضل استغلال.

٧- يؤدي إلى بناء بنوك المعلومات[١]، ومؤسسات الأرقام التي تستهدف توفير الإحصاءات والمعلومات والتأكد من مدلولاتها لاستخدامها، أو الاستفادة منها عند الحاجة[٢].

---

(١) انظر: مطلب إنشاء مراكز المعلومات متكاملة، في المطلب الثالث، من الفصل الثالث. ص٣٤١.

(٢) لمزيد من التفصيل حول فوائد التخطيط يراجع: د. فرناس البناء، التخطيط دراسة في مجال الإدارة الإسلامية ص٣٢، ود. أمين ساماتي، الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية، معهد الإدارة العامة، الرياض، ١٤٠٤هـ، ص١٠٢، والرائد سعد عودة الردادي، التخطيط الأمني للمهام المرحلية والعمليات الطارئة، مطابع الشريف، الرياض، ط٢، ١٤١٤هـ، وطلال الغرياني، التخطيط والمتابعة بين النظرية والممارسة ص٥٢، ط١، ١٤١٢هـ شركة العبيكان للطباعة، الرياض، ود. علي عبد الوهاب، مقدمة في الإدارة، معهد الإدارة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ص٧٥ بتصرف.

المبحث الرابع
ضوابط التخطيط الدعوي

كما اتضح لنا أن مفهوم التخطيط الدعوي لا يختلف كثيرا عن المفهوم العام للتخطيط ، إلا أن هناك ضوابط لا بد منها حتى يؤدي التخطيط الدعوي وظيفته وثماره المرجوة.

ومن الضوابط:

١- أن يكون القائمون بأمر التخطيط من أهل الاختصاص والكفاءات العملية والعلمية في مختلف مجالات الحياة.

٢- أن يكون موافقا للتنظيمات الإسلامية للحياة الإنسانية في جوانبها المختلفة، ومنضبطا بالأحكام الشرعية، فلا يخالف حكما شرعيا ، ومهتديا بهدي القرآن والسنة النبوية المطهرة.

٣- أن يكون واقعيا ، وأقصد بالواقعية وضع الخطط على أسس علمية تقوم على تقدير الإمكانات الفعلية والإحتياجات الحقيقية للدعوة في المجتمع، وعدم الإغراق في المثالية والخيال.

٤- أن يكون التخطيط للدعوة جماعيا ، بعيدا عن التفردات الشخصية والجماعية،بأن يجتمع معظم الدعاة من علماء ومفكرين في مختلف المجالات الدعوية ومن مختلف مواقع العمل الإسلامي، ويختاروا نخبة منهم تتفرغ لهذه المهمة يمدونها بآرائهم واقتراحاتهم، ليضعوا الخطط اللازمة لنجاح الدعوة الإسلامية.

٥- أن يكون قائما على الإحصاء الدقيق والمعلومات الصحيحة للإمكانات البشرية والمادية، وقد بادر الرسول صلى الله عليه وسلم في تخطيطه من الانتفاع بالإحصاء منذ عهد مبكر من إقامة دولته بالمدينة،فقد روى البخاري ومسلم عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال كنا مع رسول الله ﷺ ، فقال «احصوا لي كم يلفظ بالإسلام»

وفي رواية للبخاري أنه قال: «اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس» قال حذيفة: فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل...»[1] الحديث.

٦- استصحاب التوكل على الله سبحانه وتعالى، واعتبار مشيئته، كما قال تعالى: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله»[2]

٧- أن يكون مبنيا على كثير من التجارب والإفادة من خبرات الآخرين غير المختصين في الدعوة، ولكن لديهم القدرة التخطيطية العامة.

إلى غير ذلك من الضوابط التي يراها العاملون في مجال الدعوة.[3] وأهل الاختصاص في كل مجال.

---

(١) البخاري مع الفتح، جـ٦، ص٢٠٥، رقم٣٠٦٠، باب كتابة الإمام الناس، ومسلم، ج-١، ص٢٣٥، باب الاستسرار بالإيمان للخائف، ومسند الإمام أحمد، جـ٥، ص٣٨٤.

(٢) سورة الكهف، آية ٢٢-٢٣.

(٣) حول ضوابط التخطيط الدعوي، انظر: الشيخ محمد أبو الفتح البيانوني، المدخل إلى علم الدعوة،ص٣٠٨، د، يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص٤٣، ود. كمال محمد عيسى. خصائص مدرسة النبوة، ص٢٠، دار الشروق، جدة، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٣م، ود. محمد عبد المنعم عفر، التخطيط والتنمية في الإسلام،ص٥٢، دار البيان العربي، جدة، ١٤٠٥هـ

الفصل الأول
مشروعية التخطيط.

يشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول: مشروعية التخطيط في القرآن.
المبحث الثاني: مشروعية التخطيط في السنة.

الفصل الأول

مشروعية التخطيط

• **تمهيد:**

يعتبر التخطيط أحد النعم والمميزات التي وهبها الله تعالى للبشر، وميز بها العقل البشري وقد استخدم العقل من قديم قدراته في تصور الأحداث واستيعاب حركة المجتمع، ورؤية المتغيرات، والاستثمار الأفضل لنشاط الفرد ضمن حركة المجتمع من توازن وتناسق بما يحقق لذلك أهدافه وتطلعاته.

لذا فإن هذا العلم الهام والخطير في المجتمعات المعاصرة، بعض الدول تعتبره علما مبتكرا لم يعرف إلا في عصرنا هذا ، وهذا القول غير صحيح، فقد جاء دستور المسلمين الخالد منذ قرون مضت داعيا إلى هذا الأمر محتفلا به، وضرب لنا الأمثلة الواقعية على ذلك.

نجد هذا في التخطيط المحكم الذي أنقذ أمة من مجاعة محققة كما جاء في قصة يوسف عليه السلام، وكذلك في سورة الكهف نجد ذا القرنين كيف أنه بدقة تخطيطه حوّل أمة كانت لا تفقه قولا إلى أمة عاملة تبني سدا هو آية من آيات الله[1].

ونجده كذلك في التوجيهات والإشارات القرانية للرسول صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين من الأخذ بالأسباب وإعمال التفكير والتدبر والنظر في السنن الكونية.

وكذلك نجده في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وفي سيرة خلفائه الراشدين المهديين من بعده، نبراسا هاديا، وتخطيطا يسعى إلى تحقيق الأهداف، وتحديد الوسائل ومعرفة الواقع ولعلنا لو نظرنا لسيرته صلى الله عليه وسلم، نجدها كلها قائمة على التخطيط والأخذ بالأسباب، ومن بعد ذلك يأتي دور

---

(١) محمد عبد الله الخطيب، الدعاة ... والتخطيط، دار المنار الحديث، ص.٢٥، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م.

التـوكل والاعتـماد على الله،وكل ذلك واضح جلي من معظم مشاهد السيـرة ومن أقواله وتقريراته صلى الله عليه وسلم، وعليه سوف أتعرض - إن شاء الله - بشيء من التفصيل في مبحثين مستقلين لمشروعية التخطيط للدعوة الإسلامية:

المبحث الأول: مشروعية التخطيط في القرآن الكريم.

المبحث الثاني: مشروعية التخطيط في السنة النبوية.

المبحث الأول
مشروعية التخطيط في القرآن الكريم

إن القرآن الكريم أساس الإسلام، ولباب دعوته ومناط شرائعه، وأنه الينبوع الأول لشتى تعاليمه من أحوال المعاش والمعاد جميعا، وإنه برهان النبوة ودليل صدقها ومعجزتها الكبرى، قال تعالى: «إنه لقرآن كريم»[١]، وقال تعالى:«ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء»[٢]وقال تعالى: «ما فرطنا في الكتاب من شيء»[٣]، وقال تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي»[٤]، وقال تعالى: «تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا»[٥]، كل هذه النصوص الواضحة البيِّنة وغيرها تؤكد على أن القرآن هو الدستور والمرجع للإنسان المسلم في كل شؤونه الدنيوية والأخروية، كما قال تعالى:«قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين»[٦]بل وتحثه على التزام هذا الدستور وأتباعه. ولما كانت الدعوة إلى الله من أشرف الغايات وهي وظيفة الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم بأحسان إلى يوم الدين، فإنه لن تحقق أهدافها المرجوة وإيصال رسالتها إلى مستقبليها من المخاطبين إلا بالتخطيط.

ونجد أن الدعوة الإسلامية قد ارتكزت على تخطيط دقيق محكم يلتقي مع المفاهيم العلمية الحديثة للتخطيط، وقد وجدت في القرآن الكريم من النصوص الهادية والمرشدة إلى ذلك في شتى المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وفي حالتي السلم والحرب، ومن تلك النصوص التي تستمد منها مشروعية

---

(١) سورة الواقعة آية ٧٧

(٢) سورة النحل، آية ٨٩.

(٣) سورة الأنعام، آية ٣٨.

(٤) سورة المائدة، آية ٣.

(٥) سورة الفرقان، آية ١-٤.

(٦) سورة الأنعام، آية ١٦٢.

التخطيط للدعوة قوله تعالى:«وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل تُرهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم... »[(١)].

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية الكريمة «أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بإعداد القوة للأعداء بعد أن أكد تقدمة التقوى، فإن الله سبحانه وتعالى لو شاء لهزمهم بالكلام والتفل في وجوههم، وبحفنة من تراب، كما فعل الرسول ﷺ، ولكنه أراد أن يبتلى بعض الناس ببعض بعلمه السابق وقضائه النافذ وكلما تعده لصديق من خير أو لعدوك من شر فهو داخل في عدتك، وقال ابن عباس: القوة هنا السلاح والقسي ... »[(٢)].

ويقول الإمام محمد رشيد رضا: «بأن الإعداد هو تهيئة الشيء للمستقبل، والرباط في أصل اللغة الحبل الذي تربط به الدابة كالمربط (بالكسر) وأمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بأن يجعلوا الاستعداد للحرب التي علموا أن لا مندوحة عنها لدفع العدو والشر وحفظ الأنفس ورعاية الحقوق والعدل والفضيلة بأمرين :

١- إعداد جميع أسباب القوة لها بقدر الاستطاعة.

٢- مرابطتهم فرسانهم عند ثغور بلادهم وحدودها.

ومن المعلوم بالبداهة أن إعداد المستطاع من القوة يختلف امتثال الأمر

---

(١) سورة الأنفال آية ٦٠.

(٢) أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن الكريم، جـ٨، ص٣٥،الناشر دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٣٨٧هـ -١٩٦٧م، مصورة من طبعة دار الكتب.

الرباني به باختلاف درجات الاستطاعة في كل زمان وكل مكان بحسبه»[١].

يتضح لنا من تفسير هذين الإمامين العظيمين لمعنى إعداد القوة الفهم السليم للتخطيط، الذي يتمثل في الاستعداد بالقوة لمواجهة أمر مستقبلي قد يحدث لدار الإسلام وأمته، ومما يدلنا على أن الاستعداد للعمل داخل في التكليف الذي يؤاخذ المسلم بتركه قوله تعالى في شأن المتخلفين عن غزوة تبوك: «ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدّة»[٢] أي أن هؤلاء المتخلفين لو أرادوا الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لهذه الغزوة لأعدوا لهذا العمل ما يناسبه من الزاد والراحلة، ولكنهم أرادوا عدم الخروج بدليل عدم استعدادهم له، واعتذروا لرسول الله ﷺ بأعذار واهية[٣].

كما أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بإعداد القوة وحثهم عليها كذلك أمرهم بتعاطي الأسباب وأخذ الحيطة والحذر من عدوهم في حالتي السلم والحرب، قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثُبات أو انفروا جميعا»[٤].

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: «في هذه الآية أول دليل على تعاطي الأسباب واتخاذ كل ما ينجي ذوي الألباب، ويوصل إلى دار السلامة، ويبلغ دار الكرامة[٥].

«خذوا حذركم»أي كونوا متيقظين وضعتم السلاح أم لم تضعوه، وهذا يدل

---

(١) الإمام محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، جـ٨، ص٦١، ط١، سنة ١٣٤٩هـ-١٩٣١م، دار المعرفة بيروت.

(٢) سورة التوبة، الآية ٤٦.

(٣) عروة بن الزبير، مغازي الرسول، النسخة المستخرجة، تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي، منشورات مكتب التربية لدول الخليج، ص٢٢٠-٢٢١

(٤) سورة النساء آية ٧١.

(٥) تفسير الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي، جـ٥، ص٢٧٢.

على تأكيد التأهب والحذر من العدو، في كل الأحوال وترك الاستسلام، فإن الجيش ما جاءه مصاب قط إلا من تفريط في حذر»[1].

«و إنها الوصية للذين آمنوا من القيادة العليا التي ترسم المنهج، وتبين لهم الطريق، وإن الإنسان ليعجب وهو يراجع القرآن الكريم فيجد هذا الكتاب يرسم للمسلمين الخطة العامة للمعركة وهو ما يعرف باسم (استراتيجية المعركة). ففي الآية الأخرى يقول للذين آمنوا: «يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة» فيرسم الخطة العامة للحركة الإسلامية وفي هذه الآية يقول للذين آمنوا «خذوا خذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعا» وهي تبين ناحية من الخطة التنفيذية أو ما يسمى بـ(التكتيك)»[2].

والتخطيط باعتباره أسلوبا علميا لتحقيق أهداف محددة وسياسة واضحة باتخاذ تدابير متكاملة تضمن الاستخدام الأمثل للموارد والإمكانات المتاحة، هو أسلوب الإسلام في تحقيق الأهداف ، ذلك لأن الإنسان مدعو بنص القرآن الكريم إلى أن يسير في حياته على هدى من العلم، مستخدما حواسه وفكره وقلبه[3].

يقول الله عز وجل: «ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا »[4]

ويتجلى التخطيط البعيد الأمد في العقيدة الإسلامية، فهي تدعو الفرد إلي أن يؤمن بالله واليوم الآخر وبالحساب والجزاء، والثواب والعقاب في الآخرة، وأن عليه أن يعمل صالحا في دنياه وفق التعاليم التي قررها الله عز وجل في القرآن الكريم، وفي هدى سنة رسول الله ﷺ بهدف الوصول إلى رضا الله تعالى بما

---

(١) المرجع السابق، جـ٥، ص٣٧٣.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٢، ص٧٠٤. دار الشروق، ط١٢، ١٩٨٦م، ١٤٠٦.

(٣) د. عبد العزيز كامل، التخطيط العلمي في القرآن، ص١٠٢ دار الكتب المصرية،

(٤) سورة الإسراء ، الآية ٣٦.

يضمن له الحياة الطيبة في الدنيا والآخرة، والخلود في الجنة حيث النعيم المقيم مصداقا لقوله تعالى: «من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون»[1]. وقوله تعالى: «ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا»[2]

ولعل ما أشار إليه القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: «قال تزرعون سبع سنين دأبا فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلا مما تأكلون ، ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلن ما قدمتم لهن إلا قليلا مما تُحصنون، ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون»[3].

إنما هو للداعية المسلم درس إداري حكيم لما يجب عليه من التخطيط لحماية الوطن والعمل في وقت الشدة المتوقعة مستقبلا، وذلك بالتنبؤ لما يحدث والعمل على تفادي أخطار المستقبل بالتخطيط الموجه.

وفي تفسير هذه الآيات الكريمات يقول محمد رشيد رضا «إن يوسف عليه السلام يبين للملأ ما يجب عليهم عمله لتلافي ما تدل عليه هذه الرؤيا، من الخطر على البلاد والعباد قبل وقوع تأويلها، والذي بينه في سياق هذا التدبير العملي»[4].

وتعتبر هذه الخطة مثلا للتخطيط السليم الذي قام على أسس منطقية فأمكن بذلك تلافي مجاعة كانت تهدد الناس جميعا بالهلاك لولا التخطيط السليم الذي

---

(١) سوورة النحل، الآية ٩٧.

(٢) سورة النساء، الآية، ١٢٤.

(٣) سورة يوسف، الآية ٤٧-٤٩.

(٤) محمد رشيد رضا، تفسير المنار، جـ١٢، ص٣١٩.

قام به يوسف عليه السلام وهو أمين على الخزائن[1].

ويمكننا أن نستخلص بعض الدروس التي تدل على التخطيط في قصة يوسف عليه السلام في النقاط التالية:

١- قام يوسف عليه اسلام بإعداد خطة لمواجهة القحط الذي علم أنه سيسود، وقد تم إقرار هذه الخطة بمعرفة الملك وتمّ اتخاذ الإجراءات لوضعها موضع التنفيذ، وقام يوسف عليه السلام بتنفيذ هذه الخطة ومتابعتها[2].

٢- إن هذه الخطة من نوع الخطط القومية، فقد شملت كل مصر بل وامتدت آثارها إلى البطون والعشائر المجاورة، وإلى أرض فلسطين وكنعان بالشام، كما أن هذه الخطة من نوع الخطط بعيدة المدى إذ بلغ مداها خمس عشرة سنة.

٣- قام يوسف بإعداد أول موازنة تخطيطية بنيت على أسس علمية وتكاملت فيها أركان الموازنة التخطيطية في العصر الحديث من نوع الموازنات طويلة الأجل[3].

٤- بينت هذه الآيات الكريمة ما يجب أن يكون عليه المخطط من الصفات مثل: الحفظ، والعلم، والتدبير، والتقوى، والصبر، والتوكل على الله والإحسان، والكياسة، والصدق والأمانة، والعدل وعدم الظلم والتسامح، والإخلاص.[4]

---

(١) بتصرف، محمد عبد الله الخطيب، الدعاة.. والتخطيط، ص٦٦.

(٢) انظر: د. فرناس عبد الباسط البنا، التخطيط دراسة في مجال الإدارة الإسلامية، وعلم الإدارة العام، ط١، ١٤٠٥هـ، ص١٠٠.

(٣) د. مرسي سلامة، أصول الإدارة، بحث مقدم للمؤتمر العلمي السنوي الثالث (المنهج الاقتصادي في الفكر الإسلامي بين الفكر والتطبيق) والذي أعدته كلية التجارة، جامعة المنصورة، مطبوعات المؤتمر، ص٥-٦.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، الآيات الدالة على هذه الصفات الكريمة، جـ٤، ص١٩٤٩-٢٠٣٧.

٥- شملت هذه السورة الكريمة جوانب تخطيطية أخرى مثل تخطيط يوسف عليه السلام لاستدعاء أخيه الأصغر (بنيامين) وضمه إليه، وقد سرد لنا القرآن الكريم في أسلوب قصصي رائع معجز، كيف طلب يوسف من إخوته أن يحضروا أخاهم[1]، وكيف وضع خطة محكمة لاتهام أخيه بسرقة إناء الملك، وضبط هذه الإناء لديه، حتى يمكن استبقاء أخيه ألى جواره، وعدم رده مع إخوته[2].

اهتم يوسف عليه السلام بتنفيذ خطته الاقتصادية، فقام بمسح شامل للأراضي المصرية، وقام بحصر سكان كل قرية ومدينة.

كما أقام يوسف عليه السلام عددا كبيرا من الصوامع لحفظ الغلال، وجعل الكبير منها في المدن الكبرى، ووالصغير منها في المدن الصغرى، ووضعها على ضفاف نهر النيل لكي تسهل عملية التوزيع والتصريف[3].

٧- واجه يوسف المجاعة التي واجهت البلاد، وامتدت إلى بلاد الشام المجاورة بحكمة بالغة، ودقة متناهية في التخطيط وحسن التدبير، إذ كان يبيع لكل مشترٍ كيل بعير من الحبوب فقط كي يظل هناك قوت للجميع[4]. ودليل ذلك أن أخوة يوسف عادوا إلى أبيهم وطلبوا منه السماح لأخيهم بالذهاب معهم، حتى يرضى الحاكم عنهم فيتعامل معهم ويزيدهم نصيب أخيهم، وهو كيل بعير، قال تعالى:«ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير»[5]

ولقد قرر يوسف المساواة بين الأفراد في العطاء، فلكل فرد كيل بعير، وكيل البعير عبارة عن زكيبتين، تحتوي كل منهما تسع كيلات من الحبوب، وهي توازي

---

(١) سورة يوسف الآيات ٥٩-٦٢.

(٢) سورة يوسف الآيات ٦٩-٧٦.

(٣) د. حمدية زهران، التخطيط الاقتصادي، مكتبة عين شمس، ١٩٨٣م ص٢٠.

(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٤، ص٢٠١٧.

(٥) سورة يوسف ، الآية ٦٥.

١٨٠ كيلو بالوزن الحالي، فإذا ما خصص هذا القدر لكل فرد على مدار السنة كان نصيبه اليومي، نصف كيلو من الحبوب، وهذا هو حد الكفاف للفرد من الغذاء، وهذا هو المعدل الذي حددته الدول الكبرى في الحرب العالمية الثانية لاستهلاك الفرد اليومي.[1]

وبهذا التوجيه القرآني الذي هدى الله إليه سيدنا يوسف عليه السلام، فإن المسلم ملزم بالتخطيط المستقبلي لكثير من المهام التي توكل إليه، وذلك لتفادي النكبات والأزمات التي قد تحيط بالأمة في مجال من مجالات الحياة.

وتعتبر هذه إشارات إلى واقع تخطيطي حفظه لنا القرآن ، لكي ندرك أن الإسلام لا يقوم على التخمين أو التواكل، ولكنه دين يعتمد على أدق الأساليب وأعمقها في جوانب الإنتاج والاستهلاك والوسائل المادية والبشرية... كل ذلك في دائرة الأخلاق والإيثار.

والنموذج الآخر الذي يدلنا على مشروعية التخطيط في القرآن الكريم ما جاء في سورة الكهف، في قصة ذي القرنين عندما بلغ بين السدين ووجد قوما متخلفين قال تعالى عنهم: «لا يكادون يفقهون قولا»[2]. والمشكلة التي احتاجت إلى تخطيط، هي أن هؤلاء القوم كان يغير عليهم قوم مفسدون في الأرض يسمون (يأجوج ومأجوج)، وقد اختلف في إفسادهم في الأرض، فقيل هو أكل بني آدم، وقيل هو الظلم والغشم والقتل وسائر وجوه الإفساد، وقيل كانوا يخرجون إلى أرض هؤلاء القوم الذين شكوهم إلى ذي القرنين في أيام الربيع فلا

---

(١) باختصار وتصرف نقلا عن: د. حمدية زهران، التخطيط الاقتصادي، ص٢٣-٢٥.

(٢) سورة الكهف، الآية ٩٣.

يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه[١]. ويهاجمونهم من ممر بين حاجزين طبيعيين، وقد تحدد الهدف بوضوح بإقامة سد يحمي البلدة من شر هؤلاء القوم المفسدين (يأجوج ومأجوج) وتم تحديد أسلوب تحقيق الهدف في أن يتعاون هؤلاء القوم المغلوبون على أمرهم مع ذي القرنين الذي عبر عن ذلك ما حكاه الله تعالى: «ما مكني فيه ربي خير فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما»[٢]. وتم اتخاذ التدابير اللازمة لتنفيذ الخطة فيما يلي:-

١- القوة البشرية (الأيدي العاملة) يقدمها الأهالي.

٢- مواد البناء تتكون من الحديد والنحاس والنار[٣].

٣- طريقة التنفيذ وهو أن يتم صهر الحديد ثم صبه بين الحاجزين الطبيعيين ليردم الممر الوحيد إلى البلدة، والذي ينفذ من خلاله يأجوج ومأجوج[٤]. قال تعالى: «حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله نارا قال آتوني أفرغ عليه قطرا»[٥]. والحديد عندما يتخلله النحاس (القطر) يزيده صلابة، وتحقق من ذلك الهدف الذي يظهر من قوله تعالى: «فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا»[٦].

وذلك نموذج متكامل لعملية التخطيط العلمي من القرآن الكريم وبيان لأهمية استخدام التكنولوجيا المثلى في التنفيذ، وضرورة الاستغلال الأمثل

---

(١) محمد بن علي الشوكاني، فتح القدير، جـ٣، ص٣١٢، ط دار الفكر، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م بيروت.

(٢) سورة الكهف، الآية ٩٥.

(٣) سورة الكهف، الآية ٩٦.

(٤) انظر: محمد عبد الله الخطيب، الدعاة والتخطيط. ص ٣٨

(٥) سورة الكهف، الآية ٩٧.

(٦) سورة الكهف الآية ٩٧.

للإمكانات البشرية والمادية في تحقيق الأهداف."[1]

ويرتبط التخطيط في الإسلام بالعقيدة، فهو يقوم علي منهج عقدي أساسه التوكل علي الله والارتباط بالمشيئة الإلهية، وهذا ما يضفي على التخطيط الإسلامي صفة روحية تخفف من جمود العمل التخطيطي المستقبلي وجفائه.

ويرجع الأساس العقدي في التخطيط للدعوة إلى توجيه الله سبحانه وتعالى للنبي ﷺ وللمسلمين بحيث يمكن القول بأن الله تعالى هو الذي يضع السياسة العامة، وهو الذي يحدد الأهداف الرئيسة ويبلغها رسوله الكريم ﷺ ليقوم بتنفيذها فيضع النبي ﷺ البرامج ويشاور أصحابه - رضوان الله عليهم - في معظمها ويستمع إليهم في كل ما يبدونه من ملاحظات سواء قبل التنفيذ أو بعده"[2].

وقد يضع - الله عز وجل - تخطيطا محكما لأحد أنبيائه ويلهمه هذا التخطيط ويكلفه بتنفيذه، مثلما فعل الله سبحانه وتعالى مع نبيه يوسف عليه السلام، وعندما ألهمه تفسير رؤيا عزيز مصر، فأنقذ بها مصر وما حولها من مجاعة محققة.

وكما حدث مع رسول الله ﷺ في صلح الحديبية عندما اشترط المشركون شروطا بدا للصحابة - رضوان الله عليهم - فيها كثير من الإجحاف، وقد تبرم كثير من الصحابة من شروط هذا الصلح ومن الأدلة على ذلك أن عليا - رضي الله عنه - اعتذر عن محو كلمة (رسول الله) التي اعترض عليها سهيل بن عمرو، فقال له رسول الله ﷺ : «إرني مكانها» فمحاها رسول الله ﷺ ،وكتب على مكانها

---

(١) عبد العزيز كامل ، التخطيط العلمي في القرآن، ص٩ - ١٠. ومحمد عبد الله الخطيب، الدعاة والتخطيط، ص١٣.

(٢) د. محمد عبد المنعم خميس، الإدارة في صدر الإسلام، دراسة مقارنة ، المجلس الأعلى الشؤون الإسلامية، جمهورية مصر، الكتاب التسعون، الأهرام التجارية، ١٩٧٤م ص٣٩.

(ابن عبد الله)[1]، وغضبوا لشرط رد المسلمين الفارين من قريش إلى المسلمين، فقالوا: «يا رسول الله نكتب هذا؟» قال: نعم. إنه من ذهب إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجا ومخرجا»[2].

ويحكي عمر بن الخطاب رضي الله عنه مجيئه إلى رسول الله ﷺ غاضبا عند كتابة ذلك الصلح، قال: «فأتيت نبي الله فقلت: ألست نبي الله حقا؟ قال: بلى. قلت: فلم نعطي الدنية في ديننا إذاً؟ قال: إني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري ـ وهذا هو الشاهد ـ قلت: أولست كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى. أفأخبرتك أنك تأتيه العام؟ قال: قلت: لا. قال: فإنك آتيه ومطوف به». وأتى عمر أبا بكر وقال له مثل ما قال للرسول ﷺ فقال له أبوبكر: «إنه لرسول الله ﷺ وليس يعصي ربه وهو ناصره، فاستمسك بغرره، فوالله إنه الحق»[3].

فهذه النصوص تدل دلالة واضحة بأن التخطيط لمواجهة قريش كان تخطيطا إلهيا ووحيا من عند الله لرسوله صلى لله عليه وسلم.

وكذلك مما يؤكد أن هذا التخطيط هو وحي أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم بالصلح مع العدو أن الرسول ﷺ لم يستشرأحدا من أصحابه، في هذا الأمر كما تشير النصوص، واكتفي بإعلان المصالحة منذ اللحظة التي بركت فيها ناقته فقال الناس «خلأت القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي

---

(١) أخرجه مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاد، الرياض، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م جـ٣، ص. ١٤١٠-١٤١١، ح١٧٨٣.

(٢) مسلم، جـ٣، ص١٤١١، ح١٧٨٤.

(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٧.١هـ، ١٩٨٧م، جـ١١، ص١٧٦-١٧٨ ح٢٧٣١-٢٧٣٢.

نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إياها »[1].

وأيضا من الدلائل على ذلك إن رسول الله لم يفصح عن ما في نفسه إلا مضطرا وذلك أمام إلحاح المسلمين على دخول مكة، فأعاد لهم شريط الأحداث، لينتقلوا منه ومعه إلى النصر الجديد القادم. «أنسيتم يوم أحد إذ تصعدون ولا تلوون على أحد وأنا أدعوكم في أخراكم؟ أنسيتم يوم الأحزاب إذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، أنسيتم يوم كذا ؟ أنسيتم يوم كذا ؟ والمسلمون يقولون : صدق الله ورسوله ، يا نبي الله ما فكرنا فيما فكرت فيه، ولأنت أعلم بالله وبأمره منا »[2].

ولعله مما يؤكد لنا حقيقة أن هذا الصلح في الحديبية كان تخطيطا من عندالله أحد الذين شهدوا هذا الصلح، ومن أقرب الناس بالرسول صلى الله عليه وسلم ، أبوبكر الصديق رضي الله عنه حينما قال: ما كان فتحا أعظم في الإسلام من فتح الحديبية، ولكن الناس يومئذ قصر رأيهم عما كان بين محمد وربه، والعباد يعجلون والله لا يعجل كعجلة العباد حتى تبلغ الأمور ما أراد.

لقد نظرت إلى سهيل بن عمرو في حجة الوداع قائما عند المنحريقرب إلى رسول الله ﷺ بدنة، ورسول الله ينحرها بيده، ودعاالحلاق فحلق رأسه فأنظر إلى سهيل يلقط من شعره صلى الله عليه وسلم وأراه يضعه علي عينيه!وأذكر إباءه أن يقرّ يوم الحديبية بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم! وإباءه أن نكتب أن محمدا

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا، وزملاؤه، مؤسسة علوم القرآن، بدون تاريخ طبع، جـ٣، ص٣١٠، وأخرجه البخاري مع الفتح، جـ٥، ص٣٨٨، كتاب الشروط، حديث رقم ٢٧٣١.، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٣، ص٩٩.

(٢) المقريزي ، تقي الدين أحمد بن علي، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر، القاهرة، ١٩٤١، ط لجنة التأليف والترجمة والنشر، جـ١ ،ص٢٩٥.

رسول الله! فحمدت الله الذي هداه للإسلام. فصلوات الله وبركاته على نبي الرحمة الذي هدانا به ، وأنقذنا به من الهلكة»[1].

وإذا حللنا النتائج والمكاسب التي تحققت للدعوة الإسلامية آنذاك، بعد صلح الحديبية، تبين لنا مدى حسن التخطيط والتدبير الرباني، وسوف أذكر بعض هذه المكاسب والنتائج بأيجاز ودون الخوض في تفاصيلها:-

١- اعتراف قريش بكيان المسلمين لأول مرة فعاملتهم معاملة الند للند[2].

٢- إنهاء الوجود اليهودي في جزيرة العرب ـ غزوة خيبر ـ[3].

٣- الإعلان العالمي للإسلام ـ مراسلة الملوك والأمراء ـ.[4]

٤- ذهاب هيبة قريش ، بدليل مبادرة خزاعة الإنضمام إلى حلف المسلمين دون خشية من قريش كما كان في السابق.[5]

٥- أتيح للمسلمين مضاعفة جهودهم لنشر الإسلام، وفي ذلك قال الزهري: «فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، وإنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أمِنَ الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين مثل من كان

---

(١) إمتاع الأسماع، المقريزي، جـ١، ص٢٩٦.

(٢) مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ط ١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ص٢٩٥.

(٣) محمد منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، جـ٣، ص٦١، ط٥، ١٤١٠هـ ١٩٨٩م، مكتبة المنار ، الأردن.

(٤) المرجع نفسه.

(٥) د. مهدي رزق الله أحمد، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٤٩٥.

في الإسلام قبل ذلك»[1] وعلق ابن هشام على هذا قائلا:-
«والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر، ثم خرج في عام الفتح بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف»[2]

لعل كل النصوص والشواهد التي ذكرتها آنفا عن مشروعية التخطيط للدعوة الإسلامة توضح لنا أن المسلم عندما يباشر التخطيط لا يبتعد عن الإيمان، فيأخذ بالأسباب ، مؤمنا بقدرة الله، متوكلا عليه داعيا الله توفيقه في تحقيق الهدف الذي ينشده، أما التخطيط غير الإسلامي فهو تخطيط غير إيماني، ونلاحظ ذلك من العبارات التي يكتبها الباحثون في علم الإدارة والذين يكتبون عن التخطيط، ومن ذلك قول أحدهم «أصبحت الشعوب الآن مستعدة لقبول التخطيط كأسلوب للحياة... وهذا يقدم لنا الدليل على رغبتها في تحديد طريق واضح، ومنهج مدروس للحياة يترك القليل فيما يتعلق بالضرورات ـ لعبث الأقدار وفعل الحظ.. لأن الجماهير لم تعد تسمح بأن تترك الأمور للحظ والقدر... ويضيف وبدون التخطيط تصبح الأمور متروكة للقدر، أو العمل العشوائي غير الهادف»[3].

ولعل ذلك أيضا يبين لنا العقيدة التي ينطلق منها مثل هؤلاء الكتاب حيث إنهم لا يؤمنون بقدرة الله وإرادته ويكلون كل شيء إلى تدبير البشر، وهذا يبين لنا الفرق بين التخطيط في الإسلام والتخطيط عند مثل هؤلاء الكتاب.

حيث إننا نجد مشروعية التخطيط في القرآن الكريم تنطلق من منهج فكري

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية، جـ٣، ص٣٢٢.

(٢) المصدر السابق. نفس الصفحة.

(٣) د. عبد الكريم درويش، د.ليلى تكلا، أصول الإدارة العامة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م، ص٢٧٠ ، ٢٧٦.

يستصحب التوكل على الله سبحانه وتعالى بعد الأخذ بالأسباب في تحديد الأعمال للمستقبل وتربط ذلك بمشيئة الله وإرادته، وأساس هذا المنهج الفكري المتميز قوله تعالى: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله واذكر ربك إذا نسيت، وقل عسى أن يهدين ربي لأقرب من هذا رشدا»[١].

والمقصود من هاتين الآيتين الكريمتين «ألا يقول الإنسان عن شيء أراد عمله وعزم على فعله، إني فاعله غدا، بل يجب عليه أن يربط بين نية العمل، وبين إرادة الله ، فلا يقل سأفعل ذلك غدا إلا في حالة اقترانه وملابسته بمشيئة الله عز وجل»[٢].

ويقول الأستاذ سيد قطب في تفسير هاتين الآيتين في الظلال: «إن كل حركة وكل نأمة، بل كل نفس من أنفاس الحي، مرهون بإرادة الله وسجف[٣] الغيب مسبل بحجب ما وراء اللحظة الحاضرة، وعين الإنسان لا تمتد إلى ما وراء الستر المسدل، وعقله مهما علم قاصر كليل، فلا يقل إنسان: إني فاعل ذلك غدا وغدا في غيب الله وأستار غيب الله دون العواقب، وليس معنى هذا أن يقعد الإنسان، لا يفكر في أمر المستقبل ولا يدبر له ، وأن يعيش يوما بيوم، لحظة بلحظة، وألا يصل ماضي حياته بحاضره وقابله كلا. ولكن معناه أن يحسب حساب الغيب وحساب المشيئة التي تدبره[٤]، وأن يعزم ويستعين بمشيئة الله على ما يعزم ويجب أن يستشعر أن يد الله فوق يده، فلا يستبعد أن يكون لله تدبير غير تدبيره، فإن

---

(١) سورة الكهف، الآيات ٢٣-٢٤.

(٢) د. محمد محمود حجازي، التفسير الواضح، دار التفسير للطبع والنشر، ١٩٨٠م، جـ٢، الجزء الخامس عشر ص٥٩.

(٣) السُّجف: الستر. الفيروزآبادي، القاموس المحيط، ص١٠٥٧.

(٤) هذه من العبارات الدارجة على الألسن ، وهي خاطئة عقديا، والصحيح أن يقال، قضى الله بمشيئته، أو بإرادته.

وفقه إلى ما اعتزم فبها.وإن جرت مشيئة الله بغير ما دبر لم يحزن ولم ييأس، لأن الأمر لله أولا وأخيرا»[1]

ولعلنا نستنتج من الآيتين الكريمتين جواز التفكير، وعقد النية، والعزم على عمل شيء مستقبلي، أي جواز وضع خطة عمل ليوم قادم، أو شهر قادم، أو لسنة قادمة، أو لسنوات قادمة، ولكن هذا العقد والجواز مقيد ومرتبط بإرادة الله عز وجل ومشيئته.

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٤، ص٢٢٥.

المبحث الثاني

مشروعية التخطيط في السنة

الذي يقرأ سيرة الرسول ﷺ وهو يتدبر ما فيها من دروس في التخطيط الدقيق المحكم، يجد أن دعوة الرسول الكريم ﷺ سارت من أولها إلى آخر يوم في حياته وفق خطة محكمة نفذت بإحكام في مراحلها المختلفة فكتب لها النجاح، بتأييد من الله ونصره.

وكذلك نجد في أحاديثه صلى الله عليه وسلم الدعوة إلى الأخذ بأسلوب التخطيط والنظر إلى المستقبل ومن ذلك قوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص «إنك أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس»[1].

وقد جاء هذا التوجيه لسعد رضي الله عنه عندما أحضر جميع ماله مقرضا ربه، ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم، وجهه بأن يأتي بجزء من المال والباقي يتركه لورثته لمستقبلهم، حتى لا يصيبهم سوء فيسألون الناس بسبب عدم الاحتياط والتخطيط فيوازنون بين حاجة الدعوة للمال وبين حاجة أولادهم الذين يعتبرون ضمن مسئولية الوالد.

وأيضا من الأحاديث الدالة على مشروعية التخطيط في السنة النبوية المطهرة، قوله صلى الله عليه وسلم للأعرابي الذي جاء إليه، وترك ناقته أمام المسجد قائلا: يا رسول الله، أأعقل ناقتي وأتوكل أم أطلقها وأتوكل؟ فقال له:

---

(١) البخاري مع الفتح، جـ٥، ص٤٢٧-٤٣٤، ح ٢٧٤٢، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكففوا الناس، ومسلم بشرح النووي، جـ١١، ص٧٧ - ٧٩.

«أعقلها وتوكل»[1].

وفي هذا الحديث توجيه لكل مسلم بأن يربط التوكل على الله بالاحتياط والتخطيط الذي لا يتنافى مع التوكل ولا مع القضاء والقدر.

ويظن بعض الناس أن التخطيط للغد ينافي التوكل على الله أو الإيمان بقضائه وقدره، ولهذا يستبعدون كل الاستبعاد أن يقبل الدين فكرة التخطيط، فضلا عن أن يوجه إليه أو يحث عليه.

وقد رد الإمام الطبري ـ رحمه الله ـ على هؤلاء قائلا: «الحق أن من وثق بالله، وأيقن أن قضاءه عليه ماض لم يقدح في توكله تعاطيه الأسباب، اتباعا لسنته وسنة رسوله، فقد ظاهر ﷺ بين درعين ولبس على رأسه المغفر، وأقعد الرماة على فم الشعب، وخندق حول المدينة، وأذن في الهجرة إلى الحبشة، وإلى المدينة، وهاجر هو، وتعاطى أسباب الأكل والشرب، وادخر لأهله قوتهم، ولم ينتظر أن ينزل عليه من السماء، وهو كان أحق الخلق أن يحصل له ذلك»[2].

وبالنظر والدراسة لسيرته العملية تتضح لنا مشروعية التخطيط، وذلك من خلال دراسة الأحداث التفصيلية، وسوف أقسم التخطيط العملي في السيرة النبوية إلى عهدين:-

١- العهد المكي:-

٢- العهد المدني:-

---

(١) رواه الترمذي من حديث أنس، وقال: غريب، ، وأنكره يحيى القطان، لكن أخرجه ابن حبان في صحيحه من حديث عمر بن أمية الضمري، وإسناده كما قال الزركشي: صحيح، ورواه عنه أيضا ابن خزيمة في صحيحه بلفظ «قيدها وتوكل» وإسناده كما قال الزين العراقي: جيد. انظر فيض القدير، ص٧، حديث ١١٩١.

(٢) نقله الشوكاني في نيل الأوطار، جـ٩، ص٩٢، دار الجيل بيروت.

المطلب الأول

أولا: التخطيط في العهد المكي:-

إن عناية الله تكلأ وتسدد خطى الرسول ﷺ في خطواته وتخطيطه للفئة المؤمنة لتحديد معالم الدولة الإسلامية التي ستقوم بإعلاء كلمة الله ونشر العقيدة الإسلامية، وإن التخطيط السليم الموفق كان يرافق حياته المنظمة حتى قبل بعثته صلى الله عليه وسلم.

وبدأت تتنزل عليه الآيات تلو الآيات توجهه كيف يسير بالدعوة وكيف يخطط لها ولمراحلها.

فقد جاءت الأيات الأولى بالعلم والقراءة والتكبير لله وهجر الرجز، كما قال تعالى: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم»[1]، وقال تعالى: «ياأيها المدثر قم فأنذر وربك فكبر، وثيابك فطهر، والرجز فاهجر، ولا تمنن تستكثر ولربك فاصبر»[2].

عند ذلك نهض الرسول ﷺ من فراشه وأخذ يدعو إلى ما أمر به سرا لمدة ثلاث سنين كما ذكر ابن إسحاق ولفظه: «وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمره الله تعالي بإظهار دينه ثلاث سنين ـ فيما بلغني ـ من مبعثه»[3].

ومما يدل علي السرية في الدعوة ما جاء في خبر إسلام عمرو بن عنبسة ـ

---

(١) سورة العلق، أيات: ١-٥

(٢) سورة المدثر، الآيات ١-٧.

(٣) ابن هشام جـ١، ص٣٢٥.مهدي رزق الله أحمد، السيرة في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية،ص١٥٦.

رضي الله عنه ـ حيث قال: «أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة حينئذ مستخف...»[1].

واستمر عليه الصلاة والسلام في خطته السرية حتى جاءه الخبر اليقين بأن «أنذر عشيرتك الأقربين»[2]. وبذلك انتقل التخطيط من مرحلة السرية الخاصة إلى العلنية للدعوة، وفي مرحلة التخطيط الخاص آمن بالدعوة نفر قليل كما ذكرت ذلك مصادر السيرة النبوية الموثوقة ومن أوائل الذين آمنوا:-

١- زوجه خديجة ـ رضي الله عنها ـ التي كانت أول من آمن بالله وبرسوله وهونت عليه أمر الناس، وكانت بذلك أول من أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بتبشيره بالجنة، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[3].

٢- ابن عمه على بن أبي طالب رضي الله عنه والذي كان في حجره وهو يومئذ ابن عشر سنين.[4]

٣- مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه ، الذي قال له الرسول صلى الله عليه وسلم عندما جاء أبوه يطلبه: «إن شئت فأقم عندي، وإن شئت فانطلق مع أبيك، فقال : بل أقيم عندك»[5].

---

(١) مسلم جـ١، ص٥٦٩، ح٨٣٢.

(٢) سورة الشعراء آية ٢١٤.

(٣) البخاري، الفتح، جـ١٤، ص٢٨٦ ومما بعدها، ح٣٨٢٢، مسلم جـ٤، ص١٨٨٦، ح٢٤٣٣ , ٢٤٣٥، ابن إسحاق بإسناد حسن، ابن هشام جـ١، ص٣٠٥-٣٠٦، واللفظ له، ابن كثير في البداية والنهاية، جـ٣، ص٢٦-٢٧.

(٤) ابن إسحاق في السيرة، ١٣٧، ابن سيد الناس، عيون الأثر، جـ١، ص٩٢-٩٣.

(٥) رواه ابن هشام، جـ١، ص٣١٥-٣١٦، الترمذي مع اختلاف يسير في اللفظ، صحيح الترمذي للألباني، جـ٣، ص٢٣١، ح٤٠٨٥.

٤- أبوبكر الصديق رضي الله عنه ، وهو أول من صدق من الرجال وفيه قال الرسول صلى الله عليه وسلم لعمر «إن الله بعثني إليكم فقلتم كذبت وقال أبوبكر صدق...»[(١)].

وفي إطار هذه السرية تحرك أبوبكر الصديق وسط أقاربه ومواليه وأصدقائه ومن يثق به من قومه، فاستجاب له نفر كريم، منهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف[(٢)].

وبعد نزول قوله تعالى: «وأنذر عشيرتك الأقربين»[(٣)] انتقل التخطيط للدعوة الإسلامية إلى دور الجهر والإعلان كما روى ذلك البخاري [(٤)]ومسلم[(٥)]عن ابن عباس قال : «لما نزلت (وأنذر عشيرتك الأقربين...) خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا، فهتف يا صباحاه، فقالوا: من هذا: فاجتمعوا إليه، فقال أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟ قالوا: ما جربنا عليك كذبا. قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب عظيم. قال أبو لهب: تبا لك ما جمعتنا إلا لهذا؟ ثم قام فنزلت «تبت يدا أبي لهب وتب...»[(٦)].

كانت هذه الصيحة العالية بداية مرحلة من مراحل التخطيط للدعوة فقد فاصل الرسول ﷺ قومه على دعوته وأوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأن عصبية القرابة التي تقوم عليها العرب

---

(١) من حديث رواه البخاري، الفتح جـ١٤، ص١٥٧، ح٣٦٦١، وقال ابن كثير في البداية جـ٣، ص٣٠، «وهذا كالنص على أنه أول من أسلم رضي الله عنه».

(٢) ابن إسحاق في السيرة، ص١٤٠، وفي سيرة ابن هشام جـ١، ص٣١٧-٣١٨، دون إسناد.

(٣) سورة الشعراء، آية ٢١٤.

(٤) الفتح جـ١٨، ص٣٩٧، ح٤٩٧١ -٤٩٧٢.

(٥) مسلم جـ١، ص١٩٤، ح٢٠٨.

(٦) سورة المسد.

ذابت في حرارة الإنذار الآتي من عند الله"[١].

التخطيط للاجتماعات في المرحلة المكية:

في تلك الفترة كانت الدعوة علنية ، ولكن أهل الشرك لم يرضوا للدعاة بالاجتماع العلني، مما جعل الرسول صلى الله عليه وسلم يخطط لمكان آمن يلتقي فيه بالداخلين في الإسلام ليعلمهم ما ينزل به الوحي من تعاليم الدين، وفي السنة الخامسة من ابتداء الدعوة اختار الرسول ﷺ دار الشاب المؤمن الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي النسب[٢] للإجتماع السري بأصحابه، وليلتقي بأكبر عدد منهم، وحافظوا على كتمان سرية المكان لأن عامة الصحابة كانوا يخفون إسلامهم، وقد وفق الله رسوله صلى الله عليه وسلم لحسن اختيار هذا المكان، وذلك للاعتبارات التالية:ـ[٣]

١- لأن الأرقم بن أبي الأرقم مخزومي ، وبنو مخزوم جبهة مضادة ومنافسة لبني هاشم فلا يخطر ببال أحد أن يجتمع المؤمنون لدى الطرف المنافس لأهل صاحب الدعوة ورائدها محمد ﷺ.

٢- كان عمر الأرقم وقتئذ ست عشر سنة[*] ، فلا يخطر على بال أحد أن هذا الرهط المحمدي وصناديد قريش المسلمة تجتمع في دار شاب صغير، إذ إنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلى منازل كبار الصحابة، أو بيته هو نفسه عليه

---

(١) الشيخ محمد الغزالي، فقه السيرة، ط٧، ١٩٧٦م، خرج أحاديث الكتاب الشيخ محمد ناصر الدين الألباني، دار اكتب الحديثة، مصر، ص١٠١.

(٢) الأمام محمد بن يوسف الصالحي الشامي، سبيل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، جـ٢، ص٤٢٨، تحقيق د. مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.

(٣) محمد منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، جـ١، ص٤٨-٤٧.

(*) قال د. مهدي رزق الله، السيرة النبوية، عمره كان ما بين الـ١٧و الـ١٩، كما عند ابن سعد، جـ٣، ص٢٣٣، ابن هشام، جـ١، ص٤٢٤، والأصبهاني: المعرفة، جـ٢، ص٣٧٨.

الصلاة والسلام.

٣- لم يعلم أحد بأسلام الأرقم حتى يسلم من شر الأعداء ويكون بيته دارا للتخطيط المستقبلي للدعوة.[1]

ولولا أنه صلى الله عليه وسلم قصد التخطيط الخفي المؤقت لكان عقد الاجتماعات في داره أو دار كبار الصحابة الأول وأغناهم بالمال والسمعة، ولكنه أراد بهذا التخطيط الحفاظ على البذرة المباركة وحمايتها حتى يحين أمر الله فتخرج لتنفع الناس في الأرض. وفي هذا الموقف التخطيطي منه ﷺ دروس وعبر يجب أن يستفيد منها الدعاة في هذا العصر، والذي تكالبت عليهم فيه الأعداء من الداخل والخارج.

التخطيط لتأمين مكان آمن للدعوة وقاعدة جديدة للإنطلاق:-

بعد أن اشتدت الاضطهادات في أواسط أو أواخر السنة الرابعة من النبوة، نبأ بالمسلمين المقام في مكة وأعوزتهم في أن يفكروا في حيلة تنجيهم من هذا التضييق والعذاب الأليم، روى ابن إسحاق من حديث أم سلمة قالت: «لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكره مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ (إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم عنده أحد فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه فخرجنا إليها حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير

---

(١) انظر: الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، - بحث في السيرة النبوية مقدم للمسابقة التي نظمتها رابطة العالم الإسلامي - دار الوفاء المنصورة، ص١٠٥.

ود. عبد الرحمن إبراهيم الضحيان، الإدارة في الإسلام، الفكر والتطبيق، دار الشروق، جدة، ط١، ١٤٠٧هـ ص٧٦.

جار ، أمنا على ديننا ، ولم نخش منه ظلما..»[1].

ويسلط الدكتور يوسف القرضاوي الضوء على الجانب التخطيطي لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة قائلا: «فهو حين أمر أصحابه - بعد اشتداد إيذاء قريش لهم - بالهجرة إلى الحبشة، لم يكن هذا الأمر اعتباطا، أو رمية من غير رام، بل كان نتيجة لمعرفة بالظروف الجغرافية، والدينية والسياسية للحبشة في ذلك الوقت.

فلم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يأمرهم بالهجرة إلى مكان مامهما بعد - في شبه جزيرة العرب - فإن قريشا بما لها من نفوذ ديني وأدبي تستطيع أن تلاحقهم.

ولم يكن من الحكمة ولا من حسن الخطة أن يذهبوا إلى بلد تحت سيطرة الفرس أو الروم، حيث يحكمه أباطرة لا يقبلون مثل هذه الدعوة الجديدة.

ولم يكن من الحكمة ولا حسن الخطة أن يذهبوا إلى بلاد بعيدة، مثل الهند والصين، حيث تنقطع أخبارهم وتكون الهجرة مهلكة لهم.

ولقد كانت الحبشة هي المكان المناسب دينيا، فقد كانوا أهل كتاب من النصارى الذين يعدون أقرب مودة للمسلمين، وكاننت الحبشة هي المكان المناسب سياسيا فقد كان يحكمها رجل اشتهر بالعدل والإنصاف، ولهذا قال الرسول ﷺ لأصحابه (إن بها ملكا أرجو أن لاتظلموا عنده)»[2].

ولعلنا نستفيد من توجيهه ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، وبحثه عن المكان الآمن لجماعته ودعوته لكي يحميها من الإبادة، بأن على قيادة الدعوة

---

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٢٣، من رواية يونس بن بكير،، ابن هشام، جـ١، ص٤١٣، من رواية البكائي وإسناده حسن، ذكره مهدي رزق الله السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية.

(٢) د. يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ط. ١٤٠٦هـ، ص٤٥-٤٦.

الإسلامية في كل عصر أن تخطط بحكمة وعمق بالغين لحماية الدعوة والدعاة وتبحث عن الأرض الآمنة، التي تكون عاصمة احتياطية للدعوة ومركز انطلاقها فيما لو تعرض المركز الرئيس للدعوة للخطر، أو وقع احتمال اجتياحه، فجنود الدعوة هم الثروة الحقيقية، وهم الذين تنصب الجهود كلها لحفظهم وحمايتهم.[1]

التخطيط في الهجرة إلى المدينة:

لقد وصلت الدعوة في مكة إلى الطريق المسدود، كما رأينا في أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة، إلا أن الحبشة على بعدها عن الأرض العربية لا تصلح قاعدة رئيسة للدعوة بمقدارما تصلح قاعدة احتياطية، ومن الصعب أن تكون قاعدة انطلاق، ومن ثم بدأ الرسول ﷺ يخطط ويدبر للمكان الذي يمكن أن يقيم فيه دولة تحمي الإسلام وأن يجد مكانا آمنا لنشر مبادئه السامية وما أمره ﷺ أصحابه بالهجرة إلى الحبشة كما رأينا، وهجرته هو إلى الطائف ثم عرض نفسه على القبائل، في مواسم الحج وأسواق العرب إلا من أجل هذا الهدف، ومما كان يقوله في مثل هذه المواسم «هل من رجل يحملني إلى قومه، فإن قريشا منعوني أن أبلغ كلام ربي»[2].

واستمر الرسول صلى الله عليه وسلم في بذل الجهد والبحث والتخطيط من أجل المكان الذي يبلغ فيه كلام ربه، وفي السنة العاشرة للبعثة قيض الله سبحانه وتعالى له وفدا قادما من يثرب يقول ابن إسحاق: «فلما أراد الله عز وجل إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم، وإنجاز موعده له، خرج رسول الله ﷺ في

---

(١) بتصرف منير محمد الغضبان، فقه السيرة جامعة أم القرى، مركز الدراسات الإسلامية، ط ١٤١٠هـ ص٢٣٤.

(٢) أخرجه أحمد، الفتح، جـ٢، ص٦٧، من حديث جابر رضي الله عنه، وذكره الذهبي في سيرته ص٢٨٢، وقال «هو على شرط البخاري»

الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار، فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم، فبينما هو عند العقبة لقى رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا.

فعرض عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم مبادئ الإسلام، غاية في الوضوح والسماحة والعدل، فما كان منهم إلا أن لبوا الطلب، وأعلنوا إسلامهم، ووعدوا الرسول ﷺ بأنهم سيرجعون إلي يثرب ويبشرون بدعوته العادلة هناك، وقالوا: «إنا قد تركنا قومنا، ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم فعسى الله أن يجمعهم بك،...فإن يجمعهم عليك فلا رجل أعز منك» وقفلوا راجعين إلى بلدهم، وراحوا يدعون قومهم إلى الإسلام حتى فشا بينهم «فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ﷺ»[(١)]

التخطيط في بيعة العقبة الأولى:

تخطيط محكم ومبدئي بين القائد النبي صلى الله عليه وسلم وبين جنوده الجدد والذين التقى بهم في العام الحادي عشرللبعثة وحيث وعدوه بأن يلتقوا به في هذا العام الثاني عشر للبعثة.

روى البخاري عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال لهم: «تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب شيئا، فعوقب به في الدنيا، فهو له كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله، فأمره إلى الله ، إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا

---

(١) ابن هشام ص١٠٨، الطبري، تاريخ،جـ٢، ص٣٥٣-٣٥٥، عماد الدين خليل، دراسة في السيرة النبوية، ص١٣٠.

عنه. قال فبايعناه على ذلك»[١].

ويتضح لنا مشروعية التخطيط للدعوة من خلال الجوانب التالية:-

فإننا نلاحظ في نصوص البيعة التركيز على البناء الداخلي والفكري، وكذلك لم تطرح في هذه البيعة قضية الحماية والنصرة، كما فعل ﷺ في الأعوام السابقة عندما كان يلتقي بالوفود في الأسواق ومواسم الحج. بل رضي من المبايعين بالالتزام بأحكام الإسلام، ولعل مرد ذلك منه صلى الله عليه وسلم لمعرفته بواقع هؤلاء المبايعين ومعرفته ببلدهم الذي جاءوا منه، وهو يثرب حيث إنها تعج باليهود والاضطرابات والصراعات الداخلية بين الأوس والخزرج، وأيضا فإن اثني عشر رجلا لا يستطيعون حماية دعوة ولا داعية، ولكن يأتي حسن التخطيط والتدبير في الاستفادة من هذا الواقع والظروف الجديدة، بإرسال السفير والداعية الأول للإسلام[٢] ليعلم أهل يثرب القرآن ويفقههم في الدين، وليعود بأخبار الأرض والناس، ومدى صلاحيتهم جميعا أرضا وأهلا للدعوة كما تروي ذلك كتب السيرة «وعندما أرادوا العودة إلى بلادهم بعث رسول الله ﷺ مصعب بن عمير رضي الله عنه ليقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام، ويفقههم في الدين،

---

(١) انظر المراجع التالية في بيعة العقبة الأولى:-

- البخاري، الفتح، جـ١٥، ص٧٤، ح٣٨٩٢، واللفظ له.

- مسلم، جـ٢، ص٣٣٣١، ح١٧٠٩.

- النسائي، السنن، جـ٧، ص١٤١-١٤٢، ك البيعة على الجهاد.

- أحمد، المسند، جـ٥، ص٣١٣، دار صادر، بيروت، بدون تاريخ طبع.

- ابن هشام، جـ٢، ص٨٥، ٨٦.

- ابن سعد، الطبقات، جـ١، ص٢١٩-٢٢٠.

(٢) انظر: د. زيد بن عبد الكريم الزيد، وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير إلى المدينة، دار العاصمة، ط١٤١٢هـ، بتصرف، ص٩..

وكان منزله على أسعد بن زرارة»[1].

وهذا يعتبر بؤرة التخطيط المستقبلي حيث أرسل داعية للتعليم وجامعا للمعلومات لتزويد القيادة النبوية بها لاستخدام تلك المعلومات في خططها المستقبلية طويلة الأجل[2]، وهذا ما حدث بالفعل عندما اتخذ الرسول صلى الله عليه سلم قراره في العام التالي بأمر أصحابه بالهجرة إلى المدينة فيما بعد.

ولعله ما يبين لنا عمق هذا التخطيط في عصرنا الحاضر ما يقوم به سفراء الدول الكافرة في بلاد المسلمين، حيث إنهم لا يقتصرون على دورهم الدبلوماسي وحسب، بل تصبح معظم سفاراتهم مركزا للرصد والاطلاع على أوضاع المسلمين وواقعهم، وكذلك ما تقوم به الجمعيات النصرانية العاملة في مجالات الإغاثة حتى إذا اتخذت بلدانهم سياسة معينة تجاه البلدان الإسلامية تكون على ضوء تلك المعلومات والإحصائيات الدقيقة، وفي المقابل وللأسف الشديد ما نراه من تقصير بعض سفراء الدول الإسلامية حيث إن معظمهم ليس لديه رسالة يؤديها تجاه دينه ودعوته إلا من رحم ربك.

التخطيط في بيعة العقبة الثانية ـ

قال جابر بن عبد الله: «فرحل إليه منا سبعون رجلا حتى قدموا في الموسم، فواعدناه شعب العقبة، فاجتمعنا عندها من رجل ورجلين حتى توافينا، فقلنا: يا رسول الله، علام نايعك؟ قال صلى الله عليه وسلم تبايعوني على السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقوموا في الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني ـ إذا قدمت عليكم ـ مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم

---

(١) سيرة ابن هشام،جـ٢، ص٨٦، البيهقي في دلائل شعب الإيمان، جـ٢، ص٤٣١، الذهبي في سير أعلام النبلاء، ص٢٩٤.

(٢) د. عبد الرحمن إبراهم الضحيان، الإدارة في الإسلام، ص٧٨.

الجنة»[1] هكذا تم هذا اللقاء الثاني سرا في الثلث الثاني من الليل، حين ينام الناس وتغفل العيون، وتمت البيعة الثانية .. البيعة الكبرى، وهذه المرة صريحة واضحة مكتملة ، على كل جوانب الإسلام سلما كان أو قتالا. وهي تعتبر بمثابة التخطيط والتمهيد لقيام الدولة التي تحمي الدعوة مستقبلا يقول الأستاذ منير الغضبان: «لقد تم التمهيد لمباحثات قيام الدولة في أعمق تخطيط سياسي شهده التاريخ حيث انبثقت دولة الإسلام وتم تحديد معالمها وقيادتها، وهي جزيرة ضيقة وسط خضم من الشرك مثله العرب جميعا من حجاج منى أولا، ثم دولة مكة المشركة ثانيا، ثم قيادة المشركين من أهل يثرب ثالثا، ثم دولة اليهود في المدينة رابعا، ووسط هذا الخضم انبعثت دولة الإسلام الأولى في التاريخ، لقد تم التخطيط لاجتماع العقبة تخطيطا دقيقا سريا، فقد تمت الاتصالات بين الطرفين وتحدد الموعد والمكان...»[2].

المواقف التي يمكن أن يستنبط منها مشروعية التخطيط في بيعة العقبة الثانية: -

١- اتخاذ التدابيرالأمنية والإجراءات المشددة والحيطة والحذر التي أحيطت بها هذه البيعة، ومما يؤكد لنا أهميتها لمستقبل الدعوة آنذاك، وتمثلت هذه التدابير والإجراءات في الموقفين التاليين:

أ) الخروج المنظم لموعد الاجتماع، وكما يقول كعب رضي الله عنه: «حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من رحالنا لميعاد رسول الله ﷺ نتسلل تسلل القطا

---

(١) أخرجه أحمد جـ٣، ص٣٢٢، ٣٢٩، ٣٩٤، والحاكم، جـ٢، ص٦٢٤-٦٢٥، والبيهقي في سننه الكبرى، جـ٩، ص٩، والحافظ ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، ص١٦٠، وقال: «هذا إسناد جيد على شرط مسلم»، محمد الغزالي، فقه السيرة، ص١٥٧.

(٢) منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص١٦٣.

مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة، ونحن ثلاثة وسبعون رجلا وامرأتان من نسائنا»[١] وتم الاجتماع لهذا العدد الضخم الذي انسل من معسكرات المشركين دون أن ينتبه له أحد.

ب) الموقف الثاني الذي يبين لنا عبقرية التخطيط والتنظيم المحكم في هذه البيعة ما قام به الرسول ﷺ ، كما تشير بعض الروايات تأمين حراسة الشّعب بحيث لا يدري أحد بالأمر[٢].

يقول المقريزي: وجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه عمه العباس، وهو على دين قومه، وأبوبكر وعلى رضي الله عنهما فأوقف العباس عليا على فم الشعب عينا له وأوقف أبابكر على فم الطريق الآخر عينا له، فلم يدر حتى المهاجرون بهذا اللقاء السري إلا من كان له مهمة خاصة في الحراسة والمراقبة وهما: علي وأبوبكر رضي الله عنهما.

٢- تعيين النقباء: وعندما تمت المبايعة قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيبا، ليكونوا على قومهم بما فيهم»[٣] ولما تم انتخاب النقباء أخذ عليهم النبي ﷺ ميثاقا آخر بصفتهم رؤساء مسؤلين، قال لهم: «أنتم على قومكم بما فيهم كفلاء ككفالة الحواريين لعيسى ابن مريم، وأنا كفيل على قومي ـ يعني المسلمين ـ قالوا: نعم»[٤]. وباختيار النبي ﷺ للنقباء تبين لنا مدى بعد نظره وحسن تدبيره للأمور إذ إنه بعد أن تمت البيعة وأحكمت بنودها فلا بد من جهات تكون مسؤولة مسؤولية مباشرة عن المتابعة والتنفيذ، فكل واحد من النقباء الاثني عشر يكون مسؤولا عن عشيرته وقومه مقابل كفالة

---

(١) ابن هشام، جـ١، ٤٤٠-٤٤١،

(٢) المقريزي، امتاع الأسماع، جـ١، ص٣٥

(٣) سيرة ابن هشام، جـ١، ص٤٤٣.

(٤) ابن هشام، جـ١، ص٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٦، الرحيق المختوم، المباركفوري، ص١٧٠.

رسول الله ﷺ عن المهاجرين وبذلك تكون قد تشكلت القيادة التي تحمل التبعة الكاملة للحرب والمواجهة في المستقبل.

٣- بعد أن تمت البيعة وتعيين النقباء، كان القوم على وشك مغادرة مكان اللقاء، فإذا الشيطان يكشف هذا اللقاء، وليتمكن زعماء المشركين من المجيئ والقبض على المسلمين قبل أن ينفضوا، صرخ الشيطان على العقبة بأنفذ صوت سمع، قائلا: «يا أهل الجباجب[١]، هل لكم من مذمم والصباة معه قد اجتمعوا على حربكم» فقال رسول الله صلى الله عليه «هذا أزب العقبة[٢]، هذا ابن أذيب، أما والله يا عدو الله لأتفرغن لك»[٣].

وهنا وقف أحد المبايعين وهو العباس بن عبادة بن نضلة قائلا: «والذي بعثك بالحق، إن شئت لنميلن على أهل منى غدا بأسيافنا فقال لهم رسول الله صلي الله عليه وسلم: «لم نؤمر بذلك، ولكن أرجعوا إلى رحالكم»[٤]، فرجعوا وناموا حتى أصبحوا.

وفي هذا الموقف تبين التخطيط السليم القائم على معرفة الواقع، وتقدير الإمكانات والطاقات والتوقيت المناسب، إذ إن الرسول صلى الله عليه وسلم، حينما قال لهؤلاء المبايعين «إنا لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم» كان يعلم تماما أن الظروف غير مواتية لمثل هذا الإعلان والمواجهة: «وأن طاقة المسلمين ضعيفة إذا قيست بطاقة أهل مكة والمشركين عامة في أرض مكة، أو أن إعلان الحرب على دولة الكفر أو إعلان قيام دولة الإسلام، كل هذه الأمور

---

(١) الجباجب: المنازل.

(٢) أزب العقبة: اسم شيطان، ويروى بكسر الهمزة وسكون الزاي.

(٣) رواه ابن إسحاق بإسناد حسن من حديث كعب مالك في قصة بيعة العقبة الثانية، وابن هشام، جـ٢، ص٤٤٧، مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص٢٥٣.

(٤) ابن هشام، جـ١، ص٤٤٨.

رهينة بالإمكانات التي تملكها الجماعة المسلمة ضمن التخطيط المنظم المحكم لها ولا تتحرك هذه الأمور أبدا بالعواطف وردود الأفعال، وإنما تتحرك بقرار القيادة المناسب للإعلان والتي تتوخى القيادة فيه الظروف المواتية»[١]، وما أحوج قيادات الدعوة الإسلامية في عصرنا الحاضر لمثل هذا التخطيط؟!.

• **مشروعية التخطيط في الهجرة إلى المدينة:**

بعد أن بايع الرسول صلى الله عليه وسلم أهل العقبة على الإسلام والنصرة له ولمن معه، أمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة إلى المدينة يقول المباركفوري[٢] في ذلك «وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح الإسلام في تأسيس وطن له وسط صحراء تموج بالكفر والجهل ، ـ وهو أخطر كسب حصل عليه الإسلام منذ بداية دعوته ـ أذن رسول لله صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة إلى هذا الوطن».

وكذلك روى البخاري عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلمين أُريت دار هجرتكم ذات نخل بين لابتين ـوهما الحرتان ـ فهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهز أبوبكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ على رسلك، فإني أرجوا أن يؤذن لي، فقال له أبوبكر: وهل ترجو ذلك بأبي أنت؟ قال: نعم. فحبس أبوبكر نفسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر ـ وهو الخبط ـ أربعة أشهر»[٣].

بعد سماع هذا التصريح من النبي صلى الله عليه وسلم، تتابعت مواكب المؤمنين إلى دار الهجرة، دار الإسلام، ولم يبق أحد في دار الكفر، دار الحرب،

---

(١) بتصرف محمد منير الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، ص١٧٩.

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم ، ص١٧٣.

(٣) صحيح البخاري، باب هجرة النبي ﷺ جـ١، ص٥٥٣.

إلا مستضعف مغلوب على أمره أو صاحب عذر.

وهناك في المدينة تكونت البذرة لإقامة الدولة التي تحمي الدعوة من كيد الأعداء وذلك وفق الخطة التي وضعها قائد الدعوة النبي صلى الله عليه وسلم، وما بقي إلا أن يلحق بهم صلى الله عليه وسلم ليكتمل البناء.

الأبعاد التخطيطية في هجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

بعد أن أذن الرسول ﷺ للمسلمين بالهجرة راح صلى الله عليه وسلم ينتظر الإذن له بالهجرة من ربه. فأتاه جبريل وقال: «لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت فيه»[1].

حينئذ بدأ الرسول ﷺ يفكر في الهجرة ويخطط لها حتى وضع من السياسات والبرامج الزمنية وقدر مختلف الاحتمالات بما يضمن له تحقيق الأهداف، وقد تمثلت أهم الجوانب التخطيطية في المواقف التالية:

١- إعداد وسائل النقل:.

منذ أن فاتح أبوبكر رضي عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرغبة في الهجرة كانت الإشارة النبوية «..على رسلك فإني أرجو الله أن يؤذن لي»[2].

حينها بدأ أبوبكر رضي الله عنه في تجهيز بعيرين للرحلة، «وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السَّمُر[3] أربعة أشهر»[4]، وفي ذلك الاستعداد والتهيؤ لهذه الهجرة

---

(١) ابن هشام، جـ٢ ص٤٨٢، ابن سعد جـ١، ص٢٢٧، الطبري جـ١ ص٣٧٢.

(٢) صحيح الباري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، جـ١، ص٥٥٣، المباركفوري، الرحيق المختوم، ١٧٥.

(٣) السمر بضم الميم، شجر مصدر، وواحدتها سَمُرَة، القاموس المحيط، ص٥٢٥.

(٤) سبق تخريجه، في ص٣٤.

النبوية المباركة.

٢- التمويه على الأعداء:.

عندما جاءه الأمر صلى الله عليه وسلم بترك فراشه تلك الليلة، أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه بالمبيت على فراشه، وقال: «نم على فراشي وتسجّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه منهم، وكان رسول الله ﷺ ينام في برده ذلك إذا نام»[1].

فقد كان أمر الله تعالى لرسوله أن لا ينام على فراشه، وكان تصرف الرسول عليه الصلاة والسلام بنوم علي في فراشه جزء من مسؤولية القائد في إنجاح خطته، إذ إنه بذلك نجح في إيهام قريش بأنه راقد على فراشه فلم يترك الفراش خاليا، حتى لا تبعث مكة رسلها في طلبه.[2]

٣- السرية التامة:

قالت عائشة رضي الله عنها: «كان لا يخطي رسول الله ﷺ أن يأتي بيت أبي بكر أحد طرفي النهار، إما بكرة وإما عشية حتى إذا كان اليوم الذي أذن فيه لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة والخروج من مكة بين ظهري قومه، أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهاجرة، ساعة كان لا يأتي فيها»[3].

وروى البخاري من حديث ابن إسحاق أنه عندما أذن للرسول صلى الله عليه وسلم وأمر بالهجرة جاء متقنعا إلى منزل أبي بكر، وقالت عائشة رضي الله عنها: فجاء رسول الله صلى الله عيه وسلم فاستأذن، فأذن له فدخل فقال النبي ﷺ لأبي بكر: اخرج من عندك، فقال أبوبكر إنما هم أهلك بأبي أنت وأمي يا رسول

---

(١) ابن هشام، ج١، ص٤٨٢ ، ٤٨٣.

(٢) منير الغضبان، فقه السيرة بتصرف، ص٣٣٩.

(٣) ابن هشام، جـ١، ص١٢٩.

الله...»[1].

وكذلك من الأمور التي تؤكد حرص الرسول صلى الله عليه وسلم على كتمان أمر الهجرة أنه لم يخبر أحدا بالهجرة إلا من كان له دور في برنامجها مثل إخباره لأبي بكر ساعة التنفيذ وكذلك أمره لعلي رضي الله عنه بالمبيت على فراشه ....

إذن ليس هناك شك في حرصه ﷺ في المحافظة على سرية أمر الهجرة وتمثل ذلك في مجيئه في وقت غير مطروق وهو وقت القيلولة إذ إنه قلما يوجد إنسان في مكة خارج بيته في تلك الساعة، وكذلك مجيئه مقنعا زيادة في التعمية حتى لا يعرف، وأمره بإخراج من عند أبي بكر حتى لا يتسرب خبر الهجرة.

ولعل كل هذا يعتبر بعدا هاما من أبعاد التخطيط للدعوة فيما يتعلق بأمر الهجرة، إذ إنه بذلك يكون أخذ بالأسلوب القائم على كتمان الأمر على الأعداء حتى لا يفاجأ بعرقلة خطته ووأدها في مهدها.

٤- تضليل العدو:

ولم تكن الهجرة إلى المدينة مباشرة، وإنما كان التخطيط النبوي العظيم، ابتداء الذهاب إلى غار ثور للإقامة به، وإذا توقعنا تخطيط مكة للقضاء على رسول الله ﷺ فسوف يكون طريق المدينة مرصودا من عدد غفير من الفرسان حتى يحال دون وصوله إلى المدينة»[2]، وقد حدد عليه الصلاة والسلام ثلاثة أيام[3] ابتداء للاختباء فيه حتى يهدأ الطلب من مكة، وتكف عن الملاحقة لقناعتها أنها عاجزة عن اللحاق به.

وتبدو عظمة التخطيط النبوي أكثر حين نعلم أن غار ثور في جنوبي مكة

---

(١) صحيح البخاري، باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه، جـ١، ص٥٥٣.

(٢) منير الغضبان، المنهج الحركي، ص١٩٠.

(٣) البخاري، الفتح، ١٥/٩٠/ح ٣٩٠٥، والطبري في تاريخه، جـ٣، ص٣٧٨.

وليس على طريق المدينة حيث احتمالات الرصد، وكما يقول المباركفوري: «ولما كان النبي ﷺ يعلم أن قريشا ستجد في الطلب، وأن الطريق الذي ستتجه إليه الأنظار لأول وهلة هو طريق المدينة الرئيس المتجه شمالا فقد سلك الطريق الذي يضاده تماما وهو الطريق الواقع جنوب مكة والمتجه نحو اليمين، سلك هذا الطريق نحو خمسة أميال حتى بلغ إلى جبل يعرف بجبل ثور، وهذا جبل شامخ، وعر الطريق صعب المرتقى، ذو أحجار كثيرة، فحفيت قدما رسول الله ﷺ»[1].

٥- فريق الخدمة:

بعد توفيق الله سبحانه وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم في اختيار المكان الذي يختبئ فيه، وضع الرسول ﷺ ومعه أبوبكر الصديق رضي الله عنه خطة للمحافظة على سرية هذا المكان، فكان توفيق الله لهما لاختيار فريق متكامل لخدمتهما وهما في الغار فكان كالتالي:

أ/ أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: وكان دورها إحضار الطعام لهما وهما في الغار، كما يروي ذلك ابن إسحاق «... وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست بما يصلحهما»[2].

ب/ عبد الله بن أبي بكر: «وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقوله الناس عنهما في النهار، فيأتيهما به بالليل في الغار، ثم يرجع إلى مكة في السحر كبائت بها، ليصبح مع قريش»[3].

ج/ وأمر أبوبكر الصديق مولاه عامر بن فهيرة أن يرعى غنمه نهاره ثم يرحها عليهما في الغار إذا أمسى ليطعما من ألبانها ويذبحا منها للأكل، ويزيل

---

(١) الرحيق المختوم، ص١٨٣.

(٢) ابن هشام، جـ٢، ص١٣٠.

(٣) البخاري، الفتح، جـ١٥، ص٩٢، ح٣٩٠٥.

بها آثار أقدام عبد الله وأسماء.[١]

فإذا كان اقتفاء الأثر خير دليل لمعرفة وجودهما في الغار، خاصة وأسماء وعبد الله يوميا يأتيان إلى الغار،فكانت غنم عامر بن فهيرة هي التي تأتي على آثار أقدامهما فتعفي الأثر، وتزيل الاحتمال»[٢].

هـ/ عبد الله بن أريقط: واستأجرا دليلا ماهرا عارفا بمسالك طرق الصحراء، ليقودهما إلى المدينة، وهو عبدالله بن أريقط[٣] الديلي، وكان مشركا، واستكتماه الخبر، واتفقا معه على أن يلحق بهما في غار ثور بعد ثلاثة أيام ، ودفعا إليه بالراحلتين اللتين اشتراهما أبوبكر وكان يعلفهما لهذا اليوم[٤]. ويعلق الدكتور القرضاوي على التخطيط للهجرة قائلا «خطة محكمة الحلقات، متقنة التدبير، ولم تترك فيها فجوة دون أن تملأ ولا ثغرة دون أن تسد، ووضع فيها كل جندي في مكانه المناسب لظروفه وقدراته، فدور أبي بكر غير دور علي، غير دور أسماءو كل في موقعه الصحيح[٥].

إذن لم يبق إلا أن يتنزل نصر الله على قادة استكملوا كل الأسباب التي منحهم الله إياها في عالم الأسباب، وقد كان التخطيط البشري على أعلى مستوى يملكه البشر في هذا المجال، ومع ذلك فقد وقعت ثلاثة حوادث كادت أن تخفق بالخطة وأن يتمكن المشركون من قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) ابن هشام، جـ٢، ص١٣٠.

(٢) مهدي رزق الله، ص٢٩٠، بتصرف.

(٣) في تاريخ الطبري «أرْقد» فانظر في جـ٢، ص٣٨٠، والسيرة الشامية، جـ٣، ص٤٣٦، في الحاشية أنه في المخطوط ط «أرقد» والمشهور عند أهل السيرة «أريقط» نقلا عن د. مهدي رزق الله، السيرة في ضوء المصادر الأصلية، ص٢٦٧.

(٤) البخاري مع الفتح، جـ٥، ص٩٢، ح٣٩٥٠.

(٥) د. يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص٤٧،

فالحادثة الأولى: عندما أحاط أبناء القبائل المسلحون بداره طيلة ساعات الليل ينتظرون اللحظة التي سيطيحون فيها برأسه ﷺ، ويفرقون دمه بين القبائل كما خططوا لذلك «ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واخترق صفهم وأخذ حفنة من البطحاء فجعل يذرها على رؤسهم، وقد أخذ الله أبصارهم عنه، فلا يرونه وهو يتلو «وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لا يبصرون»[1] ، فلم يبق منهم رجل إلا وقد وضع على رأسه ترابا، ومضى إلى بيت أبي بكر، فخرجا من خوخة في دار أبي بكر ليلا حتى لحقا بغار ثور في اتجاه اليمن ...»[2] .

وكانت الحادثة الثانية وصول المشركين إلى الغار، ولكن الله غالب على أمره، روى البخاري عن أنس عن أبي بكر رضي الله عنهما قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره لرآنا. قال: اسكت يا أبا بكر اثنان الله ثالثهما، وفي لفظ: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما»[3] .

والحادثة الثالثة في الطريق إلى يثرب يوم أدركهم سراقة بن مالك، كما روى ذلك البخاري بسنده إلى أبي بكر رضي الله عنه : «ارتحلنا والقوم يطلبوننا، فلم يدركنا منهم أحد غير سراقة بن مالك بن جثعم على فرس له، فقلت هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله، فقال: لا تحزن إن الله معنا»[4] .

---

(١) سورة يس، آية ٩.

(٢) ابن هشام، جـ١، ص٤٨٣.، زاد المعاد جـ٢، ص٥٢.

(٣) صحيح البخاري جـ١، ص٥١٦، ٥٥٨، السهيلي، الروض الأنف، جـ٢، ص٢٣٢.

(٤) البخاري، الفتح، جـ١٤ص١٤٤، ح٣٦٥٢.

وعندمارجع سراقة إلى قومه، جعل يقول لهم: «قد استبرأت لكم الخبر، قد كفيتم ما ههنا»[١] وهكذا كان أول النهار جاهدا عليهما وآخره حارسا لهما»[٢].

وبعد أن بذل ﷺ كل الأسباب والوسائل المادية التي يهتدي إليها العقل البشري في مثل هذا العمل فوض الأمر لله خالق الأسباب، وحين أدى ما يملكه في عالم الأسباب، ووقعت المحنة في شيء خارج طاقته وقدرته، كانت ثقته بالله لا تحد، وتدخلت المعجزة الربانية لحمايته، وهنا يتجلى دور التوكل الحق، فبعد أن يبذل الإنسان ما في وسعه، ويتخذ من الأسباب والخطط ما يقدر عليه، يدع ما لا يقدر عليه من مفاجآت القدر لله وحده، وهنا تقع «إن الله معنا» موقعها وتوتي أكلها[٣]، وبالفعل لقد تدخلت المعجزة الربانية في المرات الثلاث، ففي المرة الأولى عندما أحاط المشركون ببيته ليقتلوه، كما قال تعالى: «وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك»[٤]، قال القرطبي «فطمس الله على أبصارهم، فخرج وقد غشيهم النوم، فوضع على رؤوسهم ترابا ونهض، فلما أصبحوا خرج عليهم علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فأخبرهم أن ليس في الدار أحد، فعلموا أن رسول الله ﷺ قد نجا وفات»[٥].

وفي المرة الثانية وهو في الغار، تدخلت القوة الربانية فحمته بأضعف خلق الله، من الجبارين والطغاة وذلك بالعنكبوت والحمامتين كما جاء في كتب التفسير والسير، وفي قوله تعالى: «فأنزل سكينته عليه» قال القرطبي «وأنبت الله

---

(١) البخاري، الفتح، جـ١٤ص١٢٠، ح٣٦١٥.

(٢) المرجع السابق، جـ١٥، ص١٠٧-١٠٨، ح٣١١٩.

(٣) د. يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص٤٨.

(٤) سورة الأنفال، آية ٣٠.

(٥) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ٧، ص٢٥٢.

سبحانه ثمامة وألهم الوكر هناك حمامة، وأرسل العنكبوت فنسجت بيتا عليه ، فما أضعف هذه الجنود في ظاهر الحس، وما أقواها في باطن المعنى.. »[1] ، وجاء في تفسير أبي السعود «وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في أسفله والعنكبوت فنسجت عليه، وقال صلى الله عليه وسلم «اللهم أعمي أبصارهم»[2] ، وقال تعالى: «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ، فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم»[3] ، وأضعف جند الله[4] قادر على تحطيم مخططات أعداء الله.

وأما في الحادثة الثالثة فقد تحول الفارس الفاتك بعد أن رأى هلاكه أمامه ، تحول إلى صديق يصد كل محاولات الوصول إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ومن حيث كان الخطر الأكبر صار الأمن الأكبر، «وهكذا كان أول النهار جاهدا عليهما وآخره حارسا لهما».

فالله سبحانه وتعالى قادر على أن ينصر نبيه وأن يوصله إلى هدفه وهو الوصول إلى المدينة المنورة دون كل هذا التخطيط، وكماحدث في الإسراء والمعراج وشتان ما بين المسألتين. ولكن أراد الله سبحانه وتعالى في حادثة الهجرة درسا

---

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ٤، ص٩٥.

(٢) تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، جـ٤، ص٦٦، دار المصحف، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

(٣) سورة التوبة، آية ٤٠.

(٤) قال الإمام الطبري في تفسيرهذه الآية «فاقتفوا أثره، فلما بلغوا الجبل، ومروا بالغار، رأوا على بابه نسيج العنكبوت» الطبري، جـ٩، ص٢٢٩.

وأسوة للمسلمين وتشريعا لأمتة لكي تتأسى بنبيها ﷺ فيأخذوا بالأسباب في أعمالهم، وأن سنة الله أن السبب إذا وجد معه المسبب وقع المطلوب، مالم يبطل الله ذلك كما فعل في جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم عليه السلام، فانه صلى الله عليه وسلم ـ كما رأينا ـ بعد أن استنفد الأسباب المادية كلها كان مطمئنا وصاحبه أبوبكر كان خائفا، لقد كان كل ما فعله من الاحتياطات إذاً ، وظيفة تشريعية قام بها فلما انتهى من أدائها عاد قلبه مرتبطا بالله عز وجل، معتمدا على حمايته وتوفيقه، ليعلم المسلمون أن الاعتماد في كل أمر لا ينبغي أن يكون إلا على الله عز وجل وأن ذلك لا ينافي اتخاذ الأسباب والتدبير للوصول إلى الأهداف، ويتبين لنا من ذلك مشروعية التخطيط العلمي في سنته ﷺ[1].

وهكذا سار الرسول ﷺ منذ بدء دعوته وفق تخطيط بديع محكم، حتى مكن لدين الله ورفع رايته، ونشر نوره فسار صلوات الله وسلامه عليه بأصحابه في مكة من دعوة سرية إلى دعوة جهرية، ومن إقامة إلى هجرة في سبيل الله، ومن صبر على الأذى إلى قتال العدو، ثم غزاه في عقر داره.

المطلب الثاني

التخطيط في العهد المدني

بتوفيق من الله تعالى ورعايته وصل النبي صلى الله عليه وسلم إلى (يثرب) حسب خطته المرسومة وقد سبقه إليها أصحابه الكرام ـ رضي الله عنهم.

وفي يثرب بدأت مرحلة جديدة من مراحل الدعوة الإسلامية تحتاج إلى تدبير وحسن تخطيط، وهنا ظهرت مقدرة الرسول ﷺ الفائقة في التنظيم والاحتياط للمستقبل والتخطيط السليم.

وقد تشعب التخطيط في هذا العهد المبارك وعظم حتى شمل جميع مناحي

---

(١) البوطي، فقه السيرة، ص١٩٢-١٩٣، ط٥، ١٣٩٣هـ ١٩٧٢، دار الفكر، بتصرف..

الحياة، المدنية والعسكرية والاجتماعية والدولية[1]، وقد ظهر ذلك جليا من خلال معالجته صلى الله عليه وسلم للأوضاع المعقدة في يثرب، حيث أن مجتمع المدينة كان يضم الأوس والخزرج وهم سكان المدينة الأصليون، وهما قبيلتان قد وقع الشر بينهما ودارت بينهما كثير من المعارك حتى قبيل بعثته[2] صلى الله عليه وسلم.وكان فيها اليهود وهم أحياء تحالف بعضها مع الأوس وتحالف بعضها مع الخزرج، وهم فئة غير مأمونة الجانب، وقد امتلأت نفوسهم حقدا على الدين الجديد، وهم يحاولون إجهاضه بأساليبهم الدنيئة المعروفة.[3]

وكان فيها المهاجرون الذين قدموا من مكة المكرمة فرارا بدينهم وقد خلفوا وراءهم أموالهم وأولادهم، ونجوا بأنفسهم إلى المدينة وليس لديهم ملجأ يأوون إليه، ولا عمل يعملونه لمعيشتهم، وكان عدد هؤلاء ليس بالقليل، وكانوا يزيدون يوما فيوما، فقد كان أذن بالهجرة لكل من آمن بالله ورسوله ومعلوم أن المدينة لم تكن على ثروة طائلة فتزعزع ميزانها الاقتصادي.

كما أن المهاجرين كانوا أعرف بالتجارة التي اشتهرت بها قريش، ولم تكن معرفتهم تامة بالزراعة والصناعة اللتين تمثلان أساسين مهمين في اقتصاديات المدينة.[4]

هذه هي الأوضاع الداخلية التي واجهها الرسول ﷺ بالنسبة لمجتمع المدينة.

---

(١) د. خليل إبراهيم السامرائي، وثامر حامد محمد، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة، مكتبة بسام، الموصل، ١٩٨٤م، ص٦٣.

(٢) د. محمد بن محمد أبو شهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ، جـ٢، ص٤١.

(٣) د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، جـ١، ص٣١٩، مكتبة العلوم والحكم، ط١٤١٢هـ ١٩٩٢م، بتصرف.

(٤) المصدر السابق، جـ١، ص٢٤١

أما بالنسبة للأوضاع الخارجية والتي تحتاج منه أيضا للاحتياط وحسن التخطيط، فإنه خلف وراء ظهره عدوا لدودا هو قريش، وهذا العدو قادر على العدوان ولمقاومة عدوانه يلزم الاستعداد والحيطة، وبناء الجبهة الداخلية بناء سليما لتصد هذا الخطر الخارجي. وقد واجه النبي صلى الله عليه وسلم هذا الوضع من أول الأمر مواجهة تدل على فهم سليم وإدراك قوي، وأظهر من بعد النظر ودقة التنظيم ما كفل للدولة الناشئة الاستقرار والترابط والقدرة على النمو ومواجهة الاحتمالات الخارجية كلها بنجاح كبير أدى إلى تكوين الدولة الإسلامية العظيمة فيما بعد،[1] وسوف نرى ذلك عندما نتحدث عن تخطيطه لمواجهة العدوان الخارجي، هذا عرض للأوضاع الداخلية والخارجية التي واجهها صلى الله عليه وسلم ، فلننظر كيف خطط ﷺ لمعالجة تلك الأوضاع:

أولا: تخطيطه ﷺ لمعالجة الأوضاع الداخلية في مجتمع المدينة:

أ) بناء المسجد:

لقد كانت الخطوة الأولى في المدينة، وبعد وصول الرسول ﷺ واستقراره وفي اليوم الأول الذي نزل فيه هو بناء المسجد النبوي.

واختار رسول الله ﷺ مكان المسجد وبيوته في المكان الذي بركت فيه الناقة وقال: «هذا المنزل إن شاء الله»[2] ، وكان مربدا للتمر لغلامين يتيمين من بني النجار في حجر أسعد بن زرارة[3] ، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم منهما

---

(١) بتصرف: أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٦٥، ص٣٨٤-٣٨٥.

(٢) البخاري مع الفتح، جـ١٥، ص١٠١.

(٣) البخاري، الفتح، جـ١٥، ص١٠١، ١١، ح٣٩٠٦.

بعد أن دفع الثمن من مال أبي بكر الصديق[١] ـ رضي الله عنه ـ وقام رسول الله بإقامة البناء الجديد بعد أن حسن موضعه بقطع أشجار النخيل ، ونقل بعض قبور المشركين التي كانت في المكان وإخراج بعض المياه الراكدة التي كانت متجمعة في بعض أماكن المربد[٢].

وأصبح المسجد منذ بنائه مكانا للعبادة في المقام الأول، ثم بعد ذلك مكانا لإدارة شؤون الدولة والحكم.

وكذلك «لم يكن المسجد موضعا لأداء الصلوات فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ومنتدى تلتقي وتتآلف فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها، وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، وبرلمانا لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية، وكان مع هذا كله دارا يسكن فيها أعداد كبيرة من فقراء المهاجرين اللاجئين الذين لم يكن لهم دار ولا مال ولا أهل ولا بنون كما يقول عن ذلك ابن كثير: «كان في المدينة إلى جانب وظائفه الدينية وظائف اجتماعية، فهو لذي الحاجة والسكة والليلة المطيرة الشاتية.»[٣]

---

(١) ابن سعد ، الطبقات، جـ١، ص٢٣٩، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص ٣٤٩، السمهودي، وفاء الوفاء، جـ١، ص٣٢٥-٣٢٦، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، بيروت، ١٩٧١م.

(٢) البخاري، الفتح، جـ١٥، ص١٢٥، ح٣٩٣٢، السمهودي، وفاء الوفاء، جـ١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(٣) انظر: منير الغضبان، المنهج الحركي، جـ٢، ص٢١٦، محمود شيت خطاب، الوسيط في رسالة المسجد العسكرية، دار القرآن بيروت، ط١، ١٤٠١هـ، ص٤٨، د. يوسف القرضاوي، العبادة في الإسلام، ص٣٢ مكتبة وهبة، القاهرة، ط١٥، ١٩٨٥م، محمد الغزالي، فقه السيرة، ص٣٥، وعبد الله إدريس مجتمع المدينة المنورة، تنظيم القبائل سياسيا واجتماعيا في عصر الرسول ص٤٢، رسالة ماجستير، ط٢، ١٩٩٢م، مطابع جامعة الملك سعود .

وسرعان ما غدا (المسجد) رمزا لما يتسم به الإسلام، من شمولية وتكامل فقد أصبح رمزا روحيا لممارسة الشعائر وأداء العبادات ودائرة عسكرية سياسية لتوجيه علاقات الدولة في الداخل والخارج، ومدرسة علمية وتشريعية يجتمع في ساحتها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتدار في ساحتها الندوات وتلقى على منبرها المتواضع التعاليم والكلمات ، ومؤسسة اجتماعية يتعلم فيها المسلمون النظام والمساواة ويمارسون التوحد والإخاء والانضباط»[1].

وبتخطيطه ﷺ في البدء ببناء المسجد كخطوة أولى يكون قد نجح في تحقيق الأهداف التالية:

١- إيجاد مقر دائم ومناسب لإدارة شؤون دولته، حيث إنه كان في المسجد تعقد مجالس الشورى، وتعقد فيه ألوية الجهاد وتخرج منه السرايا والغزوات، وتستقبل فيه الرسل - السفراء - الذين يفدون على الرسول صلى الله عليه وسلم. وتصدر منه وتعلن فيه القرارات الإدارية الرسمية الخاصة بالجماعة المسلمة وغيرها.

٢- الإسهام في تخفيف المعاناة التي كان يشعر بها المهاجرون حيث إنهم كانوا يشعرون بالوحشة التي ولدها فراق مكة وأهلهم وأصحابهم، والتي كانت تؤججها ذكريات ماضيهم التي كانت تثير فيهم الشجن، ويزداد تأججها عند ترديدهم أو سماعهم شعرا بالحنين إليها كالذي كان يفعله بلال - رضي الله عنه - عندما ينشد:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بواد وحولي إذخر وجليل[2]

والواقع أن المسجد له أثر كبير في تخفيف هذا الشعور، حيث إنهم انصهروا في بوتقة واحدة مع قائدهم الرسول صلى الله عليه وسلم وإخوانهم الأنصار، حيث

---

(١) د. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة النبوية، دار النفائس، ط٣، ١٣٩٨هـ، ص١٤٩.

(٢) البخاري، الفتح، جـ٧، ص٣٠٨، كتاب مناقب الأنصار.

يتجدد اللقاء بينهم في اليوم خمس مرات، مما أسهم في تأليف القلوب.[1]

٣- إيجاد مأوى لضعفاء وفقراء المهاجرين من الرجال العزاب الذين لم يتمكنوا من الحصول على منازل خاصة بهم وعرفوا بأهل الصفة[2]، في كتب السيرة والتاريخ، وكانوا يسكنون بصفة دائمة في مؤخرة المسجد.

ب) المؤاخاة:

لا شك أن المسجد ـ كما ذكرنا آنفا ـ أسهم إسهاما كبيرا في حل المشكلة الاجتماعية التي واجهت المهاجرين الأوائل إلا أنه لم يقض عليها نهائيا، بالإضافة للمشكلات الأخرى الاقتصادية والصحية، فمن المعروف أن المهاجرين تركوا أهليهم ومعظم ثرواتهم بمكة، وكذلك لم يكونوا أهل خبرة ودراية في الزراعة والصناعة اللتين يمثلان الأساس الذي تقوم عليه اقتصاديات أهل المدينة، ومهنتهم الأساسية هي التجارة التي تمرست بها قريش، وبما أن التجارة تحتاج إلى رأس المال، فإن المهاجرين لم يتمكنوا من شق طريقهم في المجتمع الجديد بسهولة، وكانت مشكلة معيشتهم وسكناهم تواجه الدولة الناشئة، إضافة إلى أن اختلاف مناخ مكة عن المدينة أدى إلى إصابة المهاجرين بالحمى[3].

وهكذا كان وضع المهاجرين بحاجة إلى علاج سريع وحل مؤقت واستثنائي لتلك المشكلات الثلاث (الاقتصادية، والصحية، السكنية).

وقد وفق الرسول ﷺ في وضع حلول ناجعة لتلك المشكلات وتعتبر غاية في

---

(١) انظر سلمان بن فهد العودة، الغرباء الأولون، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص٢٠١، بتصرف.

(٢) البخاري، الفتح، جـ٣، ص١٠٢، د.أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه وتنظيماته الأولى، ص٨٩-١٠٥، مرجع سابق.

(٣) البخاري ،الفتح، جـ٧، ص٣٠٨. وانظر: د. أكرم ضياء العمري، السيرة الصحيحة، جـ١، ص٢٤١.

حسن السياسة والتخطيط وبعد النظر وقد تمثلت تلك الحلول في الجوانب التالية:

١- عقد المؤخاة:

قابل الأنصار إخوانهم المهاجرين بأيثار بالغ، وأعطوا لهم كل ما يستطيعونه من فضل، وأعطوهم النخل والأرض ليعملوا فيها بنصف ثمارها، ومنهم من أعطيت له منحة محضة، واستغنوا عنها عندما فتح الله عليهم خيبر[١]، وقد رد النبي ﷺ نفسه ما أعطوه من نخل عندما فتح عليه قريظة والنضير[٢].

وقد كان ذلك الفضل من الأنصار دليلا على شدة حبهم وإيثارهم المهاجرين وقد شهد الله تعالى بذلك في قوله «والذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[٣].

وقالت الأنصار للرسول ﷺ «أقسم بيننا النخل»، قال: لا. قال يكفونكم المؤونة ويشركونكم في الثمر، قالوا: سمعنا وأطعنا»[٤].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم للأنصار: «إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم، فقالوا: أموالنا بيننا قطائع، فقال رسول الله ﷺ «أوغير ذلك؟» قالوا: وما ذاك يا رسول الله؟ قال: هم قوم لا يعرفون العمل فتكلفونهم

---

(١) مسلم، النووي، جـ١٢، ص٩٩-١٠٠، كتاب الجهاد والسير، باب رد الأنصار إلى المهاجرين منائحهم.

(٢) مسلم، النووي، جـ١٢، ص١٠١، كتاب رد المهاجرين إلي الأنصار منائحهم.

(٣) سوورة الحشر، آية ٩، البخاري، الفتح، جـ١٤، ص٢٦١، ح٣٧٧٦.

(٤) البخاري، الفتح، جـ١٤، ص٢٦٤، ح٣٧٨٢، أحمد، الفتح الرباني، جـ٢١، ص١٠.

وتقاسمونهم الثمر، قالوا: نعم»[١].

ويبدو أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يشأ أن يشغل المهاجرين بالزراعة فهو يحتاجهم لمهام الدعوة والجهاد، كما أن المهاجرين لا يعرفون العمل، كما عبر الرسول صلى الله عليه وسلم ومما يؤدي إلى خفض الإنتاج الزراعي الذي تحتاجه المدينة. وعلى الرغم من هذا الإيثار وبذل الأنصار وكرمهم، فقد أراد الرسول ﷺ، أن يضع تشريعا يعالج للمهاجرين أوضاعهم الاقتصادية ويكفل لهم المعيشة الكريمة ويشعرهم بأنهم ليسوا عالة على إخوانهم الأنصار فكان أن شرع نظام المؤاخاة في السنة الأولى من الهجرة[٢].

وروى البعض أن المؤاخاة كانت في دار أنس بن مالك[٣]، وذكر البعض أن إعلان المؤخاة كان في المسجد[٤].

يقول الإمام بن القيم ـ رحمه الله ـ في ذلك: «ثم آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار، في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة ويتوارثون بعد الموت دون ذوي الأرحام، إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله عزوجل «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله»[٥] رد التوارث دون عقد الأخوة»[٦].

---

(١) ابن كثير في البداية والنهاية، جـ٣، ص٢٥٠، مهدي رزق الله، السيرة في ضوء المصادر الأصلية،ص٣٠١.

(٢) البخاري الفتح، جـ١٥ . ١٣٠، ابن سعد، الطبقات، جـ١، ص٢٣٨.

(٣) البخاري، الفتح، جـ١٠ص٤١، ح٢٢٩٤، مسلم، جـ٤، ص١٩٦، ح٢٥٢٩.

(٤) البخاري، الفتح، جـ١٥، ص١٣٠.

(٥) سورة الأنفال: آية، ٧٥.

(٦) ابن القيم، زاد المعاد، جـ٢، ص٥٦.

وحقا فقد كانت هذه المؤاخاة حكمة فذة، وسياسة صائبة حكيمة وحلا رائعا للمشكلة الاقتصادية التي واجهها المهاجرون في بداية هجرتهم ولغيرها من المشكلات التي واجهوها، وكانت عناية الله ترعى تلك المؤاخاة وفي الوقت المناسب رد التوارث وبقيت الأخوة على النصر والرفادة والنصيحة.

ج/ دستور المدينة (المعاهدة):[1]

لئن كان النبي ﷺ ببنائه للمسجد وإخائه بين المهاجرين والأنصار، بلغ الغاية في الحكمة والتدبير والسياسة الحكيمة، فقد كان العمل البارع حقا الذي يدل على القدرة التخطيطية والحنكة السياسية والقدرة الفائقة على حل المشاكل - هو ما قام به من موادعة اليهود ومحالفتهم فقد كتب بين المسلمين من المهاجرين والأنصار وبين اليهود كتابا وادع فيه اليهود وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم وشرط لهم واشترط عليهم ويرى بعض الكتاب أن الوثيقة التي كتبت هي في الأصل وثيقتان أحدهما تتعلق بموادعة اليهود كتبت قبل بدر، أول قدوم النبي ﷺ المدينة والثانية تتعلق بحلف المهاجرين والأنصار وتحديد التزاماتهم وكتبت بعد بدر، لكن

---

(١) من الذين أورد نص الصحيفة: ابن هشام، جـ٢، ص١١٩-١٢١، وفي كتاب الأموال لأبي عبيد، ص٢٠٢-٢٠٥، وكتاب الأموال لزنجويه، ص٤٦٦-٤٧٠، وقد جمعها ونشرها محمد حميد الله في كتابه، الوثائق السياسية في عهد الرسول ﷺ والخلافة الراشدة ، وقد أشار محمد حميد الله إلى عدد من الدراسات التي كتبها عنها بعض المستشرقين، ولعل من أوسع الدراسات بالعربية ما كتبه الدكتور عون الشريف قاسم في كتابه دبلوساسية محمد صلى الله عليه وسلم. دراسة لنشأة الدولة الإسلامية في ضوء رسائل النبي ومعاهداته، قسم التاليف والنشر، جامعة الخرطوم.

المؤرخين جمعوا بين الوثيقتين[١].

أولا: بنود الصحيفة المتعلقة بالمسلمين:

هذا كتاب من محمد النبي (رسول الله) من المؤمنين والمسلمين من قريش (وأهل يثرب) ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم:

١- أنهم أمة واحدة من دون الناس.

٢- المهاجرون من قريش على ربعتهم[٢] يتعاقلون[٣] بينهم ، وهم يفدون عانيهم[٤] بالمعروف والقسط بين المؤمنين، وكل قبيلة من الأنصار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى، وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين.

٣- وأن المؤمنين لا يتركون مُفْرَحا[٥] بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل.

٤- وأن المؤمنين المتقين على من بغى عليهم ، أو ابتغى دسيعة[٦] ظلم أو

---

(١) من الذين رأوا ذلك ورجح بين الروايات المتعلقة بالوثيقة: د. أكرم العمري في كتابه المجتمع المدني في عصر النبوة ـ خصائصه وتنظيماته ـ ص ص١١٢-١١٧، مرجع سابق، وكذلك د. مهدي رزق الله ، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، دراسة تحليلية. ص٣١٣.

(٢) الربعة: الحال التي جاء الإسلام وهم عليها.

(٣) المعاقل: الديات، الواحدة معقلة.

(٤) العاني: الأسير

(٥) المُفْرَح: المثقل بالدين والكثير العيال.

(٦) الدسيعة : العظيمة، وهي في الأصل: ما يخرج من حلق البعير إذا رغا، وأراد بها هاهنا ما ينال عنهم من ظلم.

إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين.

٥- وأن أيديهم عليه جميعا، ولو كان ولد أحدهم.

٦- ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر.

٧- ولا ينصر كافرا على مؤمن.

٨- وأن ذمهم واحدة يجير عليهم أدناهم.

٩- وأن من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة غير مظلومين ولا متناصرين عليهم.

١٠- وأن سلم المؤمنين واحدة لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم.

١١- وأن المؤمنين يبيء بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله.

١٢- وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا، ولا يحول دونه على مؤمن.

١٣- وأنه من اعتبط مؤمنا قتلا عن بينةٍ فإنه قود به، إلا أن يرضى ولي المقتول.

١٤- وأن المؤمنين عليه كافة ولا يحل لهم إلا قيام عليه.

١٥- وأنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا ولا يؤويه، وأنه من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل.

١٦- وأنكم مهما اختلفتم فيه من شيء فإن مرده إلى الله عز وجل ومحمد رسول الله ﷺ.

ثانيا: الصحيفة المتعلقة باليهود:

١- أن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم، كذلك لغير بني عوف من اليهود.

٢- وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم.

٣- ينفق اليهود مع المؤمنين ما داموا محاربين.

٤- وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة.

٥- وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.

٦- وأنه لم يأثم امرؤ بحليفه.

٧- وأن النصر للمظلوم .

- بنود الصحيفة المتعلقة بالقواعد العامة:

١- وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة.

٢- وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله عز وجل ، وإلى محمد رسول الله ﷺ.

٣- وأنه لا تجار قريش ولا من نصرها.

٤- وإن بينهم النصرعلى من دهم يثرب... على كل أناس حصتهم من جانبهم الذي قبلهم.

٥- وأنه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم أو آثم.[1]

وبمقتضى هذه الوثيقة أصبحت المدينة حرما آمنا وأصبح كل من المسلمين واليهود في أمن من جانب الآخر، وأصبح اليهود ملزمين بمعاونة المسلمين وإذا ما دهم المدينة عدو، وبعدم مساعدة المشركين ومناصرتهم ضدهم، وبالدراسة الفاحصة لبنود هذه الصحيفة يتبين لنا عمق التخطيط النبوي وبعد النظر فيما اشتملت عليه من شروط وتأكيد على معاني وقيم في الحرية والعدل ولعلنا يمكن أن نستنبط بعض الملامح التخطيطية فيها فيما يلي:

١- فقد كان التركيز على وحدة الأمة لمصلحة الجماعة الإسلامية، فالمسلمون (أمة واحدة من دون الناس) يرتبط أعضاؤها برابطة العقيدة الدينية، فالتنظيم قائم على أسس فكرية أخلاقية وعقائدية وليس على أساس الدم أو على العرق .

---

(١) ابن هشام، جـ١، ص٥٠٣-٥٠٤، الرحيق المختوم، المباركفوري، ص٢١٤.

٢- الإشارة إلى أهمية صيانة الأمن ووجوب اشتراك المسلمين وغيرهم في مطاردة المفسدين والامتناع عن حماية المخلين بالأمن حتي ولو كان ولد أحدهم، فقد نصت الوثيقة على أن المؤمنين المتقين على كل من بغي أو ابتغى ظلما أو إثما أو عدوانا..."[1].

٣- الاهتمام بأمر العدالة وتنظيم القضاء، فقد خصتها الوثيقة بعدد من الأحكام بحيث يمكن القول إنهما كانا من أبرز الغايات التي استهدفت الوثيقة تأمينها، هذا راجع إلى إدراك الرسول ﷺ أهمية العدالة والقضاء لكل مجتمع سليم وإن فقدانهما كان من أبرز العيوب في كل من المجتمع المكي والمدني ومن أقوى أسباب القلق والاضطراب قبل الإسلام، فقد نصت الوثيقة على «أنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله وبهذه المادة أصبح الرسول ﷺ سلطة قضائية مركزية يرجع إليها الجميع، أو جعلها ترجع إلى الله وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم، فهي مصطبغة بصبغة قدسية، ولها قوة تنفيذية ؛ لأن أوامر الله واجبة الطاعة وملزمة التنفيذ، كما أن أوامر الرسول ﷺ هي من الله وطاعتها واجبة."[2]

٤- مما يؤكد على حسن تخطيط الرسول ﷺ معرفته للواقع القائم في مجتمع المدينة آنذاك، حيث إنه أبقى على التكتل العشائري أساسا للاستيطان، ودفع الدية والتعاون، فكرر ذكر العشائر ونص على أن كلا منهما «على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم يفدون عانيهم بالمعروف» وذكر في نصوصه عن عشائر الأنصار «وكل طائفة تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين» ويرجع إبقاء الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا التكتل العشائري إلى تعلقه في النفوس ومكانته في

---

(١) د. صالح أحمد العلي، الدولة في عهد الرسول ﷺ، ط ١٩٨٨م، المجمع العلمي العراقي، جـ١، ص١٠٥.

(٢) المرجع السابق، ص١٠٦.

حياتهم، ومن الطبيعي أن هذا التنظيم العشائري كان لا بد من زواله بعد تشرب الناس مبادئ الدين الجديد بجمع الناس جميعا على رابطة العقيدة حيث وضع للتفاضل بينهم معايير جديدة من التقوى والتدين والخلق الفاضل[1]. وهذا ما حدث بالفعل فيما بعد، وغير ذلك من الجوانب السياسية الحكيمة والتدبيروحسن التخطيط الذي اشتملت عليه الوثيقة، وكل ذلك بتوفيق من الله سبحانه وتعالى.

• تخطيطه صلى الله عليه وسلم لسكناه وإسكان المهاجرين:

بعد أن وفق الله رسوله ﷺ في دمج المهاجرين دينيا (ببناء المسجد) واجتماعيا (بالمواخاة) بقي عليه توفير محلات لسكن المهاجرين تتناسب مع أحوالهم، ومن المعلوم أن بعضهم هاجروا جماعات ومنهم «عمر بن الخطاب وأهله وقومه، وبنو البكير، وبنو مظعون، كما أن بعضهم كانوا عُزابا، ومعظمهم منفردون لم تهاجر معهم أسرهم»[2].

وقبل أن ندخل في تفاصيل تخطيطه ﷺ لإسكان المهاجرين، يجدر بنا أن نقف عند تخطيطه وتدبيره لسكنى نفسه صلى الله عليه وسلم. فإنه من الثابت في كتب السيرة، أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندما هاجر إلى يثرب نزل أولا في قرية قباء (جنوبي يثرب على بعد ٦و٣ كم) وفي صحبته أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وأقام في دار كلثوم بن الهدم، ولقد اختار ﷺ النزول في هذه المنطقة دون غيرها لسببين:[3]

١- لأنها منطقة تجمع فيها أكثر المهاجرين الذين سكنوا قباء وبالذات منطقة

---

(١) انظر: د. عبد الله إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ص١٢٠، وما بعدها.

(٢) ابن هشام، جـ٢، ص٨٨.

(٣) د. خليل إبراهيم السامرائي، ثامر حامد، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة، ص٣٦.

العصبة (الواقعة غربي مسجد قباء) حيث كانت منازل المهاجرين الأولين عندما قدموا من مكة إلى يثرب قبل هجرة[1] النبي ﷺ.

٢- لتوفير الحماية له وسط أتباعه في وسط لا يعرف عنه إلا معلومات تحصلت له بالسماع في الغالب ، وكان عليه صلى الله عليه وسلم أن يحيط إحاطة كاملة بهذا البلد وظروفه وأهله، ثم يؤسس الجماعة الإسلامية من عناصر كانت قبل وصوله متعادية، وأن يؤلف بين قلوبهم وقد نجح في ذلك."[2]

وعلى الرغم من مظاهر الود الصادق والحماية الآمنة التي تعهد الأنصار من الأوس والخزرج بتوفيرها لرسول الله ﷺ في قرية قباء، أو في طريق الرحلة من قباء إلى منازل بني النجار، ذات الموقع المتوسط عموما في يثرب، فان رسول الله صلى الله عيه وسلم سار صوب منازل بني النجار، واستقر بين ظهرانيهم.[3]

وإذا وجدت بعض الروايات التي عللت حسم أمر النزاع بين الأنصار حول عند من يقيم رسول الله، وتركت حل هذا الأمر إلى ناقة الرسول المأمورة[4]، فلعل الأمر أبعد من ذلك وفيه نوع من التخطيط وحسن السياسة والتدبير لأن نزول الرسول ﷺ في منازل بني النجار كان حسما للخلاف بين الأنصار[5]أولا؛ لأن كل واحد من الأنصار كان يحب أن ينزل رسول الله ﷺ عنده.

وثانيا: لأن بني النجار أخواله، وكذلك كان نزوله عند بني النجار فيه ناحية أمنية ،إذ إن خطة بني النجار متقاربة منازلهم، أي تقارب منازل بني عدي ابن

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، جـ٤، ص١٢٦٧.

(٢) د. خليل السامرائي، ثامر حامد ، المظاهر الحضرية للمدينة في عصر النبوة، ص٣٦.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، بتحقيق مصطفى السقا وزملاؤه، جـ١، ص٤٦٩.

(٤) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٥) د. خليل السامرائي، ثامر حامد، المظاهر الحضرية للمدينة، ص٣٧-٣٨.

النجار وبني مالك حيث يوجد دار أبي أيوب الأنصاري[1]، حيث يتوفر في منازلهم الأمن، أو يوفره له أكثر من منازل الأنصار الأخرى، ولعل الاستدلال من بعض الروايات يثبت صحة ما نقول:[2]

أولا: - أن الإمام البخاري الذي يفرد بابا لهجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يذكر أولا قضية الناقة المأمورة، وثانيا أنه روى لنا أن مسيرة رسول الله من قباء إلى يثرب كانت تحت حراسة مشددة من قبل المسلمين حتى نزل دار أبي أيوب الأنصاري. وفي رواية أخرى يذكر أنه بعد نزول رسول الله ﷺ في بني عمرو بن عوف ما يقارب أربع عشرة ليلة ، أرسل إلى بني النجار فجاءه قوم منهم متقلدين سيوفهم،[3] وقد شاركت رواية البخاري روايات أخرى بهذا المعنى[4]، ولعل ذلك هو التعليل المقبول لإقامة رسول الله في خطط بني النجار دون غيرهم.

وفي ضوء هذا التخطيط الموفق والمؤيد بالوحي من عند الله قرر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبني مدينة جديدة له وللمهاجرين المتوزعين في أحياء الأنصار، ولمن سيقدم المدينة فيما بعد ليكونوا كتلة واحدة متراصة لمواجهة الأخطار التي ما زالت محدقة بالمسلمين، فجمع قوة ومنعة بني النجار أولا، وقوة ومنعة المهاجرين وبقية الأنصار ثانيا، ولهذا كانت نواة مدينة الرسول ﷺ في وسط خطط بني النجار، وبدأ يحول هذا الجزء من سهل يثرب إلى مركز عمراني

---

(١) السمهودي، وفاء الوفاء، جـ١، ص٢٥٧-٢٥٨.

(٢) د. خليل السامرائي، مرجع سابق، ص٣٨.

(٣) البخاري: الصحيح، جـ١، ص١١، جـ٤، ص٢٦٠، ص٢٦٦. وانظر خليل السامرائي وزميله، المظاهر الحضرية للمدينة، ص٣٨.

(٤) صحيح مسلم، جـ٢، ص٦٥، السمهودي، وفاء الوفاء، جـ١، ص٢٥٦.

واجتماعي وسياسي جديد تنشأ حوله المدينة الجديدة[1].

بعد أن استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطط بني النجار وهبته الأنصار كل فضلة في خططها، وقالوا له: إن شئت فخذ منا منازلنا، فقال رسول الله ﷺ خيرا، فابتنى لأصحابه المتفرقين في دور الأنصار دورا في الأرض التي وهبتها له الأنصار وفي الأرض التي لا تعود ملكيتها لأحد، وأول من وهب له خططه ومنازله حارثة بن النعمان الأنصاري[2]. وقد كانت دور المهاجرين من أهل مكة على قسمين:

أ) الدور المحيطة بالمسجد النبوي من جميع الجهات.

ب) دور المهاجرين في محلات الأنصار وهي قسمان:

١- بيوت المهاجرين على الطرف الذي يحيط بالمسجد وله فروع تمتد إلى البقيع وغيره.

٢- دور المهاجرين في محلات المدينة الأخرى، فقد كان لأبي بكر بيت ملاصق للمسجد وله دار أخرى في محلة السنح شرقي البقيع وفيها كانت تقيم زوجه الأنصارية وكذلك بقية المهاجرين كانت لهم بيوت ملاصقة للمسجد وأخرى في محلات المدينة الأخرى[3].

وكذلك خطط الرسول ﷺ لإسكان المهاجرين من غير أهل مكة؛ لأن الهجرة المستمرة قد أدت إلى تنوع سكان المدينة ولم تكن المدينة تقتصر على الأوس والخزرج (الأنصار) واليهود، ولا المهاجرين من أهل مكة ، بل قد نزلت معهم قبائل العرب الأخرى، ومن هذه القبائل التي سعى الرسول صلى الله عليه وسلم

---

(١) د. خليل السامرائي، ثامر حامد، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة، ص٣٨.

(٢) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ص٢٧٠، السمهودي، وفاء الوفاء، جـ١، ص٣٢٦.

(٣) انظر: الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص١٦٥، الحلبي، السيرة، جـ٢، ص٤٦٧.

لإيجاد دور لها[1]:-

١- قبائل قيس بن عيلان بن مضر، وهم قبائل وفروع كثيرة.

٢- قبيلة تميم.

٣- قبيلة قضاعة.

٤- قبيلة بني بكر.

٥- قبيلة بني المصطلق.

وقد كان سكنى هذه القبائل الخمسة في الخطط الممتدة من جبل سلع إلى خطة بن ذريق، أي في الجانب الغربي والشمالي الغربي من المدينة المنورة، أي أنهم سكنوا في الخطط الخالية بين منازل الخزرج[2].

وبهذا يكون الرسول ﷺ قد أكمل خطته الإسكانية ببناء المدينة الجديدة، وجعل مركزها المسجد ومن حوله منازله ومنازل المسلمين من أهل المدينة والمهاجرين إليها.

ويتضح لنا من اهتمامه صلى الله عليه وسلم بالتخطيط، إذ إن توفير السكن المناسب للإنسان يجعله مستقرا نفسيا وعائليا، وبالتالي يستطيع أن يتفرغ للدور المطلوب منه وأداء ما يوكل إليه من مهام على أحسن وجه.

وما أحرى الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي التأسي برسول الله ﷺ في الاهتمام بتوفير السكن الملائم للدعاة الذين يقومون بأداء رسالة الدعوة إلى الله حتى يتمكنوا من أداء رسالتهم، إذ إن الداعية كلما توفرت له سبل الراحة زاد عطاؤه، ولهذا كان من أوجب الواجبات توفير السكن المناسب

---

(١) في سكن القبائل التي سكنت المدينة انظر: السمهودي، وفاء الوفاء، جـ٢، ٧٦٥، جـ٤، ص١١٧٣، الحموي، جـ٣، ص٢٤٢، جـ٤، ص٨٥، صالح العلي، خطط، ص١١١٤-١١١٧.

(٢) د. خليل السامرائي، ثامر حامد، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة، ص٥٦.

للدعاة، وما يلحق بذلك من ضرورات.[١]

• التخطيط لسوق المدينة:

في إطار سعيه ﷺ في معالجة الأوضاع الداخلية في المدينة المنورة، كان عليه أن يخطط لإيجاد سوق مستقلة للمسلمين يمارسون فيها نشاطاتهم التجارية بحرية، وكما هو معلوم أن اليهود كانوا هم المسيطرين على سوق (يثرب) عندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان ليهود (بني قينقاع) سوقهم[٢] فأراد الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية هجرته أن يتخذ سوقا في موضع بقيع الزبير، وبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في نصب بعض الخيام لهذه المهمة، فأقبل كعب بن الأشرف (من زعماء يهود بني النضير المعادين للإسلام)[٣] فدخل الخيام وقطع أطنابها، فنقلها الرسول ﷺ إلى موضع سوق المدينة وقال: «هذا سوقكم فلا يضيق ولا يؤخذ فيه خراج»[٤].

مع التبكير في إنشاء هذا السوق المستقل، استمرت أسواق اليهود في أداء وظيفتها، وبالأخص سوق بني قينقاع الذي كان مشهورا بوظيفة الصياغة لاشتهار اليهود بهذه الحرفة[٥]. وكذلك تردد كثير من المسلمين إلى هذه السوق لشراء المصوغات التي يحتاجونها، ويذكر أن علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ لما أراد الزواج من فاطمة الزهراء رضي الله عنها ذهب إلى سوق بني قينقاع لشراء

---

(١) لمزيد من التفصيل حول أهمية إسكان الداعية انظر ص ٤٨٧ من البحث.

(٢) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص٢، ٤٧٩، السمهودي، وفاء الوفاء، جـ١، ص٥٣٩.

(٣) البخاري، الصحيح، جـ٥، ص٢٥-٢٦، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٢٣٩.

(٤) السمهودي، وفاء الوفاء، جـ٢، ص٧٤٧-٧٤٨، الكتاني، التراتيب الإدارية، جـ٢، ١٦٣، الناشر حسن جعنا، بيروت.

(٥) د. أكرم ضياء العمري، المجتمع المدني، ص١٣٩، النويري، نهاية الأرب، جـ١٧، ص٦٧-٦٨.

الحلي الخاصة بالزواج[١]. كما أن بعض مهاجري مكة الأوائل من التجار، لما استقروا في المدينة نزلوا إلى هذه السوق لممارسة العمل وللتخفيف عن إخوانهم الأنصار ، كما فعل عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ والذي جمع أموالا كثيرة من مزاولة التجارة في هذه السوق فأدى إلى غناه وتزوج من الأنصار وأسس له بيتا مستقلا.[٢]

وربما أدى هذا النشاط التجاري للمسلمين إلى مضايقة اليهود مما جعلهم يضيقون على التجار المسلمين، فأصبح من الضروري بناء سوق جديد لهم، «إلا أن زمن الإيعاز بأنشاء هذا السوق الجديد غير معروف، ولكن يمكن تحديده قبيل معركة بدر حيث إن يهود بني قينقاع بعد معركة بدر غيروا عن عداوتهم للمسلمين والسوق الجديد قد أثر على كل اليهود في المدينة، وإلا ما سبب أن يقطع كعب بن الأشرف (من زعماء يهود بني النضير) خيمة السوق في بداية التأسيس، مما حدا بالرسول ﷺ أن ينقله إلى موضعه الجديد»[٣].

وبهذا التخطيط النبوي الحكيم أصبح التجار المسلمون هم المسيطرون على السوق والتجارة، ولهم السلطة الكاملة على السوق من إدارة ورقابة، كما يروى عن أبي هريرة رضي الله عنه «أن الرسول صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها فنالت أصابعه بللا، فقال: ما هذا يا صاحب الطعام، قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، فمن غشنا ليس مني»[٤]، وهذا يؤكد أن هذا السوق خاص بالمسلمين وليس سوق

---

(١) البخاري، الصحيح، جـ٣، ص١٢-١٣.

(٢) البخاري، الصحيح، جـ٣، ص٣،، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص١٣٢، بتصرف .

(٣) د. خليل السامرائي، المظاهر الحضرية للمدينة المنورة، ص٦٥.

(٤) صحيح مسلم، بشرح النووي، جـ٢، ص١٠٩.

اليهود، ولعله مما يؤكد لنا أهمية تخطيطه صلى الله عليه وسلم وفي وقت مبكر من هجرته لإيجاد سوق مستقلة تكون الغلبة والسيطرة فيه للمسلمين، ما نراه اليوم من سيطرة الدول الغربية الكافرة على الأسواق العالمية، وما تقوم به من ضغوط على المسلمين، ورهنهم وتكبيلهم لسياسات تلك السوق، فليت شعري أن ينتبه ولاة أمر المسلمين من حكام وعلماء لتغيير هذا الوضع.

•تخطيطه صلى الله عليه وسلم لمواجهة العدوان الخارجي:

بعد أن وفق الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ في التخطيط لتسوية الأوضاع الداخلية لمجتمع المدينة كان لا بد أن يسعى في تأمين حدود دولته الخارجية، حتى لا يطمع فيها طامع، ولا تهددها قوة مهما كانت، ولأن هيبة الدولة ومكانتها متوقفة على إقناع الدول الأخرى وبخاصة المجاورة لها بقوتها وقدرتها على حماية حدودها وكذلك لأن الدولة الناشئة تكون عادة عرضة للاعتداء من جيرانها، لفرض سلطانهم عليها[1].

من أجل ذلك كله بدأ الرسول ﷺ يعد العدة لمواجهة هذا الخطر المحدق بدولته، لا سيما عدوه اللدود قريش الذي يتربص به الدوائر، وكان بين الحين والآخر يرسل رسائل التهديد والوعيد، ومن ذلك مما كتبوه إلى عبد الله بن أبي بن سلول زعيم المنافقين (المعارضة) في المدينة «إنكم آويتم صاحبنا، وإنا نقسم بالله لتقاتلنه أو لتخرجنه، أو لنسيرن إليكم بأجمعنا حتى نقتل مقاتلكم ونستبيح نساءكم»[2].

وبمجرد بلوغ هذا الكتاب قام عبد الله بن أبي ليمتثل أوامر إخوانه من المشركين، يقول عبد الرحمن بن كعب: فلما بلغ ذلك عبد الله بن أبي ومن كان معه

---

(١) د. محمد السيد الوكيل، المدينة المنورة عاصمة الإسلام الأولى، دار المجتمع للنشر، جدة، ط٢، ١٤٠٩هـ ص١٠١.

(٢) أبو داود، باب خبر بني النضير، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢١٥.

من عبدة الأوثان اجتمعوا لقتال رسول الله ﷺ ، فلما بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم لقيهم، فقال: لقد بلغ وعيد قريش منكم المبالغ وما كانت تكيدكم بأكثر مما تريدون أن تكيدوا به أنفسكم تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم، فلما سمعوا ذلك من النبي صلى الله عليه وسلم تفرقوا »[1].

بحكمته ﷺ وحسن سياسته فوت عليهم فرصة إشعال الحرب،وبالطرْق على وتر البنوة والأخوة[2].

والتهديد الثاني كان خطابا مباشرا للمهاجرين، فقد كتبت إليهم قريش تقول: «لا يغرنكم أنكم أفلتمونا إلى يثرب، سنأتيكم فنستأصلكم ونبيد خضراءكم في عقر داركم»[3].

هكذا بلغت تهديدات قريش بالمسلمين وهم في المدينة، ومن هنا بدأ ﷺ يجهز الغزوات والسرايا التي تستهدف إرباك قريش وحلفائها وإضعافهم وتحطيم معنوياتهم وضرب نشاطهم التجاري الذي يمثل عصب حياتهم وشريان وجودهم، وقد حرص صلى الله عليه وسلم أن تكون هذه الغزوات الأولى قائمة على المهاجرين فقط دون الأنصار[4].

وكان عدد تلك السرايا والغزوات حتى موقعة بدر الكبرى ثمانية وهي باختصار:

١- سرية سيف البحر:

بقيادة حمزة بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ في ثلاثين رجلا من المهاجرين

---

(١) المرجع السابق.

(٢) انظر: محمد منير الغضبان، المنهج الحركي، ص٢٢٤،

(٣) أبو داود، باب خبر بني النضير. والمباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢١٤.

(٤) ابن هشام، جـ٢، ص٢٢٤، ابن سعد، جـ٣، ص٤٥-٤٨، جوامع السيرة، ص١٠١-١٠٦.

ليضربوا عيرا لقريش قادمة من الشام، وفيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، وعندما التقى الجمعان، حجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني، وكان حليفا للفريقين، فلم يقتتلوا وكان ذلك في رمضان السنة الأولى من الهجرة الموافق مارس سنة ٦٢٣م، على رأس سبعة أشهر من هجرته صلى الله عليه وسلم.[1]

٢- سرية سعد بن أبي وقاص إلى الخَرَّار:

روى الواقدي بسنده إلى سعد، قال: قال رسول الله ﷺ «اخرج يا سعد حتى تبلغ الخرار، فان عيرا لقريش ستمر به، فخرجت في عشرين رجلا أو واحد وعشرين على أقدامنا، نكمن النهار ونسير الليل حتى صبّحناهم صبيحة خمس فوجدنا العير قد مرت بالأمس. وقد كان النبي ﷺ عهد إليّ ألا أجاوز الخرار، ولولا ذلك لرجوت أن أدركهم» وكان ذلك في ذي القعدة سنة١هـ الموافق مايو ٦٣٢م[2]

٣- غزوة الأبواء (ودان):

غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم في صفر على رأس أحد عشر شهرا من الهجرة ١هـ الموافق أغسطس سنة ٦٢٣م، يريد الاعتراض على عير لقريش ويريد بني ضمرة، فسار حتى بلغ الأبواء من ديار بني ضمرة، فلم يلق حربا، وكانت فرصة لموادعة بني ضمرة من كنانة، على أن لا يكثروا عليه ولا يعينوا عليه أحدا، وكتب في ذلك كتابا لزعيمهم محشي بن عمرو الضمري، وكان أول

---

(١) الواقدي، جـ١، ص٩، ابن سعد، جـ٢، ص٦، ابن إسحاق، ابن هشام، جـ٢، ٢١٨، وجميعهم بدون إسناد، مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٣٢٨، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢١٨.

(٢) الواقدي، المغازي، جـ١، ص١١، بإسناد متصل، ورجاله ثقات، مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء مصادرها الأصلية، ص٣٩٢، الرحيق المختوم،، ص١٢٩.

غزوة غزاها النبي ﷺ بنفسه[1].

٤- سرية عبيدة بن الحارث إلى رابغ:

عقد له رسول الله لواء في ستين رجلا من المهاجرين فسار حتى لقي جمعا عظيما من قريش، عليهم أبو سفيان، على ماء بالحجاز وقد ترامى الفريقان بالنبل، ولم يقع قتال، وكانت في شوال سنة ١هـ، الموافق أبريل سنة ٦٢٣هـ.

٥- غزوة بُواط من ناحية رضوى:

خرج الرسول ﷺ في مائتين من أصحابه ليعترض عيرا لقريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش وألفان وخمسمائة بعير، فبلغ بواط وهي جبال من ناحية جبل (رضوى) ثم رجع حين لم يعثر على القافلة، ولم يلق حربا، وكان ذلك في شهر ربيع الأول ٢هـ، الموافق سبتمبر سنة ٦٢٣هـ.

٦- غزوة سفوان (بدر الأولى - بدر الصغرى)

عندما أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينة في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا من الهجرة الموافق سبتمبر ٦٢٣م، خرج رسول الله ﷺ في طلبه حتى بلغ واديا يقال له سفوان من ناحية بدر، فلم يدركه، فعاد إلى المدينة[2]

٧- غزوة العُشيرة:

خرج الرسول صلى الله عليه وسلم في خمسين ومائة ـ ويقال في مائتين ـ من المهاجرين ، يعترض قافلة كبيرة لقريش في طريقها إلى الشام، وبلغ العشيرة وهي لبني مدلج، بناحية ينبع، ففاتته العير، وهي التي خرج يريدها حين عادت، ولكنها أفلتت، وكان لقاء بدر الكبرى بسببها.

ووادع في هذه الغزوة بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة، ثم عاد إلى

---

(١) ابن هشام جـ٢، ص٢٧٥، الواقدي، جـ١، ص١١-١٢، ابن سعد، جـ٢، ص٨.

(٢) ابن هشام، جـ٢، ص٢٨٨، ابن سعد، جـ٢، ص٩، الواقدي، جـ١، ص١٢، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢٢١.

المدينة، ولم يلق حربا[١].

٨- سرية نخلة:

في رجب سنة ٢هـ الموافق يناير ٦٢٤م، بعث رسول الله صلى الله علي وسلم عبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة في اثني عشر رجلا من المهاجرين كل اثنين يعتقبان على بعير، وكان رسول الله ﷺ كتب له كتابا وأمره أن لا ينظر فيه حتى يسير يومين، ثم ينظر فيه فسار عبد الله، ثم قرأ الكتاب بعد يومين فإذا فيه «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة من مكة والطائف فترصد بها عير قريش وتعلم لنا من أخبارهم»[٢].

وخطة الرسول ﷺ وهدفه من هذه السرية أن تكون مقدمة لغزوة، ولتزوده بأخبار وأسرار العدو وقد تم له ذلك.ولقد استطاع صلى الله عليه وسلم بحسن تخطيطه لتلك السرايا والغزوات أن يحقق الأهداف التالية:

١- الاستطلاع: استطاع المسلمون التعرف على الطرق المحيطة بالمدينة والمؤدية إلى مكة خاصة الطرق التجارية الحيوية لقريش بين مكة والشام، كما استطاعوا التعرف على قبائل المنطقة وموادعة بعضها.

٢- تحقيق حصار اقتصادي على تجارة قريش، إذ إنه بهذه الغزوات والسرايا هدد المسلمون أهم طريق تجاري بين مكة والشام، فأصبحت قوافل قريش غير آمنة حين تسلك هذا الطريق مما أثر أسوأ الأثر على تجارة قريش التي تعيش عليها، وهدد مكة بالحصار الاقتصادي لمحاولة حرمانها من سلوك طريق مكة الشام

---

(١) ابن هشام، ج٢، ص٢٨٤-٢٨٥، ابن سعد، جـ٢، ص٩-١٠، الواقدي، جـ١، ص١٢-١٣، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢٢١.

(٢) ابن حجر، الإصابة، جـ٢، ص٢٧٨، باسناد متصل، ابن هشام، جـ٢ ص٢٨٨-٢٩٣، ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، ص٢٧٤، د. مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ٣٣٤، الرحيق المختوم، ص٢٢٢.

بأمان.

٣- إرهاب العدو، أثبت المسلمون أنهم أقوياء ويستطيعون الدفاع عن أنفسهم وعقيدتهم تجاه المشركين من قريش والقبائل المجاورة وأهل المدينة، وتجاه اليهود، وقد أراد المسلمون من ذلك أن تترك لهم الحرية الكاملة لنشر دعوتهم دون تدخل من أعدائهم.

٤- التحالف مع بعض القبائل المجاورة وإيجاد ريف آمن حول المدينة، إذ إن كثيرا من القبائل المجاورة للمدينة أصبحت حليفات لها، وأصبحت تمد المدينة بالمؤن وتكون مجالا لنشاطها، إذ إن الحاضرة لا تستطيع أن تعيش بنفسها[1].

٥- الإسهام في تأمين إعاشة كثيرمن المهاجرين الذين قاموا بتلك السرايا والغزوات، إذ إن الغنائم كانت توزع عليهم دون غيرهم وكما ذكرنا آنفا إن المشاركين في هذه السرايا كلهم من المهاجرين فقط.

٦- ابتكار أساليب جديدة: ابتكر الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الرسائل المكتوبة للمحافظة على الكتمان وحرمان العدو من الحصول على المعلومات التي تفيد عن تحركات المسلمين، والكتمان أكبر عامل من عوامل مبدأ المباغتة التي هي إحداث موقف لا يكون العدو مستعدا له، والكتمان من جملة الوسائل المهمة التي تؤدي إلى المباغتة ، وهي أهم مبدأ من مبادئ الحرب[2]، وقد سبق المسلمون غيرهم في ابتكار هذا الأسلوب الدقيق.

وهكذا سار ﷺ منذ بدء دعوته وفقا لتخطيط بديع محكم، يسدده الوحي عند الإقتضاء حتى مكّن لدين الله ورفع رايته في أرجاء المعمورة.

وكذلك كانت جميع غزوات الرسول ﷺ نموذجا رائعا للتخطيط الدقيق

---

(١) أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة، ص٤٠٠.

(٢) الزعيم الركن، محمود شيت خطاب، الرسول القائد، ط٢، ١٩٦٠م مكتبة النهضة، بغداد، ص٦١.

المحكم، فكان قتاله لأعداء المسلمين يسير وفق خطة محكمة، فكان صلوات الله وسلامه عليه يستشير أصحابه، وينظم الجيش ويرص الصفوف، ويعين القادة، ويقول يحمل الراية فلان، فاذا استشهد ففلان، فاذا استشهد ففلان، وهكذا يدير أمور الحرب.

ففي غزوة بدر كانت هناك عمليات تخطيطية كثيرة وعظيمة ودروس وعبر جليلة من اختيار للموقع وإعداد لمواجهة العدو واستطلاع لأخباره واستشارة للجنود وغيرها كثير.

وفي غزوة الأحزاب أحاط الرسول صلى الله عليه وسلم المدينة بخندق كبير[١] كي يمنع الأعداء من دخولها، ويحفظ حمى المدينة وأهلها، كما أرسل نعيم بن مسعود[٢] رضي الله عنه عندما جاء مسلما ليخذّل القبائل عن حرب المسلمين، وقد نجح في مهمته تلك، وأرسل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ليستطلع خبر قريش في الليلة الباردة، وأمره أن لا يحدث شيئا حتى يخبر رسول الله ﷺ ، وبعد أن جاءه بأخبارهم، وأنهم عزموا الرجوع إلي مكة، قال حذيفة رضي الله عنه: «لولا عهد رسول الله ﷺ إلي «أن لا تحدث شيئا حتى تأتيني» ثم شئت لقتلة أبي سفيان بسهم»[٣]

وفي غزوة أحد عندما أمر الرماة أن يكونوا على الجبل وأمر عليهم عبد الله بن جبير بن النعمان الأنصاري رضي الله عنه، ويتضح حسن تخطيطه صلى الله عليه وسلم من خلال كلماته التي ألقاها إلى هؤلاء الرماة فقد قال لقائدهم: «انضح الخيل بالنبل لا يأتونا من خلفنا، إن كانت لنا أو علينا فاثبت مكانك لا نؤتين من

---

(١) صحيح البخاري، باب غزوة الخندق، جـ٢، ص٥٨٨، وابن هشام، جـ٣، ص٢٢٤.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ٣، ص٢٢٩.وابن حجر العسقلاني في الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٣، ص٥٢٨، دار الكتاب العربي، بيروت، بدون تاريخ طبع.

(٣) ابن هشام ، السيرة النبوية، جـ٣، ص٢٣٢.

قبلك»[1] .وفي رواية البخاري أنه قال: «إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا مكانكم هذا حتى أرسل إليكم، وإن رأيتمونا هزمنا القوم ووطأنهم، فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم»[2]، ويعلق الشيخ المباركفوري على هذا التخطيط قائلا: «وبتعيين هذه الفصيلة في الجبل مع هذه الأوامر العسكرية الشديدة سد رسول الله صلى الله عليه وسلم الثلمة الوحيدة التي كان يمكن لفرسان المشركين أن يتسللوا من ورائها إلى صفوف المسلمين ويقوموا بحركات الالتفاف وعملية التطويق»[3].

وكذلك وضع الرسول ﷺ بقية جنوده في الأماكن المناسبة فجعل على الميمنة المنذر بن عمرو، وجعل على الميسرة الزبير بن العوام، يسانده المقداد بن الأسود[4].

ولقد كانت خطة حكيمة ودقيقة لم يدع فيها ثغرة دون أن تملأ، وتجلت فيها مقدرة النبي صلى الله عليه وسلم العسكرية وأنه لا يمكن لأي قائد مهما تقدمت كفاءته أن يضع خطة أدق أو أحكم من هذا فقد احتل أفضل موضع من ميدان المعركة مع أنه نزل فيه بعد العدو، فقد حمى ظهره ويمينه بارتفاعات الجبل ، وحمى ميسرته وظهره ـ حين يحتدم القتال ـ بسد الثلمة الوحيدة التي كانت توجد في جانب الجيش الإسلامي، واختار لمعسكره موضعا مرتفعا يحتمي به إذا نزلت الهزيمة بالمسلمين ، وألجأ أعداءه إلى قبول موضع منخفض يصعب عليهم جدا أن

---

(١) ابن هشام، جـ٢، ص٦٥-٣٣.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد، جـ١، ص٤٢٦.

(٣) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٢٨٤.

(٤) المرجع السابق.

يحصلوا على شيء من فوائد الفتح إن كانت لهم الغلبة[1] وبفضل من الله سبحانه وتعالى، ثم بفضل هذا التخطيط المحكم تحقق النصر للمسلمين في بداية المعركة، ولكن عندما لم يلتزم بعض الجنود (الرماة) بالخطة المرسومة من قبل القيادة وقعت الهزيمة بجيش المسلمين، ولكن مرة أخرى تجلت لنا مقدرة الرسول صلى الله عليه وسلم التخطيطية، إذ إنه استطاع أن يحول هذه الهزيمة إلى نصر، حينما حاول جمع جنوده المتفرقين في ميدان المعركة، وكذلك مافعله في صبيحة اليوم الثاني من المعركة حين أمر جنوده بمطاردة فلول المشركين المتجهة نحو مكة. قال أهل المغازي ما حاصله «إن النبي ﷺ نادى في الناس وندبهم إلى المسير إلى لقاء العدو وذلك صباح الغد من معركة أحد وسار الرسول ﷺ والمسلمون حتى بلغوا حمراء الأسد على بعد ثمانية أميال من المدينة المنورة فعسكروا هناك»[2].

هذه نماذج يسيرة من التخطيط الدقيق للدعوة تبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم سار في دعوته إلى الله وفق خطة واضحة ومدروسة ومحددة الأهداف والمراحل، ولم يترك فيها ثغرة دون أن تملأ بتخطيطه وتدبيره.

ومن كل ذلك يمكننا استنباط مشروعية التخطيط للدعوة الإسلامية في كل عصر من العصور تأسيا برسول الله ﷺ كما أمرنا الله عز وجل في قوله تعالى: «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، وذكر الله كثيرا »[3].

---

(١) المرجع السابق.

(٢) المقريزي ، امتاع الأسماع، جـ١، ص١٦٧.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٢١.

الفصل الثاني
عناصر التخطيط الدعوي

المبحث الأول
معرفة الواقع

تمهيد:

لكل دعوة أهداف تسعى للوصول إليها، وأصحاب هذه الدعوات عندما يريدون أن ينقلوا إلى الناس فكرتهم فإن هذه الفكرة لا تلتقي بهؤلاء الناس وهم معزولون عن ظروف بيئتهم وأوضاع مجتمعهم، وإنما يكون لهؤلاء أساليبهم المعيشية وأنماط حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم التي ألفوها كما يكون لهم معتقداتهم ودياناتهم الخاصة بهم.

ولا شك أن للعادات والتقاليد المألوفة قوة تأثير على جوانب هذه النشاطات.

فالفكرة عندئذ تتعامل مع الإنسان الذي تحيط به مجموعة من الأحوال والظروف، كما أن الفكرة قد توافق وتلتقي مع بعض ما ألفه ودرج عليه، كما قد تتعارض مع البعض الآخر وهذا هو الغالب في الدعوات التي جاء بها رسل الله عليهم الصلاة والسلام.

وقدر كبير من النجاح الذي يمكن أن يحققه أصحاب هذه الدعوات في نشر دعوتهم وفكرتهم يعتمد على معرفتهم بالناس وأساليب حياتهم ومعتقداتهم، وكلما ازدادت معرفتهم بتلك الأمور وواقع حياة الناس، كلما كانوا أقدر على تحقيق مرادهم وبلوغ أهدافهم[1].

ودراسة هذا الواقع ومعرفته ليست مهمة فرد فحسب، وإن كان جهد الفرد ضروريا، ولكنها دراسة تقوم بها الدعوة من خلال كيانها وأفرادها وتحركها بصورة واعية، وقد خرج رسول الله ﷺ على الناس في جزيرة العرب بجديد لم يألفوه، والتقى بهم داعيا إلى ربه الواحد الأحد، وقد سبقت له حياة بينهم أمدها أربعون

---

(١) د. محمود يوسف مصطفى، العلاقات العامة والإعلام في الإسلام، الناشر مكتبة مصباح، جدة، ط، الأولى، ص٤٩، بتصرف.

سنة، قال الله تعالى: «قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون»[1].

ومن خلال تلك المعايشة وهذا الأمد الطويل عرف عليه الصلاة والسلام كيف تكون حياتهم؟ وكيف يتعاملون في المسائل التجارية؟ وما أسواقهم؟ وما عاداتهم القبيح منها والمستهجن؟ وما فضائلهم وعاداتهم المستحبة؟ لماذا يتقاتلون؟ وما دياناتهم ومعتقداتهم؟ ولعل موقفه ﷺ من أحوال تلك البيئة وظروف مجتمعه التي سوف أتناولها فيما بعد ليقوم دليلا على أنه صلى الله عليه وسلم أدرك أمراض هذا المجتمع قبل أن ينهض بأعباء الرسالة ويأتيه خبر السماء ويأمره بتبليغ الدين إلى الناس كافة[2].

بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الناس وقد اجتمع له من المعرفة بواقعهم وبأحوالهم، زادا جعله يواجههم على علم وبصيرة، فعلم لغتهم ولهجاتهم وعاداتهم وأدوات التأثير فيهم ومن يملكون قوة التأثير عليهم من قادة وزعماء وشعراء وخطباء، وعرف كيف يكون التخاطب معهم، أخرج الترمذي عن ابن عمر في صحيحه، أن النبي ﷺ قال: «اللهم أعزّ الإسلام بأحب الرجلين إليك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام» فكان أحبهما إلى الله عمر رضي الله عنه»[3] .هذا نموذج واحد من شواهد كثيرة تبين مدى معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم بالرجال وأحوالهم وقدراتهم، ومما يؤكد ذلك موقف عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - في نصرة الحق ونشر الدعوة، وسوف ترد في ثنايا البحث بإذن الله تعالى بعض النماذج والصور التي توضح مدى معرفة الرسول ﷺ بأحوال الرجال

---

(١) سورة يونس، الآية ١٦.

(٢) د. محمود يوسف مصطفى، العلاقات العامة والإعلام، مرجع سابق، ص٥١.

(٣) الترمذي، أبواب المناقب، مناقب أبي حفص عمر بن الخطاب، جـ٥، ص٦١٧، رقم٣٦٨١، والحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة، جـ٣، ص٨٣.

والقبائل والبلدان والممالك سواء أكانت داخل الجزيرة العربية أو من حولها.

والإنسان نتاج لبيئتة فهو ابن لها، ولا يمكن إنكار تأثيرها عليه، فمنها يكتسب لغته ووسيلة تعبيره عن نفسه، ويستمد قيمه وعاداته وتقاليده عن طريق تفاعله مع أحوالها وظروفها.

لقد عاش الإنسان العربي قبل ظهور الإسلام حياته في بيئة لها ظروفها وأحوالها التي كان لها تأثيرها وكان له تأثيره عليها كذلك[1].

فالبيئة بمناخها وظروفها الجغرافية انعكست على حياة الإنسان العربي فاستوطن في مكان واتخذ القرى والمدن مسكنا له حينما توافرت للاستيطان أسبابه وارتحل بحثا عن العشب وموارد الكلأ واحترف التجارة عملا ومرتزقا فجاب البلدان وانتقل بينها حاملا بضائع من مكان لتروج في مكان آخر، كذلك احترف الزراعة في الواحات والوديان وبنى المدن وشق الأنهار مما جعل هناك نوعا من الاستقرار في بعض أجزاء شبه الجزيرة العربية، وقامت حياة العربي الاقتصادية كذلك على الأسواق التي كانت منتشرة في أرجاء الجزيرة العربية فباع واشترى[2]، وراجت في تلك الأسواق بضاعة البيان فتنافس الشعراء فيما بينهم، وقد كانت لهم المكانة عند القبيلة، فالشاعر لسان حال قبيلته يتغنى بما فيها ويذود عنها ويمدح من شاء ويهجو من شاء والناس يرددون أشعارهم، فقد كانت

---

(١) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، التاريخ الاقتصادي الاجتماعي الثقافي السياسي، جـ١، ص٦٣، بتصرف، الناشر، دار الفارابي، بيروت، ط١، ١٩٨٩م.

(٢) الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، ص٤١١، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م، أيضا البلاذري: معجم المعاجم الجغرافية للسيرة النبوية، ص٢١٥، دار مكة ١٤٠٥هـ.

قصيدة الشاعر تطير مع الرياح عبر أرجاء الصحراء[١].

والعربي في حله وترحال له معبوداته التي يدين لها بالولاء والطاعة ويلجأ إليها عند الحاجة ويصطحبها معه إذا ترك مكانه الأصلي تبركا بها وحماية له من شرور الجان الذين يسكنون الصحاري أو القفار إذ كان يتخيل ذلك[٢].

وكانت الكعبة عند العرب مكانا له قدسيته وجلاله وحولها تتناثر أصنامهم التي يعبدونها، وقد تولد عند العربي في بيئته هذه شعور قوي بالولاء لقبيلته دون ما عداها فظهرت العصبية القبلية حتى قال شاعرهم[٣]:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فأصبح العربي غيه ورشده مرتبطا بعشيرته، فاذا ضلت ضل معها وأمعن في ضلاله، وإن اهتدت اهتدى معها واستقام في هداه.

واندفع العربي بحميته الجاهلية مضحيا بكل شيء في سبيل نصرة قبيلته وتلبية نداء الأخوة القبلية، فهب لنصرة أخيه ظالما أو مظلوما، وقامت الحروب لأتفه الأسباب واستمرت السنين الطوال[٤].

---

(١) د. علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ط٢، ١٩٦٦م، مكتبة الجامعة العربية بيروت، جـ١، ص١٦٧.

(٢) أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي، كتاب الأصنام، نسخة مصورة عن ط. دار الكتب، سنة ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م، ص٢٥، ، محمد مبروك، تاريخ العرب، عصر ما قبل الإسلام، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٩٥٢، ص٦٥.

(٣) البيت من قصيدة لدريد بن الصمة، الأصمعيات.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١، ص٥٦٦، وما بعدها، دار صادر، بيروت، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، أحمد أمين، فجر الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١٠، ١٩٦٩م، ص٢٧، بتصرف.

وكانت لتلك البيئة العربية قبل الإسلام عاداتها كشرب الخمر ولعب الميسر وممارسة المجون والخلاعة والعُري ووأد البنات، وقد حارب الإسلام فيهم كل ذلك، وإلى جانب عاداتهم المذمومة كانت لهم فضائل كالكرم والوفاء بالعهد والعفة والمروءة والنجدة والنهوض لنصرة المظلوم أحيانا، وقد استحسن الإسلام فيهم ذلك فأقرهم عليه، وفي ذلك جاء الحديث: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»[1].

وإنني إذ أستعرض أحوال البيئة العربية وظروفها خلال هذا المبحث لمعرفة الواقع الذي كان قائما قبيل ظهور الإسلام، فإنني أهدف إلى تقديم صورة وصفية لهذا الواقع الذي التقت به الدعوة الإسلامية بظروفها وأحوالها عندما شرع الرسول ﷺ بنشر دعوته بين الناس ويغرس فيهم القيم والمفاهيم الإسلامية ويعمل على إقناعهم بها والسير على هداها.

وقبل أن نقدم وصفا لهذا الواقع الذي كان قائما آنذاك، يستحسن أن نحدد المقصود بالعصر الجاهلي الذي يتصدى هذا المبحث لدراسة أحوال البيئة العربية فيه.

* *المقصود بالعصر الجاهلي:*

قد وردت تعريفات عديدة لعصر ما قبل الإسلام في الجزيرة العربية، عند جمهور المؤرخين والمحدثين وأصحاب السير، وقد عرفوه (بالعصر الجاهلي) ويقصد بالجاهلية الحال التي كان عليها العرب قبل الإسلام.

ومن هذه التعريفات:

إن الجاهلية هي: «الزمان الذي كثر فيه الجهال، وأن هذا الاسم حدث في الإسلام للزمن الذي كان قبل بعثة الرسول ﷺ[2]».

---

(١) رواه مالك في الموطأ، كتاب حسن الخلق، باب ما جاء في حسن الخلق، جـ٢، ص٩٠٤.

(٢) السيد محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، المطبعة الرحمانية، مصر، ط٢، ١٣٤٢هـ، جـ١، ص١٥.

وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

١- قوله تعالى : «يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية»[١].

٢- قوله تعالى: «أفحكم الجاهلية يبغون»[٢]

٣- قوله تعالى: «وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى»[٣].

٤- قوله تعالى: «إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية»[٤]

ويبدو من تفسير هذه الآيات، أن المقصود بهذه اللفظة ما كان قبل مجيء الإسلام، ففي تفسير الآية الأولى يقول الطبري: «ظن الجاهلية من أهل الشرك، شكا في أمر الله، وتكذيبا لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومحسبة منهم أن الله خاذل نبيه، ومعلٍ عليه أهل الكفر به»[٥]، ويقول في الآية الثانية: «يعنى أحكام عبدة الأصنام، من أهل الشرك، وعندهم كتاب الله فيه بيان حقيقة الحكم الذي حكمت به فيهم، وأنه الحق الذي لا يجوز خلافه»[٦]، وفي الآية الثالثة يتعرض لبيان المقصود بالجاهلية الأولى، ويذكر فيها أقوالا كثيرة منها: أنها الزمن بين آدم ونوح، ومنها أنها ما بين نوح وإدريس، ومنها أنها ما بين عيسى ومحمد ﷺ ، مبينا ما كان في كل فترة من هذه الفترات من المنهيات المقصودة في الآية

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٥٤.

(٢) سورة المائدة، آية ٥٠.

(٣) سورة الأحزاب، آية ٢٣.

(٤) سورة الفتح، آية ٢٦.

(٥) الإمام الطبري، جامع البيان عن تأويل أي القرآ، جـ٤، ص١٤١، ط دار الفكر بيروت لبنان،١٤٠٨هـ١٩٨٨م.

(٦) المرجع السابق، جـ٤، ص٢٧٤.

الكريمة، »[١] وفي الرابعة يقول: «حمية الجاهلية حين جعل سهيل بن عمرو - في صلح الحديبية - في قلبه الحمية فامتنع أن يكتب في كتاب المقاضاة، الذي كتب بين الرسول ﷺ والمشركين : بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب له: محمد رسول الله، وامتنع هو وقومه من دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عامه ذلك، وقال: حمية الجاهلية؛ لأن الذي فعلوا من ذلك كان جميعه من أخلاق الكفر، ولم يكن شيء منه، مما أذن الله لهم به ولا أحد رسله»[٢] ا.هـ.

وقد جاء في لسان العرب في تعريف الجاهلية[٣] : «زمن الفترة ولا إسلام، وقالوا الجاهلية الجهلاء، فبالغوا.. وهي ما كان عليها حال العرب قبل الإسلام من الجهل بالله سبحانه وتعالى، ورسوله ﷺ وشرائع الدين والمفاخرة بالأنساب، والكِبْر والتجبر وغير ذلك».

ويفصل الألوسي القول في معاني الجاهلية فيقول: «أن لفظ الجاهلية قد يكون اسما للحال وهو الغالب في الكتاب والسنة، وقد يكون اسما لذي الحال، ففي الأول قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه : «إنك امرؤ فيك جاهلية» وقول عمر رضي الله عنه: «إني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة»، وقول عائشة رضي الله تعالي عنها: «كان النكاح في الجاهلية على أربعة أنحاء،وقولهم يارسول الله كنا في زمن جاهلية وشر،أي في حال جاهلية أو طريقة

---

(١) المرجع السابق، جـ١٢، ص٤.

(٢) المرجع السابق، جـ١٣، ص١٠٣.

(٣) العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، جـ٤، ص١٢٩، دار صادر، بيروت، ١٩٥٥م، ١٣٧٤هـ.

جاهلية أو عادة جاهلية ونحو ذلك، فإن الجاهلية وإن كانت في الأصل صفة ولكن غلب عليها الاستعمال حتى صارت اسما ومعناه قريب من المصدر، وكذلك من أمثلته في الكتاب الآيات التي سبق ذكرها.

أما الثاني فنقول: طائفة جاهلية وشاعر جاهلي[1]، ولعل من المناسب حتى يكون التعريف محددا فلا بد من تحديد الفترة المقصودة، وقد حددها الباحثون في الأدب الجاهلي، يقول الدكتور شوقي ضيف: «فلا يتوغلون به - أي الأدب في العصر الجاهلي - إلى ما وراء قرن ونصف من البعثة النبوية بل يكتفون بهذه الحقبة، ويقفون بالعصر الجاهلي عند هذه الفترة المحددة، أي مائة وخمسون عاما قبل الإسلام»[2]، وكذلك ينبغي لنا أن نعرف ما المقصود بكلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر؟ وهل هي مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه؟ أو من الجهل الذي هو ضد الحلم؟ وبتحديدنا لهذا المعنى تتضح لنا صورة العصر الجاهلي الذي نعني.

يقولُ الدكتور السيد سالم عبد العزيز في هذا الشأن: «ولفظة الجاهلية هذه ليست مشتقة من الجهل أو الجهالة نقيض العلم والمعرفة كما يتوارد إلى الذهن، ولكنها مشتقة من الجهل الأخلاقي، أي السفه والغضب والأنفة والحمية والعصبية والمفاخرة وكلها صفات تناقض صفات الحلم»[3].

ولعل مما يؤيد هذا القول ما جاء في القرآن الكريم في قوله تعالى: «وإذا

---

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، جـ١، ص١٦.

(٢) د. شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٠م ص٣٨، وما بعدها.

(٣) د. السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مطبعة النهضة، بيروت، ١٩٧١م ص١٣.

خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما»[1]، ويعني بالجهل هنا سرعة الانفعال والغضب.

ومن الذين قالوا بذلك أيضا الدكتور أحمد أمين، إذ يقرر «أن الجاهلية عند العرب ليست من الجهل الذي هو ضد العلم، ولكن من السفه والغضب والأنفة، لهذا كانت الكلمة تدل على الخفة والأنفة والحمية والمفاخرة، ولهذا يقابلها هدوء النفس والتواضع والاعتداد بالعمل الصالح لا بالنسب»[2].

ولعل الذي قرره الدكتور أحمد أمين في مقابلة هذه الكلمة (الجهل) هو ما جاء به الإسلام.

ويقول في ذلك الدكتور شوقي ضيف، بعد أن عرّف المقصود بالعصر الجاهلي[3]: «... وينبغي أن نعرف أن كلمة الجاهلية التي أطلقت على هذا العصر ليست مشتقة من الجهل الذي هو ضد العلم ونقيضه، وإنما هي مشتقة من الجهل بمعنى السفه والغضب والنزق، فهي تقابل كلمة الإسلام التي تدل على الخضوع والطاعة لله عز وجل، وما يطوي فيها من خلق كريم، ودارت الكلمة في الذكر الحكيم وفي الحديث النبوي والشعر الجاهل بهذا المعنى من الحمية والطيش والغضب، فقال تعالى: «قالوا أتتخذنا هزوا، قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين»[4]، وقال الله تعالى: «خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين»[5]، وقال الله تعالى: «وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا

---

(١) سورة الفرقان، آية ٦٣.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٣٨.

(٣) د. شوق ضيف، المرجع السابق، ص٣٨.

(٤) سورة البقرة آية ٦٧.

(٥) سورة الأعراف آية ١٩٩.

وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما »[١].

وفي الحديث النبوي أن الرسول ﷺ قال لأبي ذر رضي الله عنه وقد عيّر رجلا بأمه : «إنك امرؤ فيك جاهلية»[٢]

ومن الشعر : ما جاء في معلقة عمرو بن كلثوم التغلبي:

ألا لا يجهلن أحد علينا ... فنجهل فوق جهل الجاهلينا[٣]

وواضح من هذه النصوص جميعا أن الكلمة استخدمت من قديم للدلالة على السفه والطيش والحمق، وقد أخذت تطلق على العصر القريب من الإسلام، أو بعبارة أدق على العصر السابق له مباشرة، وكل ما فيه من وثنية ، وأخلاق قوامها الحمية والأخذ بالثأر واقتراف ما حرمه الدين الحنيف من موبقات»[٤].

ولعلي بسردي لهذه التعريفات لمفهوم (الجهل) أو الجاهلية التي وصم بها العرب قبل الإسلام أكون قد وضحت أن العرب لم يكونوا جاهلين جهلا ينافي العلم، فقد ثبت أنهم كانوا أهل ذكاء ودراية وخبرة وكان فيهم أذهان صافية ونظرات صادقة في الطبيعة وأحوال الإنسان بما لا يقل عن بعض نظرات الفلاسفة والباحثين والمفكرين، ويحكى لنا التاريخ كثيرا عما كان في جزيرة العرب في ذلك الوقت مما يدل على أنهم حينئذ لم يكونوا في جهل تام، بل كانوا على شيء من العلم والتفكير[٥].

ومما يؤكد أن العرب قبل الإسلام كانوا على شيء من العلم والمعرفة أسلوب

---

(١) سورة الفرقان، آية ٦٣.

(٢) البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان، الفتح، جـ١، ص٨٤، حديث ٣٠.

(٣) انظر البيت: في شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، لابن الأنباري، ص٤٢٦.

(٤) شوقي ضيف، المرجع السابق، ص٣٩.

(٥) د. علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ، جـ١، ص١٤.

القرآن الكريم الذي هو أعلى درجات الفصاحة وأقوى مراتب البيان، فقد نزل ليكون معجزة لقوم لهم تقدم ورسوخ في ميادين البلاغة وروعة التعبير، فقد كانوا يفهمونه ويدركون مقاصده، ويكثرون من الجدل والمناقشة حوله، وذلك لا يتسنى لجاهل ليس لديه شيء من علم أو معرفة أو خبرة أو دراية سابقة.

ثم إن آثارهم العظيمة التي يتحدث عنها التاريخ من مدن فخمة، ومبانٍ شاهقة وأعمال هندسية فنية، ونظم في المعيشة، والسياسة والتجارة والحروب وأدوات القتال وغيرها، وما قيل عن معارفهم وتجاربهم وخبراتهم في نواح متعددة تدل على تفكير عقلي سليم، وإدراك قوي صحيح[١].

كل هذا ينفي عن العرب قبل الإسلام الجهل الذي ينافي العلم على الإطلاق، اللهم إلا إذا خصصنا هذا الجهل بناحية معينة. وهي الناحية الدينية، ففي تلك الحالة يكون وصف العرب قبل الإسلام بالجهل الديني وصفا معقولا، ومطابقا للواقع. فالعرب قبل الإسلام بالفعل كانوا في حال جاهلية من الأقوال والأفعال من عبادة للأحجار والأشجار والكواكب، ووأد لأولادهم ويستدل على ذلك بما رواه ابن جرير الطبري في تفسيره[٢] عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «إذا سرك أن تعلم جهل العرب، فاقرأ ما فوق الثلاثين ومائة من سورة الأنعام: «قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم، وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله، قد ضلوا وما كانوا مهتدين»[٣].

فإنهم قبل بعثة الرسول ﷺ كانوا في ضلال ديني وظلام دامس في العقيدة، وما كانوا يعرفون الدين الصحيح، فلما جاء الإسلام كشف لهم الحقيقة وهداهم

---

(١) د. علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، مرجع سابق ص١٦٥.

(٢) الطبري، جامع البيان جـ٨، ص٥١، وعزاه الشوكاني في تفسيره للآية (١٤٠) إلى البخاري ولم أجده.

(٣) الأنعام آية ١٤٠.

إلى الصراط المستقيم وأخرجهم من الظلمات إلى النور فأزاح عنهم جهل العقيدة وأسبغ عليهم نور العلم.

ولعل خير من وصف لنا الجاهلية أحد الذين عاشوا في ظلامها وعاشوا في نور الإسلام، جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما سأله النجاشي ملك الحبشة، عما جاء به النبي ﷺ فقال: «أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام ونسيء الجوار ويأكل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده،ولا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام...»[١].

بعد هذا العرض لما يقصده المؤرخون والدارسون بالعصر الجاهلي، والذي يمثل لنا الواقع الذي واجهته الدعوة الإسلامية في أول ظهورها، فإنني سوف أتناول أحوال هذا الواقع من الجوانب التالية:

المطلب الأول: معرفة الواقع الاقتصادي.

المطلب الثاني: معرفة الواقع السياسي.

المطلب الثالث: معرفة الواقع الاجتماعي.

المطلب الرابع: معرفة الواقع الديني.

المطلب الأول

معرفة الواقع الاقتصادي الذي كان قائما عند مجيء الإسلام

يمثل الجانب الاقتصادي لأي مجتمع صورة لأحد معالمه البارزة ودعائمه

---

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ص٣٣٥-٣٣٦.

الأساسية التي يقوم عليها والتي تؤثر في غيرها من الجوانب والنواحي وتتأثر بها.

والحالة الاقتصادية للبيئة العربية الجاهلية قبل الإسلام تمثل جانبا من جوانب صورة واقع الحياة العربية الجاهلية التي واجهتها الدعوة الإسلامية وعملت على تغيير الجوانب السيئة والأوضاع غير السليمة لهذا الواقع الذي كان قائما، وتهذيب الجوانب الحسنة وصبغها بالصبغة الإسلامية والتي تتفق مع الفطرة السليمة.

وسأعرض هذا الواقع الاقتصادي الذي كان قائما في النقاط التالية:

١- طبيعة بلاد العرب.

٢- أقسام سكان بلاد العرب.

٣- النشاطات والحرف السائدة في البيئة العربية.

٤- أسواق العرب في الجاهلية.

* *أولا: طبيعة بلاد العرب:*

تختلف بلاد العرب من حيث طبيعتها باختلاف أجزائها، فالقسم الأكبر منها بادية تتخللها واحات وأجواء وأغوار تتجمع فيها مياه الأمطار أو تتسرب في الأرض، أما الوديان فقليلة وتقع في أطراف شبه الجزيرة، وقد كان ذلك الاختلاف الواضح في طبيعة الجزيرة العربية الجغرافية سببا في وجود نوعين من السكان:

أ- البدو، ويعرفون أيضا باسم الأعراب، ويسكنون في البادية، وكما قال تعالى في شأنهم: «وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب»[1].

ب- الحضر، ويسكنون في المدن، ويشتغلون بالزراعة أو التجارة أو

---

(١) سورة الأحزاب آية ٢٠.

الصناعة، وهم أهل المدر أو أهل الحجر أي سكان المدن[١].

تقع بلاد العرب في أقصى الجنوب الغربي من قارة آسيا، وهي التي تعرف بشبه الجزيرة العربية، ويحدها من الشمال بلاد الشام، ومن الشرق الخليج العربي، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الغرب البحر الأحمر[٢].

وقد أطلق العرب على بلادهم اسم (شبه الجزيرة) لأن الماء يدور بها من ثلاث جهات في جنوبيها وغربيها وشرقيها، فهي شبه جزيرة وليس في الأرض شبه جزيرة تضاهيها في المساحة[٣].

ويتوزع سكان شبه الجزيرة العربية بين ربوع صحاريها الواسعة ومدنها وقراها المترامية، فمن كان يسكن المدن والقرى كانوا يسمون (الحضر) ومن كان ينزل في البادية كانوا يسمونه (البدو) وكان لكل من هذين النوعين أسلوب خاص في الحياة والمعيشة، أوجدته ظروف البيئة التي كانت تحيط به.

* *أولا: سكان الحضر:*

هم سكان المدن والقرى وكانوا يعيشون على موارد ثابتة من الرزق كالزراعة والتجارة والصناعة، والأولى تزدهر حيث الأرض الخصبة والمياه الغزيرة اللازمة للإنبات والزرع والسقي والاستثمار، وهذه توجد في الجهات التي تسقط فيها الأمطار بكثرة، أو تفيض فيها العيون والآبار بوفرة، وهذه الأماكن توجد في الجنوب والشرق وواحات الحجاز، مثل يثرب والطائف ووادي القرى ودومة الجندل وتبوك وخيبر وتيماء، وقد كانت اليمن جنة وارفة الظلال حتى أجمع المؤرخون على

---

(١) الشيخ محمود شكري الألوسي، بلوغ الأرب، جـ١، ص١٢.

(٢) الهمذاني: كتاب صفة جزيرة العرب، نشره المؤرخ محمد عبد الله بلعيد النجدي، القاهرة، ١٩٥٣م، ص٤٧، ياقوت الحموي، معجم البلدان، مادة جزيرة العرب.

(٣) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط، بغداد، جـ١، ص٨٦، وما بعدها.

امتداح غنى اليمن، وسموها بالأرض السعيدة، ومما قاله المسعودي [1] في ذلك: «ذكر أصحاب التاريخ القديم أن أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها وأكثرها جنانا وغيطانا، وأفسحها مروجا، مع بنيان حسن، وشجر مصفوف، ومساكب للماء متكاثفة، وأنهار متفرقة، وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجد على هذه الحال، وفي العرض مثل ذلك، أن الراكب أو المار كان يسير في تلك الجنان من أولها إلى آخرها لا يرى جهة الشمس ولا يفارقه الظل لاستتار الأرض بالعمارة والشجر، واستيلائها عليها، وإحاطتها بها، فكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه، وأهنأ حال وأرغده، ونهاية الخصب وأطيب الهواء وصفاء الفضاء...»، ولا شك في أن هذا القول صحيح، فقد حكى الله عنهم [2] ذلك بقوله تعالى: «لقد كان لسبأ في مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم، واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور» [3].

وهكذا كان اليمن على وجه العموم أهل حضر، وكانت لهم مدن وقصور وأثاث ورياش.

وظلت اليمن في القرنين السابقين لظهور الإسلام بلدا زراعيا على الرغم من أنها كانت فقدت أهميتها الاقتصادية بانهيار سد مأرب، واستقلالها السياسي بالاحتلال الأجنبي الحبشي الفارسي لأراضيها، وهجرة بعض قبائلها (الغساسنة والتنوخيين والمناذرة) إلى مناطق أخرى على أطراف الجزيرة [4].

---

(١) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، جـ٢، ص٤٨، ط٣، دار الأندلس، ١٩٧٨م، بيروت.

(٢) انظر: ياقوت الحموي، جـ٣، ص١٨١، ط دار صادر بيروت، ١٩٧٩م، ١٣٩٩هـ.

(٣) سورة سبأ، آية ١٥.

(٤) السهيلي، الروض الأنف، جـ١، ص٣٥، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٨٦هـ ١٩٦٦م. برهان دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص٦٧.

لقد ألحق انهيار سد مأرب في القرن السادس الميلادي أضرارا بالغة في اقتصاد اليمن الزراعي، عبر عنها القرآن الكريم بقوله: «فأرسلنا عليهم سيل العَرِمِ وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أُكُلٍ خمط وأثل وشيء من سدر قليل»[١]، وبذلك يمكن القول بأنه حيثما وجدت الزراعة كان الخير الكثير، والحياة المستقرة، فأقاموا بين مزارعهم، وجعلوا مساكنهم ثابتة في وسطها فنشأت هناك القرى والمدن ومراكز الخدمات.[٢]

أما التجارة فقد كانت فرعا رئيسا في اقتصاد الجزيرة، نشطت بتفاعلها مع الزراعة والحرفة، ذلك أن إنتاج الفائض عن حاجات الناس الخاصة المباشرة من المنتجات الزراعية أدى بالضرورة إلى نشوء حركة التبادل السلعي، ثم إلى زيادة في نشاط هذه الحركة.

وقد كانت التجارة قديما في يد اليمن، وكانوا هم العنصر الظاهر فيها، فعلى يدهم كانت تنقل غلات حضرموت وظفار وواردات الهند إلى الشام ومصر[٣] ثم انحط اليمنيون لأسباب منها:

١- سقوط الدولة الحميرية بيد الأحباش مما أدى إلى نشوب الحرب بين الفرس والبيزنطيين، مما عرقل التجارة المارة بالعراق.[٤]

٢- انهيار سد مأرب في اليمن، وتفرق سكان البلاد إلى أنحاء الجزيرة

---

(١) سورة سبأ ، آية ١٦.

(٢) على الجندي، تاريخ الأدب، جـ١، ص٨٥.

(٣) المرجع نفسه، والصفحة نفسها.

(٤) د. صالح أحمد العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ط٢، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٥٩م، جـ١، ص٩٣.

المختلفة.[١]

٣- النشاط التجاري الذي قام به الرومانيون في البحر الأحمر وفي ذلك العهد، فكان ضربة شديدة لتجارة اليمن[٢]، وحل محل اليمن في القبض على ناحية التجارة عرب الحجاز، وكان ذلك منذ نهاية القرن السادس الميلادي، إذ إن قريشا احتكرت تجارة الهند بفضل جهود زعيمها هاشم بن عبد مناف، الذي يعتبر أول من سن رحلتي الشتاء والصيف، رحلة الشتاء إلى الشام، ورحلة الصيف إلى الحبشة،[٣] وقيل رحلة الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، ورحلة الصيف إلى الشام،[٤] وذكر اليعقوبي في ذلك أن تجارة قريش كانت لا تعدو مكة، فكان القرشيون يعانون ضيقا بسبب ذلك إلى أن رحل هاشم إلى بلاد الشام التابعة لقيصر ، وشاع عنه الكرم والسماحة وبلغ ذلك قيصر، فأرسل إليه، فلما رآه سمع كلامه أعجب به، فقال له هشام: «أيها الملك لي قوم وهم تجار العرب، فتكتب لهم كتابا يؤمنهم ويؤمن تجارتهم حتى يأتوا بما يستطرف من أدم الحجاز وثيابه، ففعل قيصر ذلك ، فجعل كلما مر بحي من العرب أخذ من أشرافهم الإيلاف (العهد) أن يأمنوا عندهم وفي أرضهم،فأخذوا الإيلاف من مكة والشام[٤]

وذكر البلاذري أن هاشم بن عبد مناف أخذ لقريش «عصما من ملوك الشام فاتجروا آمنين، ثم أن أخاه عبد شمس أخذ لهم عصما من صاحب الحبشة، وإليه

---

(١) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص٥.

(٢) المرجع السابق، ص٥.

(٣) العميري: الروض المعطار، ص٤١١.

(٤) البلاذري: أحمد بن يحيى أبو الحسن، فتوح البلدان، نشره د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، جـ١، ص٤١.

(٤) العميري، الروض المعطار، ص٤١٣. والطبري، جامع البيان، جـ١٤، ص٣٠٨-٣٠٩.

كان متجره، وأخذ لهم المطلب بن عبد مناف عصما من ملوك اليمن، وأخذ لهم نوفل بن عبد مناف عصما من ملوك العراق، فألفوا الرحلتين في الشتاء إلى اليمن والحبشة والعراق، وفي الصيف إلى الشام»[١]، وفي ذلك يقول مطرود بن كعب الخزاعي:

يا أيها الرجل المحول رحله   هلا نزلت بآل عبد مناف

الآخذون العهود من آفاقها   والراحلين لرحلة الإيلاف[٢]

وكان من العوامل التي ساعدت على ازدهار النشاط التجاري في الحجاز وتوسيع آفاقه فيما حولها خلال القرنين السابقين لظهور الإسلام ما يلي:

١- موقع الحجاز الجغرافي الإستراتيجي، إذ يمر بها طريقان رئيسان من طرق التجارة العالمية آنذاك: الأول: الطريق البري الذي تسلكه القوافل بين اليمن والشام عبر الطائف ومكة ويثرب. والثاني: طريق البحر الأحمر الموصل إلى الهند وجنوب شرقي آسيا، ولذلك كانت الحجاز جسرا يربط بلاد الشام وحوض البحر الأبيض المتوسط باليمن والحبشة وشرقي إفريقيا والبلاد المطلة على المحيط الهندي.[٣]

٢- مركز الحجاز الديني: لأن قريشا أهل الكعبة التي يدين العرب بعظمتها وتقديسها يقول تعالى: «لإيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا

---

(١) البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٩.

(٢) الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، جـ١، ص٨٤-٨٥، الناشر، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م.

(٣) برهان الدين الحلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، ص١٣٠.

رب هذا البيت الذين أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف»[١]، قال الزمخشري في الكشاف[٢]: «كانت لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن، وفي الصيف إلى الشام، فيمتارون ويتجرون، وكانوا في رحلتهم آمنين، لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته، فلا يتعرض لهم، والناس غيرهم يتخطفون ويغار عليهم، قال تعالى: «أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون»[٣].

٣- الحروب المتواصلة بين فارس وبيزنطة، وهي حروب انتهت بتغلب الفرس على الروم، كما أشار إلى ذلك القرآن في قوله تعالى: «الم، غُلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون»[٤].

وبإغلاق المسالك التجارية عبر آسيا القريبة، وهكذا أصبحت الحجاز ملتقى القادم إلى اليمن أو المجتاز إلى الطائف أو المتوجه إلى الشام والمشرق[٥].

٤- تدهور الأوضاع الاقتصادية في اليمن وفقدانها لاستقلالها السياسي نتيجة للاحتلال الحبشي عام ٥٢٥م فالساساني ٥٧٥م[٦].

٥- تنظيم الأسواق المحلية والموسمية العامة (عكاظ، مجنة، ذو المجاز،

---

(١) سورة قريش، آية ١-٤.

(٢) الزمخشري: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، شركة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط. الأخيرة، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م جـ٤، ص٢٨٧. والطبري في جامع البيان، جـ١٤، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٣) سورة القصص، آية، ٥٧.

(٤) سورة الروم، الآيات، ١-٣.

(٥) البلاذري، فتوح البلدان، ص٤٩ وما بعدها.

(٦) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٣.

سوق بني قينقاع، سوق دومة الجندل، أسواق البحرين واليمامة، والواحات وغيرها)[١].

* *تجارة قريش ومكانتها:*

كان التجار القرشيون يخرجون بتجارتهم في قوافل عظيمة يقصدون بها بلاد اليمن حينا وبلاد الشام، أحايين أخرى[٢].

وقد ذكر ابن هشام في خبر غزوة بدر أن رسول الله ﷺ سمع بأبي سفيان بن حرب مقبلا من الشام في عير عظيمة لقريش فيها أموال لقريش وتجارة من تجارتهم وفيها ثلاثون رجلا من قريش أو أربعون، منهم مخرمة بن نوفل وعمرو بن العاص»[٣]. وكانت هذه القوافل تخرج مع عظيم استعداد وكبير حيطة، تتقدمها الكشافة تتعرف ما في الطريق والهداة يهدون السبيل والحراس يخفرون القافلة.

وهكذا عاش أهل مكة على التجارة واعتمدوها مورد رزقهم، وقد وصف الواقدي قبيلة قريش بأنها قبيلة من التجار[٤].

وقد روي أن النبي صلى الله عليه وسلم، سافر متاجرا مرتين، مرة سنه اثنتا عشرة سنة إلى بصرى مع عمه أبي طالب ومرة أخرى وسنه خمس وعشرون سنة في أموال السيدة خديجة - أم المومنين - رضي الله عنها»[٥].

وكان الحج إلى جانب التجارة موردا هاما لقريش، تبيع ما عندها للأعراب

---

(١) نفس المصدر.

(٢) السهيلي: الروض الأنف، جـ١، ص٩٤، مطبعة الجمالية، مصر، ١٣٣٢هـ ١٩٧٤م.

(٣) ابن هشام، سيرة ابن هشام، جـ٢، ص٦٩.

(٤) الواقدي، مغازي الرسول ﷺ، مطبعة السعادة، ص١٥٤.

(٥) المقريزي: إمتاع الأسماع، جـ١، ص٩، مطبعة لجنة التأليف والنشر والترجمة، القاهرة، ١٩٤١م.

القادمين إليها من البادية ولأهل القرى البعيدة عن مكة، وتشترى منهم ما يحملونه معهم من موارد وسلع ثم تقوم قوافل قريش بنقل الفائض مما اشترته إلى الأسواق الخارجية في بلاد الشام والعراق، وتشتري في مقابل ذلك ما يحتاج إليه أهل الحجاز وأعراب البادية من موارد وبضائع.[١]

ولم تكن التجارة خاصة بالرجال دون النساء، فقد مارستها بعض ثريات مكة مثل خديجة بنت خويلد التي كانت تتجر بمكة وتستأجر الرجال للسفر بتجارتها إلى الشام،[٢] وأم أبي جهل التي كانت تتاجر في العطور التي تجلب لها من اليمن[٣] .

وكان كل أهل مكة يشتركون في المساهمة في القوافل التجارية حتى تعود عليهم بالأرباح الوفيرة كما يروي لنا ذلك الواقدي..« ... إن القافلة التي كان يقودها أبو سفيان والتي كان الهجوم عليها سببا في نشوب معركة بدر عام ٦٢٤م كانت مؤلفة من ألف جمل وفي رواية ألفين وخمسمائة »[٤]، وكانت فيها أموال عظام، ولم يبق بمكة قرشي ولا قرشية له مثقال فصاعدا إلا بعث به في العير[٥]. وكان يقال أن فيها الخمسين ألف دينار.. وأن أكثر ما فيها من المال ثلاثين ألف دينار، لآل سعيد بن العاص، إما مال لهم أو مال مع قوم قراض على النصف[٦]، وكانت عامة العير لهم، ويقال كان لبني مخزوم فيها مائتا بعير وخمسة أو أربعة آلاف مثقال، وكان لأمية بن خلف الجمحي ألف مثقال، ولبني عبد مناف

---

(١) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٨، ص٥٨.

(٢) ابن هشام: السيرة، جـ١، ص١٨٧.

(٣) الأصفهاني: أبو الفرج، الأغاني، ص١٣٥ مكتبة دار الحياة، بيروت، ١٩٧١م.

(٤) الواقدي، مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم، ص١٧.

(٥) المصدر السابق، ص١٧.

(٦) المصدر نفسه، ص١٨، وجواد علي، المفصل في تاريخ العرب، جـ٤، ص١٠٩.

فيها عشرة آلاف مثقال، ولبني عبدمناف فيها عشرة آلاف مثقال[1] وكانوا يربحون في تجارتهم للدينار دينار»[2]، فإذن كانت التجارة وما يرتبط بها من خدمات مصدرا رئيسا لثروة مكة وأغنياء زعماء قريش الذين أصبحوا يشكلون الطبقة الغنية في المجتمع الجاهلي.

ومن الممارسات الاستغلالية في التعامل التجاري في العصر الجاهل:

الربا: وهو في اللغة الزيادة، والمراد كل زيادة لم يقابلها عوض، وعرفه الإمام ابن قدامة بأنه «الزيادة في أشياء مخصوصة»[3].

وقد عرفه الإمام ابن العربي فقال: «الربا في اللغة الزيادة، والمراد به في الآية: كل زيادة لم يقابلها عوض».[4]

وهو يعتبر من مظاهر الحركة الاقتصادية والتجارية ومصدرا رئيسا آخر لثراء (الملأ المكي) وإعلاء كلمته في البلاد، ولكنه كان في الوقت نفسه أحد أسباب سخط الناس عليهم وعلى من يتعاطاه، لأن الربا في مكة كان فاحشا جدا، وكان المرابون يستغلون حاجات الناس إلى المال وصغار التجار للمشاركة في الرحلات التجارية، وأبناء القبائل في البادية لشراء مؤنهم قبل أوان الموسم أو لكسب العيش في المتاجرة فينشطون في الاستفادة من المقترضين، فكان أهل الجاهلية، يقول أحدهم لمدينه إذا حل عليه الدين إما تقضي وإما أن ترابي أي يزيد مقدار

---

(١) المصدر نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) المصدر نفسه، ص١٥٧.

(٣) ابن قدامة، المغني، جـ٤، ص٣، الناشر مكتبة الرياض الحديثة، دون سنة طبع.

(٤) ابن العربي: أحكام القرآن ، القسم الأول، ص٢٤٢، طبعة دار المعارف، بدون سنة طبع.

الربا[1]، وقد بلغت فائدة الربا مائة بالمئة فكان الدرهم يستوفي درهمين والدينار دينارين. يؤيد ذلك ما ورد في القرآ الكريم: «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون»[2]. وهذا يعني أن الفائدة كانت تبلغ أحيانا المئتين أو الأربعمائة بالمئة. وكما يقول إميل در منغم «وكان من عادة القرشيين مداولة النقود لتربو فكانوا لا يكنزون رؤوس أموالهم لا فرق في ذلك بين من يملك بضعة دراهم ومن يملك عدة ملايين» [3] ولم يقتصر الاستثمار الربوي على أهل الحجاز، فقد كان في الطائف واليمن ويثرب وفي أماكن أخرى من الجزيرة العربية مرابون بالطبع[4]، يعيشون على الربا بطفيلية مريحة دون تعب ولا نصب يدفعهم إلى ذلك النهم والشره، «كما كان يوجد السماسرة الذين يبدون وسطاء لتكون لهم المغانم من غير احتياج إلى رؤوس أموال»[5]، وهم في ذلك يعتقدون أن الربح في التجارة مباح بكل وسيلة وأن التطفيف في الكيل والميزان

---

(١) العيني، بدر الدين أبو محمد بن أحمد، عمدة القارئ في شرح صحيح الخاري، جـ١١، ص٢٠٢.

(٢) سورة آل عمران، آية ٥٢.

(٣) إميل در منغم، حياة محمد، ترجمة عادل زعيتر، ط٢، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٤٩م، ص٣٨.

(٤) البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٦-٦٤، والأصفهاني: أبو الفرج، الأغاني، جـ١٣، ص١١٨، د. وجواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٨، ص١٤٩-١٥٠.

(٥) أميل در مغنم، حياة محمد، ص٤٥.

أمر عادي لا غبار عليه ولا ضير على الضمير الإنساني منه»[1] ولهذا الظلم الصارخ منع الإسلام الربا وحرمه وأعلنها حربا على المرابين والعاملين به، كما قال تعالى : «الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا »[2]، وقال الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة»[3]، وقال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين، فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله، وإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمون، وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسرة وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون»[4].

هكذا جاءت الآيات البينات من عند الله بتحريم الربا لتبيين سوء عاقبته، وكما أخبر رسول الله ﷺ عن شناعته وعظيم جريمته عند الله تعالى وقد بين ﷺ بأن الربا من الكبائر التي يمقتها الله سبحانه وتعالى، فقد روى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اجتنبوا السبع الموبقات قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المؤمنات المحصنات الغافلات»[5].

---

(١) محمد محي الدين، محمد نبي الرحمة ورسول الهدى، سلسلة السيرة النبوية، الكتاب الخامس، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ص٥٩.

(٢) سورة البقرة، آية ٢٧٥.

(٣) سورة آل عمران، اية، ١٣.

(٤) سورة البقرة، الآيات ٢٧٨-٢٨٠.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الوصايا، قول الله تعالى «إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما أنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا، حديث رقم ٢٧٦٦، جـ٥، ص٣٩٣.

وكذلك قد أعلن الرسول صلى الله عليه وسلم بنفسه إلغاء نظام الربا في حجة الوداع، فقد روى الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في حديث طويل عن حجة النبي ﷺ : فأتى رسول الله بطن الوادي، فخطب الناس وقال: «إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا، ألا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة ، وأن أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث، كان مسترضعا في بني سعد، فقتله هذيل، وربا الجاهلية موضوع، وأول ربا أضع ربا العباس بن عبد المطلب، فإنه موضوع كله»[1] ، ولعل العباس عمه كان من أثرياء مكة وتجارها.

هذا جزء من الواقع الاقتصادي الذي كان قائما في شبه جزيرة العرب، أيام ظهور الدعوة الإسلامية.

وقد أفادت قريش بالذات من اشتغال أكثرهم بالتجارة فوائد معنوية، ومادية على جانب كبير من الأهمية، وساعد اشتغالهم بالتجارة وكثرة أسفارهم إلى الشام والحبشة ومصر وغيرها، ومخالطتهم أقواما مختلفين، كالفرس والروم، من ذوي المدنيات القديمة، على معرفة أحوال هذه الأمم السياسية والاجتماعية والأدبية، كما كان له أثر كبير في تثقيف عقولهم وفي مداركهم حتى وصلوا إلى مستوى فكري لم يصل إليه أهل البدو وسكان الواحات[2] .

فقد كانوا يعرفون شيئا من أحوال الأمم المجاورة لهم من سياسة واجتماعية وغيرها مما ظهرت آثارها بعد الفتوح الإسلامية،

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث ١٢١٨، جـ٢، ص٨٨٩، وانظر د. فضل إلهي ، التدابير الواقية من الربا في الإسلام، إدارة ترجمان الإسلام، باكستان، ط ١، ١٤٠٦هـ، ص٢٦٠.

(٢) أحمد أمين، فجر الإسلام ص١٥.

ولكل ذلك حسنت إدارتهم شؤون الكعبة، وسهلوا على الناس القدوم إليها وشجعوهم على الحج إلى بلدهم وأداء المناسك في حرية تامة وأمن متوفر.

أما الصناعة:

فمعظم الصنائع كانت في البيئة الجاهلية يدوية يعمل فيها الرجال والنساء من الأحرار والعبيد، ووسائلها رغم تحسنها النسبي وعدد العاملين فيها تعتبر قليلة بالقياس إلى عدد العاملين في الأعمال الفلاحية، أو تربية الماشية على وجه الخصوص[1]، ولعل من بين الأسباب التي أدت إلى تدني مستوى الصناعة النظرة الاحتقارية التي ينظربها العرب للصناعة آنذاك، ومن بين الصناعات التي كانت منتشرة في الجزيرة العربية دباغة الجلود.

نشطت صناعة دبغ الجلود في الجزيرة العربية تلبية لحاجات الناس الاستهلاكية ومتطلبات الزراعة ووسائل الري إلى الدلاء والقرب وغيرها، ومن أجل ذلك فقد شغلت مرتبة طليعية بين صناعات الجزيرة العربية في الفترة الجاهلية الأخيرة، قال عنها ابن مجاور: «إن حرفة دباغة الأدم كانت في ذلك الوقت ذات شأن عند القوم»[2].

واشتهرت بلاد اليمن والطائف والحجاز ومواضع حضرية أخرى بدباغتهم الجلود ومعالجتها لتحويلها إلى مادة نافعة ومفيدة فقد ذكر الهمْداني أن الطائف

---

(١) انظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، تاريخ العرب من ظهور الإسلام حتى سقوط الدولة الأموية، ص٧، بدون تاريخ طبع، مؤسسة الثقافة الجماعية، الإسكندرية.

(٢) ابن مجاور، يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الدمشقي، صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسمى تاريخ المستبصر، جـ١، ص٢٠، وانظر جزيرة العرب قبل الإسلام، برهان الدين دلو، ص١٠٦،

بلد الدباغ، يدبغ بها الأهب الطائفية المفروكة[١]. وكانت مدابغها كثيرة يؤكد ذلك قول ياقوت الحموي «أن مياه المدابغ التي يدبغ منها الأديم كانت رائحتها تصرع الطيور إذا مرت بها»[٢]، وذكر الهمداني أن صعدة في اليمن كانت موضع الدباغ الجاهلية لوقوعها في بلاد القرظ[٣].

صناعة الأسلحة والحديد:

من الصناعات التي اشتهرت في جزيرة العرب صناعة الأسلحة من رماح وسكاكين، وسيوف ونبال ودروع، ففي مكة كان سعد بن أبي وقاص يبري النبل، وكان الوليد بن المغيرة حدادا وكذلك كان العاص بن هشام أخوأبي جهل[٤]، وحديث خباب بن الأرت رضي الله عنه: «كنت قينا في الجاهلية أعمل السيوف»[٥] ويذكر البلاذري أن رقيقا من رقيق أهل الطائف منهم أبو بكر ابن مسروج مولى رسول الله ﷺ واسمه بفيع كان عبدا روميا حدادا[٦].

وبفضل جهود القيون (الحدادون) والعاملين في الصناعة الحديدية استخدم أهل الفلاحة آلات حديدية متنوعة بما في ذلك المحراث ذي السكة الحديدية (وهي المجرفة من الحديد)، وفي أثناء حصار المسلمين لمدينة الطائف المحصنة عام ٨هـ،

---

(١) الهمداني، صفة جزيرة العرب، جـ١، ص١٢٠.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٤، ص٩.

(٣) القرظ بالتحريك وآخره ظاء معجمة وهو ورق شجر يقال له السلم يدبغ به الأدم، وذو قرظ، ويقال ذو قريظ موضع باليمن، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص٣٢٥.، والهمداني، صفة جزيرة العرب، جـ١، ص١٢٠.

(٤) ابن قتيبة، المعارف، ص١٩٤ دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

(٥) البلاذري، أنساب الأشراف، جـ١، ص١٧٦، وابن هشام: السيرة، جـ١، ص٣٨٣.

(٦) البلاذري، فتوح البلدان، ص٥٥-٥٦.

٦٢٩م، ألقت ثقيف على دبابة[١]المسلمين سكك الحديد المحماة، فأحرقتها وأصيب من في جوفها »[٢] ، وفي حديث خيبر : «فخرجوا بمساحيهم ومكاتلهم»[٣] ، وفي اليمن كانت صعدة تشتهر بالنصال الصناعية، وكانت الأسلحة المصنوعة في اليمن ومنها السيف اليماني والدرع اليماني مشهورة بجودتها، يقبل الناس على اقتنائها، وكم تغنى الشعراء الجاهليون بوصف هذه الأسلحة وفعاليتها فقيل للسيف (يمان ويماني) للذي صنع باليمن.[٤]

وكذلك مما يدل على وجود صناعة الحديد واشتهارها في الجزيرة العربية في عصر الجاهلية قوله تعالى: «وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس»[٥] .

أما القسم الثاني من سكان الجزيرة العربية فهم:

* *البدو:*

تشكل البوادي والسهول الشبيهة بها معظم مساحة شبه الجزيرة ، ويعرف ساكنو هذه البقاع بـ (البدو) وكانت أكثرية سكان الجزيرة العربية في القرنين السابقين للإسلام من البدو الرحل[٦] .

---

(١) دبابة: آلة تتخذ للحروب، فتدفع في أصل الحصن، فينقبون وهم في جوفها. أنظر: الصحاح، للجوهري، جـ١، ص١٢٤، دار العلم للملايين، بيروت، ط٢، ١٩٧٩م.، والقاموس المحيط: الفيروز آبادي، ص١٠٦.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان، ص٦٧. وابن هشام، جـ٤، ص٤٨٣.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٣، ص٣٤٣.

(٤) د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ٥، ص٤٢٣.

(٥) سورة الحديد، أية ٢٥.

(٦) برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام، ص٢٨٣،

مصادر معيشة البدو:

اعتمد البدو في معيشتهم على ما في هذه البوادي والسهوب من حيوان مستأنسا كان أم متوحشا، فكانوا يصطادون الوحش، يقتلونه ويشوون لحمه، ويتخذون منه غذاء شهيا وتعهدوا المستأنس بالتربية والرعاية والعناية، وأهم هذه الحيوانات المستأنسة كانت الإبل والخيل والغنم والمعز، فكانوا يتخذون من الإبل والغنم والمعز موارد رزقهم، ووسائل حياتهم، يأكلون لحمها ويشربون لبنها، ويتخذون من أصوافها وأوبارها وأشعارها لباسا يقيهم الحر والبرد، ومساكن يقيمون فيها، وأثاثا لبيوتهم وأمتعتهم، واعتمدوا على الخيل في السلم والحرب، يصيدون بها الوحش من الحيوان للغذاء، يغيرون بها ويقاتلون، وكانت الإبل هي التي فتحت لأعراب الجزيرة آفاق البوادي ووسعت البداوة عندهم[١]، وقد أشار القرآن الكريم إلى فوائد الأنعام بقوله تعالى: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة، ويخلق مالا تعلمون»[٢]، وكان هؤلاء البدو يعيشون حياة بدوية تعتمد على رعي الأغنام والأنعام، وكانوا لا يفضلون شيئا على حياتهم الرعوية البدوية، لا يفضلون الزراعة ولا الصناعة بل يحتقرونهما ويزدرونهما فتركوا ذلك لغيرهم ممن كانوا يعتبرونهم أقل من البدو أنفة وكبرياء، وكان مبدأ العرب: «الذل بالحراث، والمهانة بالبقر، والعز بالإبل، والشجاعة بالخيل»[٣]، ولهذا تمسكوا بالصحراء وعاشوا بين جنباتها الواسعة، تحت سقوف خيامهم وبين حيواناتهم، ويتنسمون من هوائها العذب ونسيمها العليل في حرية وسيادة

---

(١) د. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، قبل الإسلام، جـ٤، ص٣٥٢.

(٢) سورة النحل، آية ٥-٦.

(٣) تاريخ الأدب العربي: لبلاشير، ص٣٣. ترجمة د. إبراهيم الكيلاني، دمشق، ١٩٥٦م

مطلقة.

ثم كان العربي يميل إلى الإكثار من ماشيته، سواء بالتربية والرعاية أو بالاستيلاء عليها عن طريق الإغارة[1]. وكان كثير من الحروب والمنازعات بين القبائل في القرنين السابقين لظهور الإسلام السبب الرئيس وراءها هو طموح ساداتها إلى امتلاك المزيد من الأنعام وموارد المياه، كما تشهد على ذلك حرب البسوس[2]، وقد استتبع هذ التفاوت في الملكية الخاصة تفاوتا في المعيشة وتمايزا اجتماعيا بين أفراد القبيلة الواحدة أدى إلى انقسام أبنائها الأحرار إلى أغنياء وفقراء، إضافة إلى الانقسام الذي كان قائما بين الأحرار والعبيد، وأصبح بسطاء البدو والموالي والعبيد يعملون في رعي الأنعام لحساب وجهاء القبائل[3]. ولهذا التفاوت في المعيشة وقلة الموارد وكثرة الفقراء المدقعين شاع بينهم السلب والنهب وقطع الطرق خصوصا في متاهات الصحراء الواسعة وبين مرتفعاتها ومنحدراتها ومنحنياتها، حيث تضل الطرق وتعمى السبل حتى على كثير ممن لديهم خبرة بطرقاتها ومن ثم وجدت جماعة الصعاليك، وانتشر قطاع الطرق، وكثرت الغارات، وكان الأمن معدوما، والقوة فقط هي صاحبة السيادة والسلطان[4].

هكذا كانت حياة البداوة في شبه الجزيرة العربية، في القرنين السابقين لظهور الإسلام، لا يضبطها ضابط سوى الأعراف القبلية، وعوامل البيئة الطبيعية التي تتحكم في فرض أسلوب حياتهم وعملهم.

---

(١) علي الجندي: مرجع سابق، ص٨٨.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ١، ص٣٥٢.

(٣)برهان الدين دلو: جزيرة العرب، قبل الإسلام، ص٨٦.

(٤) انظر: علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ص٨٩.

* أسواق العرب في الجاهلية:

مما كان له أثر كبير في موارد الرزق ومعيشة العرب جميعا الحضر منهم والبدو، تبادل السلع، والبيع والشراء والأخذ والعطاء، ولذلك كانت لهم أسواق كثيرة، منها ما كانت ثابتة مع أيام السنة، ومنها ما كانت موسمية تعقد في مواسم معينة، فإذا انتهى الموسم انفضت، وهذه جعلوها في أماكن متفرقة في أنحاء شبه الجزيرة، حتى تنال كل بقعة نصيبها منها، ولا يحرم بعض السكان من وجود هذه الأسواق في ديارهم، كما جعلوا لكل منها وقتا خاصا، بحيث لا يتعارض بعضها مع بعض ليستطيع كل من شاء أن يحضر جميع هذه الأسواق دون أن تفوته واحدة منها، وذكر الألوسي[1] كثيرا من هذه الأسواق ومواقيتها، فمما ذكر من هذه الأسواق:

١- سوق دومة الجندل: كانوا ينزلونها أول يوم من ربيع الأول يجتمعون في أسواقها للبيع والشراء، والأخذ والعطاء، وكانت المبايعة فيه بيع الحصاة، وهو من بيوع الجاهلية التي أبطلها الإسلام، وكان يستمر نصف شهر أو شهر ورؤساؤها من غسان أو كلب.

٢- سوق هجر: أرض بالبحرين، ومنه المثل (كمبضع تمر إلى هجر) وقول عمر رضي الله عنه «عجبت لتاجر هجر» كانوا ينتقلون إليها في شهر ربيع الآخر، فيقوم سوقهم بها وكان يتولى أمرهم المنذر بن ساوى.

٣- سوق عُمان: كانوا يرتحلون من سوق هجر إليها، فتقوم سوقهم إلى أواخر جمادى الأولى.

٤- سوق المشقر: وهو (حصن بالبحرين) كان فيه سوق للعرب تقوم من أول يوم من جمادى الآخرة ، وكان بيعهم بالملامسة، والإيماء والهمهمة خوف

---

(١) الألوسي: بلوغ الأرب، جـ١، ص٢٦٤.

الحلف والكذب، وهذا أيضا من البيوع التي أبطلها الإسلام.

٥- سوق صحار: تقوم لعشر بقين من رجب الفرد لمدة خمسة أيام، وكانت لا تحتاج فيها إلى خفارة.

٦- سوق الشَحْر: ساحل البحر بين عمان وعدن، تقوم في النصف من شعبان، وكان بيعهم في هذه السوق أيضا برمي الحصاة وإلقاء الحجارة كما في سوق دومة الجندل.

٧- سوق عدن أبْيِنْ: كانوا يرتحلون من الشحر فينزلون هذا الموضع، وعدن جزيرة في اليمن أقام بها (أَبْيَنْ) فنسبت أليه، فتقوم سوقهم بها إلى أيام من رمضان فتشترى البخارات وأنواع الطيب.

٨- سوق صنعاء: كانوا إذا ارتحلوا من عدن والشحر تقوم سوقهم بصنعاء في النصف من شهر رمضان إلى آخره وصنعاء من أطيب بلاد اليمن.

٩- سوق ذي المجاز: كانت بناحية إلى جانبها.

١٠- سوق مجنة:[١] موضع قرب مكة، وهو الذي عناه بلال رضي الله عنه بقوله متشوقا إليه بعد الهجرة:

وهل أردن يوما مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل

كانت تقوم سوقهم فيها قرب أيام موسم الحج، يحضرها كثير من قبائل العرب.

١١- سوق عكاظ: وهو موسم معروف للعرب بل كان من أعظم مواسمهم وهو نخل في واد بين نخلة والطائف، وفي سوق عكاظ كان الناس يتبايعون، ويتعاكظون أي يتفاخرون، ينشد الشعراء ما تجدد لهم[٢] من أشعار، وقد كثر ذلك في أشعارهم كقول حسان:

---

(١) انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٥، ص٥٧.

(٢) الزبيدي: تاج العروس، جـ٥، ص٢٥٤، وانظر أيضا: الحميري، الروض المعطار، ص٤١١.

سأنشر إن حييت لهم كلاما   ينشر في المجامع من عكاظ[1]

وفيها كان يخطب كل خطيب مِصْقَع، ومنهم قس بن ساعدة الأيادي إذ خطب خطبته المشهورة هناك وهو على جمله الأورق، وفيها علقت القصائد السبع الشهيرة.

وكانت عكاظ أكبر أسواق العرب التجارية الموسمية العامة تقصده وفود القبائل من قريش وهوازن وسليم وغطفان، وخزاعة والأحابيش والمصطلق وطوائف أخرى من العراق والبحرين واليمامة وعمان والشحر واليمن وسائر أطراف شبه الجزيرة[2].

وعكاظ موسم عام تلتقي فيها وفود القبائل لإعلان خلع من يجيزون خلعه أو لدفع ديات القتلى ولتبادل الأسرى أو السعي في فدائهم والنظر في الخصومات بين العشائر وإيجاد الحلول لأسباب خلافاتهم ومنازعاتهم، وعقد اتفاقات صداقة وتعاون، أو اتفاقات حسن الجوار، وهي أيضا منبر لنشر الإصلاح، ففيها استمع الرسول ﷺ قبل ظهور الدعوة الإسلامية إلى قس بن ساعدة وهو يخطب الناس داعيا إياهم إلى التفكر والهدى وأعمال الخير[3]. وكذلك ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم، كان يتوجه إليها لدعوة الناس، فجاء في حديث أبي الزبير عن جابر «أن النبي ﷺ » لبث عشر سنين يتبع الناس في منازلهم في الموسم بمجنة وعكاظ

---

(١) الألوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، جـ١، ص٢٦٧.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها. وانظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ص١٤٢.

(٣) الجاحظ: البيان والتبيين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ طبع، جـ١، ص١٦٨.

يبلغ رسالات ربه»[١]

ولا شك أن هذه الأسواق كان لها أثر كبير من الناحية الاقتصادية فكانت بطبيعة الحال ذات تأثير فعال في حياة القوم ومعيشتهم، كما كان لها تأثير في النواحي العامة الأخرى للعرب، فإذا كانت القبائل تفد للبيع والشراء، فلا يستبعد بالطبع ورود تجار أجانب من غير العرب إليها، فقد كان الروم مثلا يتوغلون في هذه الأرضين إلى مسافات بعيدة للبيع والشراء كما كان يقصدها أناس من أماكن بعيدة بحثا عن طلب أو ترويجا لرأي[٢].

هذا هو الواقع الاقتصادي والمعيشي الذي كان قائما قبيل ظهور الدعوة الإسلامية، وهو ما شكل جزءً من واقع الدعوة التي جاءت لمعالجة المنحرف من تلك المعاملات والسلوكيات وإقرار ما هو صالح وتثبيته.

ولعل ما يؤكد لنا هذا المعنى ما روي في كتب الفقه في إلغاء كثير من أوجه البيوع والمعاملات التجارية والتي أبطلها الإسلام، وبعض الجوانب التي أقرها ومن ذلك ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما«كان ذو المجاز وعكاظ متجر الناس في الجاهلية، فلما جاء الإسلام كرهوا ذلك حتى نزلت: (ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم)[٣] في مواسم الحج»[٤].

وفي رواية عنه أيضا: «كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية

---

(١) مسند الإمام أحمد (٢/١٢٥)، ابن حجر في الفتح، جـ٣، ص٦٩٥.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص٤١١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٨٩.

(٤) البخاري مع الفتح، جـ٣، ص٣٧٠، كتاب الحج، باب التجارة أيام الموسم والبيع في الجاهلية.

فلما كان الإسلام تأثموا من التجارة فيها فأنزل الله: «ليس عيكم جناح» في مواسم الحج، قرأ ابن عباس كذا»[1]

وقال الإمام القسطلاني (أسواق الجاهلية) أي جواز التعامل فيها ولما كانت الأسواق تتقيد بما فيها من عرف فإن هذه الترجمة محمولة على احترام العرف السابق على الإسلام ما لم يكن منافيا له.

المطلب الثاني

الواقع السياسي الذي كان قائما عند ظهور الدعوة الإسلامية

بعدما استعرضت في المبحث السابق الأحوال الاقتصادية في البيئة الجاهلية التي كانت سائدة عند ظهور الإسلام ـ فاستكمالا للحديث عن أحوال بيئة الدعوة الإسلامية ـ أتناول في هذا المطلب جانبا آخر ومعلما بارزا من معالم صورة البيئة العربية قبل الإسلام وهو الجانب السياسي، فأعرض للأحوال السياسية في البيئة الجاهلية حتى يتسنى لنا الاقتراب من واقع الحال في البيئة العربية قبل الإسلام، وسوف أتناول النظام السياسي في البيئة الجاهلية عند البدو والحضر في النقاط التالية:

أولا: النظام القبلي في البيئة الجاهلية:

أ) رئيس القبيلة وكيفية اختياره، ووظائفه.

ب) واجبات الفرد في النظام القبلي نحو قبيلته وحقوقه عليها.

ثانيا: الحكومات السياسية في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام.

أولا: النظام القبلي في البيئة الجاهلية قبل ظهور الإسلام:

تعتبر القبيلة الوحدة السياسية عند العرب في الجاهلية، ذلك لأن القبيلة هي جماعة من الناس ينتمون إلى أصل واحد مشترك تجمعهم وحدة الجماعة وتربطهم

---

(١) البخاري: كتاب البيوع، باب الأسواق التي كانت في الجاهلية فتبايع الناس في الإسلام.

رابطة العصبية للأهل والعشيرة ورابطة العصبية هي: شعور التماسك والتضامن والاندماج بين من تربطهم رابطة الدم، وهي على هذا النحو مصدر القوة السياسية والدفاعية التي تربط بين أفراد القبيلة، وتعادل في وقتنا الحاضر الشعور القومي عند كثير من الشعوب[1]، وإن كانت رابطة الدم فيها أقوى وأوضح من الرابطة القومية لأن العصبية تدعو إلى نصرة الفرد لأبناء قبيلته ظالمين كانوا أم مظلومين، كما كان المثل عندهم «انصر أخاك ظالما أو مظلوما» وتقوم العصبية على النسب، وهي لذلك تختلف باختلاف الالتحام بالأنساب[2].

ولشدة اهتمامهم بالقرابة والصلة والعصبية ولحمة النسب الأبوية اهتموا بالأنساب اهتماما عظيما، فكان الواحد منهم يعرف نسبه ونسب قبيلته محددا مضبوطا، ونرى ذلك في أشعارهم التي تفيض بذكر الآباء والأجداد والبنين والأحفاد، ولشدة اهتمامهم بالنسب عرف قوم منهم كانوا مشهورين بمعرفة أنساب العرب حتى سموا بالنسابين[3].

وعلى هذا النحو لم تكن للمجتمع الجاهلي نزعة قومية شاملة لأن الوعي السياسي فيه كان ضيقا محددا، لا يتجاوز حدود القبيلة أو حدود القبائل المنتسبة إلى الجد، وهكذا كان المجتمع العربي في الجاهلية مجتمعا مفتتا من الناحية

---

(١) أنظر: السيد عبد العزيز سالم، تاريخ الدولة العربية، ص١٧، جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ١، ص٣٣٥، وأحمد الشريف، مكة والمدينة، ص٢٦.

(٢) ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق د. علي عبد الواحد وافي، القاهرة، ١٩٥٧م، جـ٢، ص٤٢٤.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص٤٢٥.

السياسية إلى وحدات سياسية متعددة، قائمة بذاتها تمثلها القبائل المختلفة[١].

والقبيلة في البادية دولة صغيرة، تنطبق عليها مقومات الدولة باستثناء الأرض الثابتة التي تحدد منطقة نفوذها، فمن المعروف أن أهل الوبر لم تكن لهم أوطان ثابتة بسبب تنقلهم الدائم وراء مصادر الماء والعشب، وكان ضيق أسباب الحياة في الصحراء حافزا لهذه القبائل المتبدية على التنقل والتحرك، كما كان سببا في اعتزازهم بالعصبية التي أملتها الظروف الصعبة المحيطة بهم، وبفضل العصبية أمكن لهذه القبائل أن تدافع عن كيانها، والتغلب على غيرها، لتضمن لنفسها موردا لحياتها[٢]. ولذلك كانت حياة القبائل المتبدية صراعا دائما والصراع هجوم يتم بغرض الحصول على الرزق، والدفاع يقومون به للحفاظ على وجود القبيلة، والدفاع والهجوم يتطلبان التكتل والدخول في أحلاف مع القبائل الأخرى، ولهذا اعتبر قانون البادية قانون الغاب، وقوامه الحق في جانب القوة، ومما يؤيد ذلك شعرهم الذي تغنوا به مثل قولهم :

من لم يذد عن حوضه بسلاحه يُهدم ومن لا يَظلم الناس يُظلم[٣]

وقول الآخر:

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقي صولة المستأسد الحامي[٤]

فمن كان سيفه أمضى وأقوى كانت له الكلمة والقوة وكان الحق في جانبه[٥]

هكذا كانت حياة أهل البادية ولعل من الملاحظ أن التشكيلات القبلية لم تكن

---

(١) المرجع السابق، ص٤٥٥.

(٢) د. السيد عبد العزيز، تاريخ الدولة العربية، جـ٢، ص١٤.

(٣) ديوان زهير بن أبي سلمى، ط، دار بيروت، ص٨٨.

(٤) مختارات ابن الشجري: القاهرة، ١٩٣٦م ١٢.

(٥) د. جواد علي: مرجع سابق، جـ٤، ص٢١٤.

محصورة في أهل البدو فقط، بل كانت كذلك موجودة بالمدن بين أهل الحضر «فكان على رأس كل قبيلة أو رهط مجلس مؤلف من رؤساء الأسر أو رؤساء الرهط تبعا لمقياس القبيلة وإلى هذه المجالس تعود مناقشة جميع القضايا التي تهم القبيلة»[١].

أ) رئيس القبيلة، كيفية اختياره ووظائفه:

وكان لكل قبيلة مجلس شيوخها يرأسه شيخ يختارونه من بينهم يسمونه الرئيس أو الشيخ أو الأمير أو السيد[٢]، وكانوا يشترطون في اختياره أن يكون من أشراف رجال القبيلة، وأشدهم عصبية، وأكثرهم مالا، وأكبرهم سنا وأعظمهم نفوذا، كذلك من الضروري أن تتحقق فيه صفات خاصة، أهمها الوقار، والهيبة، وسداد الرأي، وبعد النظر والطموح والحزم، والإيثار والتضحية، والغنى والجود، والسخاء، والشجاعة، والقوة والحلم، والصبر، والرزانة والثبات، فلا يفرح للخير، ولا يكبو للضر، ولا تبطره النعمة، ولا تغمه الشدة، قد أحكمته التجارب وله خبرة بطباع النفوس وحسن معالجة الأمور، ويتسم بالإخلاص ، والأمانة، والوفاء والسهر للمصلحة العامة، والعمل على إعلاء كلمة القبيلة ورفع شأنها»[٣].

ولشخصية رئيس القبيلة أثر كبير في مكانة القبيلة، فالزعماء في المجتمعات القبلية هم رجال السياسة وبحكمتهم وكفايتهم تقرر الأمور، ورب كلمة من زعيم أو هفوة تصدر منه تثير حربا، أو تسبب كارثة له أو لقبيلته، أو للحلف الذي يتزعمه ذلك أن أعصاب رجال البادية مرهفة وحساسة تثيرها

---

(١) د. بلاشير، تاريخ الأدب العربي، ص٣٥.

(٢) ابن خلدون، المقدمة، جـ٢، ص٤٢١.

(٣) د. علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، جـ١، ص٩٨، مرجع سابق.

الكلمات ولا سيما إذا كانت تتعلق بالشرف والجاه[١].

وكان من وظائف شيخ القبيلة أن يعين الضعفاء، ويفتح بيته للنزلاء والأضياف، ويدفع الديات عن فقراء قبيلته، وكذلك من واجبات رئيس القبيلة أو شيخها أن يستقبل الوفود ويشرف على مفاوضات الصلح والمحالفات وإشهار الحروب، واتخاذ التدابير في سني القحط وبتحديد الظعون»[٢]، كما كان على رئيس القبيلة أن يقودها في المعركة ضد القبيلة المعادية لكي تثبت حقوقها »[٣]، وعلى الرئيس أن «يفصل في أمور كالدية وطلب الثأر ويقضي في مسائل الزواج والطلاق، والنزاع على الماء والكلأ، بالإضافة إلى واجبات أخرى كإيواء الغريب وحماية الحمى والذود عن النساء وإجارة المجير ومجازاة أي فرد من القبيلة لخصال لا تقره عليها نظم العشيرة وآدابها فيخلعه عن ذمته ويقطع صلته به»[٤].

ب) واجبات الفرد في النظام القبلي نحو قبيلته وحقوقه عليها:

ففي النظام القبلي الذي كان سائدا يحتل الفرد مكانة كبيرة في قبيلته، فالفرد يلبي نداء قبيلته إذا دعته إلى نصرتها في ساعات الخطر فينصرها وينصر إخوانه ظالمين كانوا أو مظلومين، ثم إنه يقبل بعض مسؤولية أعمال غيره فيساهم في دفع الديات للقتلى من القبيلة الأخرى أو الفداء عن الأسرى من

---

(١) د. جواد علي: تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٤، ص٢١٥.

(٢) د. بلا شير: تاريخ الأدب العربي، ص٣٦.

(٣) المرجع السابق، ص٣٧.

(٤) د. علي إبراهيم حسن: التاريخ الإسلامي العام - الجاهلية - الإسلام - الدولة العربية، ط١، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٣م ص١٨١.

قبيلته[1].

وكذلك من واجبات الفرد نحو قبيلته «أن يؤمن بتقاليدها ويعتز بها ويفتخر»[2]، ولعل هذا الشعور هو الذي يدفع الفرد إلى بذل كل ما في وسعه، «للعمل على رفع شأن قبيلته وإعلاء كلمتها والتعصب لها تعصبا كان يجعله يتجاهل غيرها ولا يعترف بحق الحياة والملكية أو المنفعة لأحد سواها، كأنما لم يخلق في الوجود غيره وغير قبيلته وربما دفعه هذا إلى الاعتداء على حقوق الآخرين ما دام يملك الفرصة المواتية»[3].

وإن كان الفرد يقوم بذلك خدمة لقبيلته، فان قبيلته لا تهمله ولكنها تحتفظ له بحقوق تؤدي له نظير قيامه بخدمتها ومن تلك الحقوق:

١- حمايته ورعايته ما دام يسير وفق قانونها وحسب نصائحها ووفق رغبتها وإرادتها، فإذا ما بدر منه سلوك لا ترضاه خلعته من جماعتها، ونفته من مجلسها، وطردته من بينها، وفي ذلك يقول طرفة:[4]

وما يزال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وإنفاقي طريفي ومتلدي

إلى أن تحامتني القبيلة كلها وأفردت إفراد البعير المعبد

٢- المساواة بين الأفراد في نطاق القبيلة، فليس من حق أي فرد في القبيلة أن تكون له حقوق ليست لسواه إذ إن «الجميع متساوون ضمن إطار القبيلة في

---

(١) د. السيد عبد العزيز: تاريخ الدولة العربية، ص١٤،

(٢) د. علي إبراهيم حسن، مرجع سابق. ص١٨٣.

(٣) المرجع السابق، ص١٨٣.

(٤) د. علي الجندي، ديوان طرفة، مكتبة الأنجلو المصرية ط، ١٩٦١هـ البيتين، ص٧٤ . ٧٥.

الحقوق والواجبات التي تنبثق عن العصبية القبلية[1]، ولهذا نرى أن روح الديمقراطية والمساواة كانت الأساس الذي يقوم عليه المجتمع القبلي في نطاقه الضيق.وغيرها من الحقوق التي يتمتع بها الفرد داخل قبيلته.

ويتبين لنا مما سبق أن هذه العصبيات القبلية الضيقة تسببت في عدم وجود مجتمع واحد كبير، كما أن هذه المنافسات بين هذه العصبيات، وزعمائها نشأ عنها تفكك اجتماعي وعدم استقرار وحروب كثيرة، ومن ثم لم تتكون منهم دولة واحدة قوية وحكومة مركزية عامة تتولى نشر العدل والطمأنينة بين جميع المواطنين، كما كان حادثا في دولتي فارس والروم آنذاك. هذا هو الواقع السياسي الذي واجهته الدعوة الإسلامية وعملت من أول يوم لمقاومته وعلاجه.

ثانيا: الحكم والإمارة في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام:

لم يكن للعرب قبل الإسلام نوع من الحكومات المعروفة الآن، ولم يكن لهم قضاء يحتكمون إليه، يقر الأمن والنظام ولا جيش يدرأ عنهم الأخطار الخارجية، لذلك لم يكلفوا دفع الضرائب لعدم وجود حكومة تقبض على زمام السلطة التنفيذية، وتضرب على أيدي المعتدي وتوقع عليه العقاب المتناسب مع جرمه، وإنما كان الشخص المعتدي عليه أن يثأر لنفسه بنفسه، وعلى قبيلته أن تشد أزره ولا يصبح للمعتدى عليه حق في المطالبة بالثأر إذا دفع المعتدي تعويضا.

ويقول في ذلك توماس أرنولد: «لم يكن هناك إطلاقا أي منهج منظم للإدارة أو القضاء كالذي نعرفه عن فكرة الحكومة في العصر الحديث، كما كانت كل قبيلة أو عشيرة تؤلف جماعة منفصلة مستقلة تمام الاستقلال»[2].

ولكن على الرغم من ذلك الحال العام إلا أنه قد نشأت بأطراف من جزيرة

---

(١) د. علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص١٨٣.

(٢) توماس أرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ص٥١-٥٢، ترجمة د. حسن إبراهيم حسن، ط مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٠هـ. ١٩٧٠م.

العرب قبل الإسلام بعض الدويلات والممالك التي كان فيها نوع من الحكم والنظام، ومن ذلك «ممالك اليمن في الجنوب كدولة معين وسبأ وحمير، ومملكة الحيرة في الشمال الشرقي ومملكة أو دولة الغساسنة في الشمال الغربي، وكذلك قد امتاز الحجاز عن غيره باشتماله على عدة مدن ذات حياة سياسية خاصة مثل مكة والمدينة والطائف، «ومع أنه لم يكن عليها ملك إلا أنه كان يحكمها عدة رجال، قسمت الأعمال بينهم، ولا يلقب زعيمهم والمتنفذ فيهم بلقب ملك. (وللملأ) وهم أصحاب الحل والعقد في البلد، والحكم في الناس على وفق العادات والأعراف والقوانين الموروثة، ويكون لهم في البلد مجتمع خاص يكون ناديهم ومقر حكمهم، عرف بـ(دار الندوة) في مكة، ويمكن أن نقول إنه مجلس ذلك الزمن (البرلمان) ذلك العهد، وإن نظام الحكم في أمثال هذه المدن هو ما يقال له حكومات المدن عند المؤرخين الغربيين»[1]، وسوف أتناول هذه الممالك والدويلات التي قامت في شبه الجزيرة العربية كوحدات سياسية تمثل النظام السياسي الذي كان قائما مع التركيز بصفة خاصة على مدن الحجاز الثلاثة، فمن مكة بدأ النبي ﷺ ينشر دعوته، وإلى الطائف ذهب يلتمس نصرة أهلها واستجابتهم عندما اشتد أذى قومه له بعد وفاة عمه أبي طالب وزوجه خديجة[2]، وعلى أرض المدينة تكونت دولة الإسلام وخرج الدعاة إلى كل مكان وتوجه النبي صلى الله عليه وسلم، بأصحابه إلى مكة فاتحين، وعلى أثر هذا الفتح العظيم أقبلت وفود العرب الذين كانوا يعلقون إيمانهم بإيمان قريش حيث إنها كانت قائدة العرب وصاحبة السلطان فيهم.

أ) دولة اليمن:

من أقدم الشعوب التي عرفت باليمن من العرب العاربة قوم سبأ، وقد عثر

---

(١) د. جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، جـ٣، ٢٣٠.

(٢) الشيخ صفي الرحمن المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١١٧.

على ذكرهم في حفريات (أور) بخمسة وعشرين قرنا قبل الميلاد، ويبدأ ازدهار حضارتهم ونفوذ سلطانهم وبسط سيطرتهم بأحد عشر قرنا قبل الميلاد[1]، ويمكن تقسيم أدوارهم حسب التقدير الآتي:

١- القرون التي خلت قبل سنة ٦٥٠ق.م.، وكان ملوكهم يلقبون في هذا الزمن بـ (مكرب سبأ)[2]، وكانت عاصمتهم بلدة (صرواح) التي توجد أنقاضها على مسافة يوم إلى الجانب الغربي من بلدة (مأرب)، وتعرف باسم (خريبة) وفي زمنهم بدأ بناء السد الذي عرف بسد (مأرب)[3]، والذي كان له شأن كبير في تاريخ اليمن، ويقال أن سبأ بلغوا من بسط سلطتهم إلى أن اتخذوا المستعمرات في داخل بلاد العرب وخارجها.

٢- منذ سنة ٦٥٠ ق.م. إلى سنة ١١٥ ق.م. وفي هذا الزمن تركوا لقب (مكرب) وعرفوا بملوك (سبأ) واتخذوا (مأرب) عاصمة لهم بدل (صرواح) وتوجد أنقاضها على بعد ستين ميلا من صنعاء إلى جانبها الشرقي.

٣- منذ سنة ١١٥ق.م. إلى سنة ٣٠٠م وفي هذا العهد غلبت قبيلة حمير على مملكة سبأ، واتخذت بلدة (ريدان) عاصمة لها بدل (مأرب) ثم سميت بلدة (ريدان) باسم ظفار، وفي هذا العهد بدأ فيهم السقوط والإنحطاط.

٤- منذ سنة ٣٠٠م إلى أن دخل الإسلام في اليمن وفي هذا العهد غلبت عليهم الاضطرابات والحوادث، وتتابعت الانقلابات والحروب الأهلية التي جعلتهم عرضة للأجانب حتى قضت على استقلالهم، ففي هذا العهد دخل الرومان في عدن، وبمعونتهم احتلت الأحباش اليمن لأول مرة سنة ٣٤٠م مستغلين التنافس بين قبيلتي همدان وحمير، واستمر احتلالهم إلى سنة ٣٧٨ م، ثم نالت اليمن

---

(١) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص٢٣.

(٢) د. صالح العلي، محاضرات في تاريخ العرب، ص٢١،

(٣) جرجي زيدان: تاريخ العرب قبل الإسلام، ص١٤١-١٤٨.

استقلالها، ولكن بدأت تقع الثلمات في سد مأرب حتى وقع السيل العظيم الذي ذكره القرآن الكريم بسيل العرم في سنة ٤٥٠م، أو ٤٥١م وكانت حادثة كبرى أدت إلى خراب العمران وتشتت الشعوب، كما قال تعالى: «فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل»[1].

وفي سنة ٥٢٣م قاد ذو نواس اليهودي حملة منكرة على المسيحيين من أهل نجران وحاول صرفهم عن المسيحية قسرا، ولما أبوا خد لهم الأخدود وألقاهم في النيران، وهذا الذي أشار إليه القرآن في سورة البروج: «قُتل أصحاب الأخدود... الآيات»، وكان من جراء ذلك نقمة النصرانية الناشطة إلى الفتح والتوسع تحت قيادة أباطرة الرومان على بلاد العرب فقد حرضوا الأحباش وهيأوا لهم الأسطول البحري، فنزل سبعون ألف جندي من الحبشة واحتلوا اليمن مرة ثانية بقيادة أرياط ٥٢٥م وظل أرياط حاكما من قبل ملك الحبشة حتى اغتاله أبرهة - أحد قواد جيشه - وحكم بدله بعد أن استرضي ملك الحبشة، وأبرهة هذا هو الذي جند الجنود لهدم الكعبة، وعرف هو وجنوده بأصحاب الفيل.

وبعد وقعة الفيل استنجد اليمانيون بالفرس، وقاموا بمقاومة الحبشة حتى أجلوهم عن البلاد ونالوا الاستقلال في سنة ٥٧٥م، بقيادة معد يكرب بن سيف ذي يزن الحميري، واتخذوه ملكا لهم، وكان معد يكرب أبقى معه جمعا من الحبشة يخدمونه ويمشون في ركابه، فاغتالوه ذات يوم، وبموته انقطع الملك عن ذي يزن، وولى كسرى عاملا فارسيا على صنعاء، وجعل اليمن ولاية فارسية فلم تزل الولاة من الفرس تتعاقب على اليمن حتى كان آخرهم باذان الذي اعتنق الإسلام

---

(١) سورة سبأ، سورة ١٦.

سنة ٦٣٨م، وبإسلامه انتهى نفوذ فارس على بلاد اليمن[١].

ب) إمارة الحيرة:

قامت إمارة الحيرة لخدمة مصالح الفرس الذين «رأوا أن خير وسيلة لاتقاء غزوات العرب أن يقيموا من القبائل العربية المجاورة للحدود درعا يقيهم غزوات العرب ويحجز بين الفرس والروم فأنشأوا إمارة الحيرة»[٢]، وهي تقع في جنوبي الكوفة على بعد ثلاثة أميال منها[٣].

ولما دأب عرب الحيرة على غزو أطراف فارس من حين لآخر وعجز الفرس عن طردهم استقر رأيهم على ترضيتهم والانتفاع بهم في أغراضهم السياسية والحربية ضد الدولة الرومانية الشرقية من ناحية، وضد البدو من عرب شبه الجزيرة العربية من ناحية أخرى.

وقد أدى ملوك الحيرة مساعدات جليلة للفرس فقد عاونت إمارة الحيرة دولة فارس في حروبها التي أعلنتها ضد الروم في القرن السادس الميلادي، فقد تمكن أحد ملوكها وهو المنذر والملقب بابن ماء السماء من إلحاق الهزيمة بقوات الإمبراطور جستنيان الذي كان مشغولا وقتذاك عن الدولة الفارسية وأعوانها بمد نفوذه على الأجزاء العربية من الإمبراطورية الرومانية، ولهذا السبب حظي المنذر

---

(١) انظر تفصيل ذلك:

- ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١، ص٤٣١، .

- ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٢، ص١٨٠، مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٧٩م.

- الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص١٤٠، وما يليها، دار المعارف، بدون تاريخ طبع.

- محاضرات في تاريخ العرب: د. صالح أحمد العلي، من ص١٧-٣٠.

- المباركفوري: الرحيق المختوم، ص٢٣-٢٥.

(٢) الحميري: الروض المعطار، ص٢٠٧.

(٣) أحمد أمين، فجر الإسلام، ص١٦-١٨.

بمكانة ممتازة في البلاط الفارسي وخاطبه كسرى بلقب ملك العرب تفخيما له، وهكذا قام المنذر بن ماء السماء أحد ملوك الحيرة بدور كبير في سبيل إخضاع الروم»[١].

* إمارة الغساسنة:

في العهد الذي ماجت فيه العرب بهجرات القبائل صارت بطون من قضاعة إلى مشارف الشام وسكنت بها، وكانوا من بني سليح من حلوان الذين منهم بنو ضجعم بن سليح المعروفون باسم الضجاعمة، فاصطنعهم الرومان، ليمنعوا عرب البرية من العبث، وليكونوا عدة ضد الفرس، وولوا منهم ملكا، ثم تعاقب الملك فيهم سنين، ومن أشهر ملوكهم زياد بن الهبولة، ويقدر زمنهم من أوائل القرن الثاني الميلادي إلى نهايته تقريبا، وانتهت ولايتهم بعد قدوم آل غسان الذين غلبوا الضجاعمة على ما بيدهم وانتصروا عليهم، فولتهم الروم ملوكا على عرب الشام، وكانت قاعدتهم دومة الجندل، ولم تزل تتوالى الغساسنة على الشام بصفتهم عمالا لملوك الروم حتى كانت وقعة اليرموك سنة ١٣هـ[٢]، وانقاد للإسلام آخر ملوكهم جبلة بن الأيهم، في عهد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه[٣].

* مدن الحجاز:

أ) مكة: تقع مكة في قلب الحجاز في منخفض من الأرض تحيط به بعض

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، جـ٢، ص١٩٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٤٠، والحميري، الروض المعطار، ص٦١٧.

(٣) انظر تفصيل ذلك:

- البلاذري، فتوح البلدان، ص١٤١-١٤٢، والخضري: محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، جـ١، ص٢٩-٣٢، وعلي إبراهيم حسن: مرجع سابق، ص٩٠.

التلال ويمتد وادي مكة من الشمال إلى الجنوب"[١].

ومناخها حار ولهذا كان يلجأ إليها جماعات كثيرة من أهل الحجاز فيتخذونها مشتى لهم بعد أن يكون بعضهم قد قضى صيفه في الطائف، ووادي مكة واد صخري وهو كما وصفه القرآن الكريم بأنه: «غير ذي زرع»[٢]، ولمكة عدة أسماء منها أم القرى كما سماها القرآن الكريم: «لتنذرأم القرى ومن حولها»[٣] وهي البلد الأمين مصداقا لقوله تعالى: «والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين»[٤].

وقد تضافرت عوامل كثيرة ساعدت على احتفاظ مكة بمكانة كبيرة بين العرب ليست لغيرها من المدن العربية في الجاهلية كما ذكرت جزء منها سابقا، وكذلك مما يدل على مكانة قريش بين العرب من أنهم رفضوا دعوة النبي ﷺ لا لشيء إلا لأن قريشا عارضت النبي، فقد كانت القبائل العربية تجامل قريشا زعيمة العرب»[٥]، وعلى هذا النحو كانت الجزيرة العربية خاضعة لسيادة قريش لأن قريشا هم سادة العرب وكان العرب يخدمون تجارتهم لمكانتهم من البيت»[٦].

فوجود البيت الحرام عند المكيين زادهم مهابة وإجلالا «فلم ينشأ جاههم

---

(١) الهمداني: وصف الجزيرة العربية، مرجع سابق، ص٧٥.

(٢) سورة إبراهيم، آية ٣٧.

(٣) سورة الشورى، آية٧.

(٤) سورة التين، آية ١-٣.

(٥) علي حسن الخربوطلي، الرسول في المدينة، سلسلة السيرة النبوية، الكتاب السادس، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧٣، ص١٩.

(٦) محمد متولي الشعراوي: الرسول بين مكة والمدينة، القاهرة، دار النصر للطباعة، بدون تاريخ طبع، ص١٥.

وسيادتهم ومهابتهم في الجزيرة العربية إلا هذا الحرم لأن هذا الحرم هو الباقي من دين إبراهيم يحج إليه العرب مما يجعل جميع سكان الجزيرة العربية يخافون أن يتعرضوا لأهل مكة بشيء لأنهم سيجيؤون عندهم في يوم من الأيام فالمهابة لم تكن من جاههم ولا من سيادتهم وإنما جاءت من صنع الله لذلك البيت»[١].

وقد امتن الله سبحانه وتعالى على أهل مكة بأن جعل لهم حرما آمنا والناس من حولهم لا ينعمون بما ينعمون هم به من أمن وطمأنينة في ظلال البيت الحرام، قال تعالى يصف ذلك: «أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم»[٢].

ومكة تحظى عند العرب بمكانة دينية ومكانة تجارية، فمكة بالنسبة للعرب، «هي بيت تجارتهم إلى جانب كونها بيت كعبتهم المقدسة يقيمون فيها أعيادهم الدينية كما يقيمون أسواقهم التجارية كسوق عكاظ ومجنة وذي المجاز»[٣]، ففي مكة حركة تجارية ضخمة قلّ أن توجد بنفس الدرجة في غيرها من المدن العربية في ذلك الوقت»[٤].

ولهذه الروح التجارية المتجلية في مكة ومكانتها الدينية، وإحاطتها بالأسواق الهامة يمكن القول أن الحج والتجارة والدين والأعمال أمور آخذ بعضها برقاب بعض في مكة[٥]»، وإذا كانت التجارة قد مكنت أهل مكة من الاحتفاظ

---

(١) قضايا الفكر الإسلامي المعاصر، ط.١، الرياض، ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ١٩٧٦م ص٣٦٨.

(٢) العنكبوت، آية ٦٧.

(٣) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص٥٠.

(٤) إميل منغم، مرجع سابق، ص٤٣.

(٥) المرجع السابق نفسه، ص٣٩.

بنوع من السيادة حيث نمت الحياة التجارية الكثير من ثروة المكيين إذ كان وراء تبادل التجارة وانتشارها ما عاد على أهل مكة بالأرباح الطائلة وكان له أثره في رفع شأن بلدهم في نظر القبائل العربية»[١]، إذا كان الأمر كذلك فإن مكة أصبحت محط أنظار القبائل العربية في الجزيرة العربية بأجمعها ومع هذا فإن النظام السياسي السائد فيها لا يخرج عما هو سائد في غيرها من البلاد فمع نمو العلاقات التجارية والاقتصادية فيها كان مجتمعها قبليا، فهو لا يعدو اتحاد عشائر ارتبط بعضها ببعض في حلف لغرض سدانة الكعبة من جهة والقيام على تجارة القوافل من جهة أخرى، ولا سلطان لعشيرة على أخرى بل كل عشيرة تتمتع بالحرية التامة ولا طاعة عليها لأحد، وكل ما هنالك أن اشتراكهم في مصلحة واحدة خفف من غلواء هذه الحرية ولكنه تخفيف لا يخرج بنظام الجماعة القرشية عن النظام المعروف في القبائل الجاهلية، ووجود ملأ فيها أو مجلس شيوخ لا ينقص هذه الحقيقة، فقد كان ينظر في شؤونها حسب قوانين العرف والعادة ولكنه لم يقض على حرية الأفراد فقدكان كل فرد متمتعا بحريته مع شعوره بحقوق الجماعة أو حقوق القبيلة[٢]، فمجتمع مكة مجتمع قبلي يسير النظام فيه «الكبراء من غير وكالة صريحة، فيجتمع هؤلاء في دار الندوة إذا ما اشتدت الأمور وكان يهيمن على دار الندوة ذو الفصاحة منهم، وكانت أبواب دار الندوة مفتحة للأشراف منهم والشيوخ»[٣]، ويروي ابن جريج وابن إسحاق أنه لم يكن يدخلها من قريش من غير ولد قصي إلا ابن أربعين سنة للمشورة، وكان يدخلها ولد قصي

---

(١) علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص١٢٩.

(٢) جواد علي: المفصل في تاريخ العرب، جـ٥، ص٦٤٩، وما بعدها.

(٣) إميل در منغم، مرجع سابق، ص٤١.

كلهم أجمعون وحلفاؤهم»[١].

وقد كانت قريش لا تقض أمرا إلا في دار الندوة فهي أشبه بمجلس الشيوخ تجري فيها المناقشات والمباحثات في الأمور المهمة، ومنها:

١- فلا تزوج امرأة إلا في دار الندوة.

٢- ولا يعقد لواء إذا خرجت للحرب إلا في دار الندوة.

٣- ومن دار الندوة ترحل قوافل قريش للتجارة وفي فنائها تحط هذه القوافل حمولتها إذا رجعت.

٤- وتعتبر دار الندوة دار مشورة فيها يجتمع الملأ للتشاور في أمورها[٢].

وبجانب دار الندوة فقد كان لكل قبيلة ناد أو مجلس خاص تجري فيه المسامرات والمناقشات، وقد أشار القرآن الكريم إلى النوادي في بعض الآيات: «فليدع ناديه سندع الزبانية»[٣]، وقوله تعالى : «تأتون في ناديكم المنكر»[٤].

هذا هو الواقع السياسي الذي كان قائما في مكة آنذاك وكان رسول الله ﷺ قد نشأ وترعرع في هذا الوسط السياسي ويعرف كل كبيرة وصغيرة فيه، وقد شارك في بعض الممارسات السياسية والاجتماعية التي شهدها، ومن تلك المشاركات كان حلف (الفضول) الذي قال فيه ابن كثير «إنه كان أكرم حلف وأشرفه في العرب» وقد كان ذلك الحلف والنبي عليه الصلاة والسلام قد بلغ العشرين سنة، وقد أجمع الرواة على ذلك»[٥].وقالوا أن سببه أن رجلا من زبيدة

---

(١) الأزرقي، أخبار مكة،، جـ١، ص٦١، دار الثقافة، بيروت، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م.

(٢) علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص١٠٠-١٠١.

(٣) سورة العلق، أية ١٧.

(٤) سورة العنكبوت، أية ١٩.

(٥) محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، دار الفكر العربي، ط. ١٩٧٢م، جـ١ ص١٩٣.

قدم مكة بتجارة له فاشتراها منه العاص بن وائل، غير أنه حبس ثمنها عنه، وامتنع بسلطانه على أن يدفع للرجل ثمن بضاعته أو يرد إليه ماله فعلا الرجل جبل أبي قبيس عند طلوع الشمس، وقريش في أنديتهم حول الكعبة بأعلى صوته منشدا:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر.

فكان أول من استجاب لندائه وتقدم لإغاثته بنو عبد المطلب، فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب ثم اجتمعت لهذا بطون بني هاشم وزهرة، وتيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان[١]، وتحالفوا على رد المظالم وإنصاف المظلوم من الظالم، ولقد سر النبي عليه السلام لشهوده ذلك الحلف، وأعلن أنه ينفذه في الإسلام لو دعي لذلك، فقال: «لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلفا ولو دعي به في الإسلام لأجبت، تحالفوا على أن يردوا الفضول إلى أهلها»[٢].

وقد ترك هذا الحلف الذي عظّم مكانة قريش في نفس النبي أعمق الأثر لأنه حلف إنساني يدعو إلى الخير ومكارم الأخلاق، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم بعد أن شرفه الله بالرسالة: «لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار عبد الله بن جدعان ما أحب لي به حمر النعم ولو دعيت به في الإسلام لأجبت»[٣] وهكذا أقر النبي ﷺ حلفا تعاقدت فيه طائفة من الناس على القتال لنصرة المظلوم، وقال: إنه يفضله على ما في دنياه. وذلك لأنه عليه الصلاة والسلام مبعوث بمكارم الأخلاق، ويرشد لهذا قوله عليه الصلاة والسلام: «بعثت لأتمم مكارم

---

(١) السهيلي: الروض الأنف، جـ١، ص٩٠، والمقريزي: إمتاع الأسماع، جـ١، ص١١، ومحمد أبو زهرة، جـ١، ص١٩٥.

(٢) المرجع السابق نفسه.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده، جـ١، ص١٩٠، وابن حبان في صحيحه، والبيهقي في السنن، جـ٦، ص٣٦٦، وفي الدلائل، جـ٢، ص٣٨، وابن كثير في السيرة، جـ١، ص٢٥٨.

الأخلاق»[1]، وقد دعا بهذا الحلف كثيرين فأنصفوا.

وكذلك من الأمور الجامعة التي اشترك فيها الرسول ﷺ وشهدها حرب الفجار[2] والتحكيم،[3] ووضع الحجر الأسود.

ب) يثرب أو المدينة:

«يثرب مدينة آهلة بالسكان تقع على الطريق بين مكة والشام شمالي مكة وتحيط بها زراعات وبساتين»[4]، فهي من مدن الحجاز المتحضرة، وقد ورد ذكرها بهذه التسمية في القرآن الكريم: «وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا»[5]، وقد عرفت يثرب بالمدينة وظل هذا الاسم ملازما لها حتى الآن»[6]، وبعد تغلب الرومان على بني إسرائيل في الشام تشتت اليهود في أنحاء متفرقة حول فلسطين في القرنين الأول والثاني الميلاديين، واستوعبت بلاد العرب الشمالية عددا كبيرا من هؤلاء اليهود المضطهدين فنزل معظمهم يثرب لسهولة الحياة فيها»[7]، وظل اليهود مقيمين في يثرب مع من بها من العرب حتى حدث سيل العرم في مأرب ونزح إليهم من بلاد اليمن الأوس والخزرج فنزلوا على اليهود وأقاموا معهم ثم عقد بين الفريقين حلف يأمن به بعضهم بعضا ويمتنعون به ممن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) ابن هشام، جـ١، ص١٨٦، وابن سعد: جـ١، ص١٠٩-١١٠.

(٣) ابن هشام، جـ١، ص٢٠٤، وابن سعد، جـ١، ص١٢٦-١٢٩.

(٤) أبو الفدا: تقويم البلدان، ط. دار الطباعة السلطانية، باريس، ١٨٤٠، مصور بدار الأوفست، ص٨٦، والعميري: الروض المعطار، ص٦١٧.

(٥) سورة الأحزاب، آية ١٣.

(٦) علي إبراهيم حسن، مرجع سابق، ص١٢٠.

(٧) المرجع السابق نفسه، ص١٢١-١٢٢.

سواهم فتحالفوا[١].

واستطاع عرب الأوس والخزرج ممارسة نشاطهم ومواصلة حياتهم فلما صار لهم مال وعدد قلق اليهود وخافوا على وجودهم المغتصب وقطعوا الحلف الذي بينهم وبين الأوس والخزرج[٢]، وسيطر الخوف على الأوس والخزرج حتى تصدى مالك بن العجلان من الخزرج لأفاعي اليهود وقتل منهم عددا فانكمشوا، وانفرد الأوس والخزرج بالسيادة في يثرب وظلوا أهل عز ومنعة حتى وقعت بينهم حروب طويلة اشتركت فيها بعض القبائل العربية[٣]، وكانت بداية الحرب بين الأوس والخزرج والتي أفاد منها اليهود وكانوا وراءها حرب تعرف بحرب سمير ثم توالت بينهم بعد ذلك عدة وقائع سفكت فيها الدماء[٤]. وكان هذا النزاع بين الأوس والخزرج هو الذي مكّن اليهود من يثرب، وكان ما شب من خصام بينهما بفعل اليهود وفي كل حرب يتضح أثر اليهود في تدمير الوجود العربي هناك لتخلو لهم أرض يثرب وبهذا النزاع بدأت مرحلة مظلمة في تاريخ يثرب استمرت بضعة قرون قبل الإسلام[٥].

وقد تركت هذه الحروب المتوالية بين الأوس والخزرج أثرها على المدينة فقد كانت الحياة مضطربة أشد الاضطراب، وكانت آخر حروبهم يوم بُعاث وكان دور

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١، ص٦٥٦.

(٢) عائشة عبد الرحمن، مع المصطفى في عصر البعثة، ط، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١، ص.١١.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، جـ١، ص٦٥٣.

(٤) المصدر السابق، ص٦٥٨.

(٥) عائشة عبد الرحمن، مرجع سابق، ص١١١.

اليهود فيها معروفا»[1]، ويتضح مما سبق «أن الأوس والخزرج كانوا يتجاورون مع يهود المدينة جوارا شابته البغضاء وكثيرا ما تعدى البغضاء إلى القتال، وقد تمكنت العداوة في نفوس يهود يثرب لأوسها وخزرجها وفي نفوس الأوس والخزرج لليهود الذين رأوا أن مقابلة القتال بالقتال قد تهوي بهم إلى الفناء فقد يجد الأوس والخزرج حلفا من بني دينهم العربي على أهل الكتاب»[2]، ولهذا عدل اليهود عن سياسة القتال وسلكوا في سياستهم خطة غير خطة المعارك فلجأوا إلى سياسة الوقيعة والتفريق بين الأوس والخزرج[3]، وهكذا يتضح لنا أن «علاقة اليهود بعرب يثرب من الناحية السياسية كانت سيئة وكان عرب يثرب منقسمين على أنفسهم وقامت بينهم حروب طويلة»[4].

وبعد أن انتهت واقعة بعاث واستعادت اليهود مكانتها بيثرب رأى الأوس والخزرج سوء ما صنعوا وفكروا في عاقبة أمرهم فتطلعوا إلى إقامة ملك عليهم واتفقوا على إقامة حكومة في يثرب ممثلة في شخص عبد الله بن أبي بن سلول[5]، وهموا بتتويجه فعلا ولكن حدث ما لم يكن في حسبانهم، فبينما هم يتأهبون لذلك الحدث الكبير هاجر النبي ﷺ إلى يثرب فدان له أهلها بالطاعة وعدلوا عن تولية ابن أبي ولذلك ظل معارضالدعوة النبي صلى الله عليه وسلم طول حياته،

---

(١) المباركفوري: الرحيق المختوم، ص١٧٩.

(٢) محمد حسين هيكل: حياة محمد، القاهرة، مطبعة مصر، ١٩٣٥م ص١٦٣.

(٣) المرجع السابق نفسه، ص١٦٤.

(٤) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ١، ص٦٥٥-٦٥٨.

(٥) المصدر السابق نفسه، جـ٢، ص٣١٣.

وسمي هو وأتباعه في القرآن الكريم بالمنافقين[1].

هكذا كان واقع الحال السياسي في المدينة عند ظهور الإسلام، اضطراب سياسي وحروب مستمرة بين اليهود من جانب والأوس والخزرج من جانب آخر، وكان رسول الله ﷺ على علم تام ومعرفة بكل تلك الأحداث ولقد استطاع توظيف هذه المعرفة لصالح الدعوة الإسلامية إذ إنه بفضل الله سبحانه وتعالى ثم معرفته لهذا الواقع أصبحت (يثرب) عاصمة الإسلام الأولى.

ج) الطائف:

وهي على بعد خمسة وسبعين ميلا من الجنوب الشرقي لمكة[2] على ارتفاع ستة آلاف قدم وتعتبر بستان مكة»[3]، وكانت تنزلها قبيلة ثقيف، وكانت مصيفا طيبا للقرشيين وقد عدّ الهمداني في كتابه (صفة جزيرة العرب) الطائف من تهامة اليمن، وقد قيل إن المراد بالقريتين في قوله تعالى «وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[4]، أنهما مكة والطائف، وقد قصد المشركون بذلك الوليد بن المغيرة في مكة، وعروة بن مسعود الثقفي في الطائف»[5].

وكانت قبيلة ثقيف تقيم في الطائف ولها «السيادة السياسية والدينية في مدينة الطائف وأصبحت منزلتها كمنزلة قريش في مكة وكان لثقيف وثنها المعروف باللات، وهي صخرة مربعة الشكل أقاموا حولها على مثيل حرم الكعبة محاولين

---

(١) ابن الأثير، الكامل في التاريخ، جـ٢، ص١٩٣.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان، ص١٧، وما بعدها.

(٣) انظر: الحميري: الروض المعطار، ص٣٧٩، ود. فيليب حتي، تاريخ العرب، الترجمة العربية، دار الكشاف، بيروت، ط ١٩٦٥م جـ١، ص١٤٣.

(٤) سورة الزخرف، آية ٣١.

(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٤، ص١٢٧.

جذب الحجاج العرب للحج إلى اللات بدلا من حجهم إلى الكعبة»[١].

وقد خرج النبي ﷺ سنة عشر من النبوة يلتمس من ثقيف الإسلام رجاء أن يسلموا وأن يناصروه على الإسلام والقيام معه على من خالفه»[٢]، والتقى النبي في الطائف بثلاثة إخوة هم زعماء ثقيف حينئذ وهم عبد ياليل، ومسعود، وحبيب، فرفضوا دعوته»[٣].

بعد هذا العرض المستفيض للأحوال التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام يكون قد اتضح لنا حال الأقطار الثلاثة التي كانت مجاورة للأجانب وكذلك مدن الحجاز وحواضره، فقد كانت حالتها السياسية في تضعضع وانحطاط لا مزيد عليه، فقد كان الناس بين سادة وعبيد، أو حكام ومحكومين، فالسادة - ولا سيما - الأجانب لهم كل الغنم، والعبيد عليهم كل الغرم، وبعبارة أوضح إن الرعايا كانت بمثابة مزرعة تورد المحصولات إلى الحكومات، فتستخدمها في ملذاتها وشهواتها، وجورها، وعداوتها. أما الناس فهم في عمايتهم يتخبطون والظلم ينحط عليهم من كل جانب لا يستطيعون التذمر والشكوى بل هم يسامون الخسف، والجور، والعذاب ألوانا، ولا يمكنهم أن يفعلوا شيئا لإنقاذ أنفسهم، فقد كان الحكم استبداديا، والحقيقة ضائعة مهدرة والقبائل المجاورة لهذه الأقطار مذبذبة تتقاذفها الأهواء والأغراض، مرة يدخلون في أهل العراق، ومرة يدخلون في أهل الشام، وكانت أحوال القبائل داخل الجزيرة مفككة الأوصال، تغلب عليها النزاعات القبلية والاختلافات العنصرية والدينية.

ولم يكن لهم ملك يدعم استقلالهم، أو مرجع يرجعون إليه ويعتمدون عليه

---

(١) المرجع السابق.

(٢) علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، ط ١، جـ١، ص١٣٩، القاهرة، المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٢٠هـ.

(٣) المرجع السابق، جـ١، ص١٤٠.

وقت الشدائد.

وأما حكومة الحجاز، فقد كانت تنظر إليها العرب نظرة تقدير واحترام كما مر معنا، ويرونها قادة وسدنة المركز الديني، وكانت تلك الحكومة في الحقيقة خليطا من الصدارة الدنيوية الحكومية والزعامة الدينية، فحكمت بين العرب باسم الزعامة الدينية، وحكمت في الحرم وما والاه بصفتها حكومة تشرف على مصالح الوافدين إلى البيت، وتنفذ شريعة إبراهيم ، وكانت لها من الدوائر والتشكيلات ما يشابه دوائر البرلمان في العصر الحاضر، فكانت من الوظائف «الرفادة ، والسقاية، القيادة، الحجابة، اللواء»[1]. ولكن هذه الحكومة كانت ضعيفة لا تقدر على حمل العبء كما وضح في مواقف كثيرة منها يوم حادثة الفيل وغيرها. كل هذه الأحداث والوقائع كانت مكشوفة ومعلومة للرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام فاستفادوا من توجيه هذا الواقع نحو الاستجابة للرسالة الإسلامية ونجحوا في ذلك أيما نجاح رغم العقبات والصعوبات التي اعترضتهم في بداية الدعوة.

المطلب الثالث

واقع الحالة الدينية عند العرب قبل ظهور الإسلام

يكاد يتفق علماء الأديان على أن التدين غريزة في الإنسان وقد عبر عن هذه الحقيقة معجم (لاروس) للقرن العشرين بقوله: «إن الغريزة الدينية مشتركة بين كل الأجناس حتى أشدها همجية، وأقربها إلى الحياة الحيوانية، وإن الاهتمام

---

(١) الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٥م، ص٢١٥.

بالمعنى الإلهي وبما فوق الطبيعة، هو أحد النزعات العالمية الخالدة للإنسانية[١]، وإن هذه الغرائز الدينية لا تخفى بل لا تضعف ولا تذبل» وشرح (بارتلمي سانت هلير) نشأة التدين بقوله: «ماالعالم؟ وما الإنسان؟ من أين جاء؟ من صنعهما؟ ما نهايتهما؟ وما الموت؟ وماذا بعد الموت؟... هذه الأسئلة لا توجد أمة ولا شعب ولا مجتمع إلا وضع لها حلولا جيدة، أو رديئة، مقبولة أو سخيفة، وهذا هو الدين»[٢].

وعلى هذا يروى عن معظم المؤرخين أن العرب من تاريخ قديم كانوا على بصيرة من أمرهم، يتعبدون بشريعة خليل الرحمن إبراهيم عليه السلام، بعد أن تلقوها من ابنه إسماعيل، وهي الحنيفية التي جاء محمد ﷺ بها حتى طال عليهم الأمد وابتعدوا عن زمن النبوة وكثر فيهم الجهل وقلت معرفتهم بما جاءت به شريعتهم من الهدى وجروا على شهواتهم وافترقوا كل الإفتراق، فضلوا وتفرقت مذاهبهم وعقائدهم»[٣].

وكان السبب العام في أصل ذلك إغواء الشيطان ، ووساوسه للإنسان كما ورد في القرآن الكريم، ابتداء من إخراج أبينا آدم وزوجه من الجنة ويعلل العلامة (ابن القيم) كيفية إغواء الشيطان لأولئك المشركين بقوله: «وتلاعب الشيطان بالمشركين في عبادة الأصنام وتعدد عقائدهم له أسباب عديدة، تلاعب بكل قوم

---

(١) د. محمد عبد الله دراز، الدين، بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان، دار القلم، الكويت، ط ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م، ص٨٢-٨٣.

(٢)انظر: الدكتور/ محمد أبوشهبة، السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤٠٩هـ جـ١، ص٦٩، ود. عبد الله دراز ، المرجع السابق.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ط٣، جـ٢، ص١٢٤.

على قدر عقولهم»[1].

* نشأة الوثنية والأصنام عند العرب:

قد اختلف العلماء في متى نشأت الوثنية في بلاد العرب؟ وعلى يد من دخلت؟

فقال فريق من العلماء أن أول من أدخل الأصنام إلى بلاد العرب عمرو بن لُحي الخزاعي، وذلك بتغيير دين إسماعيل عليه السلام، فنصب الأوثان، وسيَّب السوائب، ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وهي الحامية بعد أن نازع جرهما علي ولاية البيت وظفر بهم وتولى حجابة البيت، ثم إنه خرج إلى الشام في بعض أموره فلما قدم مآب من أرض البلقاء وجد أهلها يعبدون الأصنام فقال لهم ما هذه؟ فقالوا: نستسقي بها المطر، ونستنصر بها على العدو. فسألهم أن يعطوه منها ففعلوا، فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة»[2]، وهناك رأي آخر في كيفية إدخال الأصنام إلى الكعبة عن طريق عمرو بن لحي نفسه بروايه الكلبي[3]، أن سبب ذلك أن عمرو بن لحي كان له تابع من الجن يقال له: أبو ثمامة، فأتاه ليلة، فقال أجب أبا ثمامة، فقال لبيك من تهامة، فقال: أدخل بلا ملامة، فقال: ائت سيف جدة، تجد آلهة معدة فخذها ولا تهب، وادع إلى عبادتها تجب. فقال: فتوجه إلى جدة، فوجد الأصنام التي كانت تعبد من زمن نوح وإدريس، وهي ود، وسواع، ويغوث، ويَعوق، ونسر، فحملها إلى مكة، ودعا إلى عبادتها فانتشرت بسبب ذلك عبادة

---

(١) ابن القيم، إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ص٢٢٢وما بعدها، دار الفكر، بدون تاريخ.

(٢) ابن هشام، السيرة، جـ١، ص٧٦-٧٧، وعزاه ابن حجر في الفتح، جـ٦، ص٥٤٩، لابن إسحاق في السيرة الكبرى، وابن كثير في سيرته، جـ١، ص٦٥، بألفاظ مختلفة.

(٣) الكلبي: أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي، المتوفي سنة ٢٠٤هـ كتاب الأصنام، بتحقيق الأستاذ أحمد زكي، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ط ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م، ص٦. والسيرة لابن كثير، جـ١، ص٦٢.

الأصنام في العرب، وصارت فيهم بعد أن كانت في قوم نوح» وفي مسند الإمام أحمد «أول من سيب السوائب وعبد الأصنام عمرو بن لحي الخزاعي»[١]، وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: «رأيت عمرو بن عامر بن لحي الخزاعي يجر قصبه في النار وكان أول من سيب السوائب»[٢].

ويذكر ابن الكلبي رأيا آخر في منشأ عبادة الأصنام، ذلك أنهم كانوا لا يظعن من مكة ظاعن إلا حمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم، وصبابة به، فحيثما حلوا وضعوه، وطافوا به كطوافهم بالكعبة، تيمنا منهم بها، وصبابة بالحرم وحبا له، وهم بعد يعظمون الكعبة، ومكة، ويحجون ويعتمرون ثم لم يلبثوا أن عبدوا ما استحبوا من هذه الحجارة، ونسوا ما كانوا عليه، واستبدلوا بدين إبراهيم وإسماعيل غيره فعبدوا الأوثان، وصاروا إلى ما صارت إليه الأمم قبلهم»[٣].

ومهما يكن من شيء فقد انتشرت عبادة الإصنام في بلاد العرب وكان من أعظم أصنامهم (هُبل) الذي كان بجوف الكعبة، وكان من العقيق على صورة إنسان، وكان مكسور الذراع، فأبدله القرشيون ذراعا من ذهب، ومن أشهرها أيضا (ودّ) وكان لكلب بدومة الجندل، أما (اللات) فكانت بالطائف لثقيف، وكانت صخرة كبيرة تعظمها ثقيف، وقد أمر النبي ﷺ بهدمها بعد خضوعهم، ودخولهم في الإسلام، وأما (العزّى) فكانت بوادي نخلة وقد قطعها خالد بن الوليد بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، وأما (مناة) فكانت بالمشلل من قديد

---

(١) مسند الإمام أحمد، جـ١، ص٤٤٦،

(٢) البخاري مع الفتح، جـ٨، ٢٨٣، حديث رقم ٤٦٢٤، ورواه الطبراني من حديث ابن عباس «أول من غير دين إبراهيم، عمرو بن لحي» وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير برقم (٢٥٨٠)، ط دار الفكر.

(٣) ابن الكلبي، الأصنام، ص٦.

على ساحل البحر الأحمر، وكانت الأنصار وغسان يعظمونها قبل الإسلام، وكانوا يحجون إليها وكان من أهلَّ لها لم يطف بين الصفا والمروة، ويتحرج من ذلك، فلما أسلموا بقوا على تحرجهم فأنزل الله تعالى قوله : «إن الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما »[١].

فجاءت الآية لنفي هذا الحرج الذي كان في نفوسهم، وكان الواحد منهم يصنع لنفسه الصنم من العجوة أو الحلوى فإذا جاع أكله ووجد أحدهم صنما له وقد بال عليه الثعلب فرمى به وقال:[٢]

أرب يبول الثعلبان برأسه   لقد ذل من بالت عليه الثعالب.

* اليهودية والنصرانية عند العرب قبل الدعوة الإسلامية:

إضافة إلى الوثنية التي كانت الدين العام عند العرب، فقد عرفوا الديانات الأخرى كاليهودية والنصرانية.

أولا: اليهودية: لقد كانت معرفة العرب لليهودية عن طريق الدعوة العامة التي يعززها سلطان الرؤساء على نحو ما حدث في اليمن[٣]، أو عن طريق الهجرة الجماعية من اليهود نتيجة القمع والتشريد حيث هاجر بنو النضير وبنو قريظة جملة واحدة إلى يثرب واستقروا فيها[٤].

ولكن الخلاف قائم بين المؤرخين في تاريخ دخولهم ووسيلتهم في ذلك؛ لأن المعروف عن اليهودية المتأخرين عدم الدعوة للدخول في اليهودية لأنهم يرون

---

(١) سورة البقرة، آية، ١٥٨.

(٢) د. محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، جـ١، ص٧٢، وانظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان، جـ٢، ص٢١٩.

(٣) سيرة ابن هشام، جـ١، ص٢٣.

(٤) ابن حزم، الفصل في الملل والنحل، ط ١٣٢١هـ، جـ١، ص٤٩.

أنفسهم شعب الله المختار[1].

وعلى أية حال فقد دخلت اليهودية بلاد العرب ووجد اليهود في الجزيرة العربية، وكان لليهود في بلاد العرب مراكز متعددة فقد كانت مستعمراتهم في الجزيرة بعضها في الشمال بتيماء وخيبر وفدك ويثرب، ووادي القرى، والبعض الآخر كان باليمن ونجران، وكانت يثرب أهم هذه المستعمرات وكان بيثرب من اليهود ثلاث قبائل بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة»[2].

واشتغل اليهود في التجارة والسعي إلى الكسب وجمع المال لما عرف عنهم من شهوة حب المال، والتصرف في وسائل الإنتاج، واستعملوا كل وسيلة مشروعة وغير مشروعة، وأخذوا في بث الفرقة بين العرب ليخلوا لهم الجو وسيطروا على الناس بالتعامل بالقروض والدسائس[3]، وهذا هو ديدنهم في كل عصر ومصر حلوا به إلا سعوا بغرس بذور العداوة والبغضاء بين أهله، وديدنهم هو الاعتداء على البشر عامة والمسلمين خاصة بطردهم من بلادهم وقتل أبنائهم، واستحلال أموالهم ونسائهم وإبادتهم بجميع وسائل الإبادة، وهم في العصر الحاضر لم يقفوا عند اغتصاب فلسطين والبيت المقدس بل يصرحون أن هدفهم من الفرات إلى النيل، ولقد نشط إعلامهم في بث هذه الأفكار والآراء الهدامة والمذاهب الإباحية بين الشعوب الأخرى.

---

(١) محمود عباس العقاد، مطلع النور، ط١، ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩، ص٤٨.

(٢) انظر: اليعقوبي، تاريخ، جـ٢، ص٥٢، والسهيلي: الروض الأنف، جـ٢، ص٢٥٠-٢٥١، الشريف، مكة والمدينة، ص٣٠٦، ٣٢٠.

(٣) عباس محمود العقاد، مطلع النور، ص٤٨.

ثانيا: النصرانية:(*)

أما النصرانية فكانت منتشرة بنجران شمال اليمن[١]، وطبيعي أنها جاءت من الحبشة ، وفي شمال الجزيرة في دولة الغساسنة وقد كانت وثيقة الصلة بالروم، فمن ثم انتشرت فيها النصرانية أكثر من غيرها، وفي الحيرة تنصر معظم الأسرة المالكة، وقد ذكر ياقوت في (معجم البلدان)[٢] أنه كان بالحيرة بيعة - كنيسة - وأنها من أقدم الكنائس ببلاد العرب، وقد ذكر أنه كان على واجهتها كتابة نصها: «بنت هذه الكنيسة هند أمة المسيح، وأم عبده» وفي غير هذه الأقاليم لا تجد أثرا يذكر للنصرانية.

ودخلت النصرانية إلى اليمن كذلك في القرن الرابع الميلادي على أرجح الروايات، وانتشرت بحكم العامل السياسي والديني والتجاري[٣].

وعلى كل الأحوال فالعرب لم يستفيدوا من هاتين الديانتين لكونهما صورتين لليهودية والنصرانية في بلاد الروم والشام، وقد طرأ في أصليهما التحريف والوهن، وكذلك يبدو أن من أسباب عدم انتشار النصرانية على وجه الخصوص في بلاد العرب التعقيدات التي فيها ولا سيما في باب الألوهية، فإنها لا يقبلها العقل العربي والأمور التي يزعم القسس أنها من الأسرار وطبيعة العربي تأبى ذلك أيضا.

(*) والنصرانية، والنصرانة، واحدة النصارى، النصرانية ديانتهم، ويقال نصراني، وأنصار، وتنصّر أي دخل في دينهم، ونصّره: جعله نصرانيا، القاموس المحيط، ص٦٢٢، والصحاح، الجوهري، ص٨٢٩.

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، جـ١، ص٣٤.

(٢) ياقوت الحموي: معجم البلدان، جـ٢، ص٣٢٨.

(٣) د. محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، جـ١، ص٧٩.

* الحنيفيون:

كان من بين العرب أناس يدينون بشريعة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام في الألوهية والتوحيد ،والإيمان بالبعث واليوم الآخر، وأن رسولا سيبعث في آخر الزمان، ويخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور، ويطلق على هولاء الحنفاء أو التائبون[1] المعترفون ،نسبة إلى حنيف، وقد ورد هذا اللفظ في القرآن الكريم في سورة آل عمران «ماكان إبراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين »[2].

ومن هولاء أ مية بن أبي الصلت الشاعر المعروف[3] وكان يؤمل أن يكون النبي المنتظر فلما بعث النبي ﷺ حقد عليه، وفيهم ورقة بن نوفل ابن عم السيدة خديجة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ومنهم قس بن ساعدة الإيادي، وكان أشهر قضاة العرب وفصحائهم وخطبائهم وقد سمعه الرسول ﷺ يخطب بسوق عكاظ على جمل له يحث على ترك العادات المرذولة ويبشرهم ببعث الرسول وقد قال فيه الرسول ﷺ: سيرحم الله قسا إني لأرجو أن يبعث يوم القيامة وحده»[4].

وعلى الرغم من وجود الحنيفية فقد كثرت المعتقدات والديانات المحرفة في الجزيرة العربية إلا أنه لم يقدر لأي دين من هذه الأديان الفوز أو الغلبة فقد كان لكل قبيلة أو قبائل صنم أو معتقد خاص بها دون غيرها.

---

(١) د. رؤف شلبي:بشائر النبوة، طبع مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، رمضان ١٣٩٣-١٩٧٣م ص ٢٨ ،وانظر:القاموس المحيط: الفيروز أبادي: ص ١٠٣٦ والصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل حماد الجوهري ص١٣٤٧

(٢) سورة آل عمران آية ٦٧

(٣) ابن هشام جـ١، ص٢٢٧، وعلي برهان الدين -السيرة الحلبية جـ١ ص١٧٨.

(٤) ابن كثير: السيرة النبوية، جـ١، ص١٥٠، وسيرة ابن هشام، جـ١، ص٢٢٦.

وكذلك كانت الديانة المسيحية إذ ذاك مذهبا معقدا تعددت فيه الفرق واختلفت، وكانت اليهودية دين الشعب المختار الذي لم يقبل العرب على أنفسهم أن يضحوا له باستقلالهم وكذلك الحنيفيون كانوا في صراع مع أنفسهم ومعتقدات أقوامهم التي يرون أنها لا تنفع ولا تضر.

هذا هو الواقع الديني الذي كان سائدا في بيئة الدعوة الإسلامية حين أنعم الله بها على العالمين، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، وكان رسول الله ﷺ قد نشأ فيها فهو أدرى بها وأعلم بما فيها من معتقدات باطلة وديانات محرفة، ومن هنا كانت المعالجة الحكيمة القائمة على معرفة الواقع ووضع الحلول والأساليب الملائمة التي حولت الخامات الجاهلية إلى أمة تقود العالم.

المطلب الرابع

الواقع الاجتماعي الذي كان قائما قبل ظهور الدعوة الإسلامية

أتناول في هذا المطلب جانبا آخر من جوانب الحياة العربية في البيئة الجاهلية وهو الجانب الاجتماعي ، والذي نقترب بالحديث عنه من صورة الواقع الذي واجهته الدعوة الإسلامية، هذا الواقع الذي اتضحت بعض معالمه من خلال الحديث عن الجوانب السابقة، الاقتصادية والسياسية والدينية، ولوجود التلازم الوثيق بين عقيدة المجتمع الدينية وطبيعة أنظمته الاجتماعية وأحواله الأخلاقية والاقتصادية والسياسية والفكرية إذ إن حال أي أمة في هذه النواحي تعتبر جزءا من حالة الأمة الاعتقادية، فإذا تحسّن واقع الأمة الاعتقادي ، تحسن معه واقع الأمة في النواحي الأخرى، وعندما تنحط الشعوب دينيا فلا بد أن تنحط وتتدهور اجتماعيا وفكريا وسياسيا وهذا يلحظه من يستقرئ أحوال الأمم وتاريخ تطورها.

وما واقع الأمة الإسلامية اليوم - بل الإنسانية جمعاء - إلا دليلا على ما نقول، ومن هنا كان كل نظام اجتماعي وسياسي لا ينبثق من عقيدة صحيحة وفطرة سليمة، نظاما مصطنعا ومنهارا بكل تأكيد، وإن عاش زمنا واغتر به

المخدوعون والأشقياء من بني الإنسانية.

وهذا بالفعل الذي كان حادثا في بيئة الدعوة الإسلامية قبل ظهورها كما اتضح لنا ذلك عندما تناولنا الجانب الديني، ولهذا سوف أتناول الجانب الاجتماعي من خلال النقاط التالية:

١- النظام الطبقي في الجاهلية.

٢- الأنكحة الجاهلية.

٣- العادات الشائعة.

٤- الجانب الأدبي من الحياة الجاهلية.

١- النظام الطبقي في المجتمع الجاهلي:

لقد كانت للعرب أوضاع وتقاليد اجتماعية وقوانين عرفية فيما يتعلق بالأنساب والأحساب، وعلاقة القبيلة بالأخرى، وعلاقة الأفراد بعضهم ببعض، ولما كان النظام القبلي هو أساس النظام السياسي عند عرب الجاهلية فقد نشأت عن ذلك الفوارق بين الطبقات، فقد كانت القبيلة تتألف من ثلاث طبقات:

- أبناؤها الذين يربط بينهم الدم والنسب، وهم عمادها وقوامها.

-العبيد وهم الرقيق المجلوبون من البلاد الأجنبية المجاورة وخاصة الحبشة[١]

وعلى ذلك يمكن القول: «أن نظام العرب الاجتماعي كان طبقيا يتألف من سادة وعبيد، وكان العبيد هم الذين لا يملكون أية وسيلة للإنتاج، بل هم أنفسهم مملوكون يعملون في خدمة الملأ من القوم وأثرياء التجار، ومصدر العبيد في الجاهلية من السبي والنخاسة (التجارة) وعبودية الدَين والأرقاء من مصدر الأسر[٢]».

---

(١) برهان الدين دلو، الجزير العربية قبل الإسلام، جـ١، ص١٧٠،

(٢) برهان الدين دلو: الجزيرة العربية قبل الأسلام، جـ١، ص١٦٨.

ومع نمو الحركة التجارية واستفحال الربا والاستثمار الربوي كان عدد العبيد يتزايد بما يضاف إليهم من رقيق الدَّين، وهم من الأحرار العرب كانو يستعبدون عند عجزهم عن دفع الدين وفوائده الفاحشة للمرابين[1].

وكان ملاك الرقيق يستخدمونهم في الأعمال الصعبة المرهقة والتي تتطلب جهدا مضنيا أو الأعمال المهنية ، وكان العبيد يسكنون أكواخا حقيرة ويعيشون معيشة ضنكا نتيجة الجوع والحرمان.

- الموالي:

فئات اجتماعية من العتقاء، وهم من العبيد الذين أعتقهم سادتهم من نير العبودية وظلوا مرتبطين بهم برابطة الولاء، ومن العرب الأحرار، وهم الخلعاء الذين خلعتهم قبائلهم وتبرأت منهم لجرائر ارتكبوها فلجؤوا إلى قبائل أخرى طالبين الحماية أو انتسبوا إليها على أساس الموالاة بالجوار، وكانوا يسمون أحيانا الحلفاء، وفي لسان العرب ما يشير إلى هاتين الفئتين الاجتماعيتين من الموالي. قال ابن منظور: المولى الحليف هو من انضم إليك فعز بعزك وامتنع بمنعتك.. والمولى المعتق انتسب بنسبك.[2]

وهناك روايات تشير إلى أن عدد موالي قريش كان كبيرا وأنهم كانوا يشكلون نسبة كبيرة من مجموع سكان مكة[3]. وقد أوسعت قريش المكان لهؤلاء تبعا لسياستها العامة التي قامت على تنشيط التجارة، والرغبة في الإفادة من جهودهم وخبراتهم وقد أخلص بعض هؤلاء الموالي لقريش وقاتلوا في صفوفها واعتمدت عليهم اعتمادا كبيرا في صراعها ضد يثرب (المدينة) بعد هجرة الرسول

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص١٦٩.

(٢) انظر : ابن منظور، لسان العرب، جـ٢، ص٢٨٩، و الجوهري، صحاح اللغة، جـ٦، ص٢٥٢٨-٢٥٣١، القاموس المحيط، الفيروز أبادي، ، ص١٧٣..

(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ٢، ص٣٥٥-٣٦٧، وابن حزم، جوامع السير، ص١١٤-١٢٣.

ﷺ إليها، وتشير قائمة القتلى والأسرى من قريش في معركة بدر عام ٦٢٣م أن مواليها قد تحملوا حوالي ٤٠٪ من الخسائر[1]، وكانت غالبية هؤلاء الموالي ممن ارتبطوا بقريش عن طريق الحلف.

وقد حصل بعض الموالي في مكة على ثروات طائلة، وأسهموا في الحياة العامة، وتمتعوا بمكانة رفيعة وبنفوذ كبير في المجتمع المكي مثل الأخنس بي شريق بن عمرو بن وهب الثقفي الذي أثر على حلفائه (بني زهرة) فأقنعهم بالرجوع وعدم المشاركة في موقعة بدر مع إجماع قريش على الخروج لقتال المسلمين، فرجعت بنو زهرة مع الأخنس، ولم يشهدها زهري واحد، «أطاعوه وكان فيهم مطاعا»[2].

٢- الأنكحة الجاهلية:

كانت هناك في الجاهلية أنكحة كثيرة منها الصحيح الذي هو كأنكحتنا اليوم بخطبة، وولي، ومهر، ومنها الفاسد كنكاح الاستبضاع، ونكاح البغايا، ونكاح الشغار، ونحوها. والنكاح الصحيح كان يلتزمه أكثر العرب ولا سيما الأشراف منهم، ومما يدل على شيوع هذه الأنكحة ما رواه الإمام البخاري في صحيحه بسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنه «أن النكاح في الجاهلية كان على أربعة أنحاء، فنكاح منها نكاح الناس اليوم، يخطب الرجل إلى الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها، ونكاح آخر كان الرجل يقول لامرأته إذا طهرت من طمثها، أرسلي إلى فلان فاستبضعي منه ويعتزلها زوجها، ولا يمسها أبدا حتى يتبين حملها من ذلك الذي تستبضع منه، فاذا تبين حملها أصابها زوجها إذا أحب، وإنما يفعل ذلك رغبة في نجابة الولد فكان هذا النكاح نكاح الاستبضاع، ونكاح آخر يجتمع الرهط مادون العشرة، فيدخلون على المرأة كلهم يصيبها فإذا

---

(١) برهان الدين دلو: جزيرة العرب قبل الإسلام، ص١٧٢.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ٦١٩.

حملت ووضعت ومرت ليال بعد أن تضع حملها أرسلت إليهم فلم يستطع رجل منهم أن يمتنع حتى يجتمعوا عندها، تقول لهم: قد عرفتم الذي كان من أمركم، وقد ولدت فهو ابنك يا فلان، تسمي من أحببت باسمه فيلحق به ولدها، لا يستطيع أن يمتنع به الرجل.

ونكاح رابع: يجتمع الناس الكثير، فيدخلون على المرأة لا تمنع من جاءها، وهُن البغايا، كن ينصبن على أبوابهن رايات تكون علما، فمن أرادهن دخل عليهن، فإذا حملت إحداهن ووضعت حملها، جمعوا لها ودعوا لها القافة[١]، ثم ألحقوا ولدها بالذي يرون فالتاط[٢] به، ودعى ابنه، لا يمتنع من ذلك، فلما بعث محمد ﷺ بالحق هدم نكاح الجاهلية، إلا نكاح الناس اليوم»[٣].

ودلالة هذه الصورة على هبوط التصور الإنساني وبهيميته لا تحتاج إلى تعليق، ويكفي تصور الرجل وهو يرسل امرأته إلى (فلان) لتأتي له منه بولد نجيب، تماما كما يرسل ناقته أو فرسه أو بهيمته إلى الفحل النجيب لتأتي له منه نتاج جيد، ويكفي تصور الرجال ما دون العشرة يدخلون إلى المرأة مجتمعين «كلهم يصيبها ثم تختار هي أحدهم لتلحق به ولدها، أما البغاء، وهو الصورة الرابعة، فهو البغاء يزيد عليه إلحاق نتاجه برجل من البغاة... لا يجد في ذلك معرة.. ولا يمتنع عن ذلك! إنه الواقع المتردي والوحل الذي طهر الإسلام منه العرب وزكاهم وكانوا لولا الإسلام غارقين إلى الأذقان فيه»[٤].

وذكر بعض العلماء أنحاء أخرى لم تذكرها عائشة رضي الله عنها كنكاح

---

(١) جمع قائف، وهو الذي يعرف شبه الولد بالوالد بالسمات الخفية.

(٢) استلحقه به.

(٣) الإمام البخاري، كتاب النكاح باب من قال لا نكاح إلا بولي، حديث رقم، ٥١٢٧، مع الفتح.

(٤) في ظلال القرآن، جـ١، ص٥٠٨.

الخِدْن، وهو في قوله تعالى: «ولا متخذات أخدان»[١]، كانوا يقولون ما استتر فلا بأس به، وما ظهر فهو لوم، وهو إلى الزنا أقرب منه إلى النكاح، وجاء فيه قوله تعالى: «ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[٢]، وكنكاح المتعة وهو النكاح المعين بوقت، ونكاح البدل: كان الرجل في الجاهلية يقول للرجل: أنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك[٣].

ومن الأنكحة الباطلة نكاح الشغار وهو أن يزوج الرجل وليته على أن يزوجه الآخر وليته ليس بينهما صداق[٤].

* العادات الشائعة في البيئة الجاهلية:

لا شك أن البيئة الجاهلية كانت كغيرها من البيئات وجد فيها من العادات ما هو مستقبح مرزول، كما أن فيها من الفضائل، والمكارم ما هو محمود مشكور، وحتى لا نطيل في سرد هذه العادات سوف أذكر أنموذجا لكل واحدة من تلك العادات الشائعة في البيئة الجاهلية:

- الوأد:[٥]

كان العرب في ظل سيادة نظام الأبوة، يؤثرون البنين على البنات، وذلك للدور الرئيس الذي أصبح يلعبه الرجل في الاقتصاد وفي الصيد والغزو والحروب في حين تقلص دور المرأة في القطاع الاقتصادي، وتركز على تربية الأطفال

---

(١) النساء، آية، ٢٥.

(٢) سورة الأنعام، آية، ١٥١.

(٣) فتح الباري، جـ٩، ص١٥.

(٤) د. محمد أبو شهبة، السيرة النبوية، جـ١، ص٩٠.

(٥) الوأد: كان بأن يحفر للبنت حفرة في التراب ثم تلقى فيها حية، ويهال عليها التراب.

انظر: الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص٤١٣..

وأعمال الطهي وتدبير الشؤون البيتية[١].

وقد صور القرآن الكريم تصويرا رائعا حالة الجاهلي النفسية إذا بشروه بولادة بنت قال تعالى واصفا حاله: «وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، ألا ساء ما يحكمون»[٢].

لقد كان من المآسي التي كانت تزاولها بعض القبائل وأد البنات خشية العار وقتل الأولاد من الفقر أو خشية الفقر، كما قال تعالى: «وإذا الموؤودة سئلت ، بأي ذنب قتلت»[٣]، وقوله تعالى: «ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئا كبيرا»[٤]، وقوله تعالى: «ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم»[٥].

ومن الإخباريين من أرجع منشأ الوأد إلى قبيلة ربيعة، وذلك أنهم أغير عليهم فأسرت بنت أمير لهم، فلما عقد الصلح، لم تشأ البنت العودة إلى بيت أبيها، واختارت من هي عنده وآثرته على أبيها، فغضب رئيس ربيعة لذلك وسن لقومه الوأد ففعلوه غيرة منهم ومخافة أن يقع لهم بعد مثلما وقع، وقلدته بقية العرب حتى فشا بين كثير من القبائل[٦].

وعلى الرغم من ذلك كان من العرب قبائل لا تئد البنات، كما كان فيهم من

---

(١) برهان الدين دلو: شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام، جـ١، ص١٩٣.

(٢) سورة النحل، آية ٥٨-٥٩.

(٣) سورة التكوير، آية، ٨-٩.

(٤) سورة الإسراء، آية، ٣١.

(٥) سورة الأنعام، آية ١٥١.

(٦) الألوسي، بلوغ الأرب، جـ٣، ص٤١.

يستقبحون هذه الفعلة الشنعاء، كزيد بن عمرو بن نفيل، وكذلك بعض سادات بني تميم كانوا يعيبون وأد البنات، وينقذونهن من جريمة الوأد البشعة، واشتهر بذلك صعصعة بن ناجية جد الفرزدق، حتى سمي (محي الموؤودات)[١].

ولما جاء الإسلام قضى على تلك العادة الشنيعة وكرّم البنين والبنات، وجاءت الآيات المحرمة والأحاديث النبوية الشريفة المرغبة في تربية البنات وحسن إكرامهن، وأوصى بهن خيرا، وكان في المثل العالية التي ضربها النبي ﷺ في معاملة بناته وبنات المسلمين أكبر معلم ومهذب.

- ومن الفضائل الاجتماعية في الجاهلية:

لم تخل البيئة الجاهلية رغم ما شاع فيها من عادات رذيلة فاسدة من بعض الفضائل الخلقية «وإذا كان التنافس بين القبائل في السيادة والعزة والطموح قد جعل الفرد منهم محبا للزهو ميالا للمباهاة وحب الظهور فدفعهم ذلك إلى إنكار كثير من الحماقات التي تنتج عنها من المصائب والويلات، فإن هذا التنافس من ناحية أخرى كان داعيا لتمجيد بعض المثل العليا»[٢] «فقد كان فيهم الشجعان والجبناء والكرماء والبخلاء والحكماء والجهال»[٣]، ومن هذه الفضائل:

١- الكرم:

هو خلق متأصل في العرب ولا سيما أهل البادية وقد كان الواحد منهم لا

---

(١) الأصفهاني، أبو الفرج: الأغاني، ، جـ١٢، ص١٤٤-١٥٠، والألوسي، بلوغ الأرب، جـ٣، ص٤٣، والطبري، جامع البيان، جـ١٥، ص٧٢.

(٢) علي الجندي: تاريخ الأدب الجاهلي، ص١٠٣.

(٣) أحمد محمد الحوفي، الحياة العربية من الشعر الجاهلي، ط٥، دار نهضة مصر، القاهرة ١٩٧٢م، ص٣٦٨.

يكون عنده إلا ناقته، فيأتيه الضيف فيسارع إلى ذبحها.[١]

وكان للكرم عندهم بواعثه فقد كانوا يحيون في بادية شحيحة الزاد وحياتهم ترحال وتجوال فكل واحد منهم معرض لأن ينفذ زاده فهو يقري ضيفه اليوم لأنه سيضطر إلى أن يضاف غدا، ولما كان الغذاء عندهم قليلا والطعام عزيزا فقد أحسوا بالجوع ورأوا معنى الإنسانية الحقيقة بتقديم ما يحفظ للإنسان حياته، ولذلك عظموا الكرم وكان الكرم في مقدمة الفضائل التي يجب أن يتحلى بها العربي[٢].

ويقول السيد الألوسي في كرم العرب وسخائهم «فذاك الذي لا يحتاج إلى بيان، ولا يعوز إلى إقامة دليل وبرهان، قد شهد لهم به الأصدقاء والأعداء، واعترف لهم الأقربون والبعداء، وإذا ألم بهم ضيف حكموه على أنفسهم، واستهانوا له ما وجدوه من نفيسهم، وهذا شعرهم ينطق بما جبلوا عليه ويُعرب عما ألفوه وجنحوا إليه، وهو مما لا يمكن استيعابه في هذا المقام[٣]».

وقد ذكر الألوسي نماذج كثيرة من شعرهم في الكرم ومن ذلك شعر زعيمهم حاتم الطائي الذي يضرب به المثل في الكرم كما يقولون: (أجود من حاتم)[٤] ومن شعره في جوده وكرمه:

يقولون أهلكت مالك فاقتصد   وما كنت لولا ما يقولون سيدا[٥]

وكذلك فرحه بالضيف ومبالغته في الحفاوة به، حتى صار كالعبد ولكنه شرف

---

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، جـ١، ص٧٤.

(٢) على الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٣) الألوسي، بلوغ الأرب، جـ١، ص٤٦.

(٤) المرجع نفسه، جـ١، ص٤٦.

(٥) أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، ص٣١١.

بهذه العبودية يقول في ذلك :

وإني لعبد الضيف ما دام ثاويا   وما في إلا تلك من شيمة العبد[١]

وكان العربي يبيت جائعا ويؤثر إطعام ضيفه كما قال حاتم

لقد كنت أختار القرى طاوي الحشا   مخافة من أن يقال لئيم.

ومن أعظم المكرمات في الصحراء المترامية الأطراف أن يوقدوا نارا يهتدي بها الضيفان فيعرفون بها منازل القوم فيفدون إليها حيث يجدون المقام الكريم والمنزل السهل»[٢].

وكانوا يوقدون النار ليهتدي بها الضيف ومن ذلك قول النمري[٣]:

فأبرزت ناري ثم أثقبت ضوءها   وأخرجت كلبي وهو في البيت داخلة.

وقول حاتم الطائي لغلامه يسار، وكان إذا اشتد البرد أمر غلامه فأوقد نارا ينظر إليها من أضل الطريق ليلا ليقصده[٤]:

أوقد فإن الليل ليل قرّ   والريح يا واقد ريح صر

علّ يرى نارك من يمر   إن جلبت ضيفا فأنت حر

تلك واحدة من الخصال الحميدة التي كانت منتشرة في البيئة الجاهلية وجاءت الدعوة الإسلامية مكملة ومتممة لمثل هذه الخصال وموجهة ومهذبة لها نحو غايات أسمى وأهداف أنبل، فقد كان كرم العربي وبذله لماله من أجل المباهاة والسيادة وخوف الملامة والمذمة فكانت دعوة الإسلام، بأن يكون الكرم والبذل والعطاء ابتغاء مرضاة الله وطلبا للنجاة من النار يوم القيامة، ومما يدل على أن

---

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، جـ١، ص٧٢.

(٢) علي الجندي، مرجع سابق، ص١٠٣.

(٣) الألوسي ، بلوغ الأرب، جـ١، ص٦٤.

(٤) المرجع السابق نفسه، جـ١، ص٧٨.

كرم العربي وعطائه كان من أجل المباهاة والسيادة، ما جاء في أشعارهم كقول حاتم الطائي:

يقولون أهلكت مالك فاقتصد وما كنت لولا ما يقولون سيدا[١].

وقد نتج من معرفة الرسول صلى الله عليه وسلم لهذا الواقع توجيهه نحو غايات أكبر وأنبل، ولذا جاءت توجيهات القرآن والسنة النبوية في هذا الاتجاه كما قال تعالى في وصف المومنين: «ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا، إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءا ولا شكورا»[٢]، وقوله تعالى: «أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين»[٣]، وقوله تعالى في صفة الكافرين: «إنه كان لا يؤمن بالله العظيم ولا يحض على طعام المسكين»[٤]، ودعوة الإسلام إلى بذل المال على الفقراء من الأقارب والمحتاجين كقوله تعالى: «يسألونك ماذا ينفقون؟ قل ما أنفقتم من خير فللوالدين والأقربين»[٥].

وتوجيهات الرسول ﷺ ومن ذلك قوله: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه»[٦]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورّثه»[٧].

---

(١) أحمد محمد الحوفي: ص١٠٣.

(٢) سورة الإنسان، آية ٧-٨.

(٣) سورة الماعون، آية، ١-٣.

(٤) سورة الحاقة، آية ٣٤.

(٥) سورة البقرة، ٢١٥.

(٦) البخاري، جـ١، ص٤٤١، ومسلم جـ٣، ص١٣٥٢.

(٧) البخاري مع الفتح، جـ١، ص٤٥٥، حديث رقم ٦٠١٥.

- الجانب الأدبي من الحياة الجاهلية:

لم تكن حياة العرب في جاهليتهم وقفا علي الحروب والصدام بل كان لحياتهم الاجتماعية جانب آخر قد أتيحت لهم فيه فرص كثيرة للقول والاحتفال والإنصات إليه في وعي وانتباه، والاستمتاع به في شغف واهتمام، فكانت هناك مجالس العشيرة ومجتمعات القبائل على نطاق خاص وعلى نطاق عام وحلقات المباريات الأدبية[١]، والمواسم الأدبية مثل أسواق عكاظ ومجنة وذي المجاز، فقد كانت مواسم اجتماع عام تلتقي فيه وفود القبائل لإعلان خلع من يريدون خلعه لدفع ديات القتلى ولتبادل الأسرى وغيرها من المهمات بالإضافة إلى أنها كانت منبرا للإصلاح ففيها استمع الناس في الجاهلية قبل ظهور الدعوة الإسلامية إلى قس بن ساعدة وهو يخطب في الناس داعيا إياهم إلى التفكير والهدى وأعمال الخير[٢].

وصحيح أن العرب كلهم لم يكونوا أرباب فصاحة وبيان ولكن كانت فيهم ميول إلى تذوق الأدب والاستمتاع به وكان منهم أفراد منحوا موهبة الأدب وظهر فيهم شعراء فحول وناثرون بلغاء وكان الأديب يلقى على الناس ما يقول فيسمعونه ويرددونه بحكم شغفهم بالأدب»[٣].

ويقودنا هذا الجانب إلى الحديث عن الشعراء ومكانتهم، وهم الذين عبروا بلسانهم وصاغوا بشعرهم طرفا كبيرا من الأدب العربي، وكذلك الخطباء الذين كانت خطبهم لونا شائعا من ألوان التعبير الأدبي وكذلك النسابون وأصحاب الحكم الذين كان لهم نصيب كبير في إثراء الحياة الأدبية في البيئة الجاهلية.

- الشعر والشعراء:

الشعر معلم رئيس من معالم ثقافة العرب قبل الإسلام ومرآة صادقة تعكس

---

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، جـ١، ص٧٨، ورؤوف شلبي، بشائر النبوة، ص٩٣، وما بعدها.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين، ١٣٣٢هـ، جـ١، ص٤٠٣-٤٠٤.

(٣) أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، ص١٧٣.

خصائص الحياة العربية القبلية والبيئة التي نشأ فيها، ومصدر تاريخي موثوق لمعرفة أوضاع العرب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في القرنين الخامس والسادس الميلاديين، وقد فطن العرب القدامى بعفوية إلى الأهمية البالغة للشعر الجاهلي، وقالوا: «الشعر ديوان العرب» ويقصدون بالشعر، الشعر الجاهلي، ويريدون بالعرب، عرب الجاهلية، ويعنون بالديوان، السجل الجامع لتاريخ العرب[١]، وقد حظي الشاعر بمكانة عالية في قبيلته «فهو لسان حالها والمذيع لأخبارها والمسجل لأفضالها وأمجادها»[٢]، وكان مجتمع الشعراء بمثابة الصحافة في ذلك العهد، وكان على صاحب كل سلطة أن يستعين بهم لأن في كلامهم قدرة السحر وفي هذا سر نفوذهم وخوف الناس منهم، وكان الشاعر حكم قبيلته فكانت القبائل لا تقطع أمرا لم يره شعراؤها فإذا رأى الشعراء الرحيل ارتحلت وإذا قالوا بالحرب حاربت»[٣].

ولما كانت للشاعر في الجاهلية هذه المكانة العظيمة التي له بين الناس فإن الشعراء قد اعتدوا بأنفسهم، وقد ورد في تاريخ العرب ما يدل على إعتداد الشعراء بأنفسهم من ناحية الرقي العقلي لأنهم كانوا من أرقي الطبقات عقلا في مجتمع الجاهلية بدليل ما صدر عنهم من شعر»[٤].

ولعل موقف الطفيل بن عمرو شاعر دوس من محاولة عزل قريش له عن النبي ﷺ يوضح لنا اعتزاز الشاعر بعقله، قال ابن إسحاق: «وكان الطفيل بن

---

(١) محمد بن سلام، طبقات فحول الشعر، شرح محمود شاكر، دار المعارف، بمصر، ١٣٣٧١هـ ١٩٥٢م،ص١٠.

(٢) علي الجندي، تاريخ الأدب الجاهلي، ص٩٩.

(٣) إميل در منغم، حياة محمد، ص٢٢٤.

(٤) أحمد أمين: فجر الإسلام، ص٥٦.

عمرو الدوسي يحدث أنه قدم مكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل رجلا شاعرا شريفا لبيبا فقالوا له: يا طفيل إنك قدمت بلادنا وهذا الرجل الذي بين أظهرنا قد أعضل[1] بنا وقد فرق بين جماعتنا، وشتت أمرنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأخيه، وبين الرجل وابنه، وبين الرجل وزوجه، وإنا نخشى عليك وعلى قومك ما قد دخل علينا فلا تكلمه ولا تسمع منه شيئا. قال: فو الله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئا ولا أكلمه حتى حشوت في أذني حين غدوت إلى المسجدكرسفا[2] فرقا أن يبلغني شيء من قوله، وأنا لا أريد أن أسمعه. قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ قائم يصلي عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبا، فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله. قال: فسمعت كلاما حسنا. قال: فقلت في نفسي وآثكل أمي، والله إني لرجل لبيب شاعر ما يخفى علي الحسن من القبيح، فما يمنعني أن أسمع من هذا الرجل ما يقول: فإما كان الذي قال به حسنا فقبلته وإن كان قبيحا تركته...»[3].

فأبى الطفيل أن يكون مجرد تابع لهم فيما يقولونه وهو الشاعر الذي تعود أن يكون مسموع الكلمة صائب الرأي هكذا كان للشاعر في الجاهلية مكانته بما كانت لكلمته من سرعة انتشار لا مثيل لها «فقد كانت قصائد الشعراء تطير

---

(١) أعضل: اشتد أمره.

(٢) كُرسُفا: كرسفَة: بالضم ثم السكون ثم سين مضمومة وتاء كالهاء، وهو في اللغة اسم القطن، واسم موضع، انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٤، ٤٦١.

(٣) ابن هشام: السيرة النبوية جـ١، ص٣٨٢.

عبر الصحراء أسرع من الريح فتحدث أثرها العظيم في نفوس من يسمعونها »[١] وكان الشعراء أداة النشر وطريق الإعلام حتى أن حدثا يذكر في قصيدة جدير أن تعلم به القبائل في قاصيها ودانيها »[٢].

وقد استفادت الدعوة الإسلامية من المكانة التي يتمتع بها الشعراء بين أقوامهم وكان للدعوة في جميع مراحلها شعراؤها الداعون للتمسك بها والذود عنها وما قصة الطفيل بن عمرو الدوسي وإسلام قومه بسبب إسلامه إلا شاهد على ذلك وكذلك شاعر الدعوة حسان بن ثابت رضي الله عنه وغيرهما كثير.

- الخطابة:

الخطابة من أنشطة الفكر والثقافة ومن ألوان النشر الأدبي وهي نوع من الكلام يتوجه به الخطيب إلى جمع من المستمعين بقصد إقناعهم بفكرة واستمالتهم إليها.[٣].

وتميزت الخطابة الجاهلية بقصر الخطب، وبعباراتها الموجزة الواضحة والمؤثرة في نفوس الجمهور والتي كثيرا ما تتخذ طابع المثل ليسهل على الناس تناقلها وشيوعها وبغلبة السجع فيها.

وكان للخطيب مكانة في قومه لا تقل عن مكانة الشاعر، والتي استمدها

---

(١) أحمد محمد الحوفي، مرجع سابق، ص١٦٥.

(٢) محمد أبو زهرة، مرجع سابق، جـ٢، ص٧٣٥، وانظر في موقف الإسلام من الشعر والشعراء : الترمذي، ٢٨٤٧، ٤٨٥١، في الأدب، وأبوداود ٥٠١١، والبخاري جـ١٠، ص٤٥٣ في الأنساب.

(٣) انظر في الخطابة: د. محمد أحمد الحوفي، فن الخطابة، ط٤، مطبعة النهضة ، القاهرة، ص٢، ود. توفيق الواعي، الخطابة والخطيب، مكتبة الفلاح، ط١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، ص٤.

من حاجة العرب إلى الخطابة بموضوعاتها المتعددة «فقد جعلت الحياة الجاهلية الخطابة ضرورية لهم في اجتماعاتهم وفي عرض آرائهم وفي القيام بواجباتهم في السفارات والوفود.

وكان الخطباء كثيرا ما يخطبون في وفادتهم على الأمراء ، إذ يقف رئيس الوفد بين يدي الأمير، فيحييه متحدثا بلسان قومه، وفي كتب الأدب والتاريخ والسيرة ما يصور جانبا من هذه الوفود، إذ وفد كثير منها على النبي ﷺ معلنا إسلام القبيلة التي أوفدته لتمثيلها، وكان يقوم خطيب الوفد بين يديه متحدثا ويرد عليه خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1]، وكان هناك من ذاع صيتهم في هذا اللون من الخطابة في الجاهلية والإسلام، ففي الجاهلية اشتهر قس بن ساعدة الإيادي، وقد أدركه النبي ﷺ فرآه في سوق عكاظ واستمع إليه وهو يخطب الناس[2].

٣- النسابون:[3]

حظي الشاعر والخطيب بمكانتهما في مجتمع الجاهلية وإلى جانب ذلك برزت فئة أخرى تبوأت مكانتها واستمدت أهميتها من حاجة العرب إلى التناصر بالعصبية، كما مر بنا في الحياة السياسية والاجتماعية؛ فكانوا يحفظون أنسابهم، ويروونها أبناءهم ويحافظون عليها جهدهم ، وكانت لهم في ذلك اصطلاحات خاصة، وتلك الفئة التي قامت بهذا العلم هم النسابون، فقد كان مجتمع الجاهلية يقوم على العصبية القبلية فافتخر العربي بقبيلته وتعصب لها وامتدح أحسابها وأنسابها، ولحاجتهم إلى التناصر بالعصبية فإنهم اهتموا

---

(١) الطبري، تاريخ الأمم والملوك، مرجع سابق، جـ٢، ٣٧٧ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق نفسه، جـ٢، ص٣٧٥.

(٣) النسابون: النسابة : العالم بالنسب: انظر: القاموس المحيط، للفيروز آبادي، ص١٧٦، والصحاح: تاج اللغة وجماع العربية، للجوهري، جـ١، ص٢٢٤.

اهتماما عظيما بأنسابهم»[١]، وبلغ من تمسك العرب بالأنساب أن «أصبحت عندهم علما واسعا هو علم الأنساب، وقد اشتهر من النسابين الذين حفظوا أنساب القبائل (دغفل بن حنظلة) وتحكى عنه مناقشته لأبي بكر رضي الله عنه في معرفة الأنساب فقد كان كل منهم مشهورا بالإحاطة بأنساب العرب وأحوالها وصفاتها، وكان أبوبكر رضي الله عنه نسابة، وكان أعلم العرب بأنسابها وكان عقيل بن أبي طالب يجلس إليه لأخذ علم الأنساب وأيام العرب منه»[٢].

ولقد استفادت الدعوة الإسلامية كثيرا من معرفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، بالأنساب وخصوصا في بدايتها فقد روي خبر ملازمته للرسول ﷺ في دعوته للقبائل في مواسم الحج وكيف كان يعرِّفه على كل قبيلة.

هذا هو الواقع الذي واجهه الرسول صلى الله عليه وسلم، وعمل أولا لإصلاحه وإخراج أهله من ظلمات الشرك وعبادة الأوثان إلى نور الإسلام وتوحيد الله سبحانه وتعالى.

وعلى ضوء معرفته لهذا الواقع تحددت أهداف الدعوة ووسائلها عبر مختلف مراحلها وكل ذلك وفق تخطيط محكم.

---

(١) علي الجندي: مرجع سابق، ص٧٤-٧٥.

(٢) انظر في ذلك : ابن هشام، السيرة النبوية، وعلي برهان الدين الحلبي، مرجع سابق، جـ١، ص٢٩٩، وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٢، ص١٥٨.

المبحث الثاني
تحديد الأهداف

ليس هناك شك في أن تحديد الأهداف هو أول خطوة في عملية التخطيط العلمي لأنه يؤدي إلى تركيز الجهود في مجال معين «فبدون التخطيط سيكون هناك نشاط غير منظم ولكنه بالتخطيط توجد الأغراض الواضحة والأهداف المحددة»[١].

ولكل خطة هدف أو أهداف محددة يبتغى تحقيقها: «فالهدف الأول من أي تخطيط هو محاولة تحقيق غرض أو أغراض معينة يفترض سبق تحديدها، ويرجى الوصول إليها إذ لا يتصور أن يكون هناك تخطيط غير هادف، ويجب أن تكون هذه الأهداف واضحة ومحددة، وأن يكون بالإمكان تحقيقها»[٢].

وكذلك يرى علماء الإدارة أن هناك اعتبارات لا بد من توفرها في الهدف المراد تحقيقه منها:[٣]

١- أن يكون الهدف مشروعا ومتفقا مع الفلسفة التي يؤمن بها المجتمع ومبادئه.

٢- أن يكون واضحا ومعروفا لدى العاملين على تحقيقه ولا يكتنفه غموض ولا تعلق به شوائب تطمس معالمه وتخفي وضوحه.

٣- أن يكون ممكنا وواقعيا وبعيدا عن الخيال، قابلا للتحقيق في حدود الإمكانات المتاحة.

---

(١) د. علي عجوة، الأسس العلمية للعلاقات العامة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٨م ص١١٩.

(٢) د. عبد الكريم درويش وليلى تكلا: أصول الإدارة العامة، ص٢٧٤-٢٧٥.

(٣) انظر في تفصيل ذلك:

د. عبد الكريم درويش وليلى تكلا، أصول الإدارة، ص٢٧٤، ود. محمد عبد الحميد أبو زيد، مبادئ علم الإدارة، ط٢، ١٩٨٨م، دار النهضة العربية، القاهرة، ص٧٦.

وتتنوع الأهداف التي يرمي التخطيط إلى تحقيقها من حيث مداها إلى أهداف بعيدة وأهداف قصيرة، ومن حيث أهميتها إلى أهداف أساسية وأخرى فرعية، ومن حيث طبيعة الهدف إلى هدف نهائي وهو الذي تسعى المنظمة أساسا إلى تحقيقه وهدف وسيط وهو الذي يساعد على تحقيق الهدف النهائي»[1].

وبما أن الدعوة الإسلامية ارتكزت على التخطيط السليم في كل مراحلها ففي المرحلة السرية والجهرية والهجرة إلى الحبشة ومرحلة الخروج من الحبشة والمرحلة التي تلت ذلك حتى الهجرة إلى المدينة ومرحلة ما بعد الهجرة إلى المدينة إلى صلح الحديبية والمرحلة التي تقع ما بين صلح الحديبية ووفاة الرسول ﷺ.

وقد انتشرت الدعوة الإسلامية على مراحل متتالية، كان لكل مرحلة منها هدف وإن تلاقت هذه الأهداف في العمل على إبلاغ دعوة الله إلى الناس كافة مع مراعاة التدرج والتأني في السير بالدعوة إلى غايتها المرسومة لها، كما كان لكل مرحلة وسائلها وأساليبها وكذلك كان لكل مرحلة جماهيرها الذين تخاطبهم. «فقد كانت الدعوة في البداية سرية وركز النبي ﷺ جهوده على دعوة الأصدقاء المقربين، ثم كانت الدعوة علانية فخاطب النبي عشيرته الأقربين ، ثم انتقل إلى مخاطبة قومه من قريش قريبهم وبعيدهم، ثم أنذر النبي صلى الله عليه وسلم سكان مكة المكرمة ومن حولها، ثم خاطب العرب في الجزيرة العربية، قاصيهم ودانيهم ثم أبلغ النبي دعوته إلى غير العرب من الرومان والفرس وأهل مصر وغيرهم»[2]، كما خطط عليه الصلاة والسلام للدعوة في كل مراحلها فقامت الدعوة على أساس من التخطيط العلمي الذي يلتقي مع المفهوم الحديث للتخطيط ذي العناصر المحددة والموضوع بتوجيه من الحق جل وعلا والذي يشتمل على هدف يراد تحقيقه باستعمال طاقة معينة هي طاقة النبي ﷺ ودعاته الذين حملوا معه

---

(١) د. محمد عبد الحميد، مبادئ علم الإدارة، ص٧٥.

(٢) محمد أبو زهرة: خاتم النبيين، جـ١، ص٢٨.

أمانة التبليغ.

ولما كان النبي ﷺ صاحب دعوة وحامل فكرة فما هو الهدف الذي تمثل في ذهنه، أو ما هي الأهداف التي وضعها وأراد لدعوته أن تبلغها على المدى الطويل؟ كان هدف النبي يتمثل في إبلاغ منهج الله إلى الناس، وشرحه لهم والعمل على إقناعهم بفكرة الإسلام وكسب تأييدهم لها وأن تقوم حياتهم على التوحيد الخالص لله الخالق، والقرآن الكريم يوضح هذه الأهداف أمام النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن النبي يجسدها قولا وعملا وكذلك قد كان لكل مرحلة من مراحل الدعوة هدفها ضمن هذا الهدف العام.

وقد أوضح القرآن الكريم أن مهمة الرسل جميعا هي البلاغ والتبشير والإنذار، وقد جاءت آيات كثيرة مكية ومدنية تشير إلى ذلك الهدف منها الآيات الآتية وقد رتبتها حسب نزولها:

قال تعالى: -

١- «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني» يوسف، آية ١٠٨.

٢- «وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين» الأنعام ٤٨.

٣- «إن عليك إلا البلاغ» الشورى، آية ٤٨.

٤- «فهل على الرسل إلا البلاغ المبين» النحل، آية ٣٥.

٥- «فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» البقرة أية ٢١٣.

٦- «وإن تولوا فإنما عليك البلاغ» آل عمران آية ٢٠.

٧- «وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا» الأحزاب اية ٤٦.

٨- «فإنما عليك البلاغ» الرعد آية ٤٠.

٩- «رسلا مبشرين ومنذرين» النساء آية ١٦٥.

١٠- «فإنما على رسولنا البلاغ المبين» المائدة آية ٢٠،

١١- «فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين» المائدة آية، ٩٢.

١٢- «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك» المائدة ٦٧.

١٣- «ما على الرسول إلا البلاغ» المائدة آية ٩٩.

وآيات كثيرة تشير إلى هذا الهدف.

وهكذا تشير الآيات المكية والمدنية إلى الهدف الذي يجب أن يستمر ملازما لدعوة النبي ﷺ عبر مراحلها المتتابعة من سرية وعلنية وعالمية والذي يجب أن يخطط النبي ﷺ برامج عمل لتحقيقه، هذا الهدف يتمثل في البلاغ «فالرسول صلى الله عليه وسلم كان مسؤولا أمام ربه عن هذا العمل الذي هو الإعلام أو البلاغ».[1].

وتقتضي عملية البلاغ أن يقوم بشرح منهج الإسلام وعرضه على الناس وتوضيحه لهم بطريقة يفهمونها ولغة يسيرة يدركونها، قال تعالى: «وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون»[2].

ومما يؤكد لنا أيضا وضوح هذا الهدف إبلاغ كلام الله وإظهار دينه ـ لدى الرسول صلى الله عليه وسلم ـ أقواله ومواقفه المختلفة وعلى وجه الخصوص في بداية الدعوة فمن ذلك عندما نزل عليه قوله تعالى في سورة الحجر «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»[3]، فصعد على الصفا فجعل ينادي: يا بني فهر يابني عدي لبطون قريش، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر الخبر، فجاء أبو لهب بن عبد المطلب وقريشا، فقال عليه السلام: أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ قالوا نعم ما جربنا

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، ط.١، ١٩٧١م، ص٣٧، بتصرف.

(٢) سورة النحل، آية ٤٤.

(٣) سورة الحجر، آية، ٩٤.

عليك كذبا . قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد.. »[١] .

وأيضا عندما ذهب وفد من قريش إلى أبي طالب عم الرسول ﷺ الذي أخذ على نفسه حمايته من أيدي أعدائه فطلبوا منه أن يخلي بينهم وبينه أو يكفه عما يقول فردهم ردا جميلا، ثم ذهبوا إليه مرة أخرى وقالوا لأبي طالب إما تكفه أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين، ثم انصرفوا فعظم على أبي طالب فراق قومه ولم يطب نفسا بخذلان ابن أخيه، فقال له يا ابن أخي إن القوم جاءوني فقالوا لي. فابق على نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق، فظن الرسول أن عمه خاذله فقال: والله ياعم لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما فعلت حتى يظهره الله أو أهلك دونه... »[٢] .

ويمكن أن نوجز القول فيما تقدم فنقول إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يهدف وهو يخطط لدعوته أن ينشرها على المدى الطويل وعلى امتداد فترة حياته التي أرادها الله له.

كما أراد النبي أن يقوم المؤمنون بمشاركته في تبليغ الدعوة فقد خاطبه الله بقوله «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»[٣]، فاشتملت خطته ﷺ على أدوار عهد بها إلى الدعاة ليقوموا بها، وحث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه على تبليغ الدعوة فقال «نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس

---

(١) البخاري، كتاب التفسير، باب سورة تبت، جـ٨، ص٧٣٧، ومسلم في كتاب الإيمان، باب قوله تعالى: وأنذر عشيرتك، جـ١، ص١٩٣-١٩٤، والطبري في تفسيره، جـ٣، ص٣٣٦-٣٣٧، والواحدي في أسباب النزول، ص٣٠٨-٣٠٩.

(٢) ابن إسحاق في السيرة، جـ١، ص٣٢٦-٣٢٨، والطبري في تاريخه، جـ٢، ص٣٢٥-٣٢٦.

(٣) سورة يوسف آية ١٠٨.

بفقيه»[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: «بلغوا عني ولو آية»[٢]، وكذلك ترغيبهم بالأجر العظيم في دعوة الناس للهدى الذي جاء به، كما جاء في قوله لعلي رضي الله عنه: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»[٣].

هذا هو الهدف العام الرئيس الذي كان ﷺ يسعى لتحقيقه في حياته وأن يقوم الدعاة من بعده به وكذلك كانت هناك أهداف خاصة بكل عهد من عهود الدعوة الإسلامية، وسوف أتناول أهداف كل عهد من خلال تقسيم الدعوة إلى عهدين:

* أهداف الدعوة في العهد المكي.
* أهداف الدعوة في العهد المدني.

المطلب الأول
أهداف الدعوة في العهد المكي

عندما تحدثنا في المبحث الأول ـ من عناصر التخطيط للدعوة ـ عن (معرفة الواقع) تبين لنا حال البيئة الجاهلية التي واجهتها الدعوة الإسلامية عند ظهورها، وعلى ضوء هذا الواقع تحددت أهداف وأولويات الدعوة في هذه المرحلة والتي تمثلت في الأهداف التالية:

١- التركيز على العقيدة.
٢- تكوين خلية الإسلام الأولى.
٣- البحث عن مكان آمن لإقامة الدولة وانطلاق الدعوة.

---

(١) رواه أبوداود في سننه في كتاب العلم، جـ٤، ص٦٨، ص٣٦٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، في كتاب أحاديث الأنبياء، الفتح، جـ٦، ص٤٩٦، ح ٣٤٦١.

(٣) رواه البخاري في صحيحه في الجهاد، الفتح، جـ٦، ص١١١، برقم ٢٩٤٢.

أولا: التركيز على العقيدة:

عند تناولنا لهذا الهدف الذي يعتبر من أهم أهداف الدعوة في العهد المكي لابد من استصحاب الواقع الديني الذي كان قائما قبل ظهور الدعوة الإسلامية، ويمكن باختصار أن نقول إن الجو الديني قبل الإسلام في الجزيرة العربية ينقسم إلى قسمين رئيسيين، يتمثل في فساد العقيدة والانحراف عن توحيد الخالق:

أ) جو منحرف في التوحيد عنده إسراف بكثرة الآلهة أو منحرف السلوك في العبادة.

ويشمل هذا الجو الديانة اليهودية على قلة نفوذها وضعف تأثيرها[١]، والديانة المسيحية على تعقدها وغموضها وقلة خطرها وضعف جاذبيتها[٢]، ثم الوثنية بأصنامها، ونصبها وهي العقيدة العامة الشاملة لأهل الجزيرة[٣].

وهذا الجو فيه إيمان بالله غير أنه إيمان واسع مبذر في إدراكه لمعنى الألوهية وإيمان منحرف في توجهه بالعبادة لله متخذا للوسائط التي يعتقد أنها تقرب لله، كما قال تعالى في شأنهم «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى»[٤] «أجعل الآلهة إلها واحدا..»[٥].

ب) ثم كان هناك جو خافت لبعض الدهريين الذين يقولون: «إن هي إلا

---

(١) علي إبراهيم حسن، التاريخ الإسلامي العام، ص١٥٧.

(٢) عباس محمود العقاد، حقائق الإسلام، وأباطيل خصومه، دار القلم، ط٣، ص٥٢-٥٣، وعلي سامي النشار، الإسلام والإيمان، دار المعارف بمصر، ط٥، ١٩٧١، ج١، ص٥.

(٣) د. رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، دار القلم، بيروت، ط٣، ١٤١٢هـ، ١٩٨٢م، ص٣٥.

(٤) سورة الزمر، آية ٣.

(٥) سورة ص، اية، ٥.

حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر»[١]، أولئك يمثلون المرض الخبيث وهم حثالة لا وزن لها في نظرالعلم والأخلاق[٢].

وقد ذكر في الشفاء أنه على حد هذا المنطق فأولئك القوم لم يكونوا منكرين للخالق وعبادته،، ولا يلزم من قول بعضهم حيث قالوا: «وما يهلكنا إلا الدهر» إن الدهر خالقهم إذ لم يقل به أحد منهم أرادوا به: أن طول الزمان يقتضي أن يحيا ويموت بعضهم فنسبوا بعض الأفعال إلى الدهر[٣].

فقدمت الدعوة الإسلامية في هذا العهد لهؤلاء جميعا منهجا من عند الله سبحانه وتعالى ينزل به القرآن الكريم، ليصلوا به إلى الحق في التوحيد ولينزهوا الله جل شأنه عن كل ما سواه مما يشركون مع جلاله، وكان تركيز القرآن الكريم في هذه المرحلة على قضية العقيدة ولم يتجاوزها إلى شيء من التفريعات المتعلقة بنظام الحياة إلا بعد أن علم الله أنها استوفت ما تستحقه من البيان، واستقرت استقرارا مكينا ثابتا في قلوب العصبة المختارة من بني الإنسان التي قدر الله أن يقوم هذا الدين عليها، فلقد شاءت حكمة الله أن تكون قضية العقيدة هي القضية الأولى التي تتصدى لها الدعوة منذ اليوم الأول للرسالة وأن يبدأ رسول الله ﷺ أولى خطواته بدعوة الناس إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن يمضي في دعوته يعرف الناس بربهم ومعبودهم الحق دون سواه[٤].

وقد جاءت الدعوة إلى عبادة الله وحده والتركيز على لا إله إلا الله في صور متعددة بحيث تؤدي إلى ترسيخ هذه القاعدة في العقول، وإبرازها في غاية

---

(١) سورة الجاثية، آية ٤٥.

(٢) الإسلام والإيمان، علي سامي النشار، ص٧،

(٣) علي القاري: شرح الشفا جـ٣، ص٢٩٩.

(٤) انظر في ظلال القرآن، جـ٥، ص٣١٨٤.

الوضوح والبيان والتأكيد عليها، بعرضها في أساليب متعددة لما لها من أهمية بالغة ولأن كل ما عداها مبني عليها، وسأكتفي بذكر أمثلة تؤدي المقصود من إبراز هذا المعلم.

من هذه الصور: .

١- الأمر بعبادة الله والنهي عن الشرك:

قال تعالى : «واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا»(١).

٢- الأمر باجتناب ما يعبد من دون الله وإخلاص العبادة لله وحده: قال جل ثناوه:

«...فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق»(٢).

وقوله تعالى: «وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء..»(٣).

٣- التحذير من الشرك بصيغة التحريم:

قال تعالى: «قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون»(٤).

وقال تعالى: «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا

---

(١) سورة النساء، آية ٣٦.

(٢) سورةالحج، أيات ٣٠-٣١.

(٣) سورة البينة، آية ٣.

(٤) سورة الأعراف، آية، ٣٣.

الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون»[١].

ومما يوضح لنا هذا المنهج في العهد المكي، والمتمثل في التركيز على العقيدة ما كان يقوم به ﷺ في دعوته للمسلمين الأوائل حينما يدعوهم إلى الدخول في الإسلام فإنه كان يبدأ بدعوتهم إلى التوحيد، وتأكيدا لذلك نسجل ما عرضه صلى الله عليه وسلم على علي بن أبي طالب وأبي بكر الصديق، وعمرو بن عنبسة وخالد بن سعيد بن العاص وغيرهما، فإن علي بن أبي طالب لما دعاه يروي في دعوته للإسلام أنه وجد رسول الله ﷺ وأم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - وجدهما يصليان، فقال يا محمد ما هذا؟ قال: دين الله الذي اصطفاه لنفسه، وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له وإلى عبادته وأن تكفر باللات والعزى...»[٢].

ولما عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام على أبي بكر قال له: يا أبا بكر، إني رسول الله ونبيه وبعثني لأبلغ رسالته وأدعوك إلى الله بالحق، فوالله إنه للحق، أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ولا يعبد غيره، والموالاة على طاعته، وقرأ عليه القرآن فلم يقر ولم ينكر فأسلم وكفر بالأصنام وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام...»[٣].

ومما عرضه ﷺ على عمرو بن عبسة لما دعاه إلى الإسلام، قال: بم أرسلك. قال: «أن تعبد الله وحده لا شريك له وتكسر الأصنام وتصل الأرحام ، فأسلم. فقال للنبي صلى الله عليه وسلم، فأتبعك يا رسول الله، قال: لا ولكن ألحق بأهلك

---

(١) سورة الأنعام، آية، ١٥١.

(٢) انظر: السيرة والمغزي، ص١٣٦-١٣٧، السيرة النبوية لابن كثير، جـ١، ص٤٢٤-٤٢٨، وتاريخ الطبري، جـ٢، ص٣٠٧-٣١٣، والسيرة الحلبية، جـ١، ٤٢٤.

(٣) السيرة والمغازي، جـ٢، ص١٣٩، والبخاري، جـ٢، ص٢٨٩-٢٩٠.

فإذا سمعت بي قد ظهرت فأتني»[١].

وقال ﷺ لخالد بن سعيد بن العاص حينما سأله إلى ما تدعو؟ قال: «أدعوك إلى الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله وتخلع ما أنت عليه من عبادة حجر لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع ولا يدري من عبده ممن لا يعبده. قال خالد: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وكان قد رأى في النوم أنه واقف على شفير النار وكأن آتيا أتاه يدفعه فيها ويرى رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذا بحقويه حتى لا يقع ففزع من نومه فقال: أحلف بالله أن هذه الرؤيا حق، فكانت النتيجة ما ذكر في إسلامه»[٢]، وقال ﷺ لقريش أثناء المفاوضة: «كلمة واحدة تعطونيها تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم، تقولون لا إله إلا الله وتخلعون ما تعبدون من دونه»[٣].

وكان ﷺ يطوف على الناس في منازلهم يقول: «إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وأبو لهب يقول: يا أيها الناس هذا يأمركم أن تتركوا دين آبائكم»[٤].

ولعل كل هذا يوضح لنا بجلاء مدى تركيز رسول الله صلى الله عليه وسلم علي قضية التوحيد كهدف أساس في تلك المرحلة، فإنه كما لاحظنا في الشواهد السابقة إنه ما دعا أحدا للدخول في الإسلام إلا بدأ معه بقضية (لا إله إلا الله) ولعله يمكننا القول بأن الرسول ﷺ لم يكن بدعا من الرسل عليهم السلام

---

(١) جزء من حديث طويل لفظه «..أرسلني الله بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء» مسلم جـ٢، ص٣٠٨.

(٢) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ١، ص٤٠٠.

(٣) رواه البيهقي كما جاء في البداية والنهاية جـ٢، ص٣٢.

(٤) المواهب، جـ١، ص٢٥٠.

فإننا لو تدبرنا القرآن الكريم، والمكي منه بالذات نجد دعوة الرسل لأممهم تركز على قاعدة التوحيد الأولى التي يقوم عليها سائر ما شرع الله من أمر العبادة، وقد جاءت الدعوة إلى ذلك في القصص القرآني عن عدد من رسل الله عليهم السلام على سبيل التفصيل، كما جاءت الأخبار على سبيل الإجمال عن جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام أجمعين، إنهم قاموا بدعوة أممهم إلى ذلك.

يقول الله سبحانه في شأن دعوة الرسل جميعا أممهم إلى عبادة الله سبحانه وتعالى وتحذيرهم من الإشراك به سبحانه: «ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عبادة أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون»[1]، وقول تعالى: «ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة، فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين»[2]، وقوله تعالى: «وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون»[3].

إن المتأمل في هذه الآيات يجد كيف يخبر الحق تبارك وتعالى عن المهمة التي بعث لأجلها الرسل الكرام، وأنها مركزة على دعوة الناس إلى إفراد الله سبحانه، الذي لا إله إلا هو بالعبادة، والكف عن عبادة ما سواه سبحانه.

وهذا الأمر يبرز في صور متعددة تتضافر كلها على مدلول واحد هو حصر العبادة وجعلها قاصرة لله سبحانه دون سواه.

فتارة يأتي في صورة الأمر بعبادة الله تعالى: «أن اعبدوا الله» ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل يأتي الأمر باجتناب عبادة ما سواه سبحانه لبيان أن العبادة لا ينبغي صرفها لغير الله: «واجتنبوا الطاغوت».

---

(١) سورة النحل، آية ٢.

(٢) سورة النحل آية ٣٦.

(٣) سورة الأنبياء آية ٢٥.

وتارة يأتي في صــورة حـصــر الإلوهيــة في الله تعــالى «لا إله إلا أنا فاعبدون».

وهذا كله إخبار من الله تبارك وتعالى عما بعث لأجله الرسل وكلفهم القيام به، وأما الجانب التفصيلي عن دعوة الرسل إلى هذا الهدف ، فيأتي في صورة الأخبار عن قيام الرسل بهذه المهمة خير قيام.

فأول رسول خوف قومه من عاقبة الشرك ودعاهم إلى عبادة الله وحده نوح عليه السلام الذي أنزل الله في شأنه مع قومه سورة كاملة سميت باسمه مع ما ذكر في سائر القرآن[1].

كذلك كلما جاء رسول بعد رسول يؤكد دعوة من قبله من الرسل «يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره» بغض النظر عما يواجه كل رسول من الأمور المتفشية في مجتمعه فيتجه نحو مكافحتها بعد الاتجاه إلى الأصل الأصيل الذي هو توحيد العبادة والذي هو معنى «إياك نعد وإياك نستعين»، وقد جاء منهج القرآن الكريم في العهد المكي مركزا على التوحيد ونبذ الشرك والوثنية واتخذ ذلك أربعة صور:

* أولا: تصوير العقيدة العربية قبل الإسلام:
* ثانيا: لفت النظر إلى الآيات الكونية وما فيها من البراهين والأدلة على توحيد الله.
* ثالثا: دعوة المعاندين إلى التجرد من مواريث الأباء.
* رابعا: بعث الوجدان الفطري بالترغيب والترهيب.

أولا: تصوير العقيدة العربية قبل الإسلام:

لقد عرفنا أن القضية الرئيسة التي كان منهج القرآن في تلك الفترة يريد أن

---

(١) انظر: د. عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، نوح عليه السلام وقومه في القرآن المجيد، دراسة في طريق التفسير الموضوعي، ص٥، الناشر دار القلم، دمشق، ط١، ١٩٩٠م.

يقنع بها أهل مكة هي قضية توحيد الألوهية والربوبية وما يترتب عليها من أمر البعث والحساب والثواب والعقاب، وذلك أنهم ألفوا نمط الحياة الذي كان عليه آباءهم وأجدادهم وتعودوا أن يتخذوا أصناما آلهة يطوفون بها كلما أرادوا، ولم يحدث أحد منهم نفسه يوما إن كانت هذه الآلهة قادرة على المنع والعطاء والضر والنفع، وما لهم ولهذا التفكير ما داموا يأكلون ويشربون ويتمتعون كما تأكل الأنعام، وهم سعداء بهذه الآلهة التي لا تطلبهم كثيرا، ولا تدعوهم إلى أخلاق ذات بال، وحسبهم أن يأخذوا حظهم من الحياة، ولذلك كانت دهشتهم بالغة حينما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يتركوا هذه الآلهة التي لا تغني عنهم شيئا ويعبدوا الله الخالق الباري المصور، وقالوا: «أجعل الآلهة إلها واحدا، إن هذا لشيء عجاب، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يراد، ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق»[١].

وإذا دعوا إلى السجود لله الرحمن «قالوا: وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا وزادهم نفورا»[٢].

وإذا طلب منهم ترك هذه الأصنام قالوا: «ما نعبدهم إلا ليقربونا إلي الله زلفى»[٣]. ويقول في ذلك فضيلة الشيخ الخضري «كانت العرب تعظم هذه

(١) سورة ص، الايات: ٥، ٦، ٧.

(٢) سورة الفرقان، آية ٦٠.

(٣) سورة الزمر، آية ٣.

التماثيل وهذه الأحجار لا لاعتقاد أنها آلهة وإنما لتقربهم إلى الله سبحانه وتعالى»[١] ، والعرب على جاهليتها - أي على حالتها التي كانت عليها قبل ظهور النبوة من الجهل بأمور الشريعة وأصول الديانة - أكثرها يعترف بالصانع، بل جميعها كما هو ظاهر قوله تعالى: «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله»[٢]، «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون»[٣]، وكذلك بين لنا الحوار الذي دار بين الرسول ﷺ وبين حصين والد عمران في الحديث المرفوع الذي يرويه عنه ابنه في سبب إسلامه «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «يا حصين ما تعبد؟» قال : أعبد عشرة آلهة، قال: وما هم ، وأيهم؟ قال تسعة في الأرض وواحد في السماء، قال: «فمن لحاجتك؟» قال : الذي في السماء، قال: «فمن لطلبك» قال: الذي في السماء، قال: «فمن لكذا فمن وكذا، كل ذلك يقول الذي في السماء، قال رسول الله ﷺ : «فالغ التسعة»[٤]

تلك الآيات وهذا الحوار يرسم لنا صورة لعقيدة العرب فيما قبل الإسلام توحي بأنه كان لها أصل من التوحيد ثم وقع فيها انحراف، ولا عجب فالعرب من أبناء إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقد كانوا فعلا يزعمون أنهم على دين إبراهيم وكانوا يعتزون بعقيدتهم على هذا الأساس من النسب، ولم يكونوا يحفلون كثيرا بديانة مسيحية أو يهودية، مما كان لها وجود في جزيرة العرب اعتزازا

---

(١) انظر في ذلك: الشيخ الخضري، تاريخ الأمم الإسلامية، جـ١، ص٥٥، ص٢، ود. محمد أبوشهبة، السيرة النبوية، جـ١، ص٧٢، الندوي: ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص٥٣، وسيد قطب: في ظلال القرآن، جـ٥، ص٣٠٠٤-٣٠٠٩.

(٢) سورة لقمان، آية ٢٥.

(٣) سورة الزخرف، آية، ٨٧.

(٤) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ١، ص٣٣٢.

منهم بأنهم على دين إبراهيم،[1] ولو أنهم كانوا غير منتبهين إلى ما صارت إليه عقيدتهم من التناقض فقد اندفعوا في تيار العبادة عاطفيا وجرتهم التقاليد والعادات إلى هذا اللون من العبادة، ولكنهم إذا سئلوا عن خالق السموات والأرض ومسخر الشمس والقمر، ومنزل الماء من السحاب ومحي الأرض بعد موتها يقولون الله، هو صانع كل هذا ولكنهم ينحرفون في الطريق إليه فيعبدون الأصنام والكواكب والملائكة ويجعلونهم شركاء الله في العبادة وإن لم يجعلوها شركاء له في الخلق وذلك هو التناقض الذي شاء هذا المنهج أن يفضحه»[2].

وحاول أن يطهر النفوس منه لأنه ضعف وانحراف عن السبيل السواء، قال ابن كثير في معناها: «يحتج على المشركين باعترافهم بوحدانيته وربوبيته على وحدانية آلهيته»[3]. يقول الدكتور سامي النشار وهو يصور تلك المرحلة: «ولكن وراء كل هذا غريزة باطنية في أولاد إسماعيل وتشوف نحو شيء في اللاّمحدود، فيما وراء الوجود، وجاءتهم المسيحية من الشمال والجنوب،ومشيخة العرب من أولاد إسماعيل يهزون رؤوسهم ولا يبدون حراكا، وأسرعت اليهودية إليهم وهي تحمل التوراة المنحرفة، فأنكروها ووقفوا ينظرون إليها بازدراء، بل ولوا ظهورهم لجماعة منهم أعلنوا أنهم الحنفاء على ملة إبراهيم مختتنين متخذين الوحدانية دينا لهم ولكن مشيخة العرب نأوا في فردوسهم ، وفي لياليهم الصافية في قلب الصحراء عن كل هذا...

كان يكفيهم أن يعبدوا الأصنام زلفى إلى الله.

كانوا يتشوفون إلى صوت النبي الأخير رسول من أنفسهم من ولد إسماعيل

---

(١) د. رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، ص٥١.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ١، ص١٦.

(٣) ابن كثير، جـ٢، ص٤١٦.

يتلو عليهم آياته ويزكيهم.. »[١].

وإذن فدعوة محمد ﷺ إلى توحيد الله ليست بدعا من الأمر فهي تطهير للفكرة التي آمنوا بها وإزالة من الشوائب والأوشاب التي رانت عليها وتنزيه لله جل شأنه عما اخترعوه لأنفسهم من نظام تعبدي لا يتفق مع جلال الله وقدسيته؛ ولذلك نجد كثيرا من آيات القرآن في العهد المكي يرد فيها ذكر إبراهيم عليه السلام، وما كان عليه من عقيدة التوحيد، وأنه لم يكن مشركا مثلهم، وأيضا أن الرسول ﷺ كان يعتب عليهم تبديل دين إبراهيم الذي ينتسبون إليه فقد قال صلى الله عليه وسلم: «يا قوم قد خالفتم دين أبيكم إبراهيم»[٢].

وكذلك قد روى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني عند الله لخاتم النبيين وإن أدم لمنجدل في طينته وسأنبئكم بأول ذلك، دعوة أبي إبراهيم، وبشارة عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات النبيين يرين»[٣].

أما دعوة إبراهيم عليه السلام فهي في قوله تعالى: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم أنك أنت العزيز الحكيم»[٤].

وأما بشارة عيسى عليه السلام حينما قام في بني إسرائيل خطيبا وقال: «إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من

---

(١) د. علي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، جـ١، ص٢٠١، ط٤، عام ١٩٦٦م.

(٢) الشيخ محمد الخضري بك، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، مكتبة المنار، الأردن، ط١، عام ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص٤٩.

(٣) مسند الإمام أحمد، جـ٤، ص١٢٧.

(٤) سورة البقرة، آية، ١٢٩.

بعدي اسمه أحمد»[١]، ولهذا قال في الحديث: «دعوة إبراهيم وبشرى عيسى ابن مريم»[٢]. ولهذا يريد الرسول ﷺ أن يثبت لهم أنه أحق الناس بإبراهيم وأنه جاءهم من عند الله بالحنيفية السمحاء التي كان عليها إبراهيم عليه السلام، وأن ادعاءهم أنهم على دين إبراهيم ادعاء كاذب.

ومن هنا فإن القرآن في معالجته لهذه المرحلة من التفكير قد ركز على استخدام إبراهيم عليه السلام في موقف العداء من كل شيء يعبد سوى الله سبحانه وتعالى[٣].

وقد قدمت لنا الآيات التي تعرضت لبيان مراحل دعوة إبراهيم عليه السلام أربعة أطوار يتميز كل منها عن سواه وهي :-

- الطور الأول:

محاولة التدرج معهم في الحوار الهادي القائم على لفت أنظارهم بلطف إلى عدم صحة اتخاذ الأصنام آلهة والانتقال بهم من حالة إلى حالة حتى ينبه عقولهم النائمة ويبعث عقولهم الغافلة ويمثل هذا الطور آيات سورة الأنعام، قال تعالى: «وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناما آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين، وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين، فلما جنّ عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريئ مما تشركون، إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من

---

(١) سورة الصف، آية ٦.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ١، ص١٩٠.

(٣) د. رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، ص٥٣.

المشركين»[١].

والنظر في الآيات الكريمات يبين كيف حاول إبراهيم عليه السلام أن يأخذ بأيدي أبيه وقومه وينشلهم من الوهدة التي انغمسوا فيها، وذلك مبينا لهم بطلان ما كانوا عليه من عبادة الهياكل والأصنام ، فبين في المقام الأول مع أبيه خطأهم في عبادة الأصنام الأرضية، التي هي على صورة الملائكة السماوية ليشفعوا لهم لدى الخالق العظيم، الذين هم عند أنفسهم أحقر من أن يعبدوه، وإنما يتوسلون إليه بعبادة الملائكة ليشفعوا لهم عنده في الرزق والنصر، وغير ذلك مما يحتاجون إليه وبين في هذا المقام خطأهم وضلالهم في عبادة الهياكل، وهي الكواكب السيارة السبعة وهي: القمر، وعطارد، والزهرة، والشمس، والمشتري، وزحل»[٢].

ثم أخذ يوجه أنظارهم إلى محاولة البحث عن الإله الحق، بالكشف عن آثاره المخلوقة له في الأرض وفي السماء، فبدأ معهم بالتفكير في النجم، والنجم له بعض الفوائد التي يستفيدها البشر، وبخاصة في الصحراء والبحار، فإن أهل الصحراء ورجال البحار يتخذون من النجم دليلا على معرفة الطريق ، وفي فائدة النجم يقول الله تعالى: «وعلامات وبالنجم هم يهتدون»[٣]. إذن فالنجم يهدي المسافرين فهو خير من هذه الأصنام التي يعكفون على عبادتها، ومع ذلك لا يصلح أن يتخذ إلها لأن له بداية ونهاية ، ويظهر ويغيب، والله قديم باق لا يغيب... وهكذا إلى نهاية الحوار معهم، فلما انتفت الآلهية عن هذه الأجرام

---

(١) سورة الأنعام، آيات من ٧٤-٧٩.

(٢) ابن كثير ، جـ٢، ص٢٤٣

(٣) سورة النحل، آية ١٦.

الثلاثة[1]، التي هي أنور ما تقع عليه الأبصار وتحقق ذلك بالدليل القاطع: «قال يا قوم إني بريئ مما تشركون».

- الطورالثاني:

إظهار عجز آلهتهم التي عكفوا عليها وعدم مقدرتها على النفع والضر. والكشف عن صفات الإله الحق الجدير بأن يعبد ويتمثل ذلك في عقد مقارنة توضح بجلاء وجوب ترك عبادة هذه الآلهة، والاتجاه إلى الله الإله الخالق الهادي الرازق المحيي المميت ويمثل هذا الطور آيات سورة الشعراء:

يقول الله تعالى: «واتل عليهم نبأ إبراهيم ، إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون، قالوا نعبد أصناما فنظل لها عاكفين، قال هل يسمعونكم إذ تدعون ، أو ينفعونكم أو يضرون، قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون، قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون، أنتم وآباؤكم الأقدمون، فإنهم عدو لي إلا رب العالمين، الذي خلقني فهو يهدين، الذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين ، والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين»[2].

يقول الشيخ سيد قطب معلقا على هذه الآيات: «ويؤمر رسول الله ﷺ أن يتلوها على المشركين ذلك أنهم يزعمون أنهم ورثة إبراهيم وأنهم على دينه، وهم يشركون بالله، ويقيمون الأصنام لعبادتها في بيته الحرام، الذي بناه إبراهيم خالصا لله.. فاتل عليهم نبأ إبراهيم ليتبينوا منه حقيقة ما يزعمون، والحلقة التي تعرض هنا من قصة إبراهيم عليه السلام، هي حلقة الرسالة إلى قومه، وحواره معهم حول العقيدة، وإنكار الآلهة المدعاة، والاتجاه بالعبادة لله، والتذكير باليوم الآخر...»[3]

---

(١) انظر ،ابن كثير، جـ٢، ص٢٤٣ ،والطبري، جامع البيان، جـ٥، ص٢٤٩، وسيد في الظلال، جـ٢، ص١١٣٨.

(٢) سورة الشعراء، آية، ٦٩-٨٢.

(٣) سيد قطب: في ظلال القرآن، جـ٢، ص٢٦٠٠.

وكان من المتوقع أن تتجلى هذه المحاولة عن كشف ما تتسم به آلهتم من عجز لا يؤهلها لأن تكون آلهة، والتعقيب عليها بعرض صفات الإله الحق أن يبعث ذلك قوم إبراهيم إلى التحول من الشرك إلى التوحيد، ولكنهم رغم ذلك أصروا على موقفهم من عبادة الأصنام فدعا ذلك إبراهيم أن يواجههم.

- الطور الثالث:

بدأ إبراهيم عليه السلام مع قومه مواجهة فيها سخرية من آلهتهم وعيب لها وإعطاء الدليل العملي على عجزها بالاعتداء عليها حتى يفيقوا من ضلالهم، ويعبر عن هذا الطور آيات سورة الأنبياء، قال تعالى: «ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين، إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون، قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين، قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين، قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين، قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلك من الشاهدين، تالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين، فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم لعلهم إليه يرجعون»[(١)].

لقد هدى الله إبراهيم عليه السلام إلى التوحيد وعلم جل شأنه أنه أهل لحمل الأمانة وتوصيل الرسالة ودلت على ذلك[(٢)] مقالته لأبيه وقومه «ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون» فسماها تماثيل ولم يصفها بما يدعون لها من وصف الألوهية.

هذه بعض الآيات التي جاء بها القرآن الكريم مطولة في سيرة إبراهيم عليه السلام ومشيرة إلى دعوته وما فيها من سابقة للدعوة الإسلامية، وما كشفت عنه الآيات لأوضاع قوم إبراهيم من خلال الحوار الذي عرض له القرآن الكريم من تشابه كبير بين قوم إبراهيم وأهل مكة في العقيدة والسلوك والنظر إلى قيم الحياة

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات، من ٥١-٥٨.

(٢) ابن كثير جـ٣، ص١٨٢.

مع ادعائهم النسب ، فليترقب المخاصمون في مكة إذن تكسيرا لأصنامهم كما تكسرت الأصنام قديما بيمين جدهم إبراهيم وليعلموا ضعف مكرهم تجاه الدعوة وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال"[1]. وبذلك ختمت عقيدة إبراهيم ولزمت الحجة للمعاندين وكان ذلك سبيل القرآن في معالجة هذه القضية لأنها سوف تكون المنهاج الدائم مع اليهود في مستقبل الدعوة إذ هم يدعون أن إبراهيم كان يهوديا أو نصرانيا ، وهم كذلك ينتمون إلى أصل إبراهيم، فإذا ما ثبت في مكة أن أصول عقيدة إبراهيم هي التوحيد الخالص كان ذلك حجة على الآخرين مستقبلا ممن يدعون أنهم من ذرية سيدنا إبراهيم ثم لا يسلمون.

فقد كان إبراهيم حنيفا مسلما وما كان من المشركين فهو منهاج يقرر في مكة ليكون في المدينة أمرا ثابتا لا يحتاج إلى مناقشة أو تدليل.

ثانيا: لفت النظر إلى الآيات الكونية وما فيها من البراهين الدالة على توحيد الله:

إن المتأمل في القرآن الكريم وبخاصة في الفترة المكية يجد أنه لفت نظر الإنسان إلى الكون وما فيه من آيات عجيبة تدل على قدرة الخالق جل وعلا ، وأنه قد ساق هذه الآيات الكونية ليجول الإنسان ببصره وعقله ليدرك من خلالها أن لها ربا أوجدها ودبر أمرها ، وأن السموات والأرض ما خلقها إلا بالحق، وأن الله قد سخر مافي السموات من شمس وقمر ونجوم وما وجد على الأرض من بحار وأنهار وجبال وأشجار وغير ذلك، كله قد سخر للإنسان وأعطاه العقل ليهتدي به إلى حكمة الباري ولهذا كان الإكثار من ذكر العلم والفكر والعقل في القرآن الكريم ظاهرة تستلفت النظر بشكل بارز، ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

---

(١) انظر في ذلك: في ظلال القرآن، جـ٥، ص٠٠٢٦٠، وعباس محمود العقاد، التفكير فريضة إسلامية، وسامي النشار، التفكير الفلسفي في الإسلام، ص٥٤، والعقاد، المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨١م .

«إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون»[١].

«إن في ذلك لآية لقوم يعلمون»[٢].

«إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون»[٣].

«إن في ذلك لآيات للعالمين»[٤].

وسأورد هنا بعض الآيات القرآنية المكية التي تكشف لنا جانبا من هذا الكون من سماء وأرض وما بينهما، وتسخير كل ذلك للإنسان ليعرف خالقه ويشكر نعمه التي لا تحصى يقول تبارك وتعالى: «الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار، وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار»[٦].

جاء في ظلال القرآن قوله: «إن من معجزات هذا الكتاب أنه يربط كل مشاهد الكون وكل خلجات النفس إلى عقيدة التوحيد، ويحول كل ومضة في صفحة الكون أو في ضمير الإنسان إلى دليل إيحاء، وهكذا يستحيل الكون بكل ما فيه وبكل من فيه معرضا لآيات الله تبدع فيه القدرة وتتجلى آثارها في كل

---

(١) سورة الرعد، آية ٤.

(٢) سورة االنمل، آية ٥٢.

(٣) سورة النمل، آية ١١.

(٤) سورة الروم، آية ٢٢.

(٦) سورة إبراهيم، آية، ٣٤.

مشهد فيه ومنظر، وفي كل صورة فيه وظل.... والمشهد الهائل المعروض هنا لأيادي الله وآلائه تسير فيه خطوط الريشة المبدعة وفق اتجاه الألاء بالقياس إلى الإنسان: خط السموات والأرض يتبعه خط الماء النازل من السماء والثمرات النابتة من الأرض بهذا الماء. فخط البحر تجري فيه الفلك، والأنهار تجري بالأرزاق، ثم تعود الريشة إلى لوحة السماء بخط جديد - خط الليل والنهار ثم الخط الشامل الأخير الذي يلون الصفحة كلها ويزيلها «وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها»[1].

فهذه الآيات الناطقة بوحدانية الله جل وعلا، وكمال قدرته يمرون عليها ليلا ونهارا وهم عنها معرضون، وكذلك يكثر الكلام حول خلق السموات والأرض وما فيهما بكثرة حتى يتنبه الغافلون، وتستيقظ قلوبهم، يقول تعالى: «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي، أفلا يؤمنون، وجعلنا في الأرض رواسي أن تميد بهم وجعلنا فيها فجاجا سبلا لعلهم يهتدون، وجعلنا السماء سقفا محفوظا، وهم عن آياتها معرضون، وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون»[2].

يلفت الله ـ جلت قدرته ـ النظر إلى بدء خلق السموات والأرض وأنهما كانتا رتقا مصممتين متلاصقتين، أو أن السموات كانت لا تمطر والأرض كانت لا تنبت ففتقها الله بالنبات، ومهما قيل في ذلك فإن علم ذلك عند الله فإنه لم يشهد أحدا من خلقه على خلق السموات والأرض، بل ولا خلق أنفسهم، ويقول الشيخ سيد قطب: «وقد يشير القرآن أحيانا إلى حقائق كونيه كهذه الحقيقة التي يقررها هنا (أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما) ونحن نستيقن هذه الحقيقة لمجرد ورودها في القرآن، وإن كنا لا نعرف كيف كان فتق السموات والأرض، أو فتق

---

(١) الشيخ سيد قطب، جـ٤، ص٢١٠٦-٢١٠٧.

(٢) سورة الأنبياء، آية ٣٠-٣٣.

السموات عن الأرض ونتقبل النظريات الفلكية التي لا تخالف هذه الحقيقة المجملة التي قررها القرآن، ولكننالانجري بالنص وراء نظرية فلكية»[١].

هذه العلاقات تساق للإنسان ليعرف عن طريقها قدرة الخالق الباري وأنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فما له يتكبر وينكر وهو المخلوق من ماء مهين كان ينبغي أن يسلك طريق الخير والهداية ولكنه غافل لاه إلا من رحم ربك، ولو نظر لعرف: «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج، تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، ونزلنا من السماء ماء مباركا فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد، رزقا للعباد وأحيينا به بلدة ميتا كذلك الخروج»[٢].

هذه مظاهر قدرته جل جلاله شاهدة ناطقة، ولكنهم أغفلوها، فلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بناها فهي قد بنيت بإحكام ورفعت بدقة كاملة وقدرة واسعة.

ونستمر مع القرآن في عهده المكي وهو يعرض مزيدا من صفات الكون الدالة على قدرته ووحدانيته على الناس حتى يتيقنوا أن وراءها مدبر حكيم قادر عليم هو الله لا إله إلا هو فهذه آيات سورة الغاشية ناطقة بذلك لكل عاقل متدبر: «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت، وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت»[٣].

فهذه الإبل قد خلقت خلقا عجيبا دالا على تقدير مقدر شاهدا بتدبير مدبر حين خلقها للنهوض بالأثقال وجرها إلى البلاد الشاسعة فجعلها تبرك حتى تحمل

---

(١) في ظلال القرآن، جـ٤، ص٢٧٦،

(٢) سورة ق الآيات، من ٦-١١.

(٣) سورة الغاشية، آية، ١٧-١٩.

عن قرب ويسر ثم تنهض بما حملت وسخرها منقادة لكل من قادها بأزمتها[1]: «وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون».[2]

ويقول الشيخ سيد قطب في تعليقه على هذه الآيات البينات «تجمع هذه الآيات الأربع القصار أطراف بيئة العربي المخاطب بهذا القرآن أول مرة كما تضم أطراف الخلائق البارزة في الكون كله، حين تتضمن السماء والأرض والجمال (ممثلة لسائر الحيوان) على مزية خاصة بالإبل في خلقها بصفة عامة وفي قيمتها للعربي بصفة خاصة، إن هذه المشاهد معروفة للنظر الإنساني حيثما كانت السماء والأرض والجبال، أيا كان حظه من العلم والحضارة، فهذه داخلة في عالمه وإدراكه موحية له بما وراءها حين يوجه نظره وقلبه إلى دلالاتها، والمعجزة كامنة فيها وصنعة الخالق فيها معلمة لا نظير لها، وهي وحدها كافية لأن توحي بحقيقة العقيدة الإلهية ـ عقيدة التوحيد...»[3].

ويقول ابن كثير في تفسير قوله تعالى: «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت» أمر الله عباده بالنظر في مخلوقاته الدالة على قدرته وعظمته فإنها خلق عجيب وتركيبها غريب، فإنها في غاية الشدة وهي مع ذلك تلين للحمل الثقيل وتنقاد للقائد الضعيف وتؤكل وينتفع بوبرها ويشرب لبنها، ونُبهوا لذلك لأن العرب غالب دوابهم كانت الإبل، وكان شريح القاضي يقول: اخرجوا بنا حتى ننظر إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت؟ أي كيف رفعها الله عن الأرض هذا الرفع العظيم كما قال تعالى: «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج» «وإلى الجبال كيف نصبت» أي جعلت منصوبة فإنها

---

(١) الإمام الزمخشري، الكشاف، جـ٤، ص٢٤٧.

(٢) سورة ياسين، آية، ٧٣.

(٣) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٦، ص٣٨٩٨

ثابتة راسية لئلا تميد الأرض بأهلها وجعل فيها ما جعل من المنافع والمعادن «وإلى الأرض كيف سطحت» أي كيف بسطت ومدت ومهدت، فنبه البدوي على الاستدلال بما يشاهده من بعيره الذي هو راكب عليه والسماء التي فوق رأسه، والجبل الذي تجاهه والأرض التي تحته على قدرة خالقه ذلك وصانعه وأنه الرب العظيم الخالق المالك المتصرف وأنه الإله الذي لا يستحق العبادة سواه...»[1].

ولقد ذكر لنا الحق جل وعلا أنه أودع في هذه الأرض من الآيات ما يدل كل عاقل متدبر إلى أن وراء هذا الكون إلها قد أبدعه: «وفي الأرض آيات للموقنين» أي الموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني والموصل إلى المعرفة كما وجه الله عز وجل الإنسان إلى أن ينظر إلى نفسه من خلقه؟ وأوجده؟ وزوده بالسمع والبصر وكل مقومات الحياة وجعله مكرما عزيزا وسط الخلائق «وفي أنفسكم أفلا تبصرون»[2]. يقول الزمخشري في الكشاف: «في حال ابتدائها وتنقلها من حال إلى حال وفي بواطنها وظواهرها من عجائب الفطر وبدائع الخلق مما تتحير فيه الأذهان، وحسبك بالقلوب وما تركز فيها من العقول، وخصت به من أصناف المعاني، والألسن والنطق ومخارج الحروف وما في تركيبها وترتيبتها ولطائفها من الآيات الساطعة والبينات القاطعة على حكمة المدبر، دع الأسماع والأبصار والأطراف وسائر الجوارح وتأديتها لما خلقت له وما سوي في الأعضاء من المفاصل للانعطاف والتثني فإنه إذا حبس شيء منها جاء العجز وإذا استرخى أتاح الذل»[3].

وخلاصة القول، أن القرآن الكريم الذي نزل في العهد المكي على وجه الخصوص قد دعا إلى النظر في آيات الله ، فإنه جاء داعيا للاستبصار والنظر في

---

(١) ابن كثير، جـ٤، ص٧٩٥. والطبري، جامع البيان، جـ١٥، ص١٦٥.

(٢) سورة الذاريات، آية ٢١.

(٣) الزمخشري، الكشاف، جـ٤، ص١٦-١٧.

آيات الله في السموات والأرض وجعل الكون محرابا للفكر وكتابا للمعرفة ودليلا على وحدة التدبير والنظام[١].

«إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهاروالفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون»[٢].

ثالثا: دعوة المعاندين إلى التجرد من مواريث:

- الآباء التي تبعدهم عن التفكير السليم في التوصل إلى الحقيقة:

رد العرب أيديهم في أفواههم ورفضوا دعوة التوحيد متعللين بأنهم وجدوا آباءهم على أمة وأنهم على آثارهم مهتدون وقد ناقش القرآن الكريم في العهد المكي هذه القضية وعلى طريقة المنهج القرآني في معالجة القضايا التي تتعلق بالعقيدة.[٣]

فلم يكن مشركوا العرب وحدهم الذين احتجوا باتباع الآباء في هذه التعلة «وجدنا آباءنا كذلك يفعلون» بل هذه تعلة رددها الذين استحبوا العمى على الهدى من قبل:

لقد قالها قوم نوح: «فقال الملأ الذين كفروا من قومه ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين»[٤].

---

(١) الأستاذ/ محمد شديد، منهج القرآن في التربية، ط. بدون تاريخ طبع، ص٩٢، الناشر دار الأرقم بيروت.

(٢) سورة البقرة، آية، ١٦٤.

(٣) رؤوف شلبي: الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، ص٧٨، بتصرف.

(٤) سورة المؤمنون: آية ٢٤.

يعلق الشيخ سيد قطب على هذ الموقف قائلا : «ومثل هذا يقع دائما عندما يطمس التقليد على حركة الفكر وحرية القلب، فلا يتدبر الناس ما بين أيديهم من القضايا، ليهتدوا على ضوء الواقع إلى حكم مباشر عليها، إنما هم يبحثون في ركام الماضي عن (سابقة) يستندون إليها، فان لم يجدوا هذه السابقة رفضوا القضية وطرحوها!»[١].

فقد رفض قوم نوح الإيمان بنبوته لأنه لم يأتهم خبر من أسلافهم أن النبوة تكون لواحد من البشروكذلك كان موقف قوم هود لما أصر على معالجتهم بكل وسيلة أيأسوه وقالوا: «سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين»[٢]، وتعللوا بقولهم «إن هذا إلا خُلُق الأولين»[٣].

وقالها من بعدهم قوم إبراهيم «إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون»[٤]، «قالوا وجدناآباءنا لها عابدين»[٥].

فلم يكن لهم جواب ولا حجة سوى أنها صنيع آبائهم صنعة الضلال والغي، فلم تكن لديهم حجة غير أن يكشفوا عن الحجر الذي يصيب المقلدين بلا وعي ولا تفكير.

إن الإسلام يرفض أن يستخدم الإنسان التعلة بالتبعية لما كان عليه الآباء في مقابل احترام العقل الذي وهبه الله ليكرم الإنسان به نفسه.[٦]

---

(١) في ظلال القرآن، جـ٤، ص٢٤٦٤.

(٢) سورة الشعراء، ١٣٦.

(٣) الشعراء، آية، ١٣٧.

(٤) الأنبياء، آية ٥٢.

(٥) الأنبياء، آية ٥٣.

(٦) سيد قطب: في ظلال القرآن، جـ٤، ص٢٣٨٤، بتصرف.

وهكذا جوبه الرسل جميعا بصورة واحدة من المعارضة تكررت مع سائر أممهم، حيث تجد سائر الأقوام كانوا يعبدون الأصنام من دون الله، فإذا ما طلب الرسول منهم أن يعبدوا الله وحده، أبوا ذلك متعللين بأنهم لن يتركوا ما كان يعبده الآباء والأجداد.

وعندما تصل المسألة إلى العرب المعاصرين لبدء الوحي فإن القرآن يحاول أن يخلع هذه العادة من جذورها الغائرة في أعماق النفس فيلومهم على ما كانوا يفعلونه قديما من حقوق ابتدعوها على مشركي العرب الذين يفدون لحج بيت الله، وأقاموا هذه الحقوق على تصورات اعتقادية زاعمين أنها تركة من عند آبائهم حللها لهم الله[1].

عندئذ يكذبهم الله ويلقي هذه التبعية الباطلة كما جاء في سورة الأعراف: «وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون»[2].

وتمضي الآيات المكية تحطم هذا البيت العنكبوتي الذي طمس البصر وضلل العقل فتنفي آيات سورة لقمان تعللهم بمسلك آبائهم: «وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا: بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير»[3].

هذه هي العقيدة الآبائية تقف حائلا بينهم وبين دعوة الحق التي جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم، وهي سنة في المكذبين، وتطيل آيات الزخرف مع القوم مناقشة هذا التحجر البليد بل قالوا: «...إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن، جـ٣، ص١٢٨.

(٢) الأعراف: آية ٢٨.

(٣) سورة لقمان، آية ٢١.

على آثارهم مهتدون»[1]. قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «ليس لهم مستند فيماهم فيه من الشرك سوى تقليد الآباء والأجداد بأنهم كانوا على أمة ثم بين جل وعلا أن مقالة هؤلاء قد سبقتهم إليها أشياعهم ونظرائهم من الأمم السالفة المكذبة للرسل تشابهت قلوبهم»[2].

فالقرآن في سورة الزخرف المكية يربط مقالتهم بالمقالات السابقة من الأمم التي أهلكها الله بسبب هذا التحجر المتبلد «وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون»[3].

فيتجلى طبيعة المعارضين للهدى إنها طبيعة واحدة تستخدم أسلوبا واحدا ليس هناك حجة لأنهم سدوا منافذ العقل وألغوا وظيفة الفكر[4].

ولهذا فإن القرآن يجاهد في هذا العهد ليخلع معاندوا الدعوة أغشية العمى وأثمال التقاليد وصدأ المواريث التي حملوها أثقالا من الآباء والأجداد الذين لا يعقلون، وتلك خطوة رئيسة يحاولها القرآن بعد أن أوضح لهم ملة جدهم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي يدّعون النسبة إليه في النسب والتدين، حتى إذا ما انتهى دور التخلية وتجرد المعاندون من الهوى الموروث وتخلصوا من جبرية العادات وتجردوا من عبودية التقاليد صح لهم أن يرجعوا إلى أنفسهم ويشاهدوا دلائل التوحيد والتنزيه وقد جاءت معظم السور والآيات المكية بذلك...، وهكذا كان منهج الآيات والسور في العهد المكي إذ إنها عنيت بتوحيد الله تعالى ونفي الشرك وإظهار آيات الله الكونية وإبراز قضية الرسالة والرسول ومناقشة المشركين

---

(١) سورة الزخرف، آية ٢٢.

(٢) ابن كثير، جـ٤، ص١٩١.

(٣) الزخرف، آية ٢٣.

(٤) د. أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، ص١٥٢، بتصرف.

بطريقة واضحة لا التواء فيها، كما اهتمت السور والآيات المكية بقضية البعث والجزاء والحساب وإبراز حال المؤمنين في الدار الآخرة وما أعد لهم من نعيم مقيم وكشف حال الكافرين وما أعد لهم من العذاب الأليم"[1].

وبعد أن اتضح لنا أن منهج القرآن في العهد المكي كانت الدعوة إلى التوحيد التي تمثل أهم أهدافه، فإن هذا لا يعني إهمالها في العهد المدني، بل قد ظل يؤكد عليه، حتى بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة، فكانت الآيات تنزل مؤكدة عليه مبينة له ومن ذلك قوله تعالى في سورة النساء وهي مدنية باتفاق: «يا أيها الذين آمنوا آمِنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله والكتاب الذي أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا»[2].

وكذلك كانت آيات المعاملات تختم ببيان أصول العقيدة كالإيمان بالله واليوم والآخر، ومن ذلك ما جاء في تحريم الربا «يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين»[3].

ومما جاء في تحريم الخمر «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون»[4].

وفي حد الزنا جاء قوله تعالى: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٥، ص٤٠٠٣، بتصرف.

(٢) سورة النساء، آية ١٣٦-١٣٧.

(٣) سورة القرة، آية ٢٨٧.

(٤) سورة المائدة، آية ٩٠

الآخر..»[١].

ومما يؤكد لنا استمرار الدعوة في التركيز على هذا الهدف أمر العقيدة الصحيحة في العهد المدني، وصايا الرسول ﷺ لأمته من بعده، من ذلك تحذيره لهم من أن ينحرفوا بالعبادة، وخشيته من اتخاذ قبره مسجدا ومن ذلك ما جاء في الموطأ وغيره، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[٢].

وفي السنن أيضا أنه قال: «لا تتخذوا قبري عيدا، وصلوا عليّ حيثما كنتم فان صلاتكم تَبلُغنِّي»[٣].

وفي الصحيح : أنه قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» يُحذِّر ما فعلوا، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: ولولا ذلك أبرز قبره، ولكن خشي أن يتخذ مسجدا»[٤]

المطلب الثاني

الهدف الثاني من أهداف العهد المكي

* *تكوين خلية الإسلام الأولى والمحافظة عليها:ـ*

لا شك أن معرفة الرسول ﷺ بالواقع الاجتماعي والديني الذي كان قائما آنذاك، له الأثر الكبير في تحديد هذا الهدف، فإنه صلى الله عليه وسلم كان يعلم

---

(١) سورة النور، آية ٢.

(٢) رواه مالك في الموطأ، رقم ٨٥، في قصر الصلاة في السفر، ورواه أحمد في المسند، جـ٢، ص٢٤٦، وابن سعد وأبو نعيم في الحلية، جـ٧، ص٣١٧. وهو حديث صحيح.

(٣) رواه أبوداود، رقم ٢٠٤٢، في المناسك، وأحمد في المسند جـ٢، ص٣٦٧.

(٤) رواه البخاري، جـ١، ص٤٤٤، في الصلاة، باب مرض النبي ﷺ ووفاته، ومسلم، رقم ٥٣١، في المساجد ومواضع الصلاة.

منذ البداية أن الذي جاء به من المبادئ يخالف ما عليه قريش، وكان يعلم أن قريشا لا تحارب أحدا كما تحارب من ينحرف عن دينها، ولا تقاوم شيئا كما تقاوم الخروج على تقاليدها وعاداتها، وكانت المبادئ التي تضمنتها دعوة الإسلام من الإيمان بالله واحد، ومن الإيمان بالبعث بعد الموت وبالدار الآخرة وما فيها من الحساب والجزاء وبأن الناس جميعا سواسية لا فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى، وأن للفقير حقا معلوما في مال الغني، إن هذه المبادئ وأمثالها مما تضمنته الدعوة كانت أشد المبادئ خطرا على دين قريش؛ ودين قريش هو مصدر سيادتها وسلطانها على العرب، ومصدر ما تستمتع به من رزق واسع وثراء عريض، فكان من الحكمة أن تتسرب هذه المبادئ إلى قريش في هدوء، وألا يستعلن أمرها إلا بعد رسوخها في قلوب الذين يتقبلونها ويستجيبون لها، حتى إذا آمنوا بها واستيقنتها أنفسهم، كانوا هم القواعد والخلايا الأساسية التي يقوم عليها البناء والبذور التي توضع في الأرض لتؤتي ثمارها بإذن الله، وكما يقول الإمام محمد أبو زهرة «والخلايا يكون بذر البذور فيها بالكتمان لأن الجهر يبددها قبل أن تتكون»[١].

ولهذا جاء تخطيط الرسول صلى الله عليه وسلم لتحقيق هذا الهدف في الخطوتين التاليتين:

١- دعوة الأقربين سرا.

٢- اتخاذ تدابير لحماية المسلمين الأوائل.

- أولا: دعوة الأقربين سرا:

لما نزلت سورة المدثر تيقن النبي ﷺ أن الله سبحانه وتعالى كلفه بأعباء الرسالة التي لا يحتملها إلا أهل القوة والعزم من الرسل، بعون الله وتوفيقه، ومما يزيد هذا العبء ثقلا وشدة أنه بدأ تحمله في مكة، وهي مركز دين العرب، وبها

---

(١) محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، جـ١، ص٤٢٤.

سدانة الكعبة والقوامة على الأوثان والأصنام التي يعظمها أهل الجاهلية، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يتطلب جهودا غير قليلة بل يزداد عسرا وشدة عما لو كان بعيدا عنها، إذن فالأمر يحتاج إلى تدبير وحسن تخطيط. وكان من حكمة النبي ﷺ تلقاء ذلك أن تكون الدعوة إلى هذا الدين في بدء أمرها سرية لئلا يفاجئ أهل مكة بها، ومما يدل على سرية الدعوة في هذه المرحلة ما رواه ابن إسحاق[1] في السير «...وكان بين ما أخفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمره واستتر به إلى أن أمر الله تعالى بإظهار دينه ثلاث سنين - فيما بلغني - من مبعثه، ومما يؤكد ذلك ما جاء في خبر إسلام عمرو بن عبسة - رضي الله عنه - حيث قال: «أتيت رسول الله ﷺ في أول ما بعث وهو بمكة مستخف..»[2]؛ ولذا كان تحركه صلى الله عيه وسلم في هذه الفترة وسط الذين تربطهم به صلات وثيقة، مثل زوجه ومولاه، وربيبه وأصدقائه وكل من يطمئن إلى أنه يكتم السر[3]، ولهذا يلحظ أن من أوائل الذين دخلوا في الإسلام :

١- زوجه خديجة (رضي الله عنها)

من حكمة الله سبحانه أن شرح صدر خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها لما جاء به عليه الصلاة والسلام، وكان ذلك الاتصال الأول بأقرب الناس إلى صاحب الدعوة، فكانت أول من آمن به وصدقت بما جاءه من الله وآزرته على أمره، فخفف الله بها عن نبيه شيئا كثيرا مما يجده من أمر الدعوة، وكان لإيمانها ذاك أثر في معنوية الرسول ﷺ وهو يجابه بالتوحيد شرك العرب جميعا، فكان كل ما سمع من معارضيه ردا وتكذيبا، شكى ما يلقى لزوجته البرة فتثبته وتخفف عنه وتهون عليه أمر الناس.

---

(١) ابن هشام، جـ١، ص٢٢٥، بدون إسناد.

(٢) مسلم، جـ١، ص٥٦٩، ح٨٣٢.

(٣) انظر: ابن هشام، جـ١، ص٢٠٩، خبر إسلام علي.

وقد بشرها جبريل عليه السلام ببيت في الجنة لا صخب فيه ولا نصب. وقد جاءت كثير من الأحاديث الصحيحة في فضائلها وأخبارها.[1]

٢- علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

آمن به علي بن أبي طالب ، وكانت سنه إذ ذاك حول العاشرة وكان يعيش مع النبي ﷺ في بيته ، إذ كان أبوه أبو طالب كثير العيال، وكان قد مرت به أزمة شديدة، فأراد رسول الله ﷺ أن يخفف عنه فأخذ منه عليا.

فنشأ علي في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأنه ولده، فلما بعث صلى الله عليه وسلم بدين الإسلام، وبعد أن آمنت به خديجة رضي الله عنها، أراد النبي أن تتسع دائرة الدعوة شيئا فشيئا ، فانتقل لمخاطبة علي ومما روي في ذلك أن عليا دخل على الرسول ﷺ، وهو يصلي مع خديجة فقال: يا محمد ما هذا؟ قال: دين الله الذي اصطفاه لنفسه وبعث به رسله فأدعوك إلى الله وحده لا شريك له، وإلى عبادته وأن تكفر باللات والعزى. فقال علي هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم، فلست بقاض شيئا حتى أحدث به أبا طالب فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يفش سره قبل أن يستعلن أمره، فقال: يا علي إذا لم تسلم فاكتم، فمكث علي تلك الليلة ثم أوقع الله في قلبه الإسلام، فأصبح غاديا على رسول الله ﷺ حتى جاءه فقال ماذا عرضت علي يا محمد؟ فقال له تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وتكفر باللات والعزى، وتبرأ من الأنداد ، ففعل علي وأسلم ومكث يأتيه على خوف من أبي طالب[2]، وقال أنس - رضي الله عنه -:

---

(١) انظرها في أماكنها عند البخاري ومسلم وغيرهما في أبواب الفضائل والمناقب وأخبارها في مصادر السيرة الأخرى مثل الذهبي في سيرته، ص١٢٧-١٢٩، حيث أشار إلى المصادر التي ذكرت سبق إسلامها.

(٢) علي برهان الدين الحلبي، السيرة النبوية الحلبية، ص٤٥١.

«بعث النبي ﷺ يوم الإثنين وصلى علي يوم الثلاثاء»[1].

وفي هذا دليل على حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ألا تتجاوز الدعوة في هذه المرحلة السرية إلا من يحدثه، إذ إن عليا عندما أخبره بأنه سيحدث أباطالب رغم أنه عم النبي «كره النبي ﷺ أن يفشي علي عليه سره قبل أن يستعلن فأمره فقال: يا علي إذا لم تسلم فاكتم هذا فمكث علي ليلة ثم أسلم»[2].

٢- زيد بن حارثة رضي الله عنه:

تحدث ابن كثير في سيرته عن إسلام زيد بعد أن أنهى حديثه مباشرة عن إسلام علي، وهذا يدل على أن إسلام زيد كان بعد علي مباشرة[3].

وبعد أن تحدث الشيخ محمد أبو زهرة عن إسلام علي قال: وأسلم بعد ذلك أو مقاربا له مقاربة زمنية زيد بن حارثة، وكان يعيش مع النبي ﷺ فأدرك عظمة أخلاقه لمعاشرته له حتى أنه فضل الإقامة مع النبي صلى الله عليه وسلم على أهله، فقد وقع زيد أسيرا لإحدى القبائل المناوئة لقبيلته، وحمل وبيع في سوق عكاظ إلى حكيم بن حزام الذي وهبه لعمته خديجة فوهبته للنبي ﷺ[4].

وقال الزهري في إسلامه: ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة[5].

وهكذا بدأ النبي صلى الله عليه وسلم دعوته لمن هم ألصق الناس به فتكونت منهم أول أسرة في الإسلام، وكان أهل بيت النبوة أول من دعاهم النبي

---

(١) رواه الترمذي، وقال غريب، جـ١، ص٢٣٤.وانظر، ابن حجر في الإصابة، جـ٣، ص٣٢.

(٢) المرجع السابق نفسه،جـ٣ ص٣٣.

(٣) ابن كثير ، السيرة ، جـ١، ص٤٣٧.وابن حجر في الإصابة، جـ١، ص٥٢٥.

(٤) محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، جـ١، ص٤٢٠.

(٥) الزهري: مختصر سيرة الرسول، ص٥٧-٥٨.

صلى الله عليه وسلم.

٤- أبوبكر الصديق رضي الله عنه.

قال بعضهم في سبب إسلامه أنه كان صديقا لرسول الله ﷺ يكثر غشيانه في منزله ومحادثته، وكان سمع قول ورقة له، فكان متوقعا لذلك، وقد كان جالسا مع حكيم بن حزام في بعض الأيام إذ جاءت مولاة لحكيم وقالت له: إن عمتك خديجة تزعم في هذا اليوم أن زوجها نبي مرسل مثل موسى. فانسل أبوبكر حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأله عن خبره، فقص عليه قصته المتضمنة لمجيء الوحي له بالرسالة، فقال: صدقت، بأبي وأمي وأهل الصدق أنت، أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله

.

قال ابن إسحاق: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة[٢] وتردد ونظر إلا ما كان من أبي بكر ما عكم عنه حين ذكرته له ولا تردد فيه (عكم: أي تليث) قاله ابن هشام»[٣].

وكان أبوبكر رجلا محببا من قريش، يألف الناس ويألفونه، ويجتمعون عنده فيستمعون إلى حديثه ومجلسه وكان عالما بأنساب قريش وأيامها، ملما بأخبار الناس وحوادث الدهر

فجعل يدعو إلي الإسلام من وثق به من قومه ومن يغشاه ويجلس إليه، فآمن بدعوته عثمان بن عفان، والزبير ين العوام وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن الزبير - رضي الله عنهم - فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ

---

(١) السيرة الحلبية، جـ١، ص٤٥٧. وانظر: تاريخ الطبري، جـ٢، ص٣١٧.

(٢) كبوة: التأخر وعدم الإجابة.

(٣) ابن كثير، السيرة، جـ١، ص٤٣١. والروض الأنف، السهيلي، جـ١، ص٢٨٨.

حين استجابوا له، فأسلموا وصدقوا بالله ورسوله[1].

ومضى الرسول ﷺ في الدعوة وكسب المؤيدين حتى وصل عددهم إلى أربعين خلال ثلاث سنوات وأسلم في هذه المرحلة عبد الله بن مسعود وأبو ذر الغفاري، وخالد بن سعيد بن العاص وأخوه عمرو، وصهيب الرومي، وعمار بن ياسر، وحصين والد عمران بن حصين، والطفيل بن عمرو الدوسي، وعمرو بن عبسة وغيرهم[2].

وكان هؤلاء النفر أول السابقين إلى الإيمان بالله ورسوله فكانوا هم اللبنات الأولى في بناء الإسلام، وهم الأساس الذي قام عليه صرحه الشامخ، والدعائم التي استحكم عليها بناؤه، حتى تم تمامه ورسخت قواعده بأذن الله، وبهذه المجموعة تكونت أول بذرة للمجتمع الإسلامي الكبير وأخذت دائرة الضوء تتسع فأسلم أبو عبيدة بن الجراح، والأرقم بن الأرقم الذي جعل داره مركزا للدعوة، ومكانا للاجتماع ودارا للتعليم والتلقي من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: التدابير التي اتخذها الرسول ﷺ للمحافظة على المسلمين الأوائل:

١- السرية والكتمان في اتخاذ الوسائل ووضع الخطط.

٢- اتخاذ مكان للالتقاء سرا بالمسلمين الأوائل لتعليمهم أمور دينهم.

٣- اختيار الحبشة لتكون مهجرا للمسلين الأوائل.

---

(١) ابن هشام: السيرة، جـ١، ص٢٥٠. وابن حجر، الإصابة، جـ٢، ص٤٣٧.

(٢) انظر في إسلام السابقين للإسلام:

- ابن هشام السير النبوية، جـ١، ص١١٥.

- ابن كثير، السيرة، جـ١، ص٤٣٧.

- علي برهان الدين، جـ١، ص٤٥٧.

- المقريزي، إمتاع الأسماع، ص١٥-١٦.

- محمد أبو زهرة، خاتم النبيين جـ١، ص٤١٤-٤٢٦، وابن حجر في الإصابة في مواقع مختلفة

* أولا: السرية والكتمان في اتخاذ الوسائل ووضع الخطط:

الجهر بالمبادئ فجأة عملية فطيرة مراهقة لا يوصي بها المشتغلون في حقل الخدمة الاجتماعية[١].

«وإعداد القيادة داخل المجتمع قبل إعلان المبادئ جزء من منهج العمل مع الجماعة الذي تؤكده الدراسات الاجتماعية التي أنيطت بها وظيفة التفسير الاجتماعي المرغوب فيه.»[٢]

وهذه المبادئ قد أسستها الدعوة الإسلامية من قبل أربعة عشر قرنا، حيث كان النبي ﷺ يدعو في بداية أمره إلى هذا الدين سرا كل من وثق به ويطمئن إليه من أهله وخلصائه، وكذلك كان يأمر من يدعوه للإسلام بأن يكتم هذا الأمر فكان صلى الله عليه وسلم يتخفى بعبادته حتى لا يعلم به أحد واتخذ دارا للالتقاء بأصحابه سرا، ومما يؤكد ذلك ما جاء في السيرة، عن ابن إسحاق أن مدة ما أخفى صلى الله عليه وسلم أمره: أي المدة التي صار يدعو الناس فيها خفية بعد نزول «يا أيها المدثر» ثلاث سنين[٣].

وكان رسول الله ﷺ إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة، وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفيا من أبيه وجميع قومه، فيصليان في تلك الشعاب، حتى إذا أمسيا رجعا...»[٤]، وكذلك كان يفعل من أسلم إذا أراد الصلاة يذهب إلى بعض الشعاب يستخفي بصلاته من المشركين، كما في قصة سعد بن أبي

---

(١) د. أحمد كمال أحمد وعدلي سليمان، الخدمة الاجتماعية والمجتمع، ط دار المحامي للطباعة، عام ١٩٦٣، ص١٧٩.

(٢) سيد أبو بكر حسانين، دراسات في تنظيم المجتمع، ص ١٥٥، ط١، المطبع الفنية، ١٩٦٩م.

(٣) السيرة الحلبية النبوية، جـ١، ص٤٧٤.

(٤) البيهقي: دلائل النبوة، جـ١، ص٤١٤، وابن كثير: جـ١، ص٤٢٨.

وقاص...»[١]. وأيضا من الشواهد التي تؤكد حرصه ﷺ على كتمان أمره، ما جاء في أمره لمن جاءه يريد الدخول في الإسلام قبل أن يستعلن أمره بألا يفشي سره، ومن ذلك ما جاء في قوله لعلي بن أبي طالب: «...يا علي إذا لم تسلم فاكتم هذا..» . وكذلك ما ورد في خبر إسلام عمرو بن عبسة لما دعاه الرسول ﷺ للإسلام، فأسلم، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم، فأتبعك يا رسول الله. قال: لا، ولكن الحق بأهلك فإذا سمعت بي قد ظهرت فائتني..»[٢]، وأيضا في الحوار الذي دار بينه ﷺ وبين أبي ذر الغفاري رضي الله عنه عندما جاءه يريد الدخول في الإسلام ثم قال صلى الله عليه وسلم لأبي ذر: «يا أبا ذر أكتم هذا الأمر، وارجع إلى قومك فأخبرهم يأتوني فإذا بلغك ظهورنا فأقبل..»[٣]

ب) اتخاذ مكانا يلتقي فيه صلى الله عليه وسلم بالداخلين في الإسلام سرا:

كان ﷺ يلتقي بالداخلين في الإسلام، ليعلمهم ما ينزل به الوحي من تعاليم الدين، وفي السنة الخامسة من النبوة اختار الرسول صلى الله عليه وسلم منزل أحد المسلمين، وهو الأرقم بن الأرقم[٤]، ليلتقي بأكبر عدد منهم، وحافظوا على كتمان

---

(١) ابن هشام، السيرة، جـ١، ص٤٢٧.

(٢) رواه مسلم، جـ٢، ص٣٠٨.

(٣) ابن هشام، السيرة، جـ١، ص٤٢٩. وابن حجر في الإصابة، جـ٤، ص٦٣.

(٤) محمد بن صالح الشامي، سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، جـ١، ص٤٢٨، تحقيق مصطفى عبد الواحد، القاهرة، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.وابن هشام، جـ١، ص٢٦٣، ومختصر سيرة الرسول ، لمحمد بن عبد الوهاب، ص٦٠، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط١، ١٣٧٥هـ

سرية هذا المكان[1]؛ لأن عامة الصحابة كانوا يخفون إسلامهم ولذا فمن الحكمة الاستمرار في السرية لما فيها من صالح للمسلمين والإسلام. أما لماذا اختار الرسول ﷺ دار الأرقم بالذات ؟ أجاب عن هذا السؤال - استنتاجا - المباركفوري[2] ، فقال: «لأن الأرقم لم يكن معروفا بإسلامه، ولأنه من بني مخزوم التي تحمل لواء التنافس والحرب ضد بني هاشم، إذ يستبعد أن يختفي الرسول صلى الله عليه وسلم في قلب العدو، ولأنه كان فتى صغيرا عندما أسلم، في حدود الست عشرة سنة، إذ إنه في هذه الحالة تنصرف الأذهان إلى منازل كبار الصحابة.

ويلحظ أن دار الأرقم كانت قرب الصفا، وهي منطقة تشتد فيهاحركة الناس بصورة طبيعية، مما يصعب معه إدراك وجود حركة خاصة بأناس تجتمع وتنفض في هذه الدار.

وعندما شك الكفار في وجود مكان يلتقي فيه المسلمون، كان كل الذي توصلوا إليه أنه يلتقي بهم في دار عند الصفا[3].

إذن إن مراعاة السرية والكتمان في حياته صلى الله عليه وسلم واضحة في مواقف كثيرة ومنها هذا الموقف وغيرها من المواقف التي مر ذكرها.

إلا أن معنى السرية في الدعوة أمر نسبي، وهذا واضح في أن الدعوة نفسها كانت معروفة للناس، ولكن الذي وصف بالسرية في هذه المرحلة هو العمل للدعوة وما اشتمل عليه من الوسائل والخطط والتفصيلات وإعداد القيادة، وكل

---

(١) انظر قصة خطبة أبي بكر في الحرم وضرب المشركين له حيث جاء فيها أن أم جميل بنت الخطاب رضي الله عنها، أنكرت معرفتها بأبي بكر ومحمد صلى الله عليه وسلم، ومكان وجود الرسول. انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، ص٣٣-٣٤، وانظر: المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٩١..

(٢) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٤٩.

(٢) ابن هشام، جـ٢، ص٣٤٥، ومهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص١٩٥.

ذلك كجزء من منهج العمل مع الجماعة، لأن الدعوة كانت معروفة وحديث الناس بمكة منذ أيامها الأولى، كما ذاع أمر الدعوة وهي في طورها السري إلى خارج مكة التي كانت في ذلك الوقت ملتقى القادمين للتجارة أو لزيارة الكعبة المقدسة[1].

ومما يدل على أن الدعوة وهي في طور السرية كانت معلومة لأهل مكة وأنهم تحدثوا عنها حديثا سمعته القبائل التي كانت تفد إلي مكة فتجد أهلها يتهامسون فيما بينهم يخبرون عن هذا الدين الجديد، مما يدل على ذلك ما جاء في إسلام بعض الصحابة كأبي ذر الغفاري رضي الله عنه، إذ لم يكن من أهل مكة، وإنما كان من قبيلة غفار التي كانت تشتهر بين العرب بقطع الطريق على المسافرين سمع أبو ذر بالنبي وهو في مكانه إذ يقول: «بلغني أن رجلا خرج بمكة يزعم أنه نبي» فما كان منه إلا أن جاء لمكة واعتنق الإسلام وهو ما يزال متخفيا وكان ترتيبه في المسلمين الخامس أو السادس[2].

وكذلك مما يؤكد أن الدعوة كانت معلومة لأهل مكة ما ذكره صاحب الوفا[3]:

«عن الزهري قال: دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام سرا وجهرا فاستجاب لله من شاء من أحداث الرجال وضعفاء الناس حتى كثر من آمن به وكفار قريش غير منكرين لما يقول فكان إذا مر بهم في مجالسهم يشيرون: أن غلام بني عبد المطلب ليكلم من السماء.»

فالنص فيه تصوير لعمل الدعوة بمرحلتين: سرا وجهرا، أما الدعوة نفسها

---

(١) محمد سيد محمد، وسائل الإعلام في عصر النبوة، مجلة الأزهر، الجزء السادس، السنة الحادية والخمسون، شعبان، ١٣٩٩هـ يوليو ١٩٧٩م، ص١٤٩٩.

(٢) انظر إسلام أبي ذر الغفاري: البخاري، جـ٢، ص٢٦٧-٢٦٨، علي برهان الدين الحلبي، السيرة، جـ١، ص٤٦٨. وابن حجر، الإصابة، جـ٤، ص٦٢-٦٣.

(٣) الوافاء، جـ١، ص١٨١.

كانت معروفة للناس ولم يقفوا منها موقف العداء إلا عندما اتسعت رقعتها وشكلت خطرا على المواريث الثقافية التي يؤلهها أهل مكة"[1].

وقال في الوفاء تكملة للنص السابق: فكان كذلك حتى عاب آلهتهم التي كانوا يعبدونها وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا على الكفر فشاقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم"[2].

إذن فليس من المناسب علميا أن يقال: بسرية الدعوة على الإطلاق، فإن الحق الذي سجله التاريخ هو وضوح الدعوة واشتهارها وسرية العمل لها والتنظيم الداخلي والإعداد للقيادة وتربية لهم ليحملوا مع الداعية وظيفة العمل عند الصدع بها والجهر بها لكافة الناس.

ويعلق فضيلة الشيخ سلمان العودة على السرية والكتمان في الدعوة في تلك المرحلة بعد أن وضح أن الدعوة إلى الله لم تنزل دعوة سرية يخاطب بها الفرد بعد الفرد، بل نزلت لإقامة الحجة على العالمين، وإنقاذ من شاء الله إنقاذه من الناس من ظلمات الشرك والجاهلية إلى نور الإسلام والتوحيد. يقول في ذلك «...وإذا ظهرت هذه السمة والخصيصة - يعني - الإعلان والصدع والبلاغ والإنذار بان دون خفاء أن استسرار النبي ﷺ في دعوته أول الأمر، إنما هو حال استثنائي لظروف وملابسات خاصة، هي ظروف بداية الدعوة و ضعفها وغربتها، وينبغي أن يفهم ضمن هذا الإطار.

وإن كان الكتمان والاستسرار سياسة مصلحية في كثير من أمور الإسلام في الحرب والسلام فهو كذلك في موضوع الدعوة ، لكن لا بد أن ندرك الفرق بين مسألة الدعوة وسائر المسائل، فالإستسرار بالدعوة كلها أمر مخالف للأصل الثابت المستقر، فلا يجوز اللجوء إليه إلا عند الضرورة، وأعني بالدعوة بيان دين الله

---

(١) د. رؤوف شلبي، الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، ص٢١٢.

(٢) الوفاء جـ١، ص١٨١.

وشرعه وحكمه.

أما الإستسرار بما سوى ذلك من الوسائل والخطط، والتفصيلات فهو أمر مصلحي خاضع للنظر والاجتهاد البشري إذ لا يترتب عليه كتمان للدين ولا سكوت عن حق، ولا يتعلق به بيان ولا بلاغ.

ومن ذلك مثلا معرفة عدد الأتباع المؤمنين بالدعوة، فهذا أمر مصلحي لا يخل بقضية البلاغ والنذارة التي نزلت الكتب وبعثت الرسل من أجلها، فيمكن أن يظل سرا متى كانت المصلحة في ذلك، مع القيام بأمر الدعوة والتبليغ[1].

ومما يؤكد ذلك ما عنون به الإمام مسلم لأحد أبواب صحيحه «باب الاستترار بالإيمان للخائف»[2]

ولهذا فإن النبي ﷺ حتى بعد أن صدع بدعوته وأنذر الناس وأعلن النبوة، ظل يعمل في جو من الحذر والاستخفاء.

قال ابن كثير: فأسلم عمر يوم الخميس فكبر رسول الله ﷺ وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة، فقال عمر. يا رسول الله علام نخفي ديننا ونحن على الحق؟ قال عمر: إنا قليل وقد رأيت ما لقينا[3].

وكان إسلام عمر رضي الله عنه على ما هو معروف في السنة السادسة من

---

(١) سلمان بن فهد العودة، الغرباء الأولون، ضمن سلسلة رسائل الغرباء، الرسالة الأولى، دار ابن الجوزي، الدمام، ط١، عام ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م، ص١٢٥.

(٢) مسلم، جـ١، ص٣٢٥.

(٣) ابن كثير، السيرة، ص٤٤١.وابن الجوزي: تاريخ عمر بن الخطابو ص٦-٧، وصحيح البخاري، باب إسلام عمر بن الخطاب، جـ١، ص٥٤٥.

البعثة[1].

وكذلك ظل صلى الله عليه وسلم يخفي أشياء كثيرة لا تؤثر على مهمة البلاغ والبيان وذلك على امتداد دعوته منذ البعثة حتى وفاته صلى الله عليه وسلم، كعدد أتباعه وأين يجتمع بهم؟ والخطط التي يتخذها إزاء الكيد الجاهلي، ومن ذلك قصة البيعة الثانية كيف أنها تمت في سرية تامة ـ كما مر بنا ـ وكذلك قصة الهجرة إلى المدينة وهي في الصحيحين، كما مرت بنا عند مشروعية التخطيط ـ وفي العهد المدني هناك كثير من الشواهد التي تدل على استمرار الكتمان والحذر في كثير من أمور الدعوة وسوف تمر معنا عندما نتناول التخطيط للدعوة في العهد المدني.

ولعلنا نستنتج من ذلك أن سرية الدعوة في أول أمرها كانت لحكمة ربانية لتحقيق التدرج بالنسبة للداعي، بحيث لا يكلف بالصدع، والإعلان من أول يوم، ولو كلف صلى الله عليه وسلم بذلك لكان فيه من المشقة والعناء الشيء الكثير، وللحقت هذه المشقة الدعاة من بعده إذ هو صلى الله عليه وسلم القدوة كما قال تعالى: «قل هذه سبيلي أدعو إلي الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»[2]، وقوله تعالى «لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة»[3].

وكذلك في أخذه ﷺ بالسرية والكتمان في بداية الدعوة، تعليما للدعاة في كل زمان ومكان، وإرشادا لهم إلى مشروعية الأخذ بالحيطة والأسباب الظاهرة، وما يقرره التفكير والعقل السليم من الوسائل والخطط التي ينبغي أن تتخذ من أجل الوصول إلى غايات الدعوة وأهدافها.

وخصوصا في هذا العصر الذي تطورت فيه وسائل وأساليب الأعداء للكيد

---

(١) المباركفوري، الرحيق المختوم، ص١٠١، وانظر ابن الجوزي، تاريخ عمر، ص١١.

(٢) سورة يوسف، آية، ١٠٨.

(٣) سورة الأحزاب، آية، ٢١.

والطعن في هذا الدين بشتى الطرق، فإنه لا بد للقائمين على أمر الدعوة مقابلة تلك الوسائل وهذا الكيد بوسائل مكافئة إذ إن حسن النية وسلامة الطوية لا يعفي من جسامة المسؤولية.

على أن لا يتغلب ذلك كله على الاعتماد والاتكال على الله وحده، وأن لا يذهب الإنسان في التمسك بهذه الأسباب والوسائل، مذهبا يعطيها معنى التأثير والفعالية في تصوره وتفكيره، فهذا يخدش أصل الإيمان بالله تعالى، فضلا على أنه يتنافى مع طبيعة الدعوة إلى الإسلام، ويمكن استصحاب قوله ﷺ في هذا الخصوص «أعقلها وتوكل»[1]. أي الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل على الله سبحانه وتعالى.

ثالثا: أمر المسلمين الأوائل بالهجرة ليكونوا نواة للهداية والإرشاد:

فقد رأينا حرص الرسول ﷺ في المحافظة على هؤلاء القلة المؤمنة وسعيه الدؤوب لحمايتها ورعايتها، وذلك مصداقا لقوله تعالى: «لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم»[2].

وقد أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد سنتين من الجهر بالدعوة ألا قدرة له على حماية أصحابه من البلاء الذي ينزل بهم ليل نهار وأن الزعامة الوثنية ماضية في عنفها واضطهادها وتعذيبها لهم، مصممة على استخدام أي أسلوب لوقف الدعوة عند حدها وخنقها وهي في المهد.

وفي هذا الوقت العصيب نزلت سورة الكهف ردودا على أسئلة طرحها المشركون على النبي صلى الله عليه وسلم، ولكنها اشتملت على ثلاث قصص، فيها إشارات بليغة من الله تعالى إلى عباده المؤمنين، فقصة أهل الكهف ترشد المؤمن إلى الهجرة من مراكز الكفر والعدوان حين مخافة الفتنة في الدين، متوكلا

---

(١) سبق تخريجه في ص ٤٥ .

(٢) سورة التوبة، آية، ١٢٨.

على الله كما قال تعالى: «وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويهيء لكم من أمركم مرفقا»[١]، وقصة الخضر وموسى تفيد أن الظروف لا تجري ولا تنتج حسب الظاهر دائما بل ربما يكون الأمر على خلاف الظاهر، ففيها إشارة لطيفة إلى أن الحرب القائمة ضد المسلمين ستنعكس تماما وتكون العاقبة لهؤلاء الضعفاء المدحورين من المسلمين.

وقصة ذي القرنين تفيد أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، وأن الفلاح أنما هو في سبيل الإيمان دون الكفر، وأن الله لا يزال يبعث من عباده - بين آونةٍ وأخرى - من يقوم بإنجاء الضعفاء من يأجوج ومأجوج ذلك الزمان ، وأن الأحق بإرث الأرض إنما هم عباد الله الصالحون، ثم نزلت سورة الزمر تشير إلى الهجرة، وتعلن بأن الأرض ليست بضيقة «للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة، وأرض الله واسعة، إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب»[٢].

وكان رسول الله ﷺ قد علم أن أصحمة النجاشي ملك الحبشة ملك عادل لا يظلم عنده أحد فأمر المسلمين أن يهاجروا إلى الحبشة فرارا بدينهم من الفتن.

وفي ضوء هذا الواقع الذي يعيشه المستضعفون من المؤمنين في مكة ويواجهون من الاضطهاد والتعذيب ألوانا، جاءت إشارات القرآن ترشد قائد الدعوة والمؤمنين إلى التفكير في الهجرة من مراكز العدوان مخافة الفتنة على الدين متوكلين على الله.

إذ إن البقاء بين براثن الشرك حتى يتمكن الشرك من إبادة المسلمين عملية

---

(١) سورة الكهف، آية ١٦.

(٢) سورة الزمر، آية ١٠، وعن إشارات سورة الكهف والزمر انظر: الرحيق المختوم، للمباركفوري، ص٩٢، البخاري، الفتح، جـ١، ص٤٣-٤٤، ح٢٢٩٧، وابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، ص٧٣ وما بعدها، ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٢، ص١٢٩، والنيسابوري، أسباب النزول، ص٢٠٢.وسلمان العودة، الغرباء الأولون، ص٢٩٩.

خرقاء، صحيح أن الجندي يتحتم عليه أن يتحلى بالصبر، ويتقبل المصيبة بصدر رحب ويثبت على دينه، لكن مهمة القيادة الأساسية هي حماية جنودها من الخطر، غير أن هذه الحماية لا تكون على حساب العقيدة أو الشريعة، في هذا الإطار تتحرك القيادة ومن أجل هذا كان عليه الصلاة والسلام، يبحث وفق التخطيط السليم في الأرض كلها عن مكان آمن، حتى يستطيع أن يحقق هدفين في آن واحد.[1]

أولا: يأمن فيه المسلمون على دينهم ويسلمون من أذى قريش وفتنتها، حيث لا تطالهم، ولا يمتد إليهم بطشها.

ثانيا: البحث عن بيئة تقبل الدعوة، وتستجيب لها في مقابل عنت القرشيين وكنودهم، ومن هذه البيئة تنطلق الدعوة إلى آفاق الأرض تحقيقا للهدف الأساس وهو تبليغ أمر الله للعالمين.

ولهذا وقع اختيار الرسول ﷺ بتوفيق من الله سبحانه وتعالى على الحبشة لهذين الهدفين وغيرهما من الأهداف.

روى ابن إسحاق من حديث أم سلمة قالت «لما ضاقت علينا مكة وأوذي أصحاب رسول الله صل الله عليه وسلم وفتنوا ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله ﷺ لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في منعة من قومه وعمه لا يصل إليه شيء مما يكرهه مما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم عنده، فالحقوا ببلاده حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه، فخرجنا إليها حتى اجتمعنا بها، فنزلنا بخير دار إلى خير جار أمنا على ديننا ولم نخش

---

(١) منير محمد الغضبان، المنهج الحركي للسيرة النبوية، جـ١، ص٦٣، بتصرف.

منه ظلما...»[1].

وروى ابن سعد أنهم خرجوا متسللين سرا، وكانوا أحد عشر رجلا وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشعيبة[2]، منهم الراكب والماشي، ويسر الله تعالى للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخرجهم في رجب من السنة الخامسة من حين نبئ رسول الله ﷺ، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر حيث ركبوا، فلم يدركوا منهم أحدا[3].

وحقا لقد كان اختيار الرسول صلى الله عليه وسلم للحبشة دون سواها لتكون مهجرا لأصحابه رضوان الله عليهم، دليلا قاطعا على بعد نظره ﷺ ودقة التخطيط لمستقبل الإسلام[4]، ولعل بتحقيقه صلى الله عليه وسلم ما كان يهدف إليه من الهجرة - الحفاظ على المسلمين الأوائل في أرواحهم ودينهم دليل على ذلك، ويجسد تحقيق هذا الهدف الأساس قول أحد المهاجرين للحبشة، «...فخرجنا إليها حتى اجتمعنا بها فنزلنا خير دار إلى خير جار أمنا على ديننا ولم نخش منه ظلما»[5].

وبالإضافة للأهداف والنتائج الأخرى التي أسفرت عنها هذه الهجرة فقد

---

(١) ابن إسحاق، السير والمغازي، ص١٢٣، وسيرة ابن هشام، جـ١، ص٤١٣، وإسناده حسن في هجرة الحبشة الأولى، والإمام أحمد في المسند، جـ٥، ص٢٩٠.

(٢) الشعيبة: تصغير شعبة، وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وهو مرفأ مكة، ومرسى سفنها قبل جدة، ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٣، ص٣٥٠-٣٥١.

(٣) ابن سعد : الطبقات، جـ١، ص٢٠٤.

(٤) محمد عبد المنعم خميس، الإدارة في الإسلام، ص٥٢.

(٥) ابن هشام، جـ١، ص٤١٣.

تحققت كثير من النتائج الطيبة منها:

١- كان لها الأثر الكبير في الحط من مكانة القرشيين عند سائر العرب وإدانة موقفهم من الدعوة وحملتها، إذ كانت البيئة العربية تفتخر بإيواء الغريب وإكرام الجار وتتنافس في ذلك[1]، وتحاذر السبة والعار وخلافه.. فهاهم الأحباش يسبقون قريشا ويأوون من طردتهم وأساءت إليهم من أشراف الناس، ومن ضعفائهم، وقد تسامع من حول مكة بذلك.

٢- التعريف بفكرة الدعوة الإسلامية، إذ إن الدعوة إلى الله جزء من الدين الذي يريدون به أن يأمنوا على أنفسهم وهم يؤدون شعائره، وكان أول ما فكروا فيه البحث عن وطن يأويهم، وينطلقوا منه إلى ما سواه، ومما يؤكد تحقيق هذا الهدف الفرعي قيام جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه عندما وقف متحدثا باسم المهاجرين أمام النجاشي وبطارقته، يوضح ما يدعو إليه الدين الجديد من الوحدانية ومكارم الأخلاق وما ينهى عنه من أمور الجاهلية، وذلك على أثر السؤال الذي طرحه النجاشي «ما هذا الدين الذي فارقتم به قومكم ولم تدخلوا في ديني ولا دين أحد من هذه الملل» فلم يضن جعفر بالبيان عند طلب بيان الحقيقة ووجود الفرصة المواتية لعرض مبادئ الإسلام.

٣- إطلاع النصارى على حقيقة الدعوة الإسلامية، وموقفها من عيسى عليه السلام، فهي تزرع الإسلام في أرض تختلف عن أرض مكة وبيئة تغايرها، وقد أرسلت قريش كلا من عمرو بن العاص، وعبد الله بن أبي ربيعة - قبل أن يسلما - إلى النجاشي رضي الله عنه، فبعد أن رد جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه والمتحدث باسم الوفد على الفرية الأولى والتي ادعاها عمرو بن العاص ممثل قريش، ذهب عمرو بن العاص للوقيعة مرة أخرى، بين الدعاة المسلمين والنجاشي قائلا له: «إنهم يقولون في عيسى ابن مريم قولا عظيما، فسأل النجاشي جعفرا

---

(١) راجع خصال العرب الحميدة قبل الإسلام ص ١٦٩ من هذا البحث.

ما تقولون في عيسى؟ فقال جعفر: «نقول ما جاءنا به نبينا محمد» هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ فقال له جعفر: نعم. فقال له النجاشي: فاقرأ عليّ فقرأ عليه صدرا من (كهيعص) فبكى النجاشي حتى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتى اخضلوا مصاحفهم...ثم قال لهم النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة... "[1]. وهكذا وصلت الدعوة للنجاشي، ولعل ما روي في إسلام النجاشي[2] وغيره من الأحباش ووفادة بعضهم على النبي صلى الله عليه وسلم مسلمين مستطلعين ما يستأنس به على تحقيق هذا الهدف

وما أحوج القائمين على أمر الدعوة في المجتمع الإسلامي اليوم، لمثل هذا الحرص على جنود الدعوة، والحفاظ عليهم والتفكير والتخطيط وبعد النظر في السير بهم نحو تحقيق الأهداف حيث لا يضعوا كل طاقاتهم البشرية والمادية في مكان واحد، وخصوصا عند الفتنة في الدين، حتى لا تكون تلك الطاقات معرضة للإبادة ، بل يجب عليها أن تعدد وتنوع أماكن تجمعها بحيث يستطيعوا لو فقدوا موقعا معينا أن ينتقلوا إلى موقع آخر ينطلقوا منه لمواجهة الجاهلية والقوى المعادية للإسلام.

الهدف الثالث من أهداف الدعوة في العهد المكي:

البحث عن مكان آمن للدعوة وقاعدة جديدة للانطلاق:

في إطار سعيه ﷺ لتبليغ الرسالة التي بعث بها ، فإنه كان لا يهدأ له بال ولا تقر له عين، من أجل القيام بهذه المهمة العظيمة خير قيام، وما انتهى صلى

---

(١) انظر في ذلك: تهذيب سيرة ابن هشام، ص٧٢، والرحيق المختوم، ص٩٥-٩٦، وصور من حياة الرسول، محمد دويدار، ص١٦٠، ومحمد أبو زهرة، خاتم النبيين، جـ١، ص٥٢.

(٢) في إسلام النجاشي ، انظر، البخاري مع الفتح، جـ٦، ص١٤١، ح١٢٤٥، وانظر، كلام ابن حجر في الفتح، جـ٦، ص٢٢٨-٢٣٠، ومسلم جـ٢، ص١٦٥٧.

الله عليه وسلم، من وضع خطة لتبليغ الدعوة إلا بدأ في أخرى، وما وجد إمكانات بشرية أو مادية إلا أحسن توظيفها واستغلالها الاستغلال الأمثل لصالح الدعوة.

لقد كان لموت أبي طالب عم رسول الله عليه الصلاة والسلام، وزوجه خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها في عام واحد، تأثير بالغ على استمرارية الدعوة في مكة، فقد أعقب وفاتهما انغلاق معظم أبواب الدعوة الإسلامية في وجهه، فقد كانت حماية عمه له تفسح مجالات كثيرة للدعوة وسبلا مختلفة للتوجيه والإرشاد والتعليم، وكان يرى ﷺ في ذلك بعض النجاح في العمل الذي أمر به.

أما بعد وفاة أبي طالب فقد سُدت في وجهه ﷺ تلك المجالات، فمهما حاول وجد صدا وعدوانا، وحيثما ذهب وجد السبل مغلقة، فيعود بدعوته كما ذهب، فيحزنه أن يعود وهو لم يتمكن من الوظيفة التي كلفه الله بها، فمن أجله سمى ذلك العام عام الحزن»[1].

وبعد أن أيقن رسول الله عليه الصلاة والسلام، بأن الملأ من قريش سيظلون فيما هم فيه من عناد وكفر، وعدم إمكانية أن تكون مكة منطلقا لنشر الدعوة وموئلا لإقامة دولة الإسلام التي تحمي الدعوة وتكفل حرية انتشارها، هذا الموقف استدعى أن يمارس رسول الله صلى الله عليه وسلم منهجا آخر للحفاظ على الدعوة ورجالها، والبحث عن مكان آمن غير مكة للانطلاق وقد جاءت خطته ﷺ في ثلاث اتجاهات لتحقيق هذا الهدف:

١- الاستمرار في السماح للمؤمنين بالهجرة إلى الحبشة.

٢- الخروج إلى الطائف.

٣- عرض الدعوة على القبائل.

أولا: الاستمرار في السماح للمؤمنين بالهجرة إلى الحبشة:

إن الرسول ﷺ قد أقر مبدأ الهجرة خارج موطن الدعوة كما ذكرته كتب

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ص١٣٢-١٣٣.

السير لمن آمن به «تفرقوا في أرض الله فإن الله تعالى سيجمعكم ، قالوا إلى أين نذهب، قال إلى ها هنا وأشار بيده إلى أرض الحبشة فإنه فيها ملك لا يظلم عنده أحد»[1].

وفي أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه بالهجرة إلى الحبشة ، والتي يمكن اعتبارها موطنا مؤقتا للدعوة حتى يمكّن الله للدعوة فتجد مستقرا جديدا ، فإن هذا لا يتعارض مع الهدف الأول وهو حماية المؤمنين المستضعفين، ودفع غربتهم المعنوية، وتأمينهم على دينهم، وقد أشار لهذا الهدف صاحب الظلال رحمه الله بقوله: ومن ثم كان بحث الرسول ﷺ عن قاعدة أخرى غير مكة، قاعدة تحمي هذه العقيدة وتكفل لها الحرية، ويتاح لها أن تخلص من هذا التجميد الذي انتهت إليه في مكة حيث تظفر بحرية الدعوة وبحماية المعتنقين لها من الاضطهاد والفتنة، وهذا في تقديري السبب الأهم للهجرة.

ولقد سبق الاتجاه إلى يثرب ، لتكون قاعدة للدعوة الجديدة عدة اتجاهات سبقها الاتجاه إلى الحبشة، حيث هاجر إليها كثير من المؤمنين الأوائل، والقول بأنهم هاجروا إليها لمجرد النجاة بأنفسهم لا يستند إلى قرائن قوية، فلو كان الأمر كذلك لهاجر إذن أقل الناس جاها وقوة ومنعة من المسلمين، غير أن الأمر كان على الضد من هذا، فالموالي والمستضعفون الذين كان ينصب عليهم معظم الاضطهاد والتعذيب والفتنة لم يهاجروا، وإنما هاجر رجال ذو عصبيات، لهم من عصبيتهم في بيئة قبلية، ما يعصمهم من الأذى ويحميهم من الفتنة، وكان عدد القرشيين يؤلف غالبية المهاجرين، منهم جعفر بن أبي طالب الذي كان أبوه ومعه فتيان بني هاشم هم الذين كانوا يحمون النبي ﷺ . ومنهم الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وأبوسلمة المخزومي، وعثمان بن عفان الأموي...وغيرهم، وهاجرت نساء كذلك من أشراف بيوتات مكة كان الأذى لاينالهنّ أبدا ، وربما كان

---

(١) ابن كثر، البداية والنهاية، جـ٣، ص٧٣.

وراء هذه الهجرة أسباب أخرى كإثارة هزة في أوساط البيوت الكبيرة في قريش، وأبناؤها الكرام المكرمون يهاجرون بعقيدتهم، فرارا من الجاهلية تاركين وراءهم كل وشائج القربى في بيئة قبلية تهزها هذه الهجرة على هذا النحو هزا عنيفا، وبخاصة حين يكون من بين المهاجرين مثل أم حبيبة بنت أبي سفيان زعيم الجاهلية وأكبر المتصدين لحرب العقيدة الجديدة وصاحبها، ولكن مثل هذه الأسباب لا ينفي احتمال أن تكون الهجرة إلى الحبشة أحد الاتجاهات المتكررة في البحث عن قاعدة حرة أو آمنة على الأقل للدعوة الجديدة. وبخاصة حين نضيف إلى هذا الاستنتاج ما ورد عن إسلام النجاشي، ذلك الإسلام الذي لم يمنعه من إظهاره نهائيا إلا ثورة البطارقة عليه كما ورد في روايات [*] «صحيحة» [1].

ولعل هذا الرأي الذي ذهب إليه سيد قطب رحمه الله نجد له من السيرة النبوية ما يعضده ويسانده، وأهم ما يؤكد ذلك الوضع العام الذي انتهى إليه أمر مهاجرة الحبشة، فلم يذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث في طلب مهاجرة الحبشة حتى مضت هجرة يثرب وغزوة بدر وأحد والخندق، والحديبية.

ومما يذكر في هذا الصدد أن وصول المهاجرين من الحبشة إلى المدينة، وحينها كان رسول الله ﷺ في خيبر فمضوا إليه هناك والتحقوا بها، ووصلوا بعد فتح خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «ما أدري بأيهما أسر، بفتح خيبر أم

(*) ومن هذه الروايات ما رواه البخاري ومسلم أن الرسول صلى الله عليه وسلم نعى النجاشي في اليوم الذي مات فيه وقال: «استغفروا لأخيكم»، الفتح، جـ٦، ص٢٤٢، ح١٣٢٧، وفي هذا الحديث تصريح بأنه النجاشي، ومسلم جـ٢، ص٦٥٧، ح٩٥١.

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ١، ص٢٩.

بقدوم جعفر»[(١)].

هكذا ظلت الحبشة موطنا احتياطيا للدعوة حتى بعد هجرة الرسول ﷺ وإقامة الدولة بالمدينة حيث إن غزوة خيبر كانت سنة ٧هـ.

ثانيا: الخروج إلى الطائف:

كان الاتجاه الثاني في البحث عن مكان جديد تنطلق منه الدعوة، الخروج إلى الطائف، وكان أقرب المواقع لعله ﷺ يجد قبولا لدى ثقيف أفضل مما وجده في مكة.

روى ابن إسحاق «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما ذهب إلى الطائف التقى سادة ثقيف يومذاك، أبناء عمرو بن عمير الثلاثة عبد ياليل ومسعود وحبيب، وعرض عليهم الإسلام، فلم يقبلوه منه، وعندما يئس من خير في ثقيف طلب منهم أن يكتموا عنه ما دار بينهم حتى لا يثيروا عليه الناس، ولكنهم لم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، فأخذوا في سبه والصياح به، حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبة وشيبة ابني ربيعة...»[(٢)].

ولعل هذا يمثل أول خروج منه صلى الله عليه وسلم بنفسه خارج مكة للبحث عن الأرض التي تصلح للانطلاق بالدعوة وإقامة المجتمع المسلم، وتربية الجند، الذين يمكن أن يحموا ظهره في ساعة المواجهة، ويحملوا معه رسالة البلاغ ويؤكد خبر الخروج هذا وما لاقى فيه رسول الله ﷺ من العنت الشديد ما جاء في صحيح البخاري وغيره من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فقال صلى الله عليه وسلم: لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن كلال فلم يجبني

---

(١) في خبر قدوم جعفر انظر: البخاري، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، جـ٧، ص٤٨٤-٤٨٥، وابن هشام السيرة، جـ٤، ص٢٣، والمباركفوري، الرحيق المختوم، ص٣٧٥.

(٢) ابن هشام، جـ٢، ص٧٢، وابن سعد، جـ١، ٢١١-٢١٢.

إلى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم أستفق إلا بقرن الثعالب....الحديث»[١].

لقد كان سعي رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف لهدفين :

الأول: دعوة ثقيف للإسلام.

الثاني: طلب الحماية والنصرة منهم.

أما فيما يتعلق بدعوة ثقيف للإسلام فإن في ذلك معرفة للواقع ، وذلك لمكانة ثقيف إذ هي تأتي في المرتبة الثانية بعد مكة، ولا تقل أصالة عن قريش في الحسب والنسب والمنعة، وهي أنسب ما يكون البديل عن مكة فلا يلي مكة في الأهمية عند العرب إلا الطائف، وفي الطائف أقدس أصنام العرب بعد الكعبة وهو اللات، وبها يحلف العرب. لقد كان اختيار القيادة النبوية للطائف أوفق اختيار، ولعل ما يؤيد مكانة الطائف من قريش ومساواتها لها ما جاء في القرآن الكريم قوله تعالى على لسان الملأ من قريش: «وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم»[٢]، قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «يعنون بالقريتين مكة والطائف»[٣].قال الطبري: اختلف في الرجل الذي وصفوه بأنه عظيم، فقالوا: هلا نزل عليه هذا القرآن فقال بعضهم هلا نزل على الوليد بن المغيرة المخزومي من أهل مكة، أو عروة بن مسعود الثقفي من أهل الطائف[٤]

هذا وإن كان سبق أمر الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى أرض الحبشة لتكون مركزا للانطلاق، غير أن الحبشة لا تصلح أن تكون مركزا للانطلاق، إلا

---

(١) البخاري، جـ٤، ص١٣٩، ومسلم، جـ٣، ص١٤٢٠، وابن إسحاق، في السيرة، جـ١، ص٤١٩.

(٢) سورة الزخرف، آية ٣١.

(٣) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، جـ٤، ص١٩٢.

(٤)الطبري، جامع البيان، جـ١٣، ص٩٥.

عند الضرورة القاهرة، لأن الحبشة بعيدة عن الجو العربي، ولا بد أن تكون القاعدة الصلبة للانطلاق قريبة من قومه ليمكن قبولهم من بقية العرب، فلقد كانت قريش تأخذ على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن جمع أوشاب العرب من جميع القبائل ليقضي بهم على مكة وغزوها، فكيف يمكن أن يقبل العرب دخول الأحباش ليكونوا القاعدة الصلبة للدعوة»[1]، وفي هذا دليل واضح على استيعاب ومعرفة الرسول ﷺ لواقع البيئة المحيطة بالدعوة؛ ولذا كان التفكير الصائب في الهجرة إلى الطائف، إلا أن أهلها ردوا النبي ﷺ ردا قاسيا فقرر الرجوع إلى مكة مرة ثانية وهو آسف حزين لما أصابه من ثقيف، واضطر لدخولها في جوار المطعم بن عدي بعد أن التمس الجوار عند الأخنس بن شريق وسهيل بن عمرو فرفضا»[2].

إن في قصة هجرته ﷺ إلى الطائف وما لاقاه من أذى من سفهاء ثقيف لعظة وعبرة للقائمين على أمر الدعوة الذين يتأسون بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ولقد لقي ما لقي من المشاق في سبيل إقامة الدين ، فمن الأولى أن يلقى الدعاة أشد من ذلك فعليهم أن يتهيؤوا لذلك، وأن يخططوا للتمكين لهذا الدين ولا يصيبهم اليأس والقنوط مهما لاقوا من الأذى لأن الحكمة اقتضت أن لا ينتصر هذا الدين بدون عمل وجهد البشر.

ثالثا: العرض على القبائل:

وكان الاتجاه الثالث في سبيل البحث عن قاعدة آمنة للانطلاق وأرض توفر حماية الدعوة، بعد استحكام العداوة بين قريش وبين القائم بالدعوة ﷺ وإصرارهم على مخالفته، وإباء أهل الطائف نصرته والدخول في دعوته بل وكيدهم وإيذاءهم، فلم يكن بد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن ييمم وجهه قبائل العرب الأخرى في مواسم الحج وأسواق التجارة عسى أن يجد عندهم العون والمساندة فأخذ

---

(١) بتصرف: محمد منير الغضبان، جـ١، ص١٣٥.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ٢، ص١٥٢.

يعرض نفسه على قبائل العرب.

إلا أن هذا العرض على القبائل في مواسم الحج وأسواق التجارة لم يبدأ فقط من العام العاشر، إذ إنه ثبت أن رسول الله ﷺ منذ أن جهر بالدعوة بعد ثلاث سنين من البعثة كان يرتاد المواسم وأسواق العرب، ويدعوهم إلى الإيمان بالله «قولوا لا إله إلا الله تفلحوا» ويدعوهم إلى نبذ الأصنام والأوثان.

أما في موسم هذا العام أعني السنة العاشرة للبعثة فقد اختلفت طريقة العرض من ذي قبل، ففي هذه السنة جاء طلب النصرة والإيواء مضافا لقبول «لا إله إلا الله» التي بها يحصل الفلاح، وذلك بعد أن يئس من قبول قريش لهذه الدعوة واستحالة أن تكون مكة في هذه المرحلة منطلقا آمنا للدعوة. فأراد صلى الله عليه وسلم أن يكسر هذا الطوق والحصار الذي فرضته قريش على الدعوة، فكان خروجه إلى الطائف ألا أن أهل الطائف كانوا أشد ردا عليه من أهل مكة، مما استدعى من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخطط لإيجاد موطن آخر يصلح لانطلاق الدعوة ولذا جاء عرضه للإسلام على القبائل مصحوبا بطلب الإيواء والنصرة حتى يبلغ كلام الله عز وجل وكان سؤاله عن الكم والكيف في القبائل التي يعرض نفسه ودعوته عليها إشارة إلى أنه كان يبحث عن أرض وحماية ذات صفات معينة وشروط معلومة.عن سالم بن أبي الجعد عن جابر رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على الناس في الموقف فقال ألا رجل يحملني إلى قومه؟ فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ كلام ربي»[١].

وفي رواية الإمام أحمد قال: «فأتاه رجل من همدان، فقال: ممن أنت؟ فقال الرجل: من همدان. قال: فهل عند قومك من منعة؟ قال : نعم. قال ثم إن الرجل خشي أن يحقره قومه فأتى رسول الله ﷺ فقال: آتيهم فأخبرهم ، ثم آتيك من

---

(١) رواه أبو داود في: ٣٤ كتاب السنة، رقم ٤٧٣٤، والترمذي في :٤٦ كتاب فضائل القرآن، رقم ٢٩٢٥، جـ٥، ص١٨٤، وقال هذا حديث صحيح، والإمام أحمد في المسند، جـ٣، ص.٣٩٠.

عام قابل. قال: نعم، فانطلق وجاء وفد الأنصار في رجب»[١].

وقال الحافظ ابن كثير: من حديث طويل عن ابن عباس عن العباس رضي الله عنهما:

«...فأتى بكر بن وائل فقال ممن القوم؟ قالوا: من بكر بن وائل..، قال: فكيف المنعة فيكم؟ قالوا: لا منعة، جاورنا فارس فنحن لا نمتنع منهم ولا نجير عليهم... قالوا ومن أنت؟ قال: أنا رسول الله ثم انطلق...»[٢]ويقول المقريزي في إمتاع الأسماع، في بيان أسماء القبائل التي عرض عليها الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام «ثم عرض رسول الله ﷺ نفسه على القبائل أيام الموسم ودعاهم إلى الإسلام وهم بنو عامر، وغسان، وبنو فزارة، وبنو مرة، وبنو حنيفة وبنو سليم، وبنو عبس، وبنو نصر، ثعلبة بن عكابة وكندة، وكلب، وبنو الحارث بن كعب، وبنو عذرة، وقيس بن الخطيم، وأبو الحيسر بن أبي رافع، وقد اقتص الواقدي أخبار هذه القبائل قبيلة قبيلة ويقال إنه صلى الله عليه وسلم بدأ بكندة فدعاهم إلى الإسلام، ثم أتى كلبا، ثم بني حنيفة ثم بني عامر وجعل يقول: من رجل يحملني إلى قومه، حتى أُبَلِّغ كلام ربي، فإن قريشا قد منعوني أن أبلغ رسالة ربي؟ هذا وعمه أبو لهب وراءه يقول، لا تسمعوا منه فإنه كذاب»[٣].

ويؤكد هذا المعنى الحوار الذي دار بينه صلى الله عليه وسلم وبين القوم من بني شيبان وهو الحوار الذي جاء في حديث ابن عباس الطويل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنها: لما أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يعرض نفسه على قبائل العرب خرج وأنا معه وأبوبكر إلى منى... فقال مفروق قد بلغنا أنه يذكر أنه رسول الله، ثم التفت إلى رسول الله ﷺ فقال: إلام تدعو يا أخا قريش: فتقدم

---

(١) المسند، جـ٣، ص٣٩٠.

(٢) ابن كثير، السيرة النبوية، جـ٢، ص١٦٠، والبداية والنهاية، جـ٣، ص١٤٠.

(٣) المقريزي، إمتاع الأسماع، جـ١، ص٣٠-٣١.

رسول الله صلى الله عليه وسلم المجلس وكان أبوبكر يظله بثوب فقال عليه الصلاة والسلام أدعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وإني رسول الله وأن تأووني وتنصروني حتى أؤدي عن الله الذي أمرني به، فقال المثنى: قد سمعت مقالتك واستحسنت قولك يا أخا قريش، وأعجبني ما تكلمت به والجواب هو جواب هانئ بن قبيصة، وإنا إنما نزلنا بين صريين أحدها الشمامة، والآخر السماوة. فقال رسول الله ﷺ وما هذا الصريان؟فقال له: أما أحدهما فطفوف البر وأرض العرب، وأما الآخر فأرض فارس وأنهار كسرى، وإنما نزلنا على عهد أخذه علينا كسرى أن لا نحدث حدثا، ولا نؤوي محدثا، هذا الأمر الذي تدعونا إليه مما تكرهه الملوك، فأما ما كان مما يلي بلاد العرب فذنب صاحبه مغفور وعذره مقبول، وأما ما كان مما يلي بلاد فارس فذنب صاحبه غير مغفور وعذره غير مقبول، فإن أردت أن ننصرك مما يلي بلاد العرب فعلنا.

فقال رسول الله ﷺ : ما أسأتم الرد إذ أفصحتم بالصدق، إنه لا يقوم بدين الله إلا من أحاطه من جميع جوانبه..ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم...الحديث[1].

يتضح لنا من تلك الروايات والأحاديث التي سقناها في معرض الاستشهاد على كيفية عرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام على القبائل والأفراد الذين يشهدون مواسم الحج وأسواق التجارة بمكة أنه كان صلى الله عليه وسلم يطلب من أولئك الحماية والنصرة حتى يبلغ كلام ربه بالإضافة لقبول الدعوة، ولعل ذلك يؤكد ما ذهبنا إليه في أن طلب الحماية والنصرة لم يكن إلا في هذا العام، أعني السنة العاشرة من البعثة، حيث إنه لم يذكر أن الرسول ﷺ عندما قدم الدعوة لأولئك النفر الأوائل مثل أبي ذر الغفاري رضي الله عنه وعمرو بن عبسة رضي

---

(١) انظر الزرقاني على المواهب للقسطلاني، جـ١، ص٣٠٩، وقال أخرجه الحاكم، وأبو نعيم والبيهقي بإسناد حسن، وهو في السيرة النبوية لابن كثير، جـ٢، ص١٦٣-١٦٩.

الله عنهما، وغيرهما من أسلم آنذاك إنما اقتصرت دعوته لهم على قبول الإسلام والرجوع إلى أقوامهم وإبلاغهم بالدعوة وينتظروا حتى يسمعوا به قد ظهر[١].

وما زال ﷺ يواصل عرض دعوته بأسلوب الاتصال الناجح، مما كان سببا لتهيئة الجو والمناخ المناسبين للدعوة فعندما عرض نفسه على قوم من الخزرج ودعاهم إلى الله عز وجل آمنوا به وصدقوه، حيث كانت دعوته قد بلغت آفاقا لا بأس بها.

قال ابن إسحاق: «فلما أراد الله إظهار دينه وإعزاز نبيه وإنجاز موعده له خرج رسول الله ﷺ في الموسم الذي لقيه فيه النفر من الأنصار فعرض نفسه على قبائل العرب، كما كان يصنع في كل موسم فبينما هو عند العقبة لقي رهطا من الخزرج أراد الله بهم خيرا، فحدثني عاصم بن قتادة عن أشياخ من قومه قالوا لما لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم من أنتم: قالوا: نفر من الخزرج، قال: أمن موالي يهود؟ قالوا: نعم. قال أفتجلسون أكلمكم؟ قالوا: بلى. فجلسوا معه فدعاهم إلى الإسلام، وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن.. فلما كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم أولئك النفر ودعاهم إلى الله، قال بعضهم لبعض ياقوم تعلمون والله أنه النبي الذي توعدكم به يهود فلا يسبقنكم إليه فأجابوه فيما دعاهم...»[٢].

ثم كانت البيعة الأولى، والتي عرفت ببيعة النساء، وقد بعث رسول الله ﷺ مع المبايعين مصعب بن عمير رضي الله عنه يعلمهم الدين ويقرئهم القرآن، فكان

---

(١) لإسلام أبي ذر انظر ص من البحث، وإسلام عمرو بن عبسة ص ١٨٨من البحث.

(٢) ابن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ص٤٢٨-٤٣٠، وهو في البداية والنهاية لابن كثير، جـ٣، ص١٤٨-١٤٩.

يسمى بالمدينة (المقرئ) وكان يؤمهم في الصلاة.[١]

ولقد اختاره ﷺ عن علم بشخصيته من جهة، وعلم بالواقع القائم في المدينة من جهة أخرى، حيث كان رضي الله عنه بجانب حفظه لما نزل من القرآن، يملك من اللباقة والهدوء وحسن الخلق والحكمة، قدرا كبيرا فضلا عن قوة إيمانه وشدة حماسه للدين؛ ولذلك تمكن خلال أشهر أن ينشر الإسلام في سائر بيوتات المدينة، وأن يكسب للإسلام أنصارا من كبار زعمائها. كسعد بن معاذ، وأسيد بن الحضير، وقد أسلم بإسلامهما خلق كثير من قومهم[٢].

ثم كانت البيعة الثانية، وتعتبر نقطة تحول في مسار الدعوة الإسلامية حيث وجدت الأرض المنشودة بكل شروطها، وفي هذه البيعة عاهد الأنصار رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيواء والحماية، والنصرة والمنعة.

وحينما جاء توجيه الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة فقال لهم: «إن الله عزوجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تأمنون بها»[٣]، وبدأ المسلمون في الخروج والهجرة إلى المدينة مختفين ومتفرقين.

وبهذا انتهى عهد التضييق والمنع للرسول صلى الله عليه وسلم ولأصحابه رضي الله عنهم وبدأ عهد الاستقرار والاستعداد للمواجهة الحاسمة مع الكفر، وبسطت الدعوة سلطاتها على المدينة المنورة ثم كانت الانطلاقة من هناك، من

---

(١) انظر: السيرة لابن هشام، جـ٢، ص٧٦، والسيرة لابن كثير، جـ٢، ص١٨٠، ورواه البخاري في : ٦٣، مناقب الأنصار باب مقدم النبي صلى اله عليه وسلم وأصحابه المدينة، جـ٤، ص٢٦٣

(٢) انظر: ابن حجر، الإصابة، جـ٣، ص٤٠١-٤٠٢ ، وابن هشام في السيرة، جـ٢، ص٧٧-٩٠، وعيون الأثر، جـ١، ص١٥٨-١٦١.ود. زيد بن عبد الكريم الزيد، وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول، مصعب بن عمير، إلى المدينة، ص٩.

(٣) ابن كثر: البداية والنهاية، جـ١، ص١٨٦.

المدينة المنورة لمواجهة الباطل بقوة السلاح، وكانت الانطلاقة بعد أن وجدت الأرض التي وقفت عليها الدعوة الإسلامية وتكون المجتمع الإسلامي الأول، فكانت الفتوح بعد ذلك وكان النصر وكان المجتمع، ودخل الناس في دين الله أفواجا.

وهكذا بتوفيق من الله سبحانه وتعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام وحسن تدبيره وتخطيطه ﷺ بعد جهاد مضن وصبر طويل استطاع أن يحقق أهداف المرحلة المكية الثلاثة في فترة زمنية مقدارها ثلاثة عشر عاما.

وتلك الأهداف الثلاثة تمثل أهدافا مرحلية للدعوة ، إذ إن الهدف النهائي والأساس للدعوة الإسلامية هو التمكين للدعوة وإقامة الحكم بما أنزل الله على جميع شؤون الحياة وتوفير حرية انتشار الدعوة، وهذا هو ما سعى لتحقيقه صلى الله عليه وسلم في العهد النبوي الشريف. ولقد تم له ما أراد تحقيقه حيث اكتمل هذا المنهج في السنة التاسعة للهجرة فنزلت كلمات الله معلنة رضاها بهذا المنهج وبهذه الأمة، وما أراده الله من منهج للناس قد اكتمل في قوله تعالى «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا»[1].

• أهداف الدعوة في العهد المدني:

- مدخل:

كانت الهجرة إلى يثرب فاصلا بين عهدين في تاريخ الدعوة الإسلامية، حيث استقرت العقيدة الإسلامية في نفوس نفر من المهاجرين وأصحاب البيعة من الأنصار ، وتكونت النواة الأولى للمجتمع الإسلامي واتخذت المدينة مستقرا لها، فبدأ الرسول صلى الله عليه وسلم في طور تنظيمي جديد بعد أن وجد الأرض التي يمكن أن تنطلق منها الدعوة وتكون قاعدة صلبة لها.

واتجه التشريع في هذا العهد إلى بناء الدولة التي تحمي الدعوة وتوفر لها

---

(١) سورة المائدة، آية ٣.

حرية الانتشار؛ ولذا تمثلت أهداف الدعوة في العهد المدني في الأهداف الآتية:

١- تنظيم علاقات مجتمع المدينة.

٢- تطبيق الأحكام الشرعية.

٣- إعداد القوة التي تحمي الدعوة.

٤- نشر الدعوة بالخارج.

أولا: تنظيم العلاقات في مجتمع المدينة:

كانت المدينة عندما هاجر إليها الرسول ﷺ تضم طوائف شتى منها:[1]

الأنصار الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وآووه ونصروه من الأوس والخزرج، وبين الأوس والخزرج معارك قديمة طاحنة تحز آثارها الدامية في النفوس، وكانت تضم المهاجرين الذين هاجروا من مكة وخلفوا وراءهم أموالهم وتجارتهم، وسائر عشيرتهم من المشركين وتضم اليهود، وهم أحياء تحالف بعضها مع الأوس وتحالف بعضها مع الخزرج، وقد أقام اليهود بيثرب منذ أمد بعيد وقرأوا الكتب المقدسة، ورأوا فيها البشارة برسالة محمد ﷺ، فعز عليهم بعد بعثه أن يذعنوا إليه إبقاء على سلطانهم الديني[2]، واستعلاء في الأرض «فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»[3].

هذا هو واقع المجتمع في يثرب عندما دخلها النبي ﷺ، وقد برز حسن تدبيره في هذا العهد المدني، كما برز من قبل في العهد المكي، وظهرت المقدرة الفائقة في التخطيط والتنظيم والاحتياط للمستقبل بعد دراسة هذا الواقع واستصحابه. فقد كانت مهمته في مكة الدعوة إلى الدين الجديد، وإمداد المسلمين

---

(١)ابن حزم، جمهرة أنساب العرب، ص٣٢٩.

(٢) السمهودي: وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، القاهرة،١٣٧٤هـ،١٩٥٥م جـ١ ص١٨٢. ود. جواد علي، المفصل في تاريخ العرب، جـ٦ ص٣٥٩.

(٣) البقرة، آية ٨٩.

بالثبات والصبر واليقين، أما في المدينة فلم يكن عليه أن يكتفي بتبليغ الوحي الذي ينزل عليه، بل كان عليه أن ينظم الحياة في المدينة نفسها على أسس راسخة وتهيئة كافة الشروط والمتطلبات لتحقيق هذا الهدف، ولذا جاء تخطيطه صلى الله عليه وسلم في الخطوات التالية:

أولا: المؤاخاة:

حاول الرسول صلى الله عليه وسلم تنظيم صفوف المهاجرين والأنصار بالمدينة، وتوكيد وحدتهم عن طريق تألفهم حتى لا تثور العداوة القديمة، فآخى بين أصحابه من المهاجرين والأنصار على الحق والمواساة في السنة الأولى للهجرة بعد خمسة أشهر أو ثمانية من قدومه، على أن المتفق عليه أن المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار كانت قبل معركة بدر[1] حيث دعا الرسول ﷺ أصحابه من المهاجرين والأنصار إلى اجتماع في مسجد المدينة، حدد فيه أسماء نخبة من المسلمين[2]، قيل إنهم تسعون، وقيل بل مائة[3].

وذكر أنهم كتبوا في أمر المؤاخاة كتابا، في دار أنس وبين الرسول ﷺ لهم أثناء ذلك الاجتماع أنه اصطفاهم وأحب أن يؤاخي بينهم.[4]

ولقد كان الإخاء تجربة رائدة وسط الأجواء المادية، ضرب الرسول صلى الله عليه وسلم فيه مثلا على مرونة الإسلام وجعله وسيلة لتأليف النفوس وترقيق المشاعر والقلوب، فكانت بداية لتنظيم علاقاتهم ريثما يستعيد المهاجرون مقدرتهم

---

(١) ابن سعد: الطبقات، جـ١، ص٢٣٨، وابن سيد الناس، عيون الأثر، جـ١، ص١٩٩، وابن إسحاق في السيرة، جـ٢، ص٣٥١.

(٢) الحلبي، السيرة الحلبية، جـ٢، ص٩٦-٩٧.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق، جـ١، ص٢٣٨.

(٤) الحلبي، المصدر السابق، جـ٢، ص٩٦-٩٧.

المالية والاجتماعية، ولذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم من هذه الأخوة مسؤولية حقيقة تشيع بين هؤلاء الإخوة وتتصل بواقع الحياة وبكل أوجه العلاقات القائمة بين الأنصار والمهاجرين.

وهو تحول جديد من العصبية القبلية والفردية والأنانية المقيتة إلي الأخوة الحق والمحبة الصادقة، ولقد مر معنا عند حديثنا عن معرفة الواقع الاجتماعي قبل الإسلام كيف أن العلاقات الاجتماعية كانت قائمة على العصبيات والحروب وسفك الدماء. وكان التعاون على الإثم والعدوان أقرب وأرجح من التعاون على البر والتقوى، وكما قال النفر من الخزرج الذين لقوا النبي ﷺ في الموسم يصفون قومهم بأنهم في حالة فرقة وشتات، فان يجمعهم «الله عليك فلا رجل أعز منك»[(١)].

وقد حققت هذه المؤاخاة أهدافها كاملة، فقوت من نفوس المهاجرين وآنستهم من غربتهم وخلقت بينهم وبين الأنصار جوا من التآلف والتلاحم على أساس من العقيدة والإيمان، وهو لون من الأخوة لا عهد للجزيرة العربية به، حتى بلغ بهم الأمر أن يقول الرجل من الأنصار لأخيه من المهاجرين انظر شطر مالي فخذه، وتحتي امرأتان انظر أيتهما تعجبك حتى أطلقها، ويقول المهاجر: بارك الله لك في أهلك ومالك، ودلني على السوق»[(٢)]، فكان من الأنصار الكرم والإيثار ومن المهاجرين التعفف وعزة النفس.

وتعتبر هذه المؤاخاة المبكرة خطوة أولية وحكيمة لتحطيم عصبيات الجاهلية وإسقاط فوارق النسب واللون والقبلية، وكانت خطوة تربوية رائعة لإيجاد نواة صالحة لتهيئة الأجواء لبناء المجتمع الإسلامي الجديد، وبالذات في مدينة يثرب التي عاشت حقبة من الزمن في أجواء من العصبية بين الأوس والخزرج من جانب،

---

(١) ابن هشام، جـ٢، ص٣٨.

(٢) صحيح البخاري، جـ٤، باب كيف آخى النبي صلي الله عليه وسلم بين أصحابه، ص٨٨.

وبينهم وبين اليهود من جانب آخر[١].

وقد نوه القرآن الكريم بهذه المؤاخاة الفريدة، قال تعالى: «والذين تبوءوا الداروالإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة»[٢].

وقد أنزل الرسول الكريم هذه المؤاخاة الحكيمة منزلة الأخوة الحقيقية، بأن جعل المتآخين يرث أحدهما الآخر، فإذا مات المهاجر ورثه أخوه الأنصاري، وإذا مات الأنصاري ورثه أخوه المهاجر، وقد ظل المهاجرون والأنصار يتوارثون بهذا النظام الى أن استقرت الدولة الإسلامية، وعز الإسلام واجتمع الشمل، وذهبت الوحشة، وقد أبطل الله التوارث بالمؤخاة، وأبقى أخوة المؤمنين، وأنزل في ذلك «وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله، إن الله بكل شيء عليم»[٣] «وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين»[٤]، وكان ذلك حين وقعة بدر[٥].

وذكر ابن عباس أن ما ألغي من نظام المؤاخاة هو الإرث، أما النصر والرفادة والنصيحة فباقية، ويمكن أن يوصى ببعض الميراث بين المتآخين، وإلى هذا المعنى

---

(١) انظر سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٦، ص٣٥٣١.

(٢) سورة الحشر: آية ٩.

(٣) سورة الأنفال، آية ٧٥.

(٤) سورة الأحزاب، آية، ٦. وانظر إلى الروايات الواردة في تفسيرها عند الشوكاني في فتح القدير، جـ٢، ٣٣١، وعند ابن كثير في التفسير، جـ٤، ص٤٣، والسهيلي، الروض الأنف، جـ٢، ص٢٥٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات، جـ١، ص٢٣٨.

ذهب النووي"[1].

ومما سبق نستنتج أن الرسول ﷺ كان يخطط لعمل يخفف من حدة العصبية القبلية بإقرار مبدأ المؤاخاة تمهيدا لبناء مجتمع جديد يقوم على رابطة العقيدة دون رابطة النسب العصبية القومية، كما أنه مهد لقيام الدولة بمفهومها العام المرتكز على وجود مؤسسة قادرة وذات سلطة وتصرف حر.

ثانيا: صحيفة المدينة:

عندما استقر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وأراد أن ينظم العلاقات بين أهل المدينة، فإن أول عمل قام به هو تنظيم صفوف الجماعة المسلمة فيما بينهم وقد تم ذلك بعقد المؤاخاة بين المؤمنين على أساس العقيدة الإسلامية.

وجاءت الخطوة الثانية في سبيل تنظيم علاقات المسلمين فيما بينهم وبين غيرهم من سكان المدينة فكتب كتابا بهذا الشأن عُرِّف في بعض المصادر القديمة باسم (الكتاب) و (الصحيفة) وأسماه الكتاب المحدثون (الدستور) أو (الوثيقة)"[2].

ولأهمية هذه (الوثيقة) اعتمد عليها الباحثون المعاصرون وجعلوها أساسا في دراسة تنظيمات الرسول ﷺ في المدينة المنورة، ونظم الدولة الإسلامية،

---

(١) انظر: مسلم، جـ٤، ص.١٩٦، الحاشية.

(٢) انظر في ذلك:

- د. أحمد إبراهيم الشريف، دولة الرسول في المدينة، ص.٩٠.دار البيان، الكويت،ط٢ , ١٩٧٢

- د. محمد لقمان الأعظمي، مجتمع المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ص٦٥.

- د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، دار الإرشاد، بيروت ط٣، ١٣٨٩هـ- ١٩٦٩م، ص٣٩.

- المباركفوري: الرحيق المختوم، ص١٨٦.

- د. عبد الله بن عبد العزيز إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول. ص٢٧٣.

وعلاقتها مع الدول والملل الأخرى، والنظام السياسي في الإسلام.

وقد أسس رسول الله ﷺ تنظيم علاقات مجتمع المدينة على ضوء الصحيفة.

لو نظرنا بتدبر للبنود المتعلقة بالمسلمين من الصحيفة نجدها تتميز بتعميق الأخوة وإذابة الفوارق وإشعارهم بأنهم أمة واحدة من دون الناس يتعاطفون بعضهم مع بعض ويتآلفون في حياتهم، ويتحمل كل بطن منهم نفقته ومسؤولياته المادية والأسرية بما فيه من الدين والدية، إلا إذا كانت هناك حاجة تستدعي تجمع الأطراف والبطون من المهاجرين والأنصار لإنقاذ أخ لهم وإلى هذا تشير الفقرة الآتية: «وإن المؤمنين لا يتركون مغرما بينهم أن يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل»، ولإحكام وتنظيم العلاقة بين المسلمين فيما بينهم، يكون الرسول صلى الله عليه وسلم وضع اللبنة الأساسية والقوية في بناء الدولة التي تحمل لواء نشر الدعوة، وفي ذلك دراية بالغة بحال العدو اللدود الذي يواجه الدعوة من الخارج والداخل ويحاول دائما استغلال حال الفرقة بين المسلمين، وحيث وضعه أمام أمة متحدة متكاملة متكافلة يسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم.

وبهذه المعاني والقيم جاءت نصوص القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ من حيث اعتبار المسلمين أمة من دون الناس قال تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[1]، وقوله تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض»[2]، وقوله تعالى: «واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا»[3].

ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في معاني الإخاء والتراحم «مثل المؤمنين في توادهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو

---

(١) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٢) سورة التوبة، آية ٧١.

(٣) سورة آل عمروان، آية ١٠٣.

تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»[1]، وقوله ﷺ : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[2].

وغيرها كثير من الأحاديث التي جاءت تعمق أواصر الأخوة والمحبة بين المؤمنين.

وبهذا التنظيم الدقيق والتخطيط المحكم قام المجتمع الإسلامي الأول الذي حمل لواء نشر الدعوة والتمكين للدولة الإسلامية.

٢- تنظيم علاقات المسلمين باليهود على ضوء الصحيفة:[3]

قد اتسم موقف الرسول ﷺ من اليهود من خلال بنود الصحيفة بالتسامح المنفتح من اعتقاد كامل بأن اليهود باعتبارهم أهل كتاب سيتجاوبون مع الدعوة الجديدة، ويهبون لإسنادها في لحظات الخطر والصراع ضد العدو الوثني المشترك، ـ كما جاء في ذلك أحد بنود الصحيفة ـ أو أنهم ـ على أسوء الاحتمالات ـ سيكفون أيديهم عن إثارة المشاكل والعقبات ووضع العراقيل في طريق الدعوة وهي تبني دولتها الجديدة وتصارع قوى الوثنية التي تتربص على الحدود.

ولكن قد غلبت على اليهود طبيعتهم من حب للمكر والغدر والخديعة، فما هي إلا فترة وجيزة حتى ضاقوا ذرعا بما تضمنته بنود هذه الصحيفة التي التزموا بها أول الأمر، فخرجوا على الرسول صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين بألوان من الغدر مما عطل البنود المتعلقة بهم، لا لشيء إلا لأنهم اختاروا (النقض) على الوفاء، والخيانة على الالتزام، والإنغلاق على مصالحهم القومية على الانفتاح

---

(١) أخرجه والبخاري، جـ١، ص٣٦٧، وأخرجه أحمد، جـ٤، ص٢٧٠. ومسلم، رقم الحديث، ٢٥٨٦، باب تعظيم حرمات المسلمين والشفقة عليهم.

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح، جـ١، ص٧٣، حديث رقم ١٣، كتاب الإيمان ومسلم، كتاب الإيمان رقم الحديث، ٤٥. والإمام أحمد، جـ١، ص٨٩.

(٣) أنظر في بنود الصحيفة المتعلقة باليهود في ص ٨٨ من البحث

على الأهداف العامة الكبيرة للأديان السماوية جمعاء.[1]

ولعل مما يدل على حسن تخطيط الرسول ﷺ ومعرفته بطبيعة اليهود، أنه لم يعتبرهم أمة واحدة كما اعتبر المسلمين، بل اعتبر كل قبيلة من قبائلهم لا علاقة لها بالأخرى، وذلك حتى لا يجتمعوا على حربه صلى الله عليه وسلم، وبهذا استطاع أن يعاقب كل قبيلة تنقض العهد ولا يأخذ الأخرى بجريرتها، ومن ثم وفي الوقت المناسب وبشكل تدريجي طهر المدينة من رجس يهود بني قينقاع ثم بني النضير ثم بني قريظة.

وقد تناول عدد من الباحثين المحدثين بالشرح والتحليل بنود الصحيفة وتنظيمها للمجتمع، يقول في ذلك الدكتور البوطي: «..وحسبنا هذا الدستور الذي وضعه الرسول ﷺ بوحي من ربه واستكتبه أصحابه، ثم جعله الأساس المتفق عليه فيما بين المسلمين وجيرانهم اليهود - حسبنا ذلك دليلا على أن المجتمع الإسلامي قام منذ أول نشأته على أسس دستورية تامة، وأن الدولة قامت - منذ أول بزوغ فجرها على أتم ما قد تحتاجه الدولة من المقومات الدستورية والإدارية[2]، وقد تناولها الأستاذ (أحمد إبراهيم الشريف) بالتحليل الدقيق، فبعد أن ذكر بنود الصحيفة قال: «من كل ذلك يتبين أن الصحيفة التي ذكرها ابن إسحاق صحيحة، وأنها وثيقة هامة جدا لفهم تطورات الأمور في الدولة اليثربية»[3].

ويقول عنها الأستاذ عبد الرحمن عزام «وما لبث أن عقد أول معاهدة دولية بين المسلمين واليهود والمشركين، وهي أنفس العقود الدولية وأمتعها وأحقها بالنظر والتقدير من الناس كافة، وأولاها بأن تكون نبراسا للمسلمين في أصول

---

(١) انظر، د. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص١٥٢.ود. عبد العزيز إدريس، مجتمع المدينة في عهد الرسول، ص٤٦، بتصرف

(٢) د. محمد سعيد رمضان البوطي، فقه السيرة، ص٢١٧.

(٣) د. أحمد إبراهيم الشريف: دولة الرسول في المدينة، ، ص٩٥،

العلاقات الدولية بينهم وبين مخالفيهم من أهل الأديان الأخرى، هذا فضلا عن أن عقدها ابتدأت به الدولة الإسلامية حياتها، وابتدأ الاعتراف بالمسلمين كدولة»[١].

وهكذا وضع الرسول ﷺ الأساس المتين للدولة العالمية وللجماعة التي تحمل لواء نشر الدعوة على أساس من التنظيم المحكم والأخوة الصادقة والتخطيط السليم.

* الهدف الثاني: تطبيق الأحكام الشرعية:

من أهم الأهداف التي تحققت في العهد المدني تطبيق الأحكام الشرعية التي نظمت علاقات المجتمع الداخلية بالمدينة، وذلك بعد أن وجدت الدعوة الموطن والملاذ الذي تنطلق منه وتحقق لها التمكين في الأرض، وسوف أقتصر في تناولي لتطبيق الأحكام الشرعية في العهد المدني لبعض الأحكام التي تتعلق بالنواحي الاجتماعية كنماذج على تلك الأحكام دون أن أتوسع في ذلك خشية الإطالة.

لقد تناول القرآن في العهد المدني بقية العبادات وهي الأركان العملية التي يبني عليها الإسلام، فشرع الله الزكاة[٢] والصوم[٣] والحج[٤].

وكذلك تناول القرآن شؤون التعامل، فأحل الله البيع، وحرم الربا، وبين ما يجب في المداينة من كتابة وإشهاد، وما يكون من أداء وأمهال، وأرشد إلى

---

(١) عبد الرحمن عزام، الرسالة الخالدة، دار الفكر، بيروت، ص١٠٦، ط. الرابعة. ١٩٦٩م.

(٢) فرضت الزكاة في السنة الثانية من الهجرة، ـ على المشهور ـ السيد سابق، جـ١، ص٣٩٨.

(٣) كان فرضه يوم الاثنين لليلتين خلتا من شعبان من السنة الثانية من الهجرة، المرجع السابق، جـ١، ص٥٠١.

(٤) كان إيجابه سنة ست بعد الهجرة، ورجح ابن القيم أن افتراض الحج كان سنة تسع أو عشر. نقلا عن سيد سابق، فقه السنة، دار البيان ط٢، ١٤١١هـ. ١٩٩٠م، ص٥٣٣.

التجارة والعمل ونهى عن أكل أموال الناس بالباطل.

وتناول نظام الأسرة في النكاح والعشرة في الحياة الزوجية والطلاق والميراث والوصية، وآداب الاستئذان والتحية، وتناول مشروعية القتال وفرضية الجهاد، وما يتبع ذلك من عهود أو فيء أو غنيمة أو أسر.

وتناول العقوبات على الجرائم الكبرى، صيانة للحقوق الإنسانية العامة التي جاءت بها الملل جميعا، وهي الكليات الخمس، حفظ الدين، والنفس، والمال، والنسل، والعقل، فيما فرض من قصاص أو حد.

وتناول شؤون القضاء والحكم والعدل بين الناس ، وتحكيم كتاب الله تعالى:

«وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم»[1]، وقال تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والإحسان[2]».

وهكذا نجد أن التشريع وتطبيق الأحكام في العهد المدني قد شمل جميع نواحي الحياة، وأقام معالم حياة الأمة الإسلامية في جوانبها المختلفة، وحدد روابطها الاجتماعية، وسلطانها السياسي، فكان الإسلام عقيدة وشريعة ونظاما متكاملا للحياة، وكان محمد ﷺ مؤسسا لدولته فأكمل الله الدين وأتم النعمة.

ولعل من أهم السمات البارزة التي صاحبت تطبيق الأحكام الشرعية في العهد المدني التدرج في تطبيق تلك الأحكام وكان هذا التدرج ليرتقي بالمجتمع ويأخذه في رفق وهوادة إلى العفاف والطهر وحتى لا يشق على الناس هذه القفزة السريعة فلا يكون عليهم في الدين من حرج وبهذا التدرج في التشريع وتطبيق الأحكام تحقق ما يمكن اعتباره معجزة، وهو نقل المجتمع من مجتمع جاهلي منحط مفكك الأواصر إلى مجتمع إسلامي مثالي سامق مترابط البنيان كالجسد الواحد ، ويوضح هذه الحقيقة قول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وهي التي عايشت مرحلة التشريع ونزول الأحكام إذ قالت: «أول ما نزل من القرآن سور من المفصل فيها ذكر الجنة والنار، حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام، ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبدا»[3].

أولا: التدرج في تحريم الخمر:

كانت أول آية نزلت بشأن الخمر في مكة قوله تعالى: «ومن ثمرات النخيل

---

(١) سورة المائدة، آية، ٤٩.

(٢) سورة النحل، آية ٩٠.

(٣) البخاري، مع الفتح، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن ، جـ٨، ص٦٥٥حديث رقم٤٩٩٣،

والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا، إن في ذلك لآية لقوم يعقلون»[١].

فإن وصف الرزق بأنه حسن دون السكر يشعر بمدح الرزق والثناء عليه وحده دون السكر، والنص يلمح إلى أن الرزق الحسن غير الخمر، وأن الخمر ليست رزقا حسنا، وفي هذا توطئة وتدرج لما جاء من بعده من تحريمها فيدركون أن من يصنع هذا الرزق هو الذي يستحق العبودية، وهو الله تعالى[٢]. قال ابن عباس: (السكر) ما حرم من ثمرتيهما، والرزق الحسن ما أحل من ثمرتيهما[٣]، ثم نزل قوله تعالى: «يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما»،[٤] وقد ورد في سبب نزولها أن عمر بن الخطاب ومعاذ بن جبل ونفر من الأنصار أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة للمال، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٥].

وهذا النص كان أول خطوة من خطوات التحريم، فقارنت الآية بين منافع الخمر فيما يصدر عن شربها من طرب ونشوة، أو ما يترتب على الاتجار بها من ربح، ومضارها من إثم تعاطيها وما ينشأ عنه من ضرر في الجسم وفساد في العقل، وضياع للمال وإثارة لبواعث الفجور والعصيان ونفرت منهابترجيح المضار على المنافع[٦]، وفي هذا إيحاء بأن تركها هو الأولى.

ثم نزل قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى

---

(١) سورة النحل، آية ٦٧.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٤، ص٢١٨١.

(٣) القرطبي، جامع أحكام القرآن، جـ٥، ص٨٥، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ، ١٩٩٤م.

(٤) سورة البقرة، آية ٢١٩.

(٥) الواحدي، أسباب النزول، تحقيق محمد أحمد صقر، ص٦٤، ط١٩٨٤م.

(٦) الشيخ مناع القطان: تاريخ التشريع الإسلامي، ص٥٤، ط١٠، ١٤١٣هـ، مؤسسة الرسالة.

حتى تعلموا ما تقولون»[1]، فكانت هذه الخطوة الثانية في تحريمها وتضييق في وقت شربها، فقد روي أن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه ظل يشرب الخمر ويطلب الإيضاح، ويقول «اللهم بين لنا بيانا شافيا في الخمر»[2] حتى نزلت الآية المحرِّمة.

وذكر الواحدي أنها نزلت في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشربون الخمر ويحضرون الصلاة وهم نشوى، فلا يدرون كم يصلون ولا ما يقولون في صلاتهم. أخبرنا أبوبكر الأصفهاني، قال أخبرنا أبو الشيخ الحافظ قال: حدثنا عطاء عن أبي عبد الرحمن، قال: صنع عبد الرحمن بن عوف طعاما، ودعا أناسا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فطعموا وشربوا، وحضرت المغرب، فقرأ «قل يا أيها الكافرون» فلم يقمها، فأنزل الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون»[3].

والصلاة في خمسة أوقات معظمها تتقارب لا يكفي ما بينها للسكر والإفاقة، وفي هذا تضييق لفرصة المزاولة العملية للشرب.

ثم نزل قوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة، فهل أنتم منتهون؟»[4].

---

(١) سورة النساء، آية ٤٣.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن، جـ١، ص٧٥٦، ومسلم، جـ٧، ص١٢٦-١٢٧، مسند أحمد، جـ١، ص١٨١، ١٨٩، ١٨٦.

(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص١٤٦.

(٤) سورة المائدة، آية ٩١.

فكانت الخطوة الأخيرة في القطع بتحريم الخمر في الأوقات كلها، وكانت سرعة الاستجابة للأمر الإلهي، لما نزلت آيات التحريم هذه في سنة ثلاث بعد وقعة أحد لم يحتج الأمر إلى أكثر من مناد في نوادي المدينة: «ألا أيها القوم، إن الخمر قد حرمت» فمن كان في يده كأس حطمها، ومن كان في فمه جرعة مجها، وشقت زقاق الخمر، وأهرق المسلمون ما تبقى عندهم منها حتى امتلأت الشوارع بها، وانتهى الأمر كأن لم يكن سكر ولا خمر[1].

٢- التدرج في تحريم الزنا:

يرى كثير من الفقهاء أن تقرير عقوبة الزنا كانت متدرجة كما حدث في تحريم الخمر، وكما حصل في تشريع الصيام[2].

كان الحكم في ابتداء الإسلام أن المرأة إذا ثبت زناها بالبينة العادلة، حبست في بيت فلا تمكن من الخروج منه إلى أن تموت، ولهذا قال تعالى: «واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم، فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلا»[3].

قال ابن كثير: الفاحشة هي الزنا[4].

إن التدرج هو منهج الإسلام في معالجة الأمراض المتمكنة في المجتمع، وقد اختار في أول الأمر عزل الفاحشات من النسوة وإبعادهن عن المجتمع متى ثبت عليهن ارتكاب الفاحشة: «أو يجعل الله لهن سبيلا» فالسبيل الذي جعله الله هو

---

(١) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٢، ص٩٧٥.

(٢) سيد سابق، فقه السنة، جـ٢، ص٥٥١، ط٢، ١٤١١هـ والشيخ مناع القطان، تاريخ التشريع الإسلامي، ص٥٢.

(٣) سورة النساء آية ١٥.

(٤) انظر ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ١، ص٦٩٦ والطبري، جامع البيان ج٣، ص٢٩٢

الناسخ لذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان الحكم كذلك حتى أنزل الله سورة النور، فنسخ بالجلد والرجم[١].

والآية تبين هذا التدرج المنشود ويشعر الدارس لهذه الآية أن هذا ليس الحكم النهائي الدائم، وإنما هي فترة معينة وملابسات في المجتمع خاصة، وأنه يتوقع صدور حكم آخر ثابت دائم، وهذا الذي وقع بعد ذلك فتغير الحكم كما ورد في سورة النور.[٢]

وبينما المجتمع المدني في حالة الترقب والانتظار لهذا الحكم النهائي جاء الوحي: روى مسلم وأصحاب السنن عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: «خذوا عني خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا، البكر بالبكر جلد مائة وتغريب سنة، والثيب بالثيب جلد مائة والرجم»[٣].

وأخيرا جاء الحكم واضحا في سورة النور.قال تعالى: «الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين»[٤].

وهذا هو السبيل الذي أشارت إليه من قبل سورة النساء، ولقد فصلت كتب الفقه في حد الزنا وتوسعت في شروطه وضوابطه.

ثالثا: من أهداف الدعوة في العهد المدني:

* إعداد القوة التي تحمي الدعوة:

بعد أن اطمأن النبي ﷺ إلى بناء المجتمع بعقد المؤاخاة بين أصحابه من

---

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ١، ص٦٩٦.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ١، ص٥٩٩.

(٣) أخرجه مسلم، في كتاب الحدود، باب حد الزنا، جـ٣، ١٣١٦، برقم ١٦٩٠.

(٤) سورة النور، آية ٢.

مهاجرين وأنصار، وعقد المعاهدات مع جيرانه اليهود، بدأ صلى الله عليه وسلم يهيء الأجواء لإعداد جيش قوي يؤمن حرية انتشار الدعوة وحماية المؤمنين بها.

ولعل أسبابا عديدة ومتشعبة حالت دون تكوين هذه القوة وإعلان المواجهة ضد الوثنية، في العهد المكي، إذ كان شعار تلك المرحلة «كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة»[1]، وهذه الأسباب ترتبط ولا ريب بالدعوة كحركة، وبالأرضية أوالبيئة التي تتحرك عليها، إذا لم يكن بمقدور الرسول ﷺ أن يسمح لأصحابه بالقتال قبل أن يكتمل نموهم العقدي، ويصل مرحلة النضج، وقبل أن يزداد عددهم بما يمكنهم من توجيه ضرباتهم وتحمل الضربات المضادة من جهة أخرى دون أن يتعرضوا للتشتت والفناء[2].

وكذلك من الأسباب معرفة الرسول ﷺ بالبيئة التي كان يتحرك فيها في العهد المكي، إذ إنها بيئة قبلية تعير اهتماما كبيرا لصلات النسب والقربى، الأمر الذي مكن الرسول صلى الله عليه وسلم من أن يجد حماية (طبيعية) في عشيرته بني هاشم التي ذاقت معه، بسبب تقاليد مكة القبلية أشد محاصرة تجاربه ألما، والمتمثلة بسني الحصار الصعب في شعب أبي طالب، وكان رفع السلاح في تلك المرحلة بوجه المشركين سيستفز عشيرة الرسول ﷺ نفسه، ويبعدها عن نصرته فتتركه وأصحابه وحيدين ليس من يحميهم، فتحصدهم سيوف قبائل قريش جميعا.

ومن الأسباب أيضا عدم تميز المسلمين عن المشركين في معيشتهم اليومية، وليس لهم معسكر ينحازون إليه عند إسلامهم، وإن كانوا يجتمعون فيما بينهم

---

(١) سورة النساء، آية، ٧٧.

(٢) انظر: د. أكرم ضياء العمري، السيرة النبوية الصحيحة، محاولة لتطبيق قواعد المحدثين في نقد روايات السيرة النبوية، جـ٢، ص٣٣٧، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م..

في دار الأرقم وغيره لتلقي تعاليم الإسلام، ولو كانت المواجهة المسلحة فرضت عليهم في تلك الفترة لجرت معركة في كل بيت أسلم منه أحد، فلما هاجر المسلمون إلى المدينة وآزر الأنصار دعوة الإسلام وصارت للمسلمين أرض يمتلكون السيادة عليها شرع الله تعالى الجهاد، وجاء الإذن بمقابلة عدوان المشركين بالمواجهة المسلحة[١] كما قال تعالى: «أذن للذين يُقاتلون بأنهم ظُلموا، وإن الله على نصرهم لقدير»[٢].

وبعد أن جاء الإذن من الله سبحانه وتعالى بمقاتلة الكفار وكل من يقف سدا منيعا أمام انتشار الدعوة، بدأ الرسول ﷺ يخطط لإعداد أتباعه للمواجهة الحاسمة، ورغم أن أتباعه كان معظمهم قد مارس القتال في الجاهلية وعرفوا كيف يحملون السلاح، ويستخدمونه في ظروف لا (يبقى) فيها من لا يحمل سلاحا، ورغم أن الأنصار الذين قامت دولة الإسلام في المدينة على أكتافهم قد أعربوا للرسول صلى الله عليه وسلم يوم بيعتهم الأخيرة، في العقبة عن قدراتهم القتالية وبأسهم في الحرب، وقالوا: «نحن أبناء الحرب ورثناها كابرا عن كابر»[٣] إلا الظروف الجديدة التي بدأت الدعوة تجتازها، وتصاعد الموقف الحربي بينه وبين القوى الوثنية وبخاصة في أعقاب الهجرة إلى المدينة ونزول الآيات القرآنية تؤذن ببدء القتال المسلح وتحتم على الرسول ﷺ أن يخط لتنمية هذه القدرات وأن يدفع أتباعه إلى مزيد من التدريب والمهارة العسكرية في مواجهة الأعداء الذين

---

(١) د. أكرم ضياء العمري، المرجع السابق، ص٢٣٧.

(٢) الحج، آية، ٣٩.

(٣) ابن هشام، السيرة، جـ١، ٤٤٢.، وانظر: محمد منير الغضبان، التربية الجهادية، ص٢١،

يحيطون بالدولة من كل جانب، وانطلق الرسول صلى الله عليه وسلم القائد[1] طيلة العصر المدني يعمل دوما وهن على تعليم أتباعه فنون القتال وتدريبهم على استعمال السلاح رافعا شعارا واضحا لا غمرض فيه «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون»[2]، معتمدا في سعيه لتكوين هذه القوة على أسلوبين متوازيين:[3]

١- التوجيه المعنوي.

٢- التدريب العملي.

* التوجيه المعنوي:

إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة ذات أعباء باهظة لا ينهض بها إلا من روّض نفسه على الطاعة والتضحية، وقد سجلت هذه الحقيقة الآية الكريمة: «كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون»[4]. وقال الألوسي: وكون القتال مكروها لا ينافي الإيمان لأن تلك الكراهية طبيعية لما فيه من الأسر والقتل وإفناء

---

(١) اللواء الركن محمود شيت خطاب، الرسول القائد، مكتبة الحياة بيروت، ط٢، بدون تاريخ، ص٩.وانظر عماد الدين خليل، دراسة في السيرة النبوية، ص١٨٥.

(٢) سورة الأنفال، آية ٦٤.

(٣) انظر محمد منير الغضبان، المنهج التربوي للسيرة النبوية، التربية الجهادية، جـ١، ص٩، مكتبة المنار، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م بتصرف. وعبد الرحمن عزام، بطل الأبطال، أو أبرز صفات النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ص٧٧، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٦٨م، وعماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص١٨٧.

(٤) سورة البقرة، آية ٢١٦.

البدن وتلف المال[1].

وانطلاقا من هذه المعرفة بالنفس البشرية وما جاءت به معظم آيات الجهاد في العهد المدني لمعالجة الضعف البشري وتغيير مفاهيم الجماعة المسلمة نحو الموت والحياة، فتارة تأتي بعض الآيات لمعالجة الخوف بوضع الإنسان أمام حتمية الموت وأنه لا فرار منه وفي ذلك يقول الله تعالى: «أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة...»[2].

وقوله تعالى «قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون»[3]، وقوله تعالى: «ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم»[4].

نرى أن هذه الآيات البينات وأمثالها تلمس مواطن الخوف، فإذا كان لكل نفس أجل ولن تموت حتى تستوفيه فلم الخوف والهلع والحرص على الحياة والتخلف من الإقدام، والقرآن يقوي الروح المعنوية ويوجهها بضرب الأمثال والقصص ووضعها أمام الحقائق المنطقية كي تتحرر من الخوف والفزع[5].

وتارة تأتي الآيات القرآنية فتصور حياة الشهداء وما أعد لهم من نعيم وجنات، فتدفعهم للتسابق لنيل الشهادة، ومن ذلك قوله تعالى: «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون»[6]، وقوله تعالى: «ولا

---

(١) الألوسي: روح المعاني، جـ٢، ص١٠٦، ط دار الفكر ١٩٨٣.

(٢) سورة النساء، آية ٧٨.

(٣) سورة الجمعة، آية (٨)

(٤) سورة البقرة، آية ٢٤٣.

(٥) انظر : في ظلال القرآن، جـ١، ص٢٢٠.

(٦) سورة البقرة، آية ١٥٤.

تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون»[1].

هكذا جاءت آيات القرآن لترفع من معنويات المقاتلين فهم ليسوا أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون، ولم ينقطعوا عن حياة الجماعة المسلمة من بعدهم ولا عن أحداثها، فهم يتأثرون بها.

إن جلاء هذه الحقيقة الكبيرة ذو قيمة ضخمة في تصور الأمور والأفكار في المجتمع المدني الجديد، فليس الموت والحياة نهاية المطاف «فهذه النظرة الجديدة تعديل لمفهوم الموت والحياة، متى كان في سبيل الله وللمشاعر المصاحبة له في نفوس المجاهدين أنفسهم، وفي النفوس التي يخلفونها من ورائهم»[2].

وكذلك جاءت أحاديث الرسول ﷺ، تحثهم وتدفعهم للجهاد وإعداد القوة، والرباط في سبيل الله، فكان صلى الله عليه وسلم يقول: «من مات مرابطا وقي فتنة القبر وأومن من الفزع الأكبر، وكتب له أجر المرابط إلى يوم القيامة»[3].

وقال البخاري رحمه الله في صحيحه «باب فضل رباط يوم في سبيل الله» وقوله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون» ثم روى بسنده عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها...الحديث»[4]، وحثهم صلى الله عليه وسلم على الجهاد ورغبهم في فضله

---

(١) سورة آل عمران، آية، ١٦٩.

(٢) في ظلال القرآن، جـ١، ص١٤٣.

(٣) مسند الإمام أحمد، جـ٢، ص٤٠٤.

(٤) صحيح البخاري، جـ٣، ص٢٢٤.

وعظيم الأجر الذي ينتظر الشهيد، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما فيها»[١]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لقاب قوس في الجنة خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب، وقال: لغدوة أو روحة في سبيل الله خير مما تطلع عليه الشمس وتغرب»[٢].

ومن تشجيعه ﷺ لأصحابه على الجهاد إخبارهم بالأجر العظيم الذي ينتظرهم حتى من يجرح فقط، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «والذي نفسي بيده، لا يُكْلم[٣] أحد في سبيل الله والله أعلم بمن يُكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون الدم، والريح ريح المسك»، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما اغبرتا قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار»[٤].

فكانت هذه التوجيهات من الرسول القائد خير زاد معنوي لأصحابه رضوان الله عليهم.

٢- التدريت العملي:

الأسلوب الثاني الذي اعتمده الرسول صلى الله عليه وسلم هو التدريب العملي على كل مهارة في القتال، طعنا بالرمح وضربا بالسيف ورميا بالنبل، ومناورة على ظهور الخيل، كما أكد على ضرورة تعلم القتال في كل ميدان برا وبحرا، تنفيذا لقوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» على إطلاق القوة.

وقد ورد في معنى قوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة» أن

---

(١) صحيح البخاري مع الفتح، جـ٦، ص١٧، حديث رقم ٢٧٩٢.

(٢) البخاري مع الفتح، جـ٦، ص١٧، حديث رقم ٢٧٩٢، كتاب الجهاد والسير.

(٣) يكلم: بضم أوله وسكون الكاف، وفتح اللام، أي يُجرح.

(٤) البخاري مع الفتح، جـ٦، ص٣٥، حديث رقم ٢٨١١.

الرسول ﷺ وهو على المنبر يقول في معناها: «ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي»[1]، والرمي يعني إصابة الهدف.. وحتى العصر الحديث، والحروب التقنية تجيء الانتصارات فيها بالدرجة الأولى معتمدة على مقدرة الجندي على إصابة الهدف بالرصاصة أو القنبلة أو الصاروخ.

وروى الإمام أحمد وأهل السنن عنه ﷺ قوله: «ارموا واركبوا وأن ترموا خير من أن تركبوا»[2].

ويروي أحد الصحابة وهو الحسين بن السائب، قال لما كانت ليلة بدر قال النبي صلى الله عليه وسلم، لمن معه كيف تقاتلون؟ فقام عاصم بن ثابت بن أبي أفلح، فأخذ القوس والنبل وقال : إذا كان القوم قريبا من مائتي ذراع كان الرمي، وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعسة... ، فقال صلى الله عليه وسلم، «هكذا نزلت الحرب من قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم»، هكذا في أول معركة فاصلة بينه وبين المشركين يعطي أصحابه درسا عمليا في القتال ويدربهم على فنونه[3]

وقال في فضل رباط الخيل في سبيل الله أحاديث كثيرة منها: «الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، الأجر والمغنم»[4]، وذلك دفعا لأصحابه إلى التمرس على الفروسية وتعلم ركوب الخيل في قتال يلعب فيه الفرسان دورا كبيرا.

وكذلك لقد حرص ﷺ أن تكون هذه القوة معاصرة، فلم يكتف بماعند العرب

---

(١) مسلم، جـ٦، ص٥٢، سنن أبي داود، جـ٣، ص١٤، وابن ماجة، جـ٢، ص٩٤.

(٢) مسند الإمام أحمد، جـ٤، ص١٤٤، سنن أبي داود، جـ٣، ص١٣.

(٣) ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٢، ص٢٢٥.

(٤) البخاري، جـ٤، ص٣٤.، ومسلم، جـ٦، ص٣٢.

من فنون القتال بل أخذ يرسل بعض أفراد الجيش الإسلامي إلى جرش[١] باليمن ليتعلموا صناعة الدبابات، ثم عادوا وصنعوها واستخدموها في حصارهم للطائف[٢].

ومما يؤكد أن اليمن كانت في ذلك الوقت واقعة تحت الحكم الفارسي، وكان الفرس متقدمين في صناعة الأسلحة، وكانوا يتنازعون مع الروم في صدارة العالم، آنذاك؛ لهذا أرسل الرسول ﷺ المسلمين ليتعلموا صناعة هذه الأسلحة المتطورة وإنتاجها محليا.

وقال صلى الله عليه وسلم وهو يمزج خطى التربية العسكرية المتوازيين: التوجيه والتدريب، والأمل بالنصر أو الجنة، وتقديم الجهد في ساحة القتال أو في الخطوط الخلفية صنعا للسلاح أو إمدادا به[٣] «إن الله عز وجل ليدخل بالسهم الواحد ثلاثة الجنة، صانعه يحتسبه في عمل الخير، والرامي به، والممد به»[٤]، وشاهد رجل في أطراف المدينة عقبة بن عامر يحمل السلاح ويمارس التهديف

---

(١) جُرَش: بضم الجيم وفتح الراء، وآخره شين معجمة: هي مدينة عظيمة كانت قائمة إلى القرن الرابع، وفي عهد النبي صلى الله عليه وسلم، كانت تعتبر من المدن المتطورة عسكريا، إذ جاء أن بعض الصحابة كانوا بجرش أثناء حصار الطائف، يتدربون على الدبابات والمجانيق، ثم اندثرت جرش وتوجد آثارها اليوم قرب خميس مشيط. انظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص١٢٦، وعاتق بن غيث البلادي، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، دار مكة للتوزيع، ط١، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م، ص٨١.

(٢) السهيلي: الروض الأنف، جـ٤، ص١٤٨.

(٣) انظر: منير الغضبان، النهج التربوي، التربية الجهادية، جـ١، ص١٠ وما بعدها. وعماد الدين خليل، ص١٦٢.

(٤) ابن ماجة، جـ٢، ص١٣٨، حديث رقم ٢٨٣٨.

راكضا من مكان إلى مكان فسأله: «تختلف بين هذين الموضعين وأنت شيخ كبير؟» أجابه الشيخ: لأمر سمعته من رسول الله ﷺ. قال: وما ذاك؟ أجابه الشيخ: «سمعته يقول: من تعلم الرمي ثم تركه فليس منا»[1]. بهذه اللهجة الحاسمة «ليس منا»! ذلك أن الذي لم يعرف السلاح ابتداء والذي يعرفه حينا من الوقت ثم ينساه سواء... هذه هي الروح التدريبية القتالية العالية التي بلغها أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانوا على مستوى عال من التدريب العملي وروح عالية ترى الموت في سبيل الله أغلى أمانيها، وكذلك كانت السرايا الأولى التي كان يبعثها الرسول صلى الله عليه وسلم والدوريات الاستطلاعية كانتا خير وسيلة للتدريب العملي.

* الهدف الرابع من أهداف الدعوة في العهد المدني:

١- نشر الدعوة بالخارج:

لما رجع رسول الله ﷺ من صلح الحديبية في أواخر السنة السادسة من الهجرة ، ورأى سرعة إسلام الأفراد والقبائل بعد أن اختلطوا بالمسلمين وعرفوا عن كثب تعاليم الدين الإسلامي، وجد أنه قد آن الوقت لتعميم الدعوة للإسلام خارج الجزيرة العربية، ووضع خطة للسير بالدعوة إلى غايتها المرسومة لها وصولا إلى العالمية، وقد كان لهذه الخطة أهدافها التي استمدها من الإطار الذي رسمه القرآن الكريم لهذه الدعوة والتوصيف الذي أراد الحق سبحانه وتعالى لهذه الدعوة أن تتصف به فكان توصيفها على أنها دعوة عالمية لكل فرد على وجه الأرض نصيب

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الإمارة، جـ٣، ص١٥٢٣، برقم ١٩١٩، وفي رواية «قد عصاني» وعند ابن ماجة برقم ٢٨٤١، جـ٢، ص١٣٩.

فيها، قال تعالى: «وما هو إلا ذكر للعالمين»[1] «إن هو إلا ذكر للعالمين»[2]، وقوله تعالى: «وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا»[3] «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا»[4].

وبناء على هذه الرؤية القرآنية وهذا التوصيف القرآني للدعوة من أنها دعوة عالمية، جاءت الخطة المستمدة من هذه الرؤية القرآنية وفق أهداف معينة ووسائل محددة على إلمام بالواقع المحيط بالدعوة.

* كيفية تنفيذ هذه الخطة:

لقد خطط النبي صلى الله عليه وسلم لتحقيق نشر الدعوة خارج الجزيرة العربية، فبدأ بإرسال الرسل إلى الملوك والأمراء، ولم يكن يبعث هؤلاء الرسل في وقت واحد، بل بدأ ذلك بعد الحديبية واستمر إلى وفاته ﷺ، كما قال ابن إسحاق.[5]

وقد روى الإمام مسلم عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى وإلى قيصر وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل، وليس بالنجاشي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم»[6].

وقد خرج النبي ﷺ على أصحابه ذات غداة فقال لهم: «إني بعثت رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله، ولا تختلفوا علي كاختلاف الحواريين على عيسى

---

١) سورة القلم، آية ٥٢.

(٢) سورة التكوير، آية ٢٧.

(٣) سورة سبأ، ٢٨.

(٤) سورة الأعراف، ١٥٨.

(٥) الطبري: تاريخ، جـ٢، ص٦٤٤-٦٤٥.

(٦) مسلم، كتاب الجهاد، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلي ملوك الكفار.

بن مريم قالوا: يا رسول الله وكيف كان اختلافهم؟ قال: «دعا إلى مثل ما دعوتكم إليه، فأما من قُرِّب به فأجاب وسلم، وأما من بُعِّد به فكره وأبى.»[١]

وبهذا الخطاب استطاع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقدم لأصحابه خطة نشر الدعوة خارج الجزيرة العربية ويشحذ هممهم ليسارعوا إلى تبليغ الرسالة، فكان ردهم «لا نختلف عليك في شيء أبدا، فمرنا وابعثنا»[٢]، وعلى هذا النحو أعلم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخطة حتى يتجهزوا للقيام معه بتنفيذها على أن يتحمل كل فرد دوره.

وقد اختار رسول الله ﷺ من أصحابه رسلا لهم معرفة بعادات وتقاليد البلدان التي سوف يرسلون إليها لدعوة ملوكها وأمرائها.

ولما أراد إرسال هؤلاء الرسل إلى الملوك والأمراء قالوا له: «لا يقرؤون كتابا إلا أن يكون مختوما فاتخذ خاتما من فضة نقشه من ثلاثة أسطر: محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وذلك من أسفل إلى أعلى فكان يختم به الرسائل[٣].

وابتدأ ﷺ تنفيذ الخطة فبعث كتابا إلى قيصر المدعو هرقل الروم على يد دحية الكلبي، يدعوه فيه إلى الإسلام، وبعث النبي صلى الله عليه وسلم كتابا على يد عبد الله بن حذافة السهمي إلى كسرى ملك الفرس للغرض نفسه.

وخرج عمرو بن أمية الضمري بكتاب إلى النجاشي ملك الحبشة يدعوه فيه إلى الإسلام.

واتجه العلاء بن الحضرمي يحمل كتاب النبي إلى المنذر بن ساوى بالبحرين.

وتوجه حاطب بن أبي بلتعة بكتاب النبي ﷺ إلى المقوقس ملك القبط.

---

(١) الطبري، جـ٢، ص٦٤٥، وابن هشام، ص٣٧٥-٣٧٦.

(٢) محمد أبو زهرة، خاتم النبيين، جـ٣، ص٩٧٤، و الترمذي، جـ٤، ص١٦٨.

(٣) شرح العلامة الزرقاني على المواهب اللدنية للقسطلاني، جـ٣، ص٤٠٠، المطبعة المصرية، ط١، ١٣٢٦هـ (٣/٣٣٤)، وأبوداود جـ١، ص٤٥.

وانطلق عمرو بن العاص لدعوة جيفر وعبد بن الجلندي ملكي عمان من خلال كتاب يحمله من الرسول ﷺ وكان شجاع بن وهب هو الذي حمل كتاب النبي صلى الله عليه وسلم إلى المنذر بن الحارث بن أبي شمر الغساني بدمشق»[1].

وبالنظر إلى تلك الرسائل التي بعث بها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حكام العالم آنذاك يتضح لنا عمق التخطيط وحسن التدبير في مخاطبته لهم، وذلك بتأكيده الدائم على الهدف الأساس للدعوة وهو الإقرار بشهادة (لا إله إلا الله) في عصر طغت فيه الربوبيات الزائفة واتخاذ الناس بعضهم بعضا أربابا من دون الله، ولم يتهاون رسول الله ﷺ في طرح هذا المبدأ إزاء حكام العالم، كما لم يهادن به في صراعه مع الوثنية العربية منذ أول لحظة . فهذا المنطلق الأساسي للدعوة الجديدة، والقاعدة التي يقوم عليها صرح الإسلام وبدونها يتميع ويتفكك.[2]

وأيضا مما يبين لنا حسن التخطيط في تلك الرسائل الموجهة للملوك والأمراء، مخاطبة كل واحد منهم بما يتناسب معه من ألقاب وعبارات مدح وترغيب بالخير العميم في الدنيا والآخرة في حال قبوله الدعوة الجديدة «أسلم تسلم يؤتيك الله أجرك مرتين»[3]، وكذلك كان يدفع ﷺ خلال السطوربعض عبارات وكلمات ينذرهم فيها أنهم إن لم يستجيبوا فإنهم سيعرضون مراكزهم للخطر وزعاماتهم للبوار، «فإن لم تدخل في الإسلام فاعط الجزية فإن الله تبارك

---

(١) في تفصيل رسل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك والرؤساء انظر: ابن هشام، السيرة، والطبري: تاريخ ، جـ٢، ص٦٤٤، وخليفة بن خياط: تاريخ، جـ١، ص٤١، ابن سعد، جـ١، ص٢١٦، ومجموعة الوثائق، ص٨٢، ود. مهدي رزق الله، السيرة النبوية، ص٥١٩ وما بعدها.وابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، في مواضع مختلفة.

(٢) د. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ٢٩٢، بتصرف.

(٣) الطبري: تاريخ، جـ٢، ص٦٤٩.

وتعالى يقول:[1] «قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»[2].

والدارس لرسائل الرسول صلى الله عليه وسلم إلى حكام العالم آنذاك يتضح له حسن التخطيط وبعد النظر، ومن ذلك:

١- تأكيده الدائم على شهادة أن (لا إله إلا الله)، وفي هذا التأكيد تحقيق للهدف الأساس الذي يدعو إليه صلى الله عليه وسلم.

٢- كانت هذه الرسائل وسيلة هامة لتوصيل الدعوة ، وقد كان القصد من تبليغ هؤلاء أن تصل لأتباعهم، ومن هنا تتضح الحكمة من دعوة النبي ﷺ للزعماء فقد كانوا في تلك العصور المسيطرين على شؤون رعاياهم المتصرفين في أمورهم الدينية، والدنيوية، وإسلام الزعماء كان يؤدي إلى إسلام الغالبية الكبرى من رعاياهم، ومن البدهي أن الزعيم الذي لا يقبل الدعوة يبذل جهده في عرقلتها والتصدي لها وإعاقتها[3]

٣- المكسب الأكبر الذي حققه ﷺ من وراء مكاتباته أنها جاءت حملة إعلامية على النطاق الدولي من أن هذا الدين ليس دين العرب فحسب، أو جزيرة العرب، وإنما هو دين الإنسان حيث كان هذا الإنسان لإخراجه من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ومن عبادة العباد إلى عبادة الله وحده.

ولا شك أن إرسال الرسل إلى الدولتين الكبيرتين يومئذ ـ فارس والروم ـ يبين لنا مدى بعد نظر الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه لا ينظر إلى الأمور على ضوء

---

(١) د. محمد حميد الله، مجموعة الوثائق، ص ٨٢.

(٢) سورة التوبة آية ٢٩.

(٣) انظر: د. مهدي رزق الله، السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص٥٢٤-٥٢٥.

الحاضر الضيق، فإن ثقته العميقة في سيادة دعوته وامتداد نطاقها لا تقف أمامها العقبات المفروضة في الطريق مهما عظمت، وكذلك مدى القوة الذاتية التي كان يتمتع بها رسول الله صلى الله عليه وسلم مؤيدا بحفظ الله ورعايته واثقا من نصره الذي وعده إياه"[1].

وبهذا تكون الدعوة قد سارت خطوة أخرى واسعة نحو تحقيق موعود الله سبحانه وتعالى في الأرض.

---

(١) د. عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، ص٢٩٣.

المبحث الثالث
تحديد الوسائل المستخدمة

لكي تكون خطة الدعوة ناجحة ومثمرة فلا بد من أن تتضمن هذه الخطة تحديد الوسائل التي سوف تستخدم في تنفيذ تلك الخطة، ويتم تحديد تلك الوسائل على ضوء معرفة واقع البيئة التي يراد أن تنتشر فيها الدعوة والأهداف التي تسعى الخطة لتحقيقها.

لا شك أن الناس يختلفون في مشاربهم ومآربهم، كما يختلفون في بيئاتهم وعقائدهم، وعلى الداعية بناء على المعرفة السابقة أن يتخذ الوسائل النافعة التي ترغبهم فيما يدعوهم إليه ويسلك الطرق المؤدية إلى هدايتهم إلى الحق.

ولما كان للدعوة الإسلامية جماهيرها المختلفة وبيئاتها المتعددة عبر مراحلها المتتالية والمتعددة، كذلك كانت وسائل الاتصال التي نقلت فكرة الدعوة متنوعة لتتلاءم مع كل مرحلة من مراحل الدعوة ومع كل جمهور من جماهيرها.

وسوف أعرض فيما يلي لوسائل الدعوة التي استخدمها النبي ﷺ وأصحابه، وسنرى أن هذه الوسائل تضمنت الاتصال الشخصي، والاتصال الجمعي، والجهاد وغيرها من الوسائل.

* أولا: الاتصال الشخصي:

يعتبر الاتصال الشخصي هو أكثر وسائل الإعلام تأثيرا كما أفادت بذلك الأبحاث والدراسات العلمية[1] فإنه بالتالي أقدر هذه الوسائل على تحقيق هدف

---

(١) انظر: - د. إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير، ط ١٩٦٩م الأنجلو المصرية، ص٣٢.

- محمود عودة: أساليب الاتصال والتغيير الاجتماعي، دراسة ميدانية في قرية مصرية، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م، ص١١١.

- د. جيهان رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، ط٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٦م، ص١٢١.

رسالة الدعوة الإسلامية.

وتأتي هذه القدرة من خلال المزايا التي يختص بها الاتصال الشخصي دون سواه ومنها:

١- توافر ميزة حدوث الاتصال في اتجاهين من المرسل إلى المستقبل وبالعكس.

٢- حدوث رجع صدى فوري ومباشر في الموقف الاتصالي[1]، وهذه الميزة التي يتمتع بها الاتصال الشخصي تمكن القائم بالاتصال من معرفة صدى الرسالة عند المستقبل وتوجيه الاتصال على أساس هذه الصدى، مما يساعد على إحداث التأثير المنشود[2].

٣- يتم بصورة عفوية خالية من التعقيد مما يتيح المجال للمناقشة الهادئة، والمصارحة التامة بين المرسل والمستقبل وهذا يؤدي إلى مزيد من الإقناع.

٤- إمكانية الاستفادة من علاقات القربى وروابط الصداقة[3]، فليس من السهل انصراف الفرد عن حديثه مع قريب له أو صديق، ولعل هذه الميزة كانت بارزة في دعوة الرسول ﷺ وخصوصا في عهدها الأول عند نزول الوحي، فقد كان الاتصال الفردي بزوجته خديجة رضي الله عنها أول من آمن به ثم تابع صلى الله عليه وسلم الدعوة للمقربين منه.

ولما كان للاتصال الشخصي هذه المزايا من حيث أنه يتسم بالحوار والإقناع ودحض الحجج والبراهين، ومحاولة التغلب على كل أساليب الاحتجاج حتى تصل إلى ذروة الإقناع، والقدرة على مواجهة أي عداء أو معارضة للفكرة من جانب

---

(١) د. سمير محمد حسين، الإعلان - المداخل الأساسية، ط٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٨٠م، ص١٦٤.

(٢) د. علي عجوة، مرجع سابق، ص٢٠٤.

(٣) د. محمود يوسف مصطفى، العلاقات العامة والإعلام في الإسلام، ص٤٢٨.

الشخص الواقع عليه الاتصال، بالإضافة إلى أن الاتصال الشخصي المباشر يتسم بالألفة ورفع الكلفة وتبادل المصلحة وتحقيق التعارف، لما كان له كل هذه المزايا فلم يكن غريبا إذن أن يكون هو وسيلة الرسول صلى الله عليه وسلم في العهد المكي والعهد المدني وفي مختلف مراحل دعوته."[1]

ولا غرابة في ذلك فقد كان الاتصال الشخصي أول خطوة من خطوات العمل الدعوي الكبير الذي قام به والتزمه رسول الله ﷺ إلى أن توفاه الله، وكان في ممارسته لهذه الوسيلة لا يفرق بين غني وفقير، أو أبيض وأسود، أو قوي أو ضعيف، وحيث إنه من الصعب استعراض جميع المواقف الاتصالية التي تم فيها نقل الدعوة على يد النبي صلى الله عليه وسلم ودعاته باستعمال وسيلة الاتصال الشخصي؛ فإنني سوف أذكر أبرز الإشارات الشاهدة التي تكفي لتوضيح كيفية الاستفادة من المزايا المتعددة التي يتيحها الاتصال الشخصي.

أ) الاتصالات السرية التي كان يجريها الرسول صلى الله عليه وسلم مع أصدقائه وخلصائه وأفراد أسرته في المراحل الدعوية الأولى، ولم تكن هناك وسيلة غير الاتصال الشخصي يمارسها النبي ﷺ لتحقيق أهدافه[2].

ب) الرسل الذين بعثهم إلى الملوك والرؤساء والأباطرة في الممالك المجاورة، بعد عودته من صلح الحديبية في العام السادس الهجري، حاملين معهم رسائله وتعليماته إلى هؤلاء الملوك يدعونهم إلى الإسلام.[3]

ج) لقاءات الرسول صلى الله عليه وسلم الشخصية مع أفراد وزعماء القبائل

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٤٢٩.

(٢) لمزيد من التفصيل حول دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لأقربائه راجع ص (٤٧) من هذا البحث.

(٣)حول كيفية استفادة الدعوة من وسيلة الاتصال الشخصي فيما يتعلق بإرسال الرسل راجع ص (٢٦٩) من البحث.

التي تفد إلى مكة في مختلف المواسم، أشهرها لقاؤه مع طائفة من أهل يثرب، حيث تمت على أثره البيعة الأولى والتي كانت مقدمة لهجرته إلى المدينةفيما بعد[1]

د) خروج الرسول ﷺ إلى الطائف عندما ضاقت عليه مكة ولم يجد من يستجيب لأمر الله، لعله يجد بالطائف من يستجيب لدعوته من أهل ثقيف سادة القوم هناك، ولكنه عانى من عنت هؤلاء القوم وصدهم عن دعوته، واضطهادهم له معاناة شديدة[2].

هذه مجرد نماذج توضح لنا أهم الجوانب الإيجابية التي تكشفت عن استعمال وسيلة الاتصال الشخصي على يد النبي صلى الله عليه وسلم، ودعاته رضي الله عنهم عند نقل الدعوة إلى الناس اعتمادا على هذه الوسيلة من وسائل الاتصال، وعلى الرغم من تطور وسائل الاتصال في العصر الحديث، فما أحوج الدعاة إلى الله للاستفادة من هذه الوسيلة المؤثرة، وذلك لما لها من أثر في الدعوة.

ثانيا: الاتصال الجمعي:

عندما تحدثت فيما سبق عن الاتصال الشخصي وأنه كان وسيلة الدعوة الإسلامية عبر أطوارها المختلفة بدءا من مخاطبة الرسول صلى الله عليه وسلم لزوجته خديجة رضي الله عنها ومن يعاشرونه، حتى دعوة الملوك والأمراء خارج وداخل الجزيرة العربية.

وكان الاتصال الشخصي هو ركيزة الدعوة في طورها السري، فلما كان الجهر بالدعوة وتطلب الأمر وسيلة اتصال تخاطب جماعات الناس في علنية ظهرت الخطبة كوسيلة اتصال جمعي.

وقد اعتمد عليها الرسول ﷺ اعتمادا كبيرا في نشر الدعوة وشرح تعاليم

---

(١) راجع ص (٥٣) من البحث.

(٢) انظر: صحيح البخاري، جـ٤، ص١٣٩، ومسلم، جـ٣، ص٤٢٠، وانظر ابن إسحاق في السيرة، جـ١، ص١٤٩.

الدين الجديد، ويقول في ذلك الدكتور عبد اللطيف حمزة: «الاتصال الجمعي أظهر ما يكون عادة في مجال الخطابة حين يجتمع الخطيب بعدد كبير من الناس يوجه إليهم كلامه"[١]، ففي الاتصال الجمعي يخاطب المتكلم جماعة من الناس إلى حد يرتبط بقدرة المرسل على إسماع المستقبلين"[٢].

وبما أن الخطابة كانت معروفة بين عرب الجاهلية قبل ظهور الإسلام ولذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم على معرفة تامة بأهميتها وقدرتها التأثيرية.

وقد استعان الرسول صلى الله عليه وسلم بالخطابة بصفة عامة ،وخطبة الجمعة بصفة خاصة ، واعتمد عليهابشكل رئيس لتحقيق رسالته وكانت البداية حين أمره الله بأن ينذر عشيرته الأقربين، فصعد جبل الصفا فصرخ ياصباحاه: فاجتمع إليه بطون قريش، فدعاهم إلى التوحيد والإيمان برسالته وباليوم الآخر"[٣] وظل صلى الله عليه وسلم على هذا النحو يمارس عمله الدعوي من خلال خطبه الشهيرة والعديدة في المناسبات المختلفة، حتى ألقى خطبة الوداع التي أشهد الله فيها على أنه أدى الأمانة وبلّغ الرسالة كاملة وقد نهج الخلفاء الراشدون والحكام المسلمون الصالحون هذا النهج من بعده، وظلت الخطابة تتقدمها خطبة الجمعة تؤدي دورا مؤثرا في مجال الاتصال الجمعي الذي اعتمدت عليه الدعوة الإسلامية في مخاطبة الجماهير المختلفة .

وقد تميزت الخطابة النبوية بقوة التأثير مع رقة الألفاظ وسمو المعاني والموضوعات ، واختيار الخطب المناسبة للأوقات مع الإيجاز حتى لايسأم

---

(١) د. عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧١م ص٧٦.

(٢)د. إبراهيم إمام، الإعلام الإسلامي، المرحلة الشفهية، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م ص٢٢.

(٣) صحيح البخاري ج٢ ص ٧٠٢_٧٤٣.

السامعون أويملوا[1] وكما نقل الرسول صلى الله عليه وسلم دعوته من خلال الاتصال الجمعي ممثلا في الخطابة أومحادثة جماعات من الناس كما حدث من مخاطبة النبي لليهود والنصارى، فإن الدعاة من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم ، كان لهم دورهم في إبلاغ الدعوة إلى الناس بوسائل منها الاتصال الجمعي، وبرز استعمال الدعاة لهذه الوسيلة من وسائل الاتصال في مواجهة جماهير الدعوة على النحو التالي:

لدعوة مشركي مكة :أورد صاحب السيرة الحلبية ما يدل على أن أبابكر كانت له مخاطبة لقريش بالدعوة الى الإسلام من خلال الخطبة، فقد ذكر صاحب السيرة أن أبابكر رضي الله عنه ألح على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في الخروج إلى المسجد فقال يا أبابكر إنا قليل. فلم يزل أبوبكر رضي الله عنه به حتى خرج رسول الله ﷺ ، ومن معه من أصحابه إلى المسجد، وقام أبو بكر رضي الله عنه في الناس خطيبا ورسول الله جالس ودعا إلى الله ورسوله، فهوأول خطيب دعا إلى الله، وثار المشركون على أبي بكر وعلى المسلمين يضربونهم[2] .

كما أسمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قريشا القرآن الكريم، فقد قام وقريش في أنديتهم وأخذ يقرأ القرآن، فتأملته قريش وقالوا ما بال ابن أم عبد؟ فقال بعضهم يتلو بعض ما جاء به محمد،ثم قاموا إليه يضربون وجهه وهومستمر في قراءته[3]

وكذلك استخدم الاتصال الجمعي، مصعب رضي الله عنه مع المدعوين من أهل

---

(١) د. إبراهيم إمام ـالإعلام الإسلامي المرحلة الشفهية، ص٢٦.

(٢) علي برهان الدين الحلبي، السيرة الحلبية، جـ١، ص٤٤٦، و الشامي، سبيل الهدى والرشاد ، جـ٢، ص٤٢٨، ١.

(٣) انظر: المرجع السابق نفسه، ص٢٢٣، وابن هشام، السيرة، جـ١، ص٣١٤.

المدينة عندما كان يجلس ليخاطبهم في الطرقات[1]، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه عندما أرسل إثر خالد بن الوليد رضي الله عنه لدعوة همذان للإسلام، وغيرهم كثير من الصحابة الذين أرسلهم الرسول ﷺ لتبليغ الدعوة.

وبهذا تكون الدعوة الإسلامية قد استفادت من وسيلتي الاتصال الشخصي والجمعي خير فائدة مما كان له الأثر الطيب في انتشار الدعوة في مشارق الأرض ومغاربها.

ثالثا: الجهاد في سبيل الله:

الجهاد في اللغة: هو بذل الجهد والطاقة والمبالغة في العمل، وفي الصحاح: قيل الجهد بالفتح: المشقة، والجهد بالضم: الطاقة، وفيه، جاهد العدو مجاهدة وجهادا، قاتله وجاهد في سبيل الله [2].

وفي الشرع هو: «استفراغ الطاقة والجهد فيما لا يرتضى، وهو ثلاثة أضرب: مجاهدة العدو الظاهر، والشيطان، والنفس، وتدخل الثلاثة في قوله تعالى: «وجاهدوا في الله حق جهاده»[3]، فالعدو الظاهر والشيطان هما عدوا المسلم، ويجب عليه مدافعتهما، وعليه كذلك دفع نفسه على طريق الطاعات، ويحمل الفقهاء تحت مصطلح العدو الظاهر، الكفار والمنافقين[4]،

والمسلم دائما مطالب بمرتبتين من هذه المراتب هما مجاهدة النفس ومجاهدة الشيطان، وذلك بالصبر على الطاعات واحتمال البلاء، قال تعالى: «وجاهدوا في

---

(١) د. زيد بن عبد الكريم الزيد، رحلة سفير الدعوة الأول ـ مصعب بن عمير ـ إلى المدينة، ص١٠.

(٢) الجوهري، الصحاح، تاج اللغة وجماع العربية، ، جـ٢، ص٤٦١، .

(٣) سورة الحج، آية ٧٨.

(٤) ابن القيم، زاد المعاد، جـ٣، ص٨-١٠، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٣٩٢هـ-١٩٧٣م.

الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج، ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم، وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير»[١].

ولن أتعرض في موضوع الجهاد إلا للجانب الذي يتعلق به باعتباره وسيلة من وسائل نشر الدعوة الإسلامية، فكان على المسلم أن يجاهد لتعلم الهدى وأن يعمل بما تعلم، وأن يدعو إلى ذلك العلم كما يعمل به، وأن يصبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق في سبيل دعوة الحق، أسوة بالرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم.

وبهذا يرى بعض الفقهاء أن الجهاد بدأ مع الدعوة حينما نزلت سورة المدثر، فشمر رسول الله ﷺ عن ساق الجد، وقام في ذات الله أتم قيام، يدعو إلى الله ليلا ونهارا، وسرا وجهارا طائعا لأمر الله[٢]تعالى في قوله تعالى: «فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين»[٣]، وكان تحمل الأذى في سبيل الدعوة مجاهدة، ففي سورة العنكبوت وهي مكية يقول الله تعالى: «الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون، ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين»[٤].

• مراحل الدعوة الإسلامية والتدرج في تشريع الجهاد:

على الرغم من الاضطهاد والتعذيب والحصار الذي واجهه الرسول صلى الله

---

(١) سورة الحج، آية، ٧٨.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، جـ٣، ص١٥.

(٣) سورة الحجر، ٩٤.

(٤) سورة العنكبوت، آية، ١-٢.

عليه وسلم وأصحابه الأوائل، إلا أنه لم يؤمروا بالجهاد المطلق، حيث لم يكن للمسلمين شوكة تحميهم ، كما كانوا يقيمون مع المشركين وبين أظهرهم ، فكان من الحكمة عدم فرض القتال، ولو فرض القتال لقاتل الرجل أخاه وأباه وقامت في كل بيت معركة، ولسفك دم كل أسرة، وليس ذلك من مصلحة الدعوة.

يقول ابن القيم: «لذلك أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية، ويؤمر بالكف والصبر والصفح، ثم أذن له في القتال، ثم أمر أن يقاتل من قاتله، ويكف عمن اعتزله، ثم أمر بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله»[1].

فكان القرآن الكريم في فترة نزوله بمكة، ينزل على رسول الله ﷺ مرشدا له إلى الصفح عن أذاهم[2]، قال تعالى: «فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون»[3] آمرا له بالعفو والإعراض عن الجاهلين، قال تعالى: «خذ العفو وأمر بالعُرف وأعرض عن الجاهلين»[4].

فكان القتال محظورا في تلك الفترة من مراحل سير الدعوة، قال تعالى: «فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين»[5]، ولم يكن الأمر بالجهاد إلا جهاد النفس،

---

(١) زاد المعاد، جـ٢، ص٨١.

(٢) انظر، الطبري، جامع البيان، جـ١٣، ص١٠٦، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٤، ص١٠٨.

(٣) سورة الزخرف، آية، ٨٩.

(٤) سورة الأعراف، آية، ١٩٩.

(٥) سورة النمل، آية، ٨٢.

قال تعالى: «والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين»[1].

قال القرطبي في تفسير هذه الآية: «ليس الجهاد في الآية قتال الكفار بل هو نصر الدين، والرد على المبطلين، وقمع الظالمين، ومنه مجاهدة النفس في طاعة الله»[2].

كما كان الأمر بالجهاد بالحجة، والدعوة بالحكمة والمجاهدة بالقرآن، قال تعالى: «فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهادا كبيرا»[3]. فلم يكن الأمر المراد في الآيتين بالجهاد القتال لأن هاتين الآيتين الكريمتين مكيتان والقتال شرع بالمدينة.

وبعد أن استقر الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة وتكونت نواة الدولة الإسلامية وبدأت تقوى شوكة الدعوة الإسلامية بالتضامن الذي جرى بين المهاجرين والأنصار ومن انضم إليهم من المسلمين الجدد، عند ذلك أذن الله لهم في القتال، ولم يفرض عليهم، قال تعالى: «أذن للذين يقاتَلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير»[4]. ثم فرض عليهم القتال لمن قاتلهم دون من لم يقاتلهم ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة، وكان محرما ثم مأذونا به ثم مأمورا به لمن بدأهم بالقتال ثم مأمورا به لجميع المشركين، إما فرض عين أو كفاية وهو المشهور، وهذا بالنسبة للقتال، أما جنس الجهاد ففرض عين كل بحسبه[5].

وهكذا ندرك كيف كان تقرير الجهاد ومراحل تقريره وكيف كان الجهاد في سبيل الله مرافقا للدعوة وضرورة لازمة لها، وأنه وجد معها منذ أن وجدت، لأن

---

(١) سورة العنكبوت، آية ٦٩.

(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ١٣، ص٢٤٢.

(٣) سورة الفرقان، آية ٥٢.

(٤) سورة الحج، آية ٣٩.

(٥) انظر: زاد المعاد، جـ٢، ص٥٨.

هذه الدعوة لا تقوم إلا بالجهاد والتضحية والبذل، حيث إن رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام جاهدوا في سبيل هذه الدعوة وبذلوا أرواحهم وأموالهم وكل ما يملكون، بعد أن علمتهم تلك العقيدة الراسخة والإيمان القوي، أن هذه الدعوة هي دعوة الحق، وهذا الدين الحنيف الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، لا بد لهما من البذل والعطاء، لأن الحق لا بد أن ينطلق في طريقه، ولا بد أن يقف له الباطل في الطريق بالمرصاد، بل ربما بكل أنواع الجهاد ومراتبه ليمكن لنشر دين الله في الأرض، وتحقيق العبودية لله وحده دون سواه، وحتى تقف في وجه الطواغيت، لأنه لا بد للحق أن يمضي في طريقه بعزيمة قوية، وشجاعة وبطولة، حتى لا يزحمه الباطل ودعاة الضلال[١].

ولذلك نعلم كيف كان تشريع الجهاد في سبيل الله نعمة تقر بها أعين المؤمنين، وتساء لها نفوس أعدائهم من المشركين واليهود والمنافقين، بل وجميع أعداء الدعوة وأعداء الخير من الطواغيت، والمتجبرين في كل عصر[٢].

ويظل الجهاد وسيلة ماضية من وسائل الدعوة وواجبا دينيا حتى تقوم الساعة، وذلك لأن الإسلام يخاطب الثقلين، فإذا اعترض سبيله مانع تجب إزاحته، وإنما يتم الجهاد من خلال المؤسسة السياسية، وهي الدولة التي ترفع علم الجهاد، فليس هناك جهاد فردي، إلا على مستوى جهاد النفس والشيطان والمنافقين، وأهل البدع وما سواهم، أما الحرب في سبيل الله فتتم من خلال توجيه الإمام نحو الجهاد.

ولذلك يكون لزاما على دعاة الإسلام اليوم والقائمين على أمر الدعوة في كل مكان أن يخططوا أولا لإقامة الدولة التي ترفع لواء الجهاد، ومن ثم تنطلق

---

(١) انظر: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، جهاد الأعداء ووجوب التعاون بين المسلمين، دار ابن القيم، ط١، ١٤١١هـ، بتصرف.

(٢) سيد قطب، في ظلال القرآن، جـ٤، ص٢٤٢٤-٢٤٢٥، بتصرف.

قوافل المجاهدين لنشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، وأن يزيحوا كل العقبات التي تعترض طريق نشر الدعوة بكل الوسائل الممكنة المادية والمعنوية.

وما نراه اليوم من ذل وهوان بالمسلمين إنما هو بسبب ترك فريضة الجهاد كما أخبر الصادق المعصوم في الحديث الذي رواه ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «لئن تركتم الجهاد وأخذتم بأذناب البقر، وتبايعتم بالعينة ليلزمنكم الله مذلة في رقابكم لا تنفك عنكم حتى تتوبوا إلى الله وترجعوا إلى ماكنتم عليه»[1].

وبهذا يكون الجهاد في سبيل الله من أبرز وسائل الدعوة الإسلامية إن لم يكن أهمها ، وكان تقريره ابتداء في الدعوة ضرورة لها لتسيرفي الخط المرسوم لها من الله تعالى.

---

(١) مسند الإمام أحمد، جـ٢، ص٤٣.

الفصل الثالث
أشكال التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي.

ويشتمل:

المبحث الأول: أشكال التخطيط للدعوة الفردية.
المبحث الثاني: أشكال التخطيط للدعوة الجماعية.
المبحث الثالث: أشكال التخطيط للهيئات والمؤسسات الدعوية.

الفصل الثالث

أشكال التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي

تشكل المجتمع الإسلامي الأول على ضوء تشريعات القرآن الكريم وسنة الرسول ﷺ فكان المجتمع القدوة الذي يحتذى به. وقد عني الإسلام بالمجتمع عنايته بالفرد ، فكل منهما يتأثر بالآخر ويؤثر فيه، وهل المجتمع الإسلامي إلا مجموعة من الأفراد ربطت بينهم روابط معينة فكان صلاح الفرد لازما لصلاح المجتمع فالفرد أشبه باللبنة في البنيان، ولا صلاح للبنيان إذا كانت لبناته ضعيفة.

كما لا صلاح للفرد إلا في مجتمع يساعده على النمو السليم، والتكيف الصحيح، والسلوك القويم، فالمجتمع هو التربة التي تنبت فيها بذرة الفرد، وتنمو وتترعرع في مناخها، والانتفاع بسمائها وهوائها وشمسها، وما كانت الهجرة النبوية إلي المدينة إلا سعيا إلى مجتمع مستقل تتجسد فيه عقائد الإسلام وقيمه وشعائره.[1]

ولقد تمكن الرسول ﷺ من تشكيل المجتمع (القدوة) المجتمع النموذج الذي بلغ مرتقى صعبا لم يكن بمقدور مجتمع في تاريخ البشرية أن يبلغه، وهذا يدل على النجاح الباهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم في مهمته من جهة، وعلى قدرة الإسلام من جهة أخرى على تغيير الإنسان وبالتالي النسيج الاجتماعي، أو إعادة بنائهما بتعبير أدق.

إن هذا السموق الذي تميز به المجتمع الإسلامي الأول، مجتمع الصحابة الكرام ـ رضي الله عنهم ـ لا يقتصر على حالة دون حالة ولا يتحدد في نطاق دون آخر، لقد أعيد بناء الإنسان من جديد، وكانت الخيوط المتفرقة التي تنسج رقعة

---

(١) د. يوسف القرضاوي، ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، الناشر مكتبة وهبة، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ص.٥.

المجتمع الوليد على قدر من المتانة والاتقان بحيث كان بمقدور المجتمع المتمخض عن الحركة الإسلامية أن يصنع المستحيلات، وأن يضرب مثلا عمليا على قدرة الجماعة البشرية المؤمنة الأولى أن تمارس بحق مهمة استخلافها العمراني في العالم[1].

هكذا تفرد المجتمع الإسلامي الأول مجتمع الرواد الذي صنعه الرسول صلى الله عليه وسلم على كافة المستويات، وهو يمثل مجتمع خير القرون للمجتمعات الإسلامية، إلا أن هذه الخيرية بدأت تقل من قرن إلى الذي يليه مصداقا لحديث الرسول ﷺ «خير أمتي القرن الذي أنا فيه ثم الذين يلونهم»[2]، وفي أحاديث أخرى تشير إلى القرون الثلاثة الأولى.

وكان هذا التفاضل في الخيرية، أوضح ما يكون في مجال القيادات التي تولت زمام الأمور والحكم في الأمة الإسلامية عبر التاريخ ومنذ انتهاء الخلافة الراشدة.

ولا شك إننا نجد بعد هذه الحقبة من تاريخ الأمة الإسلامية جهودا بذلت في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى وأن تلك الجهود منها ما هو قائم على جهود أفراد وما هو قائم على جهود جماعات، وما هو قائم على جهود مؤسسات وهيئات.

ولهذا كان من المهم التعرف على أهم مقومات أشكال التخطيط لتلك الجهود الدعوية التي بذلت في المجتمع الإسلامي، من أجل إعادة هذا المجتمع إلى أصوله الأولى التي قام عليها:

- أولا: أشكال التخطيط للدعوة الفردية.

---

(١) المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، جـ٥، ص٣٠٦، رقم ٢٦٥٢، وأخرجه مسلم: كتاب فضائل الصحابة، حديث رقم ٢١٢، جـ١٦، ص٦٨.

- ثانيا: أشكال التخطيط للدعوة الجماعية.
- ثالثا: أشكال التخطيط للهيئات الرسمية .

المبحث الأول
مقومات التخطيط للدعوة الفردية

•أولا : تعريف الدعوة الفردية:

الدعوة إلى الله وإلى الصراط المستقيم تعد من أهم الواجبات التي تلزم دعاة الإسلام أن يقوموا بأدائها وذلك لما ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة من آيات وأحاديث مرغبة في فضلها ومحذرة من التهاون في أدائها.

ومن ذلك قوله تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»[1] وقوله تعالى: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين»[2]، وقوله تعالى: «فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم»[3]، وقوله عز وجل: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله»[4]، وقوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[5].

أما في السنة المطهرة، فقد روي الإمام مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[6]، وعن حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف،

---

(١) سورة النحل اية ١٢٥.

(٢) سورة فصلت آية ٣٣.

(٣) سورة الشورى آية ١٥.

(٤) سورة يوسف آية ١٠٨.

(٥) سورة آل عمران، آية ١١٠.

(٦) صحيح مسلم، جـ١، ص٦٧٧.

ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عذابا من عنده ثم تدعونه فلا يستجاب لكم»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا»[2].

نرى الأدلة السابقة تجعل الخطاب للمؤمنين في ظلال أخوة الإيمان، إذ إن هذا تكليف لجماعة المؤمنين المترابطة، ولكنه في الوقت نفسه واجب الفرد من خلال الجماعة ، أو واجبه إذ لم يكن إلا هو، وهو واجب لو تخلى عنه المؤمنون لأخذهم الله بعذاب بئيس.

لقد كانت الدعوة تنطلق بالرسول حين يبعثه الله، ثم يلتف حوله المؤمنون ليمضوا في طريق الدعوة، ثم يتناول الأمر رسولا آخر يلتف حوله المؤمنون وهكذا حتى جاء خاتم الأنبياء ﷺ فاكتمل منهاج الله وحددت التكاليف، وأصبحت الدعوة إلى الله أمرا ماضيا في الأرض حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

لقد رأينا كيف انطلق الرسول ﷺ بالدعوة وهو فرد واحد وذلك في المرحلة الأولى للدعوة عندما أمره الله بالإنذار..

ثم أصبحت للدعوة جماعة تحملها وتقوم عليها الأمة بعد ذلك على أساس من منهاجها وتعاليمها، فالدعوة الفردية تعتبر جانبا من جوانب الدعوة العامة يقوم صاحبها بجهد مقدر يلتف حوله مدعوون وهو يحسن معاملتهم مستصحبا

---

(١) أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حديث ٢١٦٩، جـ٤، ص٤٦٨، وأحمد في مسنده، جـ٥، ص٨٩.

(٢) أخرجه مسلم جـ٤، ص٢٠٦٠، حديث رقم٢٦٧٤، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة، أو من دعا إلى هدى أو ضلالة.

دائما قول الرسول ﷺ: «لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»[١].

وعليه يمكن تعريف الدعوة الفردية بأنها «جهد يقوم به الشخص منفردا عن الجماعة مستقلا بآرائه، فالفردية هنا من حيث الداعية، ويقابل ذلك العمل الجماعي الذي يعمل فيه الشخص ضمن جماعة يستنير بآرائها ويسير وفق خططها وبرامجها»[٢].

ويدخل في مفهوم الدعوة الفردية الدعوي، أن نؤكد أنها واجب كل مسلم ومسلمة، بدليل الآية الأم في الدعوة إلى الله وهي قوله سبحانه وتعالى: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين»[٣]، ولأن الرسول ﷺ مارسها مع صحابته رضوان الله عليهم فكان يتعهدهم بالدعوة ويخصهم بالنصيحة يتخولهم بها، وكان يربيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة[٤].

وكذلك مارس كثير من الصحابة رضوان الله عليهم هذه الدعوة، فهذا أبوبكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ قد دعا إلى الله عددا من الصحابة فأسلموا

---

(١) متفق عليه، انظر صحيح البخاري مع الفتح، رقم ٣٧٠١، (٧/٧٠)، وصحيح مسلم، رقم٢٤٠٦.

(٢) انظر، في تعريف الدعوة الفردية:

١- عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص. ٣٠. ط٣، دار البيان، ١٣٩٦هـ ١٩٧٦م.

٢- عبد الحليم محمود، فقه الدعوة الفردية، ص.٢٠ دار الوفاء للنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، ص.٢٢.

(٣) سورة يوسف أية ١٠٨.

(٤) د. علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة الفردية، ص٢٢.

بدعوته، منهم عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف، وطلحة بن عبيد الله،[1] رضي الله عنهم، فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ حين استجابوا له فأسلموا وصلوا.

ومن الذين مارسوا الدعوة الفردية الصحابي الجليل مصعب بن عمير رضي الله عنه موفد الرسول ﷺ إلى المدينة المنورة بعد بيعة العقبة الأولى، فأقام مصعب رضي الله عنه في المدينة قريبا من عام يدعو إلى الله ويخالط بعض أهلها ويعقد بينهم صلات قوية فما مضى حول على ممارسته الدعوة في المدينة حتى وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيعة العقبة الثانية اثنان وسبعون رجلا وامرأة.[2]

وغيره من الصحابة رضوان الله عليهم ممن أمرهم الرسول ﷺ بحمل الدعوة داخل الجزيرة وخارجها.

وكذلك مارس كثير من التابعين الدعوة الفردية، فاستطاع كل واحد منهم أن ينقل مدعوا من الكفر إلى الإيمان أو من المعصية إلى الطاعة من خلال صحبته له ومؤاخاته إياه في الله.

وإن تجارب الذين أدوا واجب الدعوة إلى الله في صورة فردية، في كثير من الحركات الإسلامية المعاصرة، هي التي وضعت وفتحت أيدينا على ذلك، وتتجه أعيننا على مفاهيم الدعوة الفردية، ويسرت لنا أن نخطو في طريقهم خطوات، وأن يكون لنا من التأسي بهم زاد وخبرة في العلم والعمل.

وإن من أكبر الحركات الإصلاحية في العصر الحديث (دعوة الشيخ محمد بن

---

(١) ابن هشام، السيرة، جـ١، ص٢٥٠.

(٢) ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٣، ص٤٠٢ ، ابن هشام جـ١، ص٢١٢.وانظر، د. زيد بن عبد الكريم الزيد، سفير الدعوة الأول مصعب بن عمير، إلى المدينة، ص٩.

عبد الوهاب)[1] والتي كان لرائدها ـ رحمه الله ـ أثر بارز في الدعوة الفردية، لا ينكره إلا جاحد، وكذلك كبرى الحركات الإسلامية (جماعة الإخوان المسلمين) فقد كان لرائدها ومرشدها الإمام الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ جهود مقدرة في مجال الدعوة الفردية، وغيرها كثير.

---

(١) ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ في بلدة العيينة من نجد، سنة ١١١٥هـ، وحفظ القرآن ولم يبلغ سن العاشرة من عمره، ورحل في طلب العلم إلى الحجاز، والبصرة، ثم عاد إلى بلدة حريملاء حيث كان والده الشيخ عبد الوهاب قاضيا بها، وفي حريملاء جرت حادثة جعلته لا يطمئن على الإقامة بها فرجع إلى بلدة العيينة، وهناك بدأ دعوته إلى التوحيد الخالص ومحاربة البدع والخرافات، ثم انتقل إلى الدرعية وهناك تعاهد مع أميرها محمد بن سعود ـ رحمه الله ـ على جمع الكلمة وإظهار دين الله وإصلاح العقيدة والسلوك وإزالة الشبهات ومقاومة المحرمات، توفي رحمه الله سنة ١٢٠٦هـ، ومن آثار دعوته: ١- قلع أصول الشرك. ٢- رفع غشاوة الجهل وكابوس التقليد. ٣- الجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل. ٤- الرجوع إلى القرآن والحديث في توحيد الأسماء والصفات. وقد تأثرت كثير من حركات الإصلاح والدعاة في العالم الإسلامي بدعوته ومن ذلك: ففي أفريقيا نجد دعوة الشيخ عثمان دان فديو، وفي ليبيا الحركة السنوسية، وفي الهند الشيخ أحمد عرفان الشهيد، وغيرهم من الدعوات..

حول دعوة الشيخ محمد به عبد الوهاب، انظر:

عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، جـ١، ص١١، مكتبة الرياض الحديثة بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، دارة الملك عبد العزيز، ص٢٣.

• ثانيا: مقومات التخطيط للدعوة الفردية:

إنما أقصد هنا بمقومات التخطيط للدعوة الفردية ، المقومات التي يجب أن تتوفر في الشخص الداعية الذي يقوم بالدعوة الفردية، أو ما تتوخاه قيادات العمل الدعوي فيمن تريد أن توجهه للقيام بتلك المهمة، والسعي على تقوية وتنمية هذه المقومات في نفسه.

يقول في ذلك الدكتور عبد الكريم زيدان: مفصحا عن أهم المقومات التي يحتاجها الداعية: «يحتاج الداعي في أداء مهمته ووظيفته التي هي في الأصل وظيفة رسل الله، إلى عدة قوية من الفهم الدقيق، والإيمان العميق، والاتصال الوثيق بالله تعالى، هذه هي مقومات عدة الداعي، وإذا فقدها لم يغن عنها شيء آخر، وإذا ضعفت معانيها في نفسه فعليه أن يقويها»[1] .

وبالإضافة إلى تلك المقومات التي ذكرها الدكتور عبد الكريم زيدان فإن هناك أيضا بعض المقومات لا بد من توفرها فيمن يقوم بأمر الدعوة الفردية، منها: القدوة الحسنة، والاهتمام بقضايا الناس وهمومهم واللطف في التعامل معهم.

فإذا أعطى كل واحدة من هذه المقومات الأساسية حقها من الأهمية في التطبيق فإنه لا شك يكون التخطيط ناجحا ومثمرا.

١- الفهم الدقيق:

ويقوم الفهم الدقيق على تدبر معاني القرآن وإطالة النظر فيها وترديدها والوقوف عندها والتغلغل في مراميها ومقاصدها، فإن الله تعالى أنزل كتابه ليتدبر الناس آياته لا لمجرد أن يتلوه بلا فهم ولا تدبر[2]. قال الله تعالى: «كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولوا الألباب»[3]، وقال تعالى: «أفلا

---

(١) أصول الدعوة، ص.٣١٤.

(٢) المصدر نفسه، ٣١٧.

(٣) سورة ص آية ٢٩.

يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها»[1] والفهم الدقيق إنما يقوم على العلم، كما قال تعالى: «فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك»[2]، وتقديم العلم على العمل في هذه الآية لبيان أن العلم ضروري للداعية العامل حتى يعلم ما يريد ليقصده ويعمل للوصول إليه، ومن هنا يجب على القائمين على أمر التخطيط للدعوة مراعاة العلم الشرعي، والتخصصات الشرعية فيمن يتصدى لأمر الدعوة، حتى يكون السير على هدى وبصيرة.

ويقول الشيخ حسن البنا ـ رحمه الله ـ عن الفهم مخاطبا الإخوان[3]: «إن الله قد منّ عليكم، ففهمتم الإسلام فهما نقيا صافيا، سهلا شاملا كافيا وافيا، يساير العصور ويفي بحاجة الأمم، ويجلب السعادة للناس بعيدا عن جمود الجامدين، وتحلل الإباحيين، وتعقيد المتفلسفين لا غلو فيه، ولا تفريط، مستمدا من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح، استمدادا منطقيامنصفا، بقلب المؤمن الصادق، وعقل الرياضي الدقيق، وعرفتموه على وجهه، عقيدة وعبادة ووطنا وجنسا، وخلقا ومادة وسماحة وقوة، وثقافة وقانونا، واعتقدتموه على حقيقته دينا ودولة، وحكومة وأمة، ومصحفا وسيفا، وخلافة من الله للمسلمين في أمم الأرض أجمعين «وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»[4]. ولعل هذا الذي ذهب إليه الإمام حسن البنا ـ رحمه الله ـ هو الفهم الشامل لدعوة الإسلام، وبأنها منهاج للحياة ينبغي أن يطبق على جوانبها وهذا ما يشير إليه قوله تعالى: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب

---

(١) سورة محمد آية ٢٤.

(٢) سورة محمد، آية ١٩.

(٣) حسن البنا، مبادئ وأصول في مؤتمرات خاصة، ص٨.

(٤) سورة البقرة، آية ٤.

العالمين...»[١]

ولهذا الفهم الدقيق معاني وأركان لا بد من استيفائها.

٢- الإيمان العميق:

ويعتبر الإيمان العميق من أهم الدعامات التي يقوم عليها التخطيط للدعوة الفردية، إذ إن الداعي إلى الله الذي يريد أن ينقل الناس من الكفر إلى الإيمان، ومن الظلمات إلى النور لا يتم له ذلك إلا إذا كان ذا إيمان عميق وعقيدة راسخة فيما يدعو إليه، وكما جاء في المثل «فاقد الشيء لا يعطيه» «وكل إناء بما فيه ينضح».

ونريد بالإيمان العميق أن الداعي المسلم قد رسخ في قلبه أن الإسلام الذي هداه الله إليه وأمره بالدعوة إليه، حق خالص لأنه هدى الله وما عداه باطل وضلال قطعا، قال تعالى: «قل إن هدى الله هو الهدى»[٢] «فماذا بعد الحق إلا الضلال»[٣].وأن هذا اليقين بأحقية الإسلام صار عند الداعي المسلم كالبدهية، وكالواحد زائد الواحد يساوي اثنين، ومن ثم لا تقبل هذه البدهية أي نقاش أو جدال أو شك أو مراجعة أو إعادة نظر[٤].

ولا بد من هذا الإيمان العميق لكل مسلم فضلا عن الداعية الذي نذر نفسه للدعوة لله والتبشير بهذا الدين، خصوصا في وقتنا الحاضر الذي ضعفت فيه كلمة

---

(١) سورة الأنعام، آية ١٦٢.

(٢) سورة البقرة، آية ١٢٠.

(٣) سورة يونس، آية ٣٢.

(٤) انظر د. عبد الكريم زيدان، أصول الدعوة، ص.٣٢١. ود. يوسف القرضاوي، الإيمان وأثره، مؤسسة الرسالة، ط٧، ١٤٠١هـ ١٩٨١م، ص١٢٣، ود. حسن الترابي، الإيمان وأثره في حياة الإنسان، ص١٣، وما بعدها، دار القلم الكويت، ط٤، ١٤٠٢هـ.

المسلمين، وعلت فيه كلمة الكفر ونضب معين الإيمان في النفوس.

وللداعية القدوة الحسنة في هذا الإيمان العميق الذي يحمله على الصبر والسير في خطته المرسومة، إذ إن هذا الإيمان هو الذي جعل بلالا - رضي الله عنه - يتحمل ما تحمل، وصهيبا يستعذب حرارة النار، وسمية تستخف بالقتل، وهو الذي دعا غلام أصحاب الأخدود أن يضحي بنفسه في سبيل عقيدته، وجعل أتباعه يفضلون النار المستعرة ولا يعودون إلى الكفر أبدا »[١].

وقد قال الرسول ﷺ في المعنى «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[٢].

ويشير لهذا المعنى الإمام حسن البنا:[٣]

«ولنا سلاح وهو الإيمان: الإيمان سر من أسرار القوة لا يدركه إلا المؤمنون الصادقون، وهل جاهد العاملون من قبل وهل يجاهدون من بعد إلا بالإيمان، وإذا فقد الإيمان، فهل تغني أسلحة المادة جميعها عن أهلها شيئا ؟ وإذا وجد الإيمان فقد وجدت السبل إلى الوصول، وإذا صدق العزم وضح السبيل، يقول تعالى: «وكان حقا علينا نصر المؤمنين»[٤] ولئن تخلى عنا جند الأرض فإن معنا جند

---

(١) د. محمد السيد الوكيل، أسس الدعوة والآداب الدعاة، الناشر دار الطباعة والنشر الإسلامية، القاهرة ١٣٩٧هـ ص٧٣.

(٢) أخرجه البخاري، واللفظ له في كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان، جـ١، ص٧٧، ح١٦، مع الفتح، ومسلم بنحوه، كتاب الإيمان، باب خصال من اتصف ببعض... جـ٢، ص١٣، ح٤٣، مع شرح النووي.

(٣) حسن البنا، رسالة المؤتمر الخامس، الرسائل ط١: ص ١٧٩

(٤) سورة الروم، آية ٤٧.

السماء «إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا»[1].

وبهذا الفهم السليم لأهمية الإيمان في حياة الداعية كانت معظم جهود القادة المصلحين الذين تولوا قيادة الأمة منصبة عليه، ابتداء من قائد الدعوة الأول نبينا محمد ﷺ وانتهاء بالقادة المخلصين في هذا العصر، فإننا لا نجد مرحلة من مراحل الدعوة إلا ونرى التركيز في برنامجها التربوي على تعميق معاني الإيمان في النفس البشرية.

٣- الاتصال الوثيق:

الصلة بالله، تلك هي الدعامة الأولى في (أخلاق الدعاة) إذ كيف تدعو الناس إلى أحد، وصلتك به واهية، ومعرفتك به قليلة؟»[2].

وبما أن الداعية مرشد الناس إلى الخير، وموجههم نحو الهدى وكل هدفه أن يعرِّف الناس بربهم الخالق ليفوزوا بسعادة الدنيا والآخرة، فإن وعليه هو أولا أن يمتن صلته بالله في يقين وقوة يجعل إيمانه قائما على التفرغ الكامل لمولاه، وتوكله عليه في جميع أموره.

كما يقول الشيخ محمد الغزالي: «إن الدعاة الذين يكرسون أوقاتهم لله، ولدفع الناس إلى سبيله، لا بد أن يكون شعورهم بالله أعمق، وارتباطهم به أوثق، وشغلهم به أدوم ورقابتهم له أوضح، أي أنهم إن هبطوا من مجال الضوء المشرق... فإلى قريب منه... إلى منطقة شبه الظل كما يقال، أما إذا سقطوا في

---

(١) سورة الأنفال، آية ١٢.

(٢) محمد الغزالي، مع الله، دراسات في الدعوة والدعاة، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ط٤، ١٣٩٦هـ،١٩٧٦،ص١٨٨.

عتمة فان ذلك أمر لا تتحمله وظيفتهم»[1].

وإن هذا الاتصال الوثيق والإيمان العميق والشعور بمعية الله، هو الذي يبعث في الداعية اليقين بنصر الله، مما يهون عليه كل الصعاب ويزلل كل العقبات، وهذا نبي الله موسى عليه السلام حين قال له أصحابه « إنا لمدركون» فقد لحق بهم فرعون وجنوده ولا مجال للنجاة فالبحر أمامهم، وموسى عليه السلام لم يشك لحظة، وملأت قلبه الثقة بربه واليقين بعونه ونصره، لذلك أجابهم بنفس مطمئنة هادئة «كلا إن معي ربي سيهدين» وبدون مرور زمن أو فترة «فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم»[2]، لم يكن موسى عليه السلام على علم بذلك ولكنه الاتصال الوثيق بالله الذي يولد الثقة بنصره وتحقيق وعده.

ومحمد صلى الله عليه وسلم يلجأ إلى غار ثور في هجرته مع صاحبه ويقتفي المشركون آثار قدميه، ويقول قائلهم : لم يعد محمد في هذا الموضع... فإما صعد إلى السماء من هنا وإما هبط إلى الأرض من هنا.. ويشتد خوف الصديق على صاحب الدعوة وخاتم النبيين ويبكي ويقول: لو نظر أحدهم تحت قدميه لرآنا فيقول له النبي ﷺ «ما ظنك باثنين الله ثالثهما » وكانت العاقبة ما ذكره القرآن[3]. «إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص١٩٠.

(٢) سورة الشعراء، ٦٣-٦٧.

(٣) د. يوسف القرضاوي، الإيمان وأثره في الحياة، ص١٧٢.

حكيم»[١].

وأما عن كيفية تقوية هذه الصلة بالله عز وجل فيقول الشيخ المودودي - رحمه الله - «وأما تنشئة العلاقة بالله فليس لها إلا طريق واحد هو أن يؤمن الإنسان بالله وحده ربا وإلها لنفسه ولسائر المخلوقات في السموات والأرض، ولا يعتقد صفات الألوهية وحقوقها وصلاحيتها إلا مختصة به سبحانه وتعالي وأن يطهر قلبه من كل شائبة من شوائب الشرك، فإذا ما أتم الإنسان كل هذه على الوجه الأكمل انعقدت العلاقة بينه وبين الله سبحانه وتعالى»[٢].

وواضح من كلام الشيخ المودودي رحمه الله أن الذي يقوي صلة الداعية بالله سبحانه وتعالى إيمانه العميق واعتقاده الجازم بمدبر هذا الكون.

وكذلك يرى الشيخ محمد الغزالي أن مما يسهم في تقوية هذه الصلة بالله «الدوام على تلاوة القرآن وتدبر معانيه، وعقد مقارنة مستمرة بين المثل التي يحدو العالم إليها، والواقع الذي ثوى الناس فيه، لتكون هذه المقارنة حافزا على تذكير الناس بالحق، وقيادتهم إلى الله وتأهيلهم لرضوانه... وقرب الداعية من كتاب الله يجب أن يكون متعة لروحه، وسكنا لفؤاده، وشعاعا لعقله ووقودا لحركته ومرقاة لدرجته»[٣].

ومما سبق يتضح أن هذا الاتصال بالله تعالى يعتبر ضروريا للداعية المسلم حتى يقوم بواجبه تجاه الدعوة إلى الله، وتهون عليه الصعاب وتخف الآلام وينشط في سبيل نصرة دينه.

وعليه فإنه يلزم من القائمين على أمر الدعوة أن يضعوا ضمن خطتهم تقوية

---

(١) التوبة، ٤٠.

(٢) أبو الأعلى المودودي، تذكرة الدعاة، الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية، ط١٩٨٥م، ص٤٧.

(٣) محمد الغزالي، مع الله، ص١٩١.

هذا الجانب في نفوس الدعاة.

٤- القدوة الحسنة:

يجب أن يكون الداعية أول العاملين بما يدعو إليه، فإن من أعظم الإثم والمقت أن يخالف عمل الداعية قوله، قال تعالى: «ياأيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون»(١).

وقد جاء الوعيد الشديد للذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه، وينهون عن المنكر ويأتونه في أقواله ﷺ ، ففي الحديث عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « يؤتى بالرجل يوم القيامة، فتندلق أقتاب بطنه، فيدور بها كما يدور الحمار بالرحى، فيجتمع إليه أهل النار، فيقولون: يا فلان، ما لك؟ ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ فيقول: بلى، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وأنهى عن المنكر وآتيه»(٢).

وبالإضافة إلى ذلك الخزي والعذاب، فإن لذلك آثارا سلبية على قبول الدعوة وسمعة الدعاة.

وكما قال أبو الأسود الدؤلي:

ياأيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

ولقد أكد الإمام الغزالي هذا المعنى (القدوة) وأهاب بالداعية أن يتمسك بالمبادئ التي يدعو لها وأن يعمل على تحقيقها، ونصح الداعية بأن لا ينادي بمبدأ ثم لا ينفذه، ويأتي أفعالا تناقض هذا المبدأ، وعليه أن لا يرضى لنفسه من

---

(١) سورة الصف، الآيتان ١-٢.

(٢) رواه البخاري، فتح الباري، جـ٦، ص٣٣١، كتاب بدء الخلق، ومسلم بشرح النووي، جـ١٨، ص١١٨، كتاب الزهد ، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله.

الأعمال ما ينهى عنه غيره.[١]

وأيضا يقول الأستاذ الركابي في القدوة «تعتبر القدوة أبرع وسائل توصيل الإسلام إلى قلوب الناس ولا يكون المرء قدوة حسنة إلا إذا كان حسنا في ذاته»[٢].

ويقول فيها الأستاذ محمد الغزالي: «إن صلاح المؤمن هو أبلغ خطبة تدعو الناس إلى الإيمان.. ومن ثم فان الداعية الموفق الناجح هو الذي يهدي إلى الحق بعمله، وإن لم ينطق بكلمة»[٣].

وأهمية القدوة تتضح أكثر في الدعوة الفردية، لأن الاختلاط فيه يكون أكثر بين الداعية والمدعو، فهو يعرف كثيرا من أخلاقه وأعماله وتصرفاته، بل إنه قد يطلع على بعض أسراره، بخلاف المحاضر أو المدرس، فتصرفاته أمام الآخرين وعلاقاته محدودة.

وحسبنا أن من أسباب إسلام (هند بنت عتبة) تأثرها الشديد بعبودية المسلمين لله يوم الفتح، إذ قالت: إني أريد أن أبايع محمدا، فقال لها أخوها حذيفة بن عتبة: قد رأيتك تكفرين، قالت: إني والله، وما رأيت الله تعالى عُبِد حق عبادته في هذا المسجد قبل الليلة، والله إن بأتوا إلا مصلين قياما، وركوعا وسجودا»[٤].

---

(١) الغزالي، إحياء علوم الدين، جـ١، ص٥٨، مؤسسة الحلبي للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١٩٦٧..

(٢) الشيخ زين العابدين الركابي، النور أولى، الطبعة الثانية، بدون تاريخ طبع، ولا ناشر، ص١١٨.

(٣) محمد الغزالي، مع الله، ص٢٩٦.

(٤) رواه ابن مندة، كما في الإصابة، جـ٤، ص٤٢٥، نقلا من د. السيد محمد نوح، فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي، دار الوفاء للطباعة، ط٣، عام ١٤١٣هـ، ص٥٥.

لذا كان واجبا على الدعاة الالتزام العملي الدقيق بتعاليم الإسلام حتى يقتدى بهم مثل أنبياء الله، قال الله عز وجل فيهم في سورة الأنعام: «فبهداهم اقتده»[١]. وللتدليل على أهمية هذا العنصر نجد أن الإسلام قد انتشر في كثير من بلاد المسلمين بالسيرة الطيبة للمسلمين التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام، يستدل بها غير المسلم على مصداقية الإسلام، وأنه من عند الله، لا سيما إذا كان المدعو سليم الفطرة سليم العقل، وللداعية القدوة الحسنة في قائد الدعاة محمد ﷺ إذ يتجلى عظيم ما وصل إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من كمال الخلق واشتمال صفات الأسوة الحسنة في مدح الله تعالى له في قوله الكريم «وإنك لعلى خلق عظيم»[٢] يقول سيد قطب ـ رحمه الله ـ في معرض حديثه عن هذه الآية: ولقد رويت عن عظمة خلقه في السيرة على لسان أصحابه روايات متنوعة كثيرة ، وكان واقع سيرته أعظم شهادة من كل ما روي عنه.

ولكن هذه الكلمة أعظم بدلالتها من كل شيء آخر أعظم بصدورها من العلي الكبير، وأعظم بتلقي محمد لها وهو يعلم من هو العلي الكبير، ثم بقائه بعدها ثابتا راسخا مطمئنا لا يتكبر على العباد ولا يتعاظم وهو الذي سمع ما سمع من العلي الكبير[٣].

والواقع أن الفكرة إذا تمثلت في فرد أو مجموعة فمن اليسير أن يقتنع بها الآخرون، وتصبح أدعى للاقتناع من الكلام النظري، ورؤية المبادئ مطبقة في واقع

---

(١) سورة الأنعام، آية ٩٠.

(٢) القلم، آية ٤.

(٣) في ظلال القران، جـ٥، ص٢٨٤٢-٢٨٤٣.

معاش أهدى للعقل وأجذب للقلب من قراءتها مسطورة في كتاب."[1]

والنبي الكريم قدوة لكل الناس على اختلاف أجناسهم وتفاوت أعمارهم وتنوع أعمالهم: الحاكم ،الداعية، المحارب، السياسي، التاجر، العامل، المعلم، الأب...الخ، فيما مضى وفيما هو آت من الزمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

ولما كان الدعاة إلى الله هم ورثة الأنبياء في أداء رسالة التبليغ كانوا أحوج من غيرهم في التأسي بالرسول ﷺ واتباع ما جاء به من الحق المبين حتى يكونوا قدوة لغيرهم، وداعين إلى الله بأفعالهم قبل أقوالهم، وينبغي على المسؤولين الذين يحملون أمانة الدعوة إلى دين الله في العالم أن يهتموا بإعداد القيادات الصالحة دينيا واجتماعيا، حتى تكون نماذج طيبة ـ أمام أبناء المسلمين وغير المسلمين ـ يمكن أن تُتّخذ قدوة حسنة يقلدهم الناس ويحذون حذوهم ويسيرون على خطاهم ويتأثرون بهم أبلغ تأثير.

٥- مخالطة الناس والاهتمام بقضاياهم:

مخالطة الناس والاهتمام بمشكلاتهم والتعاطف معها، مداخل إلى نفوسهم، وأبواب لشخصياتهم، ويستطيع كل إنسان أن يجرب ذلك بأن يلمس آثار ذلك حين يحادث إنسانا آخر ويترك انطباعا في نفسه فيما يهمه من أمر أسرته أوفي المشكلات التي تضايقه في وظيفته أو في مستقبله الاقتصادي أو في أمور الزواج والحب إن كان شابا»[2].

وعن أهمية مخالطة الناس يقول الإمام أبو حامد الغزالي في كتابه إحياء

---

(١) انظر : محمد الغزالي،مع الله، ص٢٩٦ وما بعدها.

(٢) زين العابدين الركابي، أبحاث ووقائع اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في ٢٣ شوال، ١٣٩٦هـ بحث بعنوان الإعلام الإسلامي بين النظرية والتطبيق، ص٣١٨.

علوم الدين ما نصه: «واعلم أن من المقاصد الدينية والدنيوية ما يستفاد بالاستعانة بالغير، ولا يحصل ذلك إلا بالمخالطة فكل ما يستفاد بالمخالطة يفوت بالعزلة، وفواته من آفات العزلة، فانظر إلى فوائد المخالطة،والدواعي إليها ما هي؟، وهي التعليم والتعلم، والنفع والانتفاع، والتأدب والتأديب، والاستئناس والإيناس، ونيل الثواب وإنالته في القيام بالحقوق، واعتياد التواضع، واستفادة التجارب من مشاهدة الأحوال والاعتبار بها»[1].

وهذا الاختلاط يعتبر شرطا أساسيا في كل داعية إلى الله، إذ إنه يجب عليه أن يحسن صلته بالناس، فمعهم تكون دعوته لهم ينشرها بينهم ويحقق نصرها وفوزها، لأنه بغير هذا الاختلاط والتحبب إلى الناس لا يجد الداعي فرصة تتيح له أن يتعرف على المدعوين عموما، وعلى المدعو في الدعوة الفردية على وجه الخصوص.

والإسلام يقرر أن الاختلاط بالناس والعناية بأمورهم بل والاهتمام بمشكلاتهم والعمل على حلها هو الأصل وهو الأرضى لله سبحانه وتعالى، والأجدر بالحصول على أجزل الثواب من رب العالمين[2].

روى ابن ماجة بسنده عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أعظم أجرا من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[3].

وروى الطبراني بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأس العقل بعد الدين التحبب إلى الناس واصطناع

---

(١) الغزالي: إحياء علوم الدين، جـ٢، ص٢١٠.

(٢) د. عبد الحليم محمود، فقه الدعوة الفردية، ص، ١٧٧.

(٣) أخرجه ابن ماجة، كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، جـ٢، ص٣٧٣، ط٣، عام ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، مكتب التربية العربي لدول الخليج ،تحقيق، الشيخ: ناصر الدين الألباني.

المعروف إلى كل بر وفاجر»[1].

ومن التحبب إلى الناس الانبساط إليهم، أي ملاطفتهم وممازحتهم مع التمسك بألا يقول الممازح إلا حقا.

وقد عقد الإمام البخاري في صحيحه بابا بعنوان، (باب الانبساط إلى الناس) وقال ابن مسعود: «خالط الناس ودينك لا تكلمنه، والدعابة مع الأهل»[2].

ورى عن أنس رضي الله عنه قال: إن كان النبي ﷺ ليخالطنا، حتى يقول لأخ لي صغير «يا أبا عمير ما فعل النقير»[3].

هذا ما ينبغي أن يكون عليه حال الداعية الذي يريد أن يؤثر في الناس وأن يكسب لدعوته أنصارا جددا كل يوم، فإنه لا بد له من هذه المخالطة والاهتمام بأمور الناس.

وهذا ما يلزم الجهات القائمة بأمر الدعوة الإسلامية في المجتمع بالتخطيط له ووضع البرامج الكفيلة بترسيخه في نفوس الدعاة.

---

(١) أخرجه الطبراني في معجمه الصغير، جـ١، ص٢٥١، والأوسط، كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد، جـ٨، ص٦١، ح١٢٧١٧، من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا، بلفظ «رأس العقل بعد الإيمان التحبب إلى الناس» وقال الهيثمي: وفيه من لم أعرف، وعزاه صاحب كنز العمال، جـ٣ص٩، ح١٥٧٤ إلى البيهقي في شعب الإيمان، باللفظ المذكور «رأس العقل بعد الدين...»

(٢) البخاري، كتاب الأدب، باب الانبساط إلى الناس، جـ١٠، ص٥٤٣، مع الفتح.

(٣) أخرجه ابن ماجة، كتاب الأدب، باب الرجل يكنى قبل أن يولد له، جـ٢، ص٣٠٧.

المبحث الثاني
أشكال التخطيط للدعوة الجماعية

إن المقصود بالدعوة الجماعية أن تكون الدعوة قائمة على جهود جماعية لا فردية، جهود جماعية قائمة على « التنظيم الدقيق والتخطيط المحكم. وحتى يؤتي هذا النظام أكله ويحقق أهدافه المرجوة فلا بد أن يكون أسلوب الدعوة في الحركة الإسلامية جماعيا جماعيا مما يتطلب وجود قيادة عليا، تقوم بدور وضع الخطط والإشراف على تنفيذها، ولهذا تجد أن الحركات الإسلامية التي قامت علي جهود جماعية وعلى أفكار شاملة يسبقها التخطيط والتنظيم والإعداد قد حققت قدرا كبيرا من الهدف المنشود، فالدولة السعودية الأولى سبقتها دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والدولة السنوسية سبقتها حركة دعوة إحياء شاملة، ولذا نجدهما قد حققتا كثيرا من أهدافهما في تطبيق مناهج الإسلام"[١].

والحكومة الحاكمة ـ حاليا ـ في السودان، سبقتها الحركة الإسلامية بجهودها المختلفة،"[٢].

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، ص٢٢٥، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١٤٠٠هـ، بتصرف.

(٢) انظر: د. حسن عبد الله الترابي، الحركة الإسلامية في السودان ـ الكسب والتطور والمنهج، ط٢، الخرطوم، بيت المعرفة للطباعة، الوثيقة الإسلامية، بيروت. المجلد ٤، العدد، ٦-٧، أفريكا ووتش، المجلد (٥) العدد٣، ١٩٩٣/٢/١٠م، نقلا عن (الآفاق) اللندنية، دورية، تقوم بتقديم ترجمة نصف شهرية للمقالات التي تصدر في الصحف والمجلات الغربية، تصدر عن شركة آفاق المتحدة، لندن، العدد (٧٤) السنة، (١٤) ١٩٩٣/٧/٢٠م.جريدة الشعب المصرية التي يصدرها حزب العمل ، العدد ٨٨٢، الجمعة، ٢٤ ربيع الآخر، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤/٩/٣٠.

المطلب الأول

مشروعية العمل في الجماعة

قد تضافرت الأدلة العقلية والنقلية على وجوب جماعية العمل من أجل الإسلام.

أولا: الأدلة العقلية على وجوب العمل الجماعي:

يقول الدكتور علي عبد الحليم محمود[1]: «إن هذه الأدلة كثيرة وهي ملك لكل فرد دبَّر وفكَّر في أمر الإسلام والمسلمين اليوم وقد تحالفت عليهم أسباب كثيرة تحول بينهم وبين العمل للإسلام عموما والعمل الجماعي على وجه الخصوص.

وعند التأمل في هذه الأدلة يتبين لنا ما يلي:

أن واجبات الدعوة إلى الله ـ وهي كثيرة ـ تبدأ بإصلاح الفرد والأسرة، فالمجتمع ، فالحكومة، فالأمة الإسلامية كلها، وهذه واجبات لا بد أن تتضافر من أجلها جهود أفراد كثيرين يتعاونون في تحقيق هذه الأهداف.

وبما أن الدعوة إلى الله واجبة، وأن واجباتها كثيرة على النحو الذي أشرنا إليه فإن العمل الجماعي من أجل تحقيق هذه الواجبات واجب كذلك، انطلاقا من قول السلف رضوان الله عليهم «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

فهذا دليل عقلي منطقي على وجوب العمل الجماعي من أجل هذا الدين»

إن التصدي للباطل والمنكر واجب عقلا، إذ لا يصح الباطل والمنكر في عقل عاقل، وأن هذا الباطل والمنكر وما يشتملان عليه من هضم وتبديد للحقوق، وبخاصة إذا كان أهل الباطل والمنكر جماعة من الناس ـ وهم في الغالب كذلك ـ وما داموا جماعة فكيف يمكن أن يتصدى لهم مهما كانت قدرته وسلطاته فلا يمكن التصدي للباطل إلا في جماعة من الناس يتعاونون ويتآزرون فيما بينهم،

---

(١) د.علي عبد الحليم محمود، فقه الدعوة الفردية، ص٥٤.

انطلاقا من القضية المنطقية السابقة وهي «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

وإن العمل للإسلام والدعوة إلى الله، والتصدي للباطل والمنكر والوقوف في وجه الجماعات المعادية والمذاهب والفلسفات المنحرفة، كل ذلك بحاجة إلى علم وعمل وأموال وجهود، وخطط وتنسيق وتنظيم، ولا سبيل إلى تأمين ذلك عن طريق فرد من الناس كائنا من كان، فلا بد إذن من جماعة وعمل جماعي للقيام بهذه الأعباء الضخمة المتشعبة، وأيضا نكرر أن «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب».

إلى غير ذلك من الأدلة المنطقية العقلية، تكثر وتزدحم أمام من يفكر في واقع المسلمين وحاضرهم، وفيما يجب أن يكون عليه في المستقبل[1].

الأدلة النقلية على مشروعية العمل الجماعي:

أما الأدلة النقلية من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة فكثيرة لمن أراد أن يستوعبها ويجمعها جميعا، ولكني سوف أقتصر على بعضها خشية الإطالة، فمن ذلك قوله تعالى: «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون»[2].

والأمة ليست مجموعة أفراد متناثرين ولا مجرد جماعة، كما جاء في تفسير المنار «الصواب أن الأمة أخص من الجماعة، فهي الجماعة المؤلفة من أفراد لهم رابطة تضمهم ووحدة يكونون بها كالأعضاء في بنية الشخص»[3].

ويقول تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك

---

(١) المرجع السابق نفسه.

(٢) سورة ال عمران، آية ١٠٤.

(٣) تفسير المنار، محمد رشيد رضا، جـ١، ص٤٥.

سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم»[1].

والآية الكريمة تشير إلى أن المؤمنين والمؤمنات يجب أن تكون بينهم ولاية أي نصرة وتناصر، وتعاون وتضامن وتكامل من أجل تحقيق هذه الأعمال الجليلة التي تضمنتها الآية الكريمة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وطاعة الله وطاعة الرسول.

وكل عمل من هذه الأعمال يحتاج لكي يتم على وجهه المطلوب ويحقق المرجو منه إلى جماعة، تقوم عليه وتخطط له، وتنفذه.

ويفهم من هاتين الآيتين الكريمتين وغيرها كثير في القرآن أنه لا يمكن تطبيق ما جاء فيهما إلا من خلال جماعة تقوم به وتباشره.

أما الأدلة على مشروعية الدعوة الجماعية من السنة النبوية المطهرة فهي مستفادة من عمله صلى الله عليه وسلم وتطبيقه في الدعوة إلى الإسلام ومواجهة الجاهلية، وإقامة المجتمع الإسلامي إذ هي دليل شرعي على وجوب (الجماعة) في الدعوة إلى الله... فبالنظر إلى سيرته ﷺ وكيف بنى المجتمع الإسلامي الأول نجد أنه دعا إلى الله عز وجل فأسلم من أسلم، ولكن لم يتركهم أفرادا متفرقين بعيدين عنه، بل جمعهم حول قيادته فشكل منهم جماعة هو قائدها وهم أعضاؤها، وكوّن أمة مسلمة لها كيانها الإسلامي المتميز عن الجاهلية ومجتمعها وقياداتها.

ولقد بدأ تكوين هذه الجماعة المؤمنة مع بدء تكوين الدعوة ثم ازدادت ونمت بانضمام المؤمنين الجدد حتى استطاعت الجماعة أن تقيم المجتمع الإسلامي والدولة الإسلامية في المدينة المنورة بقيادة النبي ﷺ ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم حين يضم الأفراد إلى الجماعة الناشئة يرغبهم في الجماعة ويحذرهم من

---

(١) سورة التوبة، آية، ٧١.

الفرقة والشتات، ومما جاء في ذلك قوله:«من أراد بحبوبة الجنة فليزم الجماعة»[١]

وفي تحذيرهم من الابتعاد والفرقة يقول ﷺ: «إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»[٢]، أي إن الشيطان أو الطاغوت ـ بشكل عام ـ يأكل من المسلمين المنفردين عن الجماعة، ويقول «آمركم بخمس.... والجماعة.. ومن فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»[٣].

فيتضح لنا من سيرته ﷺ أن الطريق إلى بناء المجتمع المسلم إنما يبدأ بتكوين جماعة مؤمنة وأن هذه الجماعة هي أداة الإسلام في عملية التغيير.

وكذلك نجد من أقوال السلف ـ رضوان الله عليهم ـ ما يؤيد العمل الجماعي وقد «كان هؤلاء رحمهم الله أصحاب فقه عظيم، عرفوا المقاصد العامة للشريعة الإسلامية وجواز ، بل وجوب كل ما يحقق هذه المقاصد وإن لم تنص عليه، وعرفوا أن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، فانخلعوا من الفردية حيث اقتضى الأمر هذا الانخلاع وتكاتفوا، وعملوا عملا جماعيا، وأوضحوا في عدد من الفتاوى الواضحة الصريحة شرعية العمل الجماعي، في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مهما تسمى هذا العمل الجماعي بأسماء مختلفة، الجماعة، والحزب، والكتلة، وغير ذلك ، وإذا كان العمل جماعيا فلا بد أن يكون له قائد أو رئيس، سواء سمي زعيما أو مرشدا، أو رأس الحزب.

كما يقول في ذلك محمد أحمد الراشد: «وقد تستغرب أشد الاستغراب حين

---

(١) أخرجه الترمذي، جـ٤، كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة، ط دار الكتب العلمية بيروت، لبنان ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م، بتحقيق كمال يوسف الحوت .

(٢) أخرجه أبو داود، جـ١، ص٣٧١، كتاب الصلاة، باب التشديد في ترك الجماعة، سنن أبي داود ، مع معالم السنن، للخطابي، ط١، ١٩٦٩م.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، جـ٣، ص١٦٥، ١٨٥ ، ٣٤٤.

تعلم أن تسويغ إنشاء الجماعات العاملة لغايات شرعية قد ورد في كلام الفقهاء والأئمة القدماء، مما يعطينا صورة واضحة عما تحوي بطون الكتب الفقهية من فقه حركي إسلامي مجهول لدينا ينتظر من ينتزعه منها وينشره للدعاة.»[١]

اسمع قول ابن تيمية في شرعية العمل الجماعي مما لاتكاد تصدق أنه من كلام القدماء.

يقول رحمه الله:

«أما لفظ (الزعيم) فإنه مثل لفظ الكفيل والقبيل والضمين، قال تعالى: «ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم» فمن تكفل بأمر طائفة فإنه يقال: هو زعيم، فإن كان قد تكفل بخير كان محمودا على ذلك، وإن كان شرا كان مذموما على ذلك.

وأما (رأس الحزب) فإنه رأس الطائفة التي تتحزب أي تصير حزبا، فإن كانوا مجتمعين على ما أمر الله به ورسوله من غير زيادة ولا نقصان فهم مؤمنون، لهم ما لهم، وعليهم ما عليهم، وإن كانوا قد زادوا في ذلك ونقصوا، مثل التعصب لمن دخل في حزبهم بالحق والباطل والإعراض عمن لم يدخل في حزبهم سواء كان على الحق أوالباطل، فهذا التفرق الذي ذمه الله تعالى ورسوله، فإن الله ورسوله أمرا بالجماعة والائتلاف ونهيا عن التفرقة والاختلاف وأمرا بالتعاون على البر والتقوى ونهيا عن التعاون على الإثم والعدوان[٢].

إنه من أثمن النصوص التي تحج وتفند رأي من يرى أن العمل الجماعي بدعة غريبة على الأساليب الإسلامية.

---

(١) محمد أحمد الراشد، المنطلق، الكتاب الأول، مؤسسة الرسالة، جـ١، ص١٣، ط١٣، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص١٤٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ١١، ص٩٢، ط١، مطابع دار العربية، بيروت، ١٣٩٨هـ

وأنى يكون في العمل الجماعي بدعة وهو الأصل الموروث عن الأنبياء عليهم السلام قال تعالى: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني»[١] . قال ابن القيم رحمه الله : «قال الفراء وجماعة : ومن اتبعني معطوف على الضمير في أدعو؛ يعني ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو[٢]، وهذا المعنى فقهه الصحابة والسلف الصالح فقها كاملا فلم يكتفوا بالدعوة الفردية ، وإنما أسسوا الجماعات للدعوة إلى الله تعالى وعملوا عملا جماعيا، منهم الصحابي هشام بن حكيم بن حزام القرشي رضي الله عنه، قال الزهري رحمه الله «كان يأمر بالمعروف في رجال معه»[٣].

فانظر قول الزهري: في رجال معه.

فهو قد كون جماعة آمرة، ودلل على أن الأمر بالمعروف لا بد له من عصبة، ومتى كانت عصبة كانت دعوة.

وهكذا تأكد لنا أن سلف هذه الأمة كانوا يدركون أهمية العمل الجماعي، ومكانه من الدعوة إلى الله، وبقي أن نفرق بين بعض ما قاله الدعاة المعاصرون في مفهوم العمل الجماعي، منذ أن وقعت البلاد الإسلامية تحت حكم الجيوش الاستعمارية عادت الجاهلية إلى أرض الإسلام بكل صورها ومعانيها وبشكل أشد من الجاهلية الأولى، وبعود الجاهلية عادت الحاجة إلى من يجاهدها ويعيد حكم الإسلام، ولكن الوضع الجديد بحاجة إلى رجل يبدأ فيعيد من أفراد المسلمين

---

(١) سورة يوسف، آية ١٠٨.

(٢) ابن القيم ، مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة،جـ١، ص١٥٤، دار الفكر، بدون تاريخ نشر.

(٣) ابن حجر العسقلاني، تهذيب التهذيب، جـ١١، ص٣٧، دار صادر، بيروت، ١٣٢٧هـ.

أمة إسلامية ويقودها إلى حكم الإسلام ثانية بأسلوب يناسب الواقع»[١].

ويقول الأستاذ سيد قطب في ذلك: «إن نقطة البدء الآن هي نقطة البدء أول عهد الناس بالرسالة، أن يوجد في بقعة من الأرض أناس يدينون دين الحق، فيشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، ومن ثم يدينون لله وحده بالحاكمية والسلطان والتشريع ويطبقون هذا في واقع الحياة، ثم يحاولوا أن ينطلقوا في الأرض بهذا الإعلان العام لتحرير الإنسان، إنه لا بد من طليعة تعزم هذه العزمة وتمضي في الطريق.

وهكذا «الثلاثة يصبحون عشرة والعشرة يصبحون مائة، والمائة يصبحون ألفا والألف يصبحون اثني عشر ألفا»[٢].

ويقول في ذلك الدكتور يوسف القرضاوي: «وإذا نظرنا إلى القوى المناوئة للإسلام ـ على اختلاف أسمائها وأهدافها ووسائلها ـ وجدناهم يعملون في صورة جماعية وتكتلات وأحزاب وجبهات، ولا يقبل في ميزان الشرع ولا العقل أن يقابل الجهد الجماعي المنظم، بجهود فردية مبعثرة، وإنما يقابل التكتل بتكتل مثله أقوى منه، ويقابل التنظيم بالتنظيم، كما قال أبوبكر لخالد ـ رضي الله عنهما ـ حاربهم بمثل ما يحاربونك به، السيف بالسيف، والرمح بالرمح، والنبل بالنبل.[٣]

وعلى هذا فإن العمل في جماعة لإعادة حكم الله في الأرض لازم في عنق كل مسلم لأن معظم تكاليف هذا الدين جماعية ولا يستطيع المسلم أن يمارس دينه

---

(١) محمد أحمد الراشد، المنطلق، ص١٦٣، بتصرف.

(٢) معالم في الطريق، ص١١٨، دار الشروق.

(٣) الحل الإسلامي فريضة وضرورة،ص٢٢٥.

كما يريد الله إلا في مجتمع مسلم"[١].

وبعد أن تأكد لنا بالعقل والنقل وأقوال أئمة السلف والدعاة المعاصرين، أن العمل الجماعي من أجل الدعوة إلى الله واجب شرعي لا فكاك منه، فما هي إذن مقومات التخطيط لهذا العمل الجماعي؟

هذا ما سوف أستعين بالله تعالى للإجابة عليه في المطلب التالي:

المطلب الثاني

الأسس والمبادئ التي يقوم عليها التخطيط للدعوة الجماعية

لما كان التخطيط للدعوة الجماعية عملا منظما، يقوم على تقدير الواقع والسعي لتحقيق أهداف معينة، في إطارالقيم الإسلامية الرشيدة، فإنه من الضروري أن تقوم فلسفته على مجموعة من المبادئ العلمية والأسس الموضوعية لتخرج خطة الدعوة إلى حيز الوجود متكاملة في وظائفها متوازنة في أهدافها، محققة لغاياتها المنشودة في أقصر وقت ممكن، وبأدنى قدر من الضياع في الموارد البشرية والمادية ومن هذه المبادئ والأسس ما يلي:

١- التنظيم:

والتنظيم يقصد به وجود قيادة مسؤولة لها خطتها المرسومة في الدعوة ولكل مرحلة من مراحلها، وجنود مطيعون يقومون بتنفيذ ما يوكل إليهم من مهام الدعوة التي تتعلق بالخطة، ونظام أساسى ينظم العلاقات بين القيادة والجنود، وتحدد المسؤوليات والواجبات، ويبين الأهداف والوسائل وجميع ما تحتاج إليه الدعوة في إدارة أجهزتها»[٢].

وهذا التنظيم شرط جوهري وضروري لأية جماعة لها هدف معين تريد

---

(١) د. صادق أمين، الدعوة الإسلامية ص٣٨، مطابع عمان، ١٩٧٨م .

(٢) د. يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي، ص٢٢٦، بتصرف

الوصول إليه، وبدونه يتعذر عليها النجاح في عملها، وتصبح أعمالها بمثابة أعمال فردية وإن أخذت شكل العمل الجماعي في الظاهر.

ويقول الشيخ فتحي يكن عن أهمية التنظيم للعمل الجماعي: «ويمكننا القول بأن (التنظيم) من أقوى عوامل نجاح الحركات فكم من حركات سياسية وحزبية نجحت بفضل التخطيط الواعي والتنظيم الدقيق، وأخرى فشلت بسبب الفوضى والارتجال»[١].

وطبيعة الإسلام تأبى أي شكل من أشكال الفوضى وأي نوع من أنواع الارتجال... وليس هناك منهج في الدنيا عني بتنظيم دقائق الأمور الإنسانية حتى اليومية والخاصة منها عناية الإسلام.

ففي الصلاة مثلا ـ وهي عمود الدين ـ يقف المسلمون في صفوف منتظمة ، وتسوية الصفوف وسد الفرج من تمام الصلاة، وفي القتال ـ الجهاد ـ وهو ذروة سنام الإسلام ـ فإن الله تعالى امتدح المجاهدين المصطفين في القتال فقال تعالى: «إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص»[٢].إنه من الضروري إقامة تنظيم حركي للإسلام بنفس الأسلوب والنهج الذي اعتمده الرسول صلى الله عليه وسلم في تحضيره لإقامة الدولة الإسلامية، «فالرسول ﷺ لم يعتمد أسلوب العمل الفردي، وإنما حرص من أول يوم على إقامة تنظيم حركي كان يختار عناصره اختيارا وينتقي أفراده انتقاء ليكون قوة الدفع في المسيرة

---

(١) مشكلات الدعوة والداعية، موسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٣٩٤هـ ١٩٧٤، ص٧٥.

(٢)سورة الصف، آية ٢.

الإسلامية التي يطل عليها الزمن حتى كانت ملء عين العالم وسمعه وبصره»[١].

والناظر للدعوة الإسلامية في المجتمع الإسلامي يجدها تعاني من ضعف الإمكانات التنظيمية في أجهزتها المختلفة، مما سبب في كثير من الأحيان استنفاد الجهود وضياع الأوقات من غير طائل.

ولكي تنجح خطة الدعوة الإسلامية في المجتمع الإسلامي لا بد لها من تنظيم فاعل ومؤثر، وما أصدق ما قاله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يا معشر العرب الأرض الأرض إنه لا إسلام إلا بجماعة، ولا جماعة إلا بإمارة، ولا إمارة إلا بطاعة»[٢].

وعليه يمكن أن نستنتج أنه لا بد للتنظيم من عناصر يقوم عليها ولعل من أبرزها القيادة، والطاعة والشورى.

أ) القيادة:

فالقيادة - كل قيادة - هي فن معاملة الطبيعة البشرية والتأثير في السلوك البشري، وتوجيهه نحو هدف معين وبطريقة تضمن بها طاعته وثقته[٣].

وبما أن التخطيط للدعوة الجماعية عمل يقصد به توجيه سلوك البشر نحو عبادة الله سبحانه وتعالى وتوجيههم نحو السلوك الإسلامي السليم فإنه لا بد لهذا التخطيط من قائد يقوم على رأسه ويطاع بالمعروف، وقد دعت تعاليم الإسلام إلى ضرورة اتخاذ أمير، أو قائد ينزل الجميع عند رأيه، حرصا على وحدة الكلمة

---

(١) جاسم ياسن مهلهل، الأهداف الرئيسة للدعاة إلى الله، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة، دار الدعوة الكويت، بإشراف: الشيخ أحمد القطان، وجاسم بن محمد بن مهلهل، ط١، ١٤٠٩هـ، ص٢٩، بتصرف.

(٢) الدارمي، جـ١، ص٧٩، عن تميم الداري.

(٣) انظر، بشير شكيب الجابري، القيادة والتغيير وبحوث قيادية أخرى، دار حافظ للنشر، جدة، ط١، ١٤١٤هـ ص٣٧.

وانتظام الصف وانضباطه.

والإسلام يحرص على ذلك في كل شيء حتى في الأمور العادية المتكررة مثل السفر، وفي الجماعة الصغيرة التي لا يزيد عددها على ثلاثة ، ولهذا جاء في الحديث الشريف: «لا يحل لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أمروا عليهم أحدهم»[1]، ويقول الإمام ابن تيمية تعليقا على هذا الحديث : «فأوجب ﷺ تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع، ولأن الله تعالى أوجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يتم ذلك إلا بالقوة والإمارة»[2] والمقصود من الإمارة تحقيق طاعة الله ورسوله وتنفيذ أوامره، وقال أيضا[3]: «فالواجب اتخاذ الإمارة دينا وقربة يتقرب بها إلى الله فإن التقرب إليه بطاعته وطاعة رسوله من أفضل القربات وإنما يفسد فيها حال أكثر الناس لابتغاء الرئاسة أو المال»، والدعوة جهاز حركي متكامل لا يمكن أن نتحكم في ضبط حركاته وتقدير خطاه وتوجيه سيره وانفعالاته إلا بمنطق التنظيم والتخطيط .

ب) الطاعة:

إن مفهوم الطاعة في الإسلام يستمد من أصول الدين العقدية والتشريعية قوته ومداه.. فطاعة الداعية للقيادة يؤكد امتثاله لأوامر الله..(فالقيادة) في الإسلام هي السلطة التنفيذية التي تتولى تطبيق أحكام الإسلام..أو تسعى وتمهد لاستئناف حياة إسلامية تطبق فيها هذه الأحكام، كما هو شأن الدعوة الإسلامية

---

(١) أخرجه الإمام أحمد، المسند، جـ٢، ص١٧٧.

(٢) مجموع فتاوى ابن تيمية، جـ٢٨، ص٣٩٠.

(٣) المصدر السابق، جـ٢٨، ٣٩١.

في المرحلة الحاضرة[١].

والطاعة المقصودة هي التزام الدعاة أوامر القيادة في اليسر والعسر، والمنشط والمكره، متنازلين عن رأيهم الفردي لرأي الجماعة، ما لم يكن معصية بيقين، فلا طاعة حينئذ في معصية الخالق.

وهذا بدون شك أمر من أمور الله، وبذلك تصبح طاعة الداعية لها من طاعة الله، وعصيانها من عصيان الله.. ولذلك حض القرآن الكريم على ذلك بقوله: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم»[٢]، وقد عبر الرسول ﷺ عن ذلك في أحاديث كثيرة منها: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعصي الأمير فقد عصاني»[٣]، وقوله: «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي، كأن رأسه زبيبة»[٤]. وأخرج مسلم عن وائل بن حجر رضي الله عنه قال: سأل سلمة الحيفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ..فقال: «اسمعوا وأطيعوا، فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم»[٥].

وأخرج أيضا عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «على المرء السمع والطاعة فيما أحب أو كره»[٦] أيضا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عليك السمع والطاعة في

---

(١) فتحي يكن، مشكلات الدعوة والداعية، ص٨٥، بتصرف.

(٢) سورة النساء أية، ٥٩.

(٣) أخرجه البخاري، جـ٤، ص٣٥.

(٤) البخاري، جـ٩، ص٩٩، وهو في مسلم، جـ٣، ص١٠٢، وابن ماجة، جـ٢، ص٩٥٨.

(٥) أخرجه مسلم، جـ٣، ص١٤٧٥.

(٦) أخرجه مسلم، جـ٣، ص١٤٦٩، ابن ماجة، جـ٢، ص٩٥٦.

عسرك ويسرك ومنشطك ومكرهك، وأثرة عليك»[1].

وأخرج أيضا عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من بايع إماما فأعطاه ثمرة قلبه، وصفقة يده، فليطعه ما استطاع»[2].

هذه الآيات والأحاديث تدل على أهمية وضرورة وجود القيادة ووجوب طاعتها، في حياة الأمة، وتبين أن الدعوة الإسلامية بدون قيادة وطاعة لن تفلح في تحقيق الأهداف المنشودة، وهذا ما يفرض على كل مسلم قادر على الدعوة إلى الله أن يكون من أحد أفراد هذا التنظيم العاملين فيه، والداعين إلى دعمه وتطويره، حتي ينهض بأداء مهمته الجليلة، ويأخذ بأيدي المسلمين إلى النصر بإذن الله.

٢) الشورى:

إن التخطيط الناجح للدعوة الجماعية التي يراد لها أن تسير في طريق سالك مأمون ، والتي تريد أن يكون لها في بلاد الإسلام امتداد وفي عالم الدعوات استمرار وبقاء، هي التي تكون الشورى من أهم الأسس والمبادئ التي تقوم عليها خطتها، تلك الشورى التي أمر بها القرآن وسنها الرسول ﷺ ، قال تعالى «وأمرهم شورى بينهم»[3]، وقوله تعالى: «وشاورهم في الأمر»[4].

هكذا صفة المؤمنين يتشاورون بينهم في سائر أمورهم ، وقد طبقها النبي صلى الله عليه وسلم عمليا في حياته السلمية والحربية ،هذا المبدأ الكريم وهو نهج خلفائه من بعده وهم جميعا قدوة هذا النهج الذي كان عليه نبيهم.

---

(١) مسلم، جـ٣، ص١٤٦٧، وهو عند النسائي، جـ٧، ص١٤٠.

(٢) مسلم جـ٣، ص١٤٧٣، من حديث طويل.

(٣) سورة الشورى،آية ٣٨.

(٤) سورة آل عمران، آية ١٥٩.

ومماروي في كثرة مشاورته ﷺ لأصحابه ماجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ»[1].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «فأما وزيراي من أهل السماء فجبريل وميكائيل، وأما وزيراي من أهل الأرض فأبوبكر وعمر»[2].

وكان مجال الحرب والجهاد هو أبرز المجالات لإظهار مبدأ الشورى، ففي غزوة بدر الكبرى استشار الناس، فأشار المهاجرون فلم يكتف، ثم استشار الناس فأشار الأوس والخزرج وهم الأنصار» ثم اتخذ قراره الأخير[3].

ولما عسكر المسلمون في أدنى ماء من بدر جاء الحباب بن المنذر ابن الجموح فقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل أمنزلا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «بل هو الرأي والحرب والمكيدة».

قال الحباب يا رسول الله: فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القليب، ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فقال رسول الله ﷺ : «لقد أشرت بالرأي»[4]. وكذلك كانت الشورى في غزوة أحد، حيث كان التشاور في الاجتماع العام خارج المدينة لملاقاة العدو أو البقاء فيها. أما الشورى في غزوة

---

(١) سنن الترمذي، كتاب الجهاد، (٢٤) باب (٣٤)، حديث رقم (١٧١٤).

(٢) الترمذي، كتاب المناقب، (٥٠) باب (١٧)، حديث رقم (٣٦٨٠)

(٣) ابن هشام ، السيرة، جـ٢، ص٢٥٣.

(٤) المرجع السابق نفسه، جـ٢، ص٢٦.

المغازي...[1].

وهكذا فإنك لا تكاد تجد غزوة من غزواته صلى الله عليه وسلم إلا وخططت لها مجالس الشورى في إطارات لتلك المجالس مختلفة بحسب الزمان والمكان والحال والشكل الذي تتم به الشورى ليس مصبوبا في قالب من حديد لا تخرج الأمة عنه بل متروكا للأمة تحدد إطاره وصورته بحسب البيئة والزمان[2].

هذا في مجال الحرب.

ونجد أن الرسول ﷺ قد استشارأصحابه في مجالات كثيرة منها:

استشارته جبريل عليه السلام فيما اقترح عليه موسى عليه السلام بخصوص الصلاة في ليلة الإسراء والمعراج، ثم نزل على رأي موسى عليه السلام فيما أشارعليه بسؤال الله تعالى بشأن التخفيف على الأمة، وذلك كما جاء في صحيح البخاري.[3]

ومنها استشارته ﷺ حتى في خاصة نفسه، ففي قصة الإفك شاور عليه الصلاة والسلام أسامة وعليا وغيرهما من الصحابة رضوان الله عليهم كما جاء أيضا في صحيح البخاري[4].

هكذا كانت الشورى ديدنه صلى الله عليه وسلم وفي كل شأن ذي بال يهم المسلمين ويشغل تفكيرهم وفيه مصلحة لهم، وكيف لا وقد جعل الله مبدأ الشورى ضمن أهم مبادئ وقواعد الإسلام التي يجب رعايتها والعمل وفق

---

(١) ابن هشام، جـ٣، ص٢٢٤.

(٢) سيد قطب، الظلال، جـ٧، ص٢٥.

(٣) البخاري، جـ٩، ص٨٢.

(٤) البخاري في عدة مواضع، منها جـ٥، ص١٤٨-١٥٥، وفي الفتح، جـ١٣، ص١٣٩، ومسلم جـ٤، ص١٢٣٧، والترمذي، جـ٥، ص٣٣٢، ٢٢٥.

مقتضاها، ولأن في ذاتها خلق إنساني أصيل والإسلام يزكي الأخلاق الإنسانية الأصلية.

ولكون الشورى طريقا مأمونا إلى عصمة الرأي من الخطأ، ووسيلة موفقة لإكمال البنية التربوية والحركية من النقص.

ولكون الشورى كذلك سبيلا لمنع القيادات من الفردية المتحكمة ، والاستبدادية المتنفذة،

ولأن الشورى حين يقوم على تطبيقها القياديون في الجماعة فإنهم يطبعون أفرادهم على الأخذ بمبدأ الشورى ويشعرونهم بشخصيتهم حين يستشارون، وحين يستشيرون.

ولأن الشورى سبيل واضح، وطريقة مثلى للاستفادة من أهل الخبرة والاختصاص.

ولأن الشورى حاجز منيع من أن تتحكم في الجماعة سلطة يحكمها الهوى، وتسيرها المصالح، وتدفع بالجماعة إلى المهالك، إلى غير ذلك من ضروب الحكمة والأهمية التي تنبثق عن مبدأ الشورى، وهي في جملتها لا تخفى على ذي بال ووعي وبصيرة[1]، وإذا كانت الشورى بهذه الأهمية فلا بد للقائمين على أمر الدعوة الجماعية من قادة بأن أخذوا بمبدأ الشورى ويرسموا للدعوة خط سيرها ويحددوا للعاملين في حقلها معالم الطريق، ويحفظوا لها مستقبلا من عوادي الأيام ويرتقون بها إلى أفضل المثل والقيم.

* شروط أهل الشورى:

أعضاء مجلس الشورى هم الذين يرسمون للدعوة الجماعية خط سيرها وبرامج عملها في الحاضر والمستقبل وذلك على ضوء كتاب الله وسنة رسوله

---

(١) الشيخ عبد الله ناصح علوان، بين العمل الفردي والعمل الجماعي، وذلك ضمن سلسلة مدرسة الدعاة، رقم ١٢، دار السلام، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ، ص١٠٨-١٠٩.

صلى الله عليه وسلم، وهدي أصحابه رضوان الله عليهم، فإذا كان ذلك كذلك فلا بد أن يكون أعضاء هذا المجلس أكثر الناس إحاطة بعلوم الكتاب والسنة المطهرة، والسنن الكونية.

قال تعالى: «ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم»[١].

وقال البخاري: «و كان أصحاب مشورة عمر القراء...»[٢].

وقد لخص الإمام الماوردي[٣]شروط أهل الشورى في ثلاث نقاط:

١- العدالة الجامعة لشروطها، ولخص العلماء شروط العدالة في خمسة بنود: الإسلام والعقل والحرية، والذكورية،[٤] والبلوغ.

٢- الخبرة في الجانب المستشار فيه.

٣- الرأي السديد والحكمة في كيفية الاختيار.

وقد ذكر الشيخ عبد الله ناصح علوان شروطا أخرى لعضو مجلس الشورى منها:[٥].

---

(١) النساء، آية ٨٣.

(٢) البخاري، جـ٩، ص١٣٨-١٣٩، وهو في الفتح، جـ١٣، ص٣٣٩، وقال ابن حجر موضحا قول البخاري هذا بقوله: «وقد ورد عن استشارة الأئمة أخبار كثيرة»

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٦، باختصار.

(٤) لعل هذه الشروط التي اشترطها العلماء لأهل الشورى يقصد بها ما يتعلق بأمور الحرب وشؤون الدولة، أما أمر الدعوة والأمور العامة فلا بأس من استشارة المرأة كما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم أم سلمة في صلح الحديبية وكان الرأي ما أشارت به.

(٥) عبد الله ناصح علوان، بين العمل الفردي والعمل الجماعي، ص١٩.

١- العقل الرزين المتأني.

٢- النباهة والذكاء والقدرة على مواجهة المفاجآت.

٣- ممارسة الأعمال القيادية، أو الشورية، أو الإدارية التي كان قد مارسها من قبل.

ومن هنا ندرك أن الشورى حق لأهلها متى توفرت صفاتها، والذي يجب أن نؤكد عليه أن مجلس الشورى في الإسلام له مهام أساسية في ظل الدعوة الجماعية والتكوينية، وبناء الشخصية الإسلامية.. وكذلك البحث في خطة الشؤون الدعوية والحركية والتنظيمية... وأيضا البحث في الخطط السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

والأصل أن يكون لمجلس شورى الدعوة الجماعية لجان مختصة في كل شؤون العلم والمعرفة تحال عليها المعاملات لتقول فيها رأيها عن علم ودراية.

وبهذا المنهج الشوري إذا التزمه قادة الدعوة الجماعية في كل زمان ومكان، فإنهم يكونون في حصانة ومأمن من أن يصدروا في قرارهم عن هوى، أو أن يخرجوا في بحوثهم عن النصوص، أو أن يحيدوا في مواقفهم عن سنن الإسلام[1]

٣- التمويل والإشراف:

والمبدأ الثالث الذي تقوم عليه خطة الدعوة الجماعية، هو التمويل والإشراف، فلا بد لرسم أي خطة من تدبير المال اللازم لتنفيذ هذه الخطة ، وإعداد الجهاز القادر على الإشراف على تنفيذها بدقة ، فإذا وجد هذا الجهاز فلابد من توفير المال اللازم لتسيير برنامج هذه الخطة، حتى تسير الدعوة في الطريق الصحيح الذي يعصمها من الخطأ والانحراف، ويهيء لها المناخ الصالح الذي تنطلق منه متجردة من كل غاية، إلا غاية واحدة هي هداية الخلق إلى طريق الحق

---

(١) عبد الله ناصح علوان، المرجع السابق، ص١١٥.

وإلى صراط الله المستقيم.[1]

ويستطيع الإشراف الصحيح أن يهيء للدعوة حرية الحركة والتفكير، ويرفع عن أجهزتها أثقال أجهزة السلطة التي لاتمنحها حرية الكلمة، وتجعلها في كثير من الأحيان تتحول من دعوة إلى الله إلى بوق من أبواق الدعاية أو وسيلة من وسائل الإعلام، أو تجمد حركتها فتصير مجرد وظيفة تدر لصاحبها رزقا، يصبح الوصول إليه أقصى غاياته[2].

وكذلك التمويل فهو عنصر لا غنى عنه لتمويل خطة الدعوة، وبدونه تصبح الخطة حبرا على ورق.

ولذا نجد أن الرسول ﷺ قد اعتمد من أول يوم دعا فيه إلى الله على أمواله الخاصة وأموال منحتها عن طواعية زوجته المؤمنة خديجة ـ رضوان الله عليها. أول من آمن بالدعوة من النساء، والتي وظفت مالها كله لخدمة الإسلام من يوم أن دخل الإيمان قلبها إلى أن توفاها الله، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وبعد زواجه من خديجة يتاجر في أموالها، وكانت من أثرياء قريش، وكان للرسول ﷺ من هذه التجارة نصيب محدود في بداية الأمر، وذلك قبل الزواج، ثم اختلطت أموالهما بعده، وأصبحت جميعها وقفا على تمويل خطة الدعوة.

ومما يؤكد لنا موقف خديجة من تمويل الدعوة ما روته أم المؤمنين عائشة ـ رضي الله عنها ـ حيث قالت: «كان النبي ﷺ إذا ذكر خديجة أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت:فغِرت يوما، فقلت: ما أكثر ما تذكر حمراء الشدقين قد أبدلك الله عز وجل بها خيرا منها، قال: ما أبدلني الله عز وجل خيرا منها، قد آمنت بي إذ كفر بي الناس وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس

---

(١) د. عبد المنعم حسنين، الدعوة إلى الله على بصيرة، دار الكتاب المصري، ط١، ١٤٠٥، ص٢٩٥.

(٢) المصدر نفسه،

ورزقني الله عز وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء»[١].

وهكذا كان المنطلق الأول في تمويل خطة الدعوة أن يتم من مال صاحب الدعوة، وإننا لم نقرأ في كتب السيرة ولم ينقل إلينا أحد، أن الرسول صلى الله عليه وسلم استعان بأي مال أجنبي أتاه من كسرى أو من قيصر أو من المقوقس أو من أحد من أمثال رؤساء الدول المعاصرة، أو أنه أنزل عليه كنز من السماء، كما كان يشترطه مشركو قريش لإيمانهم، لينفق منه على متطلبات دعوته وتأسيس الدولة التي كان يبشر بها[٢].

وأيضا قد انتفع الرسول الكريم ﷺ من أموال أصحابه في سبيل الدعوة وتأسيس الدولة، انتفاعه بماله ومال زوجته خديجة، وكان في طليعتهم صاحبه الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه، الذي قال ﷺ في حقه :ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر»[٣]، وفي قوله أيضا: «ما أحد أمنّ علينا بصحبته وماله من أبي بكر»[٤]

وكذلك عثمان بن عفان رضي الله عنه وغيرهما من أصحابه رضوان الله عليهم الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله حتى قامت دولة الإسلام في

---

(١) الإمام أحمد، المسند، ج-٦، ص١١٧-١١٨، من طريق مسروق عن عائشة ، وعزاه الحافظ ابن حجر في فتح الباري، جـ٧، ص١٧٤، ح٣٨٢٤، إلى الطبراني.

(٢) د. محمود محمد بابلي، مصادر تمويل الدولة الإسلامية في منطلق الدعوة والخلافة الراشدة، دار الشبل للنشر والتوزيع، الرياض، بدون تاريخ طبع، ص٩٣.

(٣) أخرجه ابن ماجة، في المقدمة، باب فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، جـ١، ص٣٦، ح٩٤، وأحمد في المسند، جـ٢، ص٢٥٣.

(٤) أخرجه البخاري في مواضع منها: كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، «سدوا الأبواب إلا باب أبي بكر، جـ٧، ص١٥، ح٣٦٥٤، مع الفتح، .

المدينة المنورة.

ونظرا لأهمية إيجاد مصادر تمويل ثابتة ومحددة للدعوة فإنه عندما فرضت الزكاة - الضمان الاجتماعي[1] - وأهم فريضة مالية في الإسلام، فقد خصص سهمان من السهام الثمانية في الزكاة لتمويل الدعوة، وهما سهما: في سبيل الله، والمؤلفة قلوبهم، وسأبين ذلك في الفرعين التاليين:

الفرع الأول: سهم سبيل الله:

ما المقصود بسبيل الله؟ إن السبيل في اللغة هي الطريقة، وسبيل الله طريقه،[2] غير أن الفقهاء يختلفون حول تحديد مصرف هذا السهم، ففقهاء المذاهب الأربعة حصروا هذا السهم في تجهيز الغزاة والمرابطين على الثغور، وإمدادهم بما يحتاجون إليه من خيل وكراع وسلاح[3].

فسبيل الله لديهم تعني الجهاد بمعناه الخاص - أي الغزو العسكري - بل إن بعض المحدثين يرى أن سبيل الله إذا اقترن بالإنفاق «كان معناه جزما، ولا يحتمل غيره مطلقا»[4]، هذا بينما البعض الآخر من المحدثين يرى أن مصرف هذا السهم «مصالح المجتمع» فسبيل الله تشمل سائر المصالح التي هي أساس الدين

---

(١) المستشار عثمان حسين عبد الله، الزكاة الضمان الاجتماعي الإسلامي، ط١، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م، دار الوفاء المنصورة، ص١٣، وما بعدها، بتصرف.

(٢) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، مادة (سبل)

(٣) د. يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، ط٨، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م، مؤسسة الرسالة، جـ٢، ص٦٤٣، ٦٤٤.

(٤) تقي الدين النبهاني: في النظام الاقتصادي الإسلامي، منشورات حزب التحرير، عمان ط٣، ص٢٠٨.

والدنيا"[1].

وأمام هذا الاختلاف بين هذين الرأيين علينا أن نقوم بمحاولة لتحديد المقصود بسبيل الله في آية الزكاة لنرى هل مصرفها الغزو فقط، أم سائر المصالح؟ أم أن هناك مفهوما آخر لهذا اللفظ؟ ووسيلتنا إلى ذلك هي استقراء المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة في القرآن الكريم مقترنة بالإنفاق حتى نهتدي بتوفيق الله تعالى إلى تحديد المقصود منها في مصارف الزكاة.

* سبيل الله في القرآن:

لقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم أكثر من ستين مرة، ومن استقراء الآيات التي وردت فيها هذه الكلمة والرجوع إلى شروح المفسرين، نستطيع أن نصنف الآيات أقساما ثلاثة:

القسم الأول: آيات يقصد منها كل أنواع البر والطاعات، ومثل ذلك قوله تعالى: «والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم»[2]، وقوله تعالى: «والذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى»[3]، فسبيل الله في الأيتين تعني كل القربات، ولا يصح أن يقصر معناها على الغزو فقط، إذ لو كان الأمر كذلك لكان من أنفق ماله على الضمان الاجتماعي مثلا مبشرا بالعذاب في الآية الأولى، كما أن اقتران الانفاق بعدم المن والأذى في الآية الثانية يشعر أن الإنفاق كان على

---

(١) الإمام محمود شلتوت، الفتاوى، ص١١٩، وأيضا الشيخ رشيد رضا، تفسير المنار، بنفس ألفاظ الشيخ شلتوت، ط٢، جـ١، ص٥٨٥، الشيخ خلاف ،السياسة الشرعية، ص١٣٥.

(٢) سورة التوبة، الآية رقم ٣٤.

(٣) سورة البقرة، الآية رقم، ٢٦٢.

أشخاص محتاجين، فهنا يتصور المن والأذى، لا في الإنفاق في الغزو والقتال[1].

القسم الثاني: آيات يقصد بسبيل الله فيها الغزو والقتال دون أن تعني كل خير وبر، ومن ذلك قوله تعالى: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم، وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم وأنتم لا تظلمون»[2]، فسبيل الله هنا هو القتال والغزو بدلالة صدر الآية، ومنه قوله تعالى: «وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض، لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا»[3]، فالمقصود بسبيل الله هنا أيضا القتال لاقترانها به في المفاضلة بين المنفقين، ولا يقصد منها المعنى العام الذي يشمل كل بر وخير وعمل صالح.[4]

القسم الثالث: آيات لا يصح أن تحمل على أي من المعنيين السابقين، فلا يصح أن يكون المراد منها مصالح المجتمع بعامة، ولا أن يراد منها الغزو والقتال، ومن ذلك قوله تعالى: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن

---

(١) انظر بشأن هذا المدلول الشامل: الإمام محمود شلتوت: الإسلام عقيدة وشريعة، ص١٠٥، والأستاذ سيد قطب، العدالة الاجتماعية في الإسلام، ص١٣٥، ط٧، ١٣٨٦هـ، بدون دار طبع، وعفيف طبارة، روح الدين الإسلامي، ص٣٥٤، ط١٧، ١٩٧٨م، دار العلم للملايين، بيروت، ومحمد رشيد رضا، المنار، جـ١، ص٥٨٥، ود. يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، جـ٢، ص٦٥٤.

(٢) سورة الأنفال، آية ٦٠.

(٣) سورة الحديد، آية رقم ١٠.

(٤) د. يوسف إبراهيم يوسف، النفقات العامة، دراسة مقارنة، ط٢، ١٤٠٨هـ، دار الثقافة، قطر ، الدوحة، ص٢٥٥.

سبيل الله»[١] ، وقال تعالى «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله»[٢] .

فأمثال هذه الآيات ، وهي أكثر ما ورد في القرآن لا يصح أن يحمل سبيل الله فيها على صالح المجتمع والخير العام، ولا على الغزو والقتال، فأما الآية الأولى فلأن الكفار ما كانوا ينفقون أموالهم ليصدوا عن صالح المجتمع، ولا عن الغزو والقتال، وأما الآية الثانية فلأن المؤمنين لم يكونوا يجاهدون في صالح المجتمع أو في سبيل الجهاد ، أو من أجل القتال، فضلا عن أن المعنى سيصبح (جاهدوا في الجهاد) وهو معنى لا معنى له.[٣]

ولكن ما هو المعنى الذي يصح حمل سبيل الله عليه في هذا القسم؟ إن سبيل الله في هذه الآيات تعني الدعوة إلي الله، أي نصرة الإسلام والدفاع عنه باليد واللسان والقلم، فهي التي كان الكافرون ينفقون أموالهم ليصدوا الناس عنها ، وهي التي كان المؤمنون يجاهدون من أجلها وفي سبيلها .

ونستنتج من المناقشة السابقة خلال هذا الفرع، أن سبيل الله كمصرف من مصارف الزكاة، هوالدعوة إلى الله تعالى، ولا يمكن أن تحمل على أي معنى آخر ،

---

(١) سورة الأنفال، آية ٣٦.

(٢) د. يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، جـ٢، ص٦٥٢-٦٥٩

(٣) د. يوسف إبراهيم يوسف، النفقات العامة في الإسلام، دراسة مقارنة، ص٢٥٦، وانظر، د. يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، جـ٢، ص٦٥٥.

وأن النظام المالي الإسلامي يرصد هذا السهم لتمويل خطة الدعوة إلى الله تعالى[١].

الفرع الثاني: سهم المؤلفة قلوبهم:

المؤلفة قلوبهم أحد الأصناف الثمانية التي ذكرت في آية الصدقات، وليس في القرآن ذكر لهم في غير هذا الموضع، وهم يعطون من أجل تمكين الإسلام في قلوبهم أو قلوب غيرهم ليسلموا بعد أن كانوا غير مسلمين، أوليزدادوا إيمانا إن كانوا قد دخلوا في الإسلام، أويسلم غيرهم ممن هو على شاكلتهم عندما يراهم يستفيدون من الإسلام، فيعطون رغم حسن إسلامهم، وكل من يرى المسلمون أن في إعطائه منفعة لنشر الدعوة يجوز أن ينفق عليه من هذا المصرف[٢].

وهناك خلاف فقهي حول سقوط هذا المصرف أو بقائه.. ولا أريد أن أخوض في هذا الخلاف خشية الإطالة... ولكن الشاهد أن هذا السهم موجه إلى تمويل الدعوة إلى الله، وهو باق ما بقي على الأرض إسلام وكفر.

بل إننا نجد أن هناك موارد أخرى لتمويل الدعوة غير سهمي (سبيل الله والمؤلفة قلوبهم) إذ أنهما يمثلان الحد الأدنى، وقد وجدت لها موارد في بقية أنواع المال العام فهي من مصالح المسلمين التي ينفق عليها من مال الفيء والخراج وغيرها، كما جاء ذلك عن الإمام الشافعي وغيره، ومرد ذلك إلى رأي ولي الأمر العادل وتقدير أهل الرأي والمشورة في الأمة [٣].

وعليه يتضح لنا وجود موارد ثابتة لتمويل خطة الدعوة إلى الله في بقية

---

(١) انظر، د. محمود محمد بابلي، ص١٨٧، و القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، جـ٧، ص٣٠، القرضاوي، فقه الزكاة، ص(٢/٦٦٨-٦٦٩)، والشوكاني، جـ٤، ص١٤٢، والإمام محمود شلتوت، الإسلام عقيدة وشريعة، ص١٠٢..

(٢) المرجع السابق. ص٣٠٢، وأيضا ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٢، ص٣٦٥.

(٣) د. يوسف القرضاوي، فقه الزكاة، جـ٢، ص٦١١.

أنواع المال العام والزكاة، ولم يترك تمويل الدعوة لفضول المال فقط وإحسان الأفراد وإن كان هناك كثير من التوجيهات في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة تأمر المؤمنين وترغبهم في الإنفاق على تمويل الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى.

وإنه لا نجاح لأي دعوة إلى الله سبحانه وتعالى ما لم يكن لها مصادر تمويل ثابتة ومستقلة تنفق منها على خططها وبرامجها.

وهذا ما يستلزم من القائمين على أمر الدعوة في المجتمع الإسلامي السعي الجاد في وضع خطط الاستثمار بإنشاء مشاريع تجارية تمول النشاط الدعوي تضمن له الاستمرار والاستقلال.

المبحث الثالث

أشكال التخطيط للهيئات الدعوية في المجتمع الإسلامي

منذ أن سقطت الخلافة الإسلامية العثمانية عام ١٣٤٤م ورجالات الأمة الإسلامية وعلماؤها يجاهدون للقيام بكثير من تلك الواجبات التي كانت منوطة بالخلافة العثمانية وأخذ القيام بهذا الواجب أشكالا عدة: فهناك جهود بذلت من بعض الخيرين ، ثم تبلورت من خلال مؤسسات تعمل من داخل أجهزة الحكومات الرسمية في العالم الإسلامي، وهناك جهود أخرى تبلورت في شكل هيئات ومؤسسات أخذت الصفة الشعبية وانطلقت من القاعدة، استشعارا لواجبها تجاه الدعوة إلى الله.

وفيما يتعلق بأشكال التخطيط للهيئات والمؤسسات الحكومية، فإن الذي اتضح لي من خلال تتبعي وقراءتي لمعرفة أشكال هذا التخطيط ما يلي:

أولا: إنه على الرغم من أن الجهود التي تقوم بها تلك الأجهزة في المجتمع الإسلامي جهود مقدرة، ومشكورة، وتؤدي إلى نتائج طيبة في خدمة الدعوة الإسلامية، إلا أنها لم ترق بعد إلى مستوى العمل القائم على التخطيط والتنظيم، حتى يكون وضعها أحسن مما هي عليه الآن.

وهذا الحكم ينطبق على معظم الهيئات والمؤسسات التي تقوم بأنشطة دعوية في مختلف البلاد الإسلامية، لا في بلد معين بالذات - إلا من رحم الله - بدءا من إدارات المساجد والوعظ والإرشاد والأوقاف، والمجلات الإسلامية والمعاهد الدينية والبرامج الدينية في الإذاعة المسموعة والمرئية، والمؤتمرات الإسلامية، والمجالس .. إلى آخر هذه الأجهزة الحكومية.

فإنه أول ما يؤخذ على معظم هذه المؤسسات والهيئات ويبرهن على عدم وجود التخطيط فيها أن العاملين بها موظفون ليس من بين مسوغات تعيينهم في وظائفهم اقتناعهم بالرسالة التي أنشئ الجهاز لأدائها أو تفاعلهم بها وحماسهم

لها، وهذا أمر واضح ونتائجه واضحة كذلك[1].

والملاحظة الثانية والأهم هي أن السلطة والمال اللذين يساندان هذه المؤسسات من الأسلحة ذات الحدين، إذ يؤديان من ناحية إلى زيادة فاعلية هذه الأجهزة، ولكنها من ناحية أخرى تجعلان منها أداة لخدمة السياسة العليا للحكومة والسير وفقا لأهواء الحكام، ومن الأمثلة الكثيرة لهذه الظاهرة الأخيرة نكتفي بمثالين:

أولا: ماهو مشاهد ومعروف من تلون إنتاج معظم هذه المؤسسات باللون السياسي للدولة التابعة لها فحيث ترفع الدولة شعارا اشتراكيا تقدم مؤسساتها الدينية الإسلام على أنه دين الاشتراكية، وعدو الرأسمالية، وحيث ترفع الدولة شعارا رأسماليا أو ليبراليا تقدم مؤسساتها الدينية الإسلام على أنه دين الرأسمالية والليبرالية، وعدو الاشتراكية وهكذا...[2]

والمثال الثاني والأهم هو: أن هذه المؤسسات والهيئات هي في غالب الأحوال أجهزة دعائية للنظام الحاكم والدفاع عنه وتثبيت أركانه، ولا ترفع صوت النقد أو حتى النصح - فضلا عن المعارضة - إلا نادرا، وفي المسائل الثانوية والهامشية غير الأساسية، وكتصرف فردي من موظف متحمس لا يلبث أن ينال جزاءه على جرأته وخروجه عن الخط المرسوم[3]...

وفي ظل هذا الواقع لا محل لتصور أن تقدم هذه المؤسسات والهيئات خطة

---

(١) الأستاذ/ جمال الدين عطية، مجلة المسلم المعاصر، العدد١٤، عدد ربيع الثاني، ١٣٩٨هـ، ١٩٧٨م، كلمة التحرير، ص٧.

(٢) انظر، د. يوسف القرضاوي، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤١١، ١٩٩١، ص١٠.

(٣) انظر: جريدة الشرق القطرية، عدد١٩١، بتاريخ ١٤١٢/٩/٢٠هـ، ٢٣ مارس ١٩٩٢م، مقابلة أجرتها مع نائب المدير التنفيذي لمنظمة الدعوة الإسلامية بالسودان، الأستاذ عبد السلام سعد سليمان، ص١١.

عمل من أجل التغيير الاجتماعي المطلوب في المجتمع من منظور إسلامي، فضلا عن أن تحمل لواء الدعوة إلى إحداث هذا التغيير المهم من أجل توطيد أركان الدين في المجتمع؛ لأنها ليس لديها الحرية الكافية التي تجعلها تقوم بهذا الواجب المنوط بها.

هذا هو غالب الحال في المؤسسات والهيئات الحكومية الذي يتسم بطابع المحافظة على الأوضاع القائمة.

أما فيما يتعلق بأشكال التخطيط في المؤسسات والهيئات الشعبية غير الرسمية، فإن التخطيط فيها يختلف من هيئة إلى أخرى، ولكل واحدة منها العوامل التي تؤثر سلبا وإيجابا في شكل التخطيط الذي تلتزمه، وإنه من الصعوبة بمكان أن يقوم الباحث بحصر جميع نشاطات هذه المؤسسات والهيئات العاملة على الساحة ومعرفة مدى ما تقوم به من جهود دعوية، إذ إنه لا يخلو مجتمع من المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية في كثير من البلدان من وجود مؤسسات وهيئات شعبية تعمل من أجل الدعوة إلى الله، ولكل واحدة المجالات التي تعمل من خلالها لتحقيق أهدافها.

ولذا سوف يقتصر حديثي حول هذه المؤسسات والهيئات على أهم مقومات التخطيط فيها، وذلك خشية الإطالة وصعوبة الإحاطة بجميع أوجه نشاطاتها:

ومن أهم مقومات التخطيط الدعوي للمؤسسات والهيئات ما يلي:

١- وجود جهاز إداري متخصص وفعال.

٢- تحديد مصادر تمويل ثابتة.

٣- إنشاء مركز معلومات متكامل.

المطلب الأول

إيجاد جهاز إداري متخصص وفعال

يعتبر وجود جهاز إداري على رأس أي منظمة أو هيئة من مقومات أي تخطيط ناجح، ومهمة هذا الجهاز هي حصر وتوجيه النشاط الضروري لتحقيق

هدف معين، ويتطلب الجهاز الإداري وضع هيكل تفرغ فيه الواجبات والاختصاصات في قوالب محددة وأقسام معينة منعا للازدواجية، وتضارب أو تداخل الصلاحيات في العمل اليومي.

ويقوم هذا الجهاز الإداري لأي مؤسسة على مبادئ أساسية أهمها التنسيق والتدرج الرئاسي للمستويات وتحديد الواجبات للإدارات والأقسام المختلفة(١).

ويقصد بالتنسيق توجيه الجهود والقدرات البشرية نحو تحقيق الهدف المحدد بأقصى الكفاية وأقل النفقات وأقل جهد ووقت.(٢)

وعلى ضوء هذا الإطار النظري للجهاز الإداري ، فإنه يلزم أي مؤسسة أو هيئة دعوية تريد أن تعمل في مجال الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى من وجود هذا الجهاز الإداري الفعال، والذي يخضع أعمالها لقدر كبير من التخطيط والتنظيم، والموازنة بين الحاجات والإمكانات وترتيب الأولويات حماية للجهد وتوفيرا للطاقات.

وأيضا من الضرورات الملحة التي تلزم المؤسسات الدعوية بالتنظيم والتخطيط ضمن جهازها الإداري، العمل على تحسين أوضاع المسلمين الاجتماعية والمعيشية فإن الواقع الأليم الذي يعانيه معظم المسلمين في أنحاء العالم، من جهل ومرض وفقر جعلهم عرضة لكافة الخطط الاستعمارية والتنصيرية التي تسعى لاستغلال ضعفهم وتكريس تخلفهم وتحويلهم عن قبلتهم الحضارية وسلخهم من عقيدتهم الإسلامية.

فإنه في ضوء هذا الواقع لا بد من اتخاذ أسلوب العمل الإداري المنظم المتكامل الذي تقدم به الدعوة الإسلامية مصحوبة بالتنمية والخدمات الاجتماعية والإسهام في تخفيف هموم الناس الحياتية.

---

(١) د. أحمد إبراهيم أبو سن، الإدارة في الإسلام، المطبعة المصرية، ١٩٨١م، ص٦٦.

(٢) د. محمود عساف، أصول الإدارة، مكتبة لطفي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م، ص٢٨.

وهو أسلوب في الدعوة لم يطرقه الدعاة إلا منذ عهد قريب برغم ما ورد في القرآن الكريم من توجيهات تحث على الاهتمام بقضايا الناس اليومية والإسهام في حلها[١]، ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم بأنه لا اقحام للعقبة الكبرى إلا بتحرير الرقاب، وإطعام الساغبين، واليتامى والمساكين، «فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة»[٢].

وعليه يلزم أي مؤسسة دعوية أن تخدم في مختلف مجالات الحياة وأن توظف خدماتها للدعوة إلى الله وإبلاغ كلمته في مجالات التعليم والشباب والرعاية الصحية والاجتماعية والطفولة والأمومة والإغاثة، والإعلام وغيرها من مجالات الخدمة الإنسانية، وأن تضع نصب عينيها أن يقوم هذا العمل على عاتق كوادر بشرية مؤهلة وعلى قدر كبير من الفهم لطبيعة العملية التبشيرية، وهو الاختصاص المطلوب بالإضافة للإخلاص، ولأهمية هذا الجانب في المؤسسات الدعوية أورد نص الحوار الذي دار بين أحد العاملين على قمة إحدى المؤسسات الدعوية في العالم وهو معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف ـ الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي ـ سابقا ـ وبين الأستاذ عمر عبيد حسنة ـ رئيس تحرير مجلة الأمة القطرية.

السؤال: القضية الأولى التي نود أن نسمع فيها رأيا هي أن كثيرا من المؤسسات الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي الآن لا تخلو من أهل الغيرة والإخلاص والإحساس بقضايا العالم الإسلامي، لكن من جانب آخر نرى أنها

---

(١) الشيخ زين العابدين الركابي، بحث مقدم في ندوة الإعلام الإسلامي، والعلاقات الإنسانية، ضمن اللقاء الثالث للندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد بالرياض بتاريخ ٢٣ شوال ١٣٩٦هـ، ط٢، ص٣١٩، بتصرف.

(٢) سورة البلد، آية ١١-١٢.

تفتقر لأهل الاختصاص وأصحاب الخبرات القادرين على الإدارة والمتابعة وما إلى ذلك، ويمكن أن نلمح هذا في معظم مؤسسات العالم الإسلامي، وقد يعزى إلى ذلك كثير من التعثر والارتباك الذي تعاني منه هذه المؤسسات، فما رأيكم في هذه القضية؟ وهل وضعت الرابطة في اعتبارها أن تجمع بين عنصر الغيرة، وعنصر الاختصاص في مواجهة قضايا العالم الإسلامي؟

فأجاب معاليه قائلا:

* في الحقيقة ، لا بد لأي جهاز يعمل للإسلام من الغيرة على قضايا العالم الإسلامي، والإحساس بها، والإخلاص لها، وإن كانت قضية الإخلاص قضية بين الإنسان وربه،أما الناس فترصد نتائج العمل.

وبالنسبة للجهاز الإداري في المركز الرئيسي للرابطة فهناك بعض الأشخاص الذين تم الاستغناء عن خدماتهم لأنهم تجاوزوا السن، وقل عطاؤهم ولا بد أن يرتاحوا، لكن الباقين الموجودين لا بد لنا من عمل دورات تدريبية لهم أثناء العمل حتى نتبين المخلص منهم، ونتبين الذي يريد أن يعمل ويقدر على العمل، والذي تنقصه بعض المقدرة، فقد لا يكون بعضهم مجيدا في عمله، فتوفر لهم بقدر الإمكان هذه التدريبات بعض الخبرات اللازمة للعمل، فإذا ثبت أن عطاءهم قد تحسن فإنهم يستمرون في عملهم... أما النوع الثاني فيمكن أن يستغني عنه أو يبحث له عن عمل آخر.. وفي الوقت نفسه لا بد من تطعيم الجهاز الإداري، بعناصر نأمل منها الإخلاص لله تعالى والعمل والتفاني فيه، وهذا النوع من الناس على العموم قلة...ا.هـ.[1]

ولعل هذه التصريحات من شخص على رأس أكبر المؤسسات المتصدرة للعمل الإسلامي يؤكد لنا أهمية وجود الجهاز الإداري المتخصص حتى تستطيع مؤسسات الدعوة أن تقوم بالدور المطلوب.

---

(١) كتاب الأمة، فقه الدعوة ملامح وآفاق، ص٩٢-٩٣، مرجع سابق.

المطلب الثاني

تحديد موارد تمويل ثابتة

يعتبر توفير المال اللازم لتسيير خطة المؤسسات والهيئات الدعوية من أهم مقومات نجاحها، وقد كان لنظام الوقف[1] الإسلامي أثره الكبير في نجاح الكثير من مشاريع الدعوة الإسلامية على مدار التاريخ الإسلامي وامتداده؛ ولذا يجب على كل مؤسسة تحترم نفسها وتريد الاستمرار في خطتها وبرامجها المرسومة أن تحسن التعامل مع قضية التمويل.

وليس هناك أسلوب في التمويل أفضل من أسلوب التمويل الذاتي عن طريق الاستثمار وتطوير الموارد المتاحة للمؤسسة والبحث عن بدائل تتناسب وإمكانات المؤسسة حتى تضمن لها عائدا ماديا مجزيا يسهم في تسيير برامج الدعوة.

إذا إن الاعتماد على الهبات والصدقات وغيره من الموارد المالية غير الثابتة، يشكل عقبة في طريق استمرارية نشاط المؤسسة بفاعلية.

وعليه لا بد من إيجاد مصادر تمويل ثابتة لأعمال المؤسسات، بحيث تصبح ميزانيتها حقيقة لا خيالا، وواقعا ملموسا لا أملا...

والمؤسف حقا أن معظم المؤسسات والهيئات الدعوية في المجتمع الإسلامي لم تحسن التعامل مع قضية التمويل، ولم تعر هذا الجانب كبير اهتمام، وقد توقفت كثير من مشروعاتها وبرامجها بسبب قلة المال اللازم لتسييرها، بل إن بعض الهيئات والمنظمات الدعوية توقف نشاطها بسبب التمويل.

---

(١) د. حسين عبد المجيد هاشم، دور الأوقاف الخيرية في حياة المجتمع الإسلامي وموقف الشيوعية منها، مجلة الأزهر، جـ٨، السنة ٤٩، شوال وذو القعدة، ١٣٩٧هـ، أكتوبر ١٩٧٧م،ص١٧٠٤-١٧٠٥،بتصرف.

وعلى سبيل المثال لا الحصر إن منظمة الدعوة الإسلامية ومقرها ـ السودان ـ الخرطوم [1] ـ توقفت معظم مشروعاتها بسبب مسألة التمويل عندما نشبت حرب الخليج الثانية.. ولولا أن لديها بعض المشروعات الاستثمارية التي تدر عليها عائدا ماديا لا بأس به لتوقفت تماما. [2]

وفي المقابل نجد أن مؤسسات ومنظمات التنصير الصليبية في العالم تزداد قوة يوما بعد يوم، وذلك لما تجده من تمويل ثابت من الدول النصرانية ومن تبرعات أفراد ومؤسسات تقوم باستقطاع نسب معينة من رواتب الأفراد وأرباح المؤسسات، توضع شهريا في حسابات تلك المؤسسات التنصيرية، مما يضمن لها

---

(١) منظمة الدعوة الإسلامية: اجتمع نفر من المهتمين بأمر الدعوة الإسلامية من مختلف الأقطار في رجب ١٤٠٠هـ، أجمعوا على ضرورة إنشاء كيان إسلامي متخصص للاضطلاع بعبء الدعوة الإسلامية في أفريقيا، فجاء قرار إنشاء المنظمة، ومقرها في السودان ـ الخرطوم ـ ومن الدول الأعضاء في مجلس أمناء المنظمة: المملكة العربية السعودية، الإمارات العربية، مصر، والرئيس الحالي لمجلس الأمناء هو المشير/ عبد الرحمن سوار الذهب، حاكم السوادان الأسبق. انظر: دليل منظمة الدعوة الإسلامية، ط٤، ١٤٠٩هـ جدة، مطابع سحر، ود. عبد الرحمن الضحيان، المنظمات الدولية الإسلامية والتنظيم الدولي، دراسة مقارنة، ص٤١٧، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩١م، بدون دار نشر.

(٢) انظر: مجلة الشرق القطرية، عدد ١٩١، بتاريخ ١٤١٢/٩/٢هـ مقابلة مع نائب المدير التنفيذي لمنظمة الدعوة الإسلامية، الأستاذ عبد السلام سليمان.

موارد ثابتة يمكنها على ضوئها أن تضع خططها وبرامجها لعشرات السنين[١].

ولولا المناعة الذاتية التي توجد في دين الإسلام الحق، واتفاق هذا الدين مع الفطرة السليمة، التي فطر الله الناس عليها، لكانت نتائج التبشير الصليبي أشد خطورة ولكن الله ينصر دينه الذي اختاره لعباده، ويحبط كيد أعدائه، وصدق الله العظيم إذ يقول: «إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا إلى جهنم يحشرون»[٢] لذا فإنه من الواجب على الحكام المسلمين والدعاة والمؤسسات الدعوية أن يفكروا في كيفية إيجاد موارد ثابتة وتنميتها حتى تصبح تلك المؤسسات قادرة على العمل بفاعلية ولتقوم بدورها على الوجه المطلوب، وإبطال خطط وبرامج التنصير في العالم الإسلامي..

المطلب الثالث

إنشاء مركز معلومات متكامل

- أولا مفهوم المعلومات:

يستخدم لفظ المعلومات للدلالة على أشياء عديدة، وشاع استخدامها في الأغراض التجارية والدعائية أكثر من استخدامها في المفهوم العلمي لها المرتبط بالتوثيق والمكتبات.

ولفظ (معلومات) في اللغة تعني «كل ما يعرفه الإنسان عن قضية أو حادثة»[٣]، وليس هناك تعريف علمي دقيق بالرغم من أن المدلول ليس فيه

---

(١) د. محمد حسين الذهبي، بحث مقدم للمؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، ٢٤ . ١٣٩٧/٢/٢٩هـ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، بعنوان مشكلات الدعوة والدعاة، جـ٢، ص١١.

(٢) سورة الأنفال، آية ٣٦.

(٣) المنجد الأبجدي، دار الشرق، بيروت، ط١٩٦٧م، ص٩٧٩.

غموض، فبعضهم يعرفها على أنها «الشيء الذي يغير الحالة المعرفية للشخص عن موضوع ما»[1]، وقد أشار (مكنز مصطلحات المكتبات والمعلومات إلى المعاني الثلاثة الآتية:

١- الحقائق الموصلة.

٢- رسالة تستخدم لتمثيل حقيقة أو مفهوم.

٣- عملية توصيل حقائق أو مفاهيم من أجل زيادة المعرفة[2].

وبعضهم يخلص إلى أن المعلومات «هي الحقائق والأفكار عن الناس والأماكن، أو هي معرفة تكتسب من خلال الاتصال أو البحث أو التعليم أو الملاحظة»[3].

ولفظ معلومات (INFORMATION) له ارتباط بمعنى البيانات (DATA) التي يقصد منها المادة الخام المسجلة كرموز، أوهي أرقام أو جمل أو عبارات يمكن للإنسان تفسيرها أو تعليلها، إذ المعلومات هي نتيجة لتجهيز البيانات من نقل أو اختبار أو تحليل، أو هي نتائج التفسيرات أو التعليلات التي تأخذ عادة شكل تقرير مركب من هذه البيانات ويبني على تقارير ونظريات وحقائق علمية أخرى مسلم بها»[4].

---

(١) لانكستر ولفرد: نظم استرجاع المعلومات، ترجمة حشمت قاسم، ص٣٥-٣٦، مكتبة غريب، القاهرة، ط١٩٨١م

(٢) د. محمد فتحي عبد الهادي: مكنز مصطلحات علم المكتبات والمعلومات، ص١٣٥، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.

(٣) المرجع السابق، ص١٣.

(٤) د. محمد فتحي عبد الهادي، مقدمة في علم المعلومات، ص١٣، مكتبة غريب، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

كما أن لها ارتباط بلفظ المعرفة (KNOWLEDGE) التي تعني «المفاهيم والحقائق المستخدمة من تلك التقارير»[1].

ولعلي أخلص من التعريفات السابقة لمفهوم المعلومات بأنها حقائق ومعارف عن الناس والأماكن والأشياء، يكون عنصر الجدة غالبا عليها.

ثانيا: المقصود بمركز المعلومات:

مركز المعلومات هو من المصطلحات التي تطلق للدلالة على المؤسسات المعنية بتوفير المعلومات وإتاحة الانتفاع بها»[2]. وهو ما يعرف بخدمات المعلومات، ويطلق عليه مصطلحات أخرى مثل جهاز المعلومات أو شعبة المعلومات أو وحدة، أو قسم .. الخ بحسب المستوى الإداري لتلك الجهة المعنية بالمعلومة، وأيا كانت وتنظيمها وتحليلها وحفظها لاسترجاعها وبثها والإفادة منها عند الحاجة إليها»[3]، ونلحظ من هذا التعريف أن جمع المعلومة وتوثيقها جزء من مهام مركز المعلومات؛ لذا فهي تشترك في هذه الجزئية مع المكتبة، كما تشترك معها في العناية بالتصنيف الموضوعي، لذا كانت مراكز المعلومات على صلة وثيقة بعلم المكتبات، وارتبط في العصر الحاضر استرجاع المعلومات وتحليلها وتصنيفها باستخدام الحاسبات الإلكترونية.

ومن هذا يتضح أن مركز المعلومات هو الهيئة التي تقوم بتجميع البيانات وتجهيزها وتصنيفها وبثها.

---

(١) المرجع السابق، ص١٤.

(٢) المرجع السابق، ص١٦٥.

(٣) د. أحمد بدر، التنظيم الوطني للمعلومات، ص١٧، ط١٤٠٨هـ، دار المريخ للنشر، الرياض.

- أهمية مركز المعلومات:

ترتبط أهمية وجود مراكز المعلومات بمشكلة المعلومات نفسها التي تحمل في تضاعيفها عدة مشكلات، كمية وكيفية، ويمكن تلخيصها فيما يلي:[١]

١- النمو الهائل في حجم الإنتاج الفكري في مختلف المجالات والتخصصات[٢] مما أدى إلى الاهتمام بخدمات الإستخلاص والمراجعات العلمية، وغيرها من الخدمات التي تقدم المعلومات بشكل مركز إلى فئات معينة من المستفيدين.

٢- تشتت الإنتاج الفكري في منافذ النشر المختلفة من دوريات وغيرها ، مما أدى إلى ابتكار أساليب جديدة لإعداد الكشافات.

٣- تعدد لغات الإنتاج الفكري الذي يحتاج إلى جهد كبير للترجمة ، وما يرتبط بها من نظم الإسترجاع متعدد اللغات.

٤- تأخر وصول المعلومات المنشورة في عدة منافذ، نظرا لتباعد الأماكن، مما استدعت الحاجة إلى الاهتمام بشبكة المعلومات وغيرها من أشكال الأنشطة المختلفة.

٥- ارتفاع أسعار المطبوعات التي بدأت تتزايد حدتها بمعدل سريع جدا يفوق الزيادة في المؤشرات العامة لمعدل التضخم، هذا كله أدى إلى إيجاد ما يعرف

---

(١) انظر: د. محمد فتحي عبد الهادي: مقدمة في علم المعلومات، ص٢٩، ود. حشمت قاسم، ص٨، د. أحمد بدر، التنظيم الوطني، ص١٥ وما بعدها، ود. محمد محمد الهادي، نظم المعلومات في المنظمات المعاصرة، دار الشروق، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٢) تتراوح معدل النمو السنوي للإنتاج الفكري، ما بين ٤٪ إلى ٨٪ وهذا يشير إلى أن فترة التضاعف للمواد تتراوح ما بين ١٠-١٥ سنة، وأبرز ما يكون ذلك في مجال العلوم والتكنولوجيا، وخاصة الفيزياء إذ يتضاعف فيه الإنتاج، ما بين ٥-٨ سنوات، انظر، د. محمد فتحي عبد الهادي، مقدمة في علم المعلومات، ص٢٩ وما بعدها.

بخدمات البث الانتقائي للمعلومات التي تهدف إلى (حل المعادلة الصعبة الناتجة عن ضخامة ما ينشر من جهة، وضيق الوقت المتاح للقراءة والاطلاع والاستيعاب من جهة أخرى، ووراء كل هذه التطورات يقف الحاسب الإلكتروني بكل طاقاته وإمكاناته، كما أثمرت المزاوجة بين الحاسب الإلكتروني العملاق وتكنولوجيا الاتصالات شكلا جديدا متميزا من الخدمات وهو الاسترجاع على الخط المباشر (ON LINE) الذي يخدم الآن أهداف البحث الراجع كما يخدم أهداف البث الانتقائي.

ومن هنا يتضح لنا أهمية المعلومة بالنسبة لأي نشاط مهما صغر حجمه، والدعوة إلى الله سبحانه وتعالى، ولا شك تعد من أهم النشاطات التي تحتاج للمعلومات المتكاملة حتى يستطيع القائمون على أمرها على ضوء هذه المعلومات أن يضعوا الخطط والبرامج والوسائل المناسبة لتحقيق الأهداف، ولعلنا نجد إشارات في القرآن الكريم والسنة النبوية ما يمكننا الاستئناس به في أهمية الاعتناء بالمعلومات جمعا وتصنيفا وتحليلا وتخزينا، واستخلاصا لها في مختلف أوجه النشاطات، ففي قصة نبي الله سليمان مع الهدهد وملكة سبأ إشارة إلى ذلك، قال الله تعالى: «وتفقد الطير فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ أم كان من الغائبين؟ لأعذبنه عذابا شديدا أو لأذبحنه، أو ليأتيني بسلطان مبين، فمكث غير بعيد فقال: أحطت بما لم تحط به، وجئتك من سبأ بنبأ يقين، إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء، ولها عرش عظيم، وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان أعمالهم، فصدهم عن السبيل، فهم لا يهتدون، ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض، ويعلم ما تخفون وما تعلنون، الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم»[١].

ويعلق على ذلك الشيخ سيد قطب رحمه الله، قائلا: «فها هو ذا الملك النبي

---

(١) سورة النمل، آيات ٢١-٢٦.

سليمان في موكبه الفخم الضخم، ها هو ذا يتفقد الطير فلا يجد الهدهد، ونفهم من هذا أنه هدهد خاص، معين في نوبته من هذا العرض، وليس هدهدا ما من بين تلك الألوف أو الملايين التي تحويها الأرض من أمة الهداهد..»[1].

ولذلك جاء التوعد له من سليمان عليه السلام بالعذاب الشديد أو الذبح، إن لم تكن له حجة توضح عذره وتنفي عنه المؤاخذة.

وعندما نعلم من سياق القصة أن الحجة التي جاء بها ورفعت عنه العذاب وعقوبة الذبح، هي معلومة، أو معلومات متكاملة أحاط بها وقام بجمعها عن نظام ملكة سبأ التي كانت تقع مملكتها في جنوب الجزيرة باليمن، حينها ندرك قيمة المعلومات في مجال خدمة الدعوة إلى الله، إذ إننا نجد كيف استفاد منها نبي الله سليمان عليه السلام في توظيف تلك المعلومات في وضع خطة لدعوة ملكة سبأ وقومها.

ويقول حول هذا المعنى الإمام الطبري: «يقول تعالى مخبرا عن قول الهدهد لسليمان مخبرا بعذره في مغيبه عنه (إني وجدت امرأة تملكهم) يعني تملك سبأ، وإنما صار هذا الخبر للهدهد عذرا وحجة عند سليمان، درأ عنه ما كان أو عد به، لأن سليمان كان لا يرى أن في الأرض أحدا له مملكة معه وكان مع ذلك صلى الله عليه وسلم رجلا حُبِّب إليه الجهاد والغزو، فلما دله الهدهد على ملك بموضع من الأرض هو لغيره، وقوم كفرة يعبدون غير الله، له في جهادهم وغزوهم الأجر الجزيل، والثواب العظيم في الآجل، وضم مملكة لغيره إلى ملكه، حقت للهدهد المعذرة، وصحت له الحجة في مغيبه عن سليمان»[2].

وكذلك نجد في سيرة الرسول ﷺ شواهد كثيرة تؤكد لنا مدى عنايته واهتمامه عليه الصلاة والسلام بقيمة المعلومات في مجال الدعوة إلى الله سبحانه

---

(١) في ظلال القرآن، جـ٥، ص٢٦٣٨.

(٢) الإمام الطبري، جامع البيان، جـ١١، ص١٤٨.

وتعالى، وقد تعرضت له في مبحث كامل من هذا البحث عندما تحدثت عن أول عنصر من عناصر التخطيط للدعوة الإسلامية، وهو (معرفة الواقع)[1] وقد اتضح لنا إلمام النبي ﷺ بذلك الواقع الذي كان قائما قبل دعوته وكيف أنه استطاع توظيف معلوماته بهذا الواقع في تخطيطه للدعوة الإسلامية منذ ظهورها في مكة وإلى ما بعد بناء دولته في المدينة المنورة.

وقد بلغ اهتمام الرسول صلى الله عليه وسلم بجمع المعلومات والحصول عليها، بأن أرسل سرية كاملة تكون مهمتها جمع المعلومات عن العدو ورصد أخباره كما حدث عندما بعث عبد الله بن جحش على رأس سبعة عشر شهرا من الهجرة ومعه ثمانية رهط من المهاجرين ومعه كتاب مغلق وكلفه ألا يفتحه حتى يمضي ليلتين، وذلك إمعانا في السرية وحتى لا يعلم أحد إلى أين الاتجاه، فلما فتحه وجد فيه: «إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل بطن نخلة ـ بين مكة والطائف ـ ترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم، ولا تكرهن أحدا على المسير معك من أصحابك»[2].

وكذلك نجده صلى الله عليه وسلم يقوم بوضع خطة للدعوة في أحايين كثيرة لمن يبعثه من الدعاة على ضوء ما توفر له من معلومات، كما حدث ذلك عندما بعث معاذا إلى اليمن، فقال له: «إنك تأتي قوما أهل كتاب...»[3]الحديث، وأيضا مما يؤكد لنا اهتمامه ﷺ بالمعلومات ووسائل الحصول عليها ما رواه الشيخان عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله

---

(١) راجع المبحث الأول من الفصل الثاني من هذا البحث ص٣٨.

(٢) انظر: ابن حجر في الإصابة، جـ٢، ص٢٧٨، بإسناد متصل، وابن هشام جـ٢، ص٢٨٨-٢٩٣، وابن كثير في البداية والنهاية، جـ٣، ص٢٧٤، مهدي رزق الله، ص٣٣٤، ولمزيد من الأضواء على أحكام وعبر هذه السرية انظر: الغزالي، فقه السيرة، ص٢٣١.

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح، جـ٣، ص٣٧٧، كتاب الزكاة، رقم ١٤٥٨.

عليه وسلم، فقال: «احصوا لي كم يلفظ الإسلام»، وفي رواية للبخاري أنه قال: «اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام من الناس» قال حذيفة، فكتبنا له ألفا وخمسمائة رجل...»[1] الحديث.

ولا شك أن الإحصاء هو من أهم الطرق العلمية في جمع وتصنيف المعلومات، وقد جاءت الدراسات في العصر الحديث مؤكدة عليه ومتوسعة في أساليبه وفنونه.

«والإحصاء الذي تم في عهد مبكر من حياة الدولة المسلمة، وتم بأمر من الرسول نفسه، يؤكد لنا إلى أي حد كان اهتمام الرسول ﷺ بالمعلومات والاستفادة منها في وضع خططه»[2].

وبهذا يمكننا أن نؤكد على أهمية إنشاء مركز متكامل للمعلومات يخدم الهيئات والمؤسسات الإسلامية باعتباره من أهم مقومات التخطيط فيها، وبدونه لا تستطيع القيام بوضع خططها وبرامجها، ويؤكد ذلك الدكتور إبراهيم إمام حيث يقول: «إن جمع المعلومات والإحصائيات من الخطوات الحيوية اللازمة لعملية التخطيط وتعتبر المعلومات الركيزة الأساسية التي يعتمد عليها التخطيط لأي نشاط إنساني، يضاف إلى ذلك البحوث التي تنير الطريق وتبدد الظلام»[3].

وأيضا يمكننا تحديد بعض المبررات التي تستدعي قيام جهاز للمعلومات لخدمة الدعوة الإسلامية فيما يلي:

١- الجهل الكبير بواقع المسلمين في معظم أنحاء العالم، والاعتماد التام

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الجهاد، باب كتابة الإمام الناس، جـ٦، ص٢٠٥، مع الفتح رقم ٣٠٦٠، ومسلم، جـ١، ص٢٣٥، كتاب الإيمان، باب الإستترار بالإيمان للخائف، ومسند الإمام أحمد، جـ٥، ص٣٨٤.

(٢) انظر: د. يوسف القرضاوي، الرسول والعلم، ص٤٣.

(٣) د. إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، ص٣١٢.

على وكالات الأنباء ودوائر الإعلام ومراكز المعلومات الغربية للتعرف على أحوال المسلمين، وهذا الاعتماد له آثاره السلبية التي لا تخفى إذ إن المعلومة التي تصلنا من الأعداء غالبا ما تكون موجهة وغير موضوعية.

٢- يبني على الجهل بالواقع اعتماد خطط وقرارات خاطئة تتعثر في تحقيق أهداف الدعوة السامية ولا تمكن من استبانة سبيل المجرمين والتعرف على كيدهم ومكرهم، مما جعلنا في غياب تام عن العوائق والعقبات التي تعترض سبيل الدعوة.

٣- التطورات المذهلة التي حصلت في حقلين مهمين لهما أثر كبير في مجال المعلومات، وهما نظم الاتصالات والحاسبات الآلية (الكمبيوتر) حيث أدى التوافق والتكامل في تطورهما إلى إحداث ما أصبح يتعارف عليه الناس في الوقت الحاضر بـ (الثورة المعلوماتية) فقد تم تطوير أدوات وأجهزة ومعدات ذات قدرات هائلة في كلا الحقلين، للتعامل مع المعلومات بصيغها المختلفة ومراحلها العديدة[1].

وبهذا تتضح لنا أهمية وجود جهاز فعّال لدى المؤسسات والهيئات الإسلامية يكون اختصاصه الاعتناء بالمعلومات جمعا وتصنيفا وتحليلا وتخزينا باعتباره ضرورة من ضرورات العصر التي لا يتم الواجب إلا بها.

ولا شك أن إنشاء مركز للمعلومات يحتاج إلى تمويل سخي وكوادر بشرية مؤهلة حتى تتولى القيام بمهامه ومسؤولياته، وكذلك يحتاج إلى توفير مناخ ملائم من الحرية، ولعل البادرة التي قام بها بعض المهتمين بأمر الدعوة في العالم

---

(١) انظر: دائرة المعلومات لعام، ١٩٩١، مؤسسة الآفاق المتحدة، لندن، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص٧.

الإسلامي، والمتمثلة في إنشاء مجلس عالمي للمعلومات الإسلامية[1] في العاصمة البريطانية (لندن)، تعد خطوة رائدة في هذا المجال، وإذا وجدت العناية والاهتمام اللازمين من قبل القائمين عليه، كما تشجع على إقامة مراكز للمعلومات متخصصة في أنحاء متفرقة من العالم، حتى يتمكن تدارك الخلل الذي يحدث بسبب عدم وجود مثل هذه المراكز.

وأيضا هناك تفاصيل كثيرة تتعلق بإنشاء هذه المراكز مثل: كيفية الحصول على المعلومات، وأركان هذه المراكز وأنواعها ومستوياتها، ومجالاتها، إلى غير ذلك من تفاصيل، وقد تركت الحديث عنها اعتبارا للإيجاز في مثل هذا المطلب من المبحث.

الأهداف التي يمكن أن تحققها مراكز المعلومات للهيئات والمؤسسات الإسلامية:

١- توفير معلومات عن واقع المجتمعات بطريقة تخدم القائمين بأمر الدعوة

---

(١) أنشأته مجموعة من الشخصيات البارزة من علماء الشريعة والخبراء في مجال الاقتصاد والمال وعدد من مساندي الدعوة والدعاة من أنحاء العالم، وذلك بهدف صد التيار العالمي المتزايد لإثارة الشبهات الباطلة ضد الإسلام، وذلك من طريق نشر المعلومات الصحيحة من خلال إنشاء هيئة عالمية لهذا الغرض وقد جاء التوجيه بإنشاء المجلس أثناء المؤتمر العالمي الذي عقد في مدينة شيكاغو الأمريكية في نهاية أغسطس وبداية سبتمبر ١٩٩٣م، ومن الأعضاء المؤسسين لهذا المجلس:

الشيخ عبد الله علي المطوع رئيس إدارة جمعية الإصلاح الاجتماعي ومجلة المجتمع رئيسا للمجلس، ود. مانع بن حماد الجهني، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي رئيسا لمجلس الأمناء، والداعية الألماني أحمد نون وينفر، نائبا للرئيس كما يحظى هذا المجلس بدعم وتأييد أشهر الشخصيات الإسلامية في العالم الإسلامي.

مجلة المجتمع، العدد ١١٢٤، ١٥ جمادى الآخرة، ١٤١٥هـ

ومتخذي القرارات وواضعي الخطط في المؤسسات والهيئات الإسلامية.

٢- تحليل البيانات للحصول على المعلومات المحددة واللازمة لعمليات اتخاذ السياسة الدعوية، والتخطيط والتحكم والتنبؤ بما سيؤول إليه أمر الدعوة في بيئة من البيئات.

٣- دراسة المشكلات التي تعوق نمو المؤسسات والهيئات الإسلامية سواء ما يتعلق منها بشؤون الكم أو الكيف على مستوى كل قطر، أو على مستوى الأقطار الإسلامية، وكذلك يمكن أن تسهم في عملية التنسيق فيما بينها في المجالات المختلفة عن طريق الإحصاءات والمعلومات الدقيقة، والتأكد من مدلولاتها لاستخدامها أو الاستفادة منها عند الحاجة.

٤- توفير البيانات الموحدة عن واقع العالم الإسلامي وما يجيش فيه من تيارات وحركات وخطط مضادة موجهة إليه من الخارج، وذلك لأنه قد توجد بعض من المعلومات تقل أو تكثر عند بعض الهيئات ولكنها غير متكاملة ولا يستفاد منها بالصورة المثلى في تحقيق العمل الموحد[1].

وغير ذلك من الأهداف والفوائد التي يمكن أن تحقق من إنشاء مثل هذه المراكز.

وعليه ينبغي على القائمين والمهتمين بأمر الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر الإسراع في الاهتمام بتأسيس مراكز متكاملة للمعلومات حتى تؤدي الدور المطلوب منها.

---

(١) حول أهداف مراكز المعلومات انظر:

- مكتب التربية العربي لدول الخليج، دراسة إنشاء مركز رئيس للمعلومات في مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص٥٠، الرياض، ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م، ود.حشمت قاسم، خدمات المعلومات مقوماتها وأشكالها، ص٦٦-٦٧. ومجلة المجتمع الكويتية، العدد١١٢٤، تاريخ ٥ جمادى الآخرة، ١٤١٥هـ.

الفصل الرابع

تأثير التخطيط في نجاح الدعوة

المبحث الأول: معرفة المواقع الخصبة.

المبحث الثاني: الترتيب والتنظيم.

المبحث الثالث: التقويم الدعوي.

الفصل الرابع

التخطيط وأثره في نجاح الدعوة

لما كان التخطيط عملا مرتبا ومنظما لتحقيق غايات معينة فإنه لذلك يستدعي متطلبات محدودة حتى يمكن القيام به والاستفادة منه للوصول إلى تلك الغايات، وبقدر ما تتمتع به تلك المتطلبات من وضوح وبروز يكون التخطيط أقرب ما يكون للنجاح وتحقيق الثمرات، ولعل أهم ما يترتب على الأخذ بالتخطيط النقاط التالية:

١- معرفة المواقع الخصبة.

٢- الترتيب والتنظيم.

٣- التقويم.

وهذه النقاط وإن كانت من مقومات التخطيط إلا أنها في ذات الوقت تعتبر من أهم نتائجه وثمراته المهمة، إذ إنه بدون العمل المخطط لا يمكن الاهتمام بالمواقع الخصبة التي تعد المقوم الأساس للترتيب والتنظيم، حيث يعتمد ذلك على المواقع الخصبة التي تم التوصل إليها عن طريق السير والاستقصاء أو ما يعرف بالإحصاء، ولأن الترتيب والتنظيم يضمن الفاعلية وحسن الاستقلال والأداء لتلك المواقع الخصبة، فإن ذلك يقتضي المحافظة على هذه الفاعلية ولا يكون ذلك إلا بالمتابعة الدقيقة للأداء ومراقبة سيره حتى يمكن تعديل وتصحيح المسار كلما ألمّ به عائق يقلل من تلك الفاعلية وهذا ما يعرف بالتقويم.

وعلى هذا فسوف أحاول تتبع بعض النماذج لهذه العمليات المتلازمة الثلاثة في تاريخ الدعوة الإسلامية عسى أن يكون ذلك بابا يفتحه الدعاة ليسترشدوا به في سعيهم للتمكين لدين الله تعالى في الأرض.

المبحث الأول

معرفة المواقع الخصبة

إنما نعني بالمواقع الخصبة تلك العناصر الفاعلة والمؤثرة أكثر من غيرها والتي تتميز بسمات تجعلها موضع اهتمام المخططين سواء كانت تلك العناصر بشرية أم جغرافية أم وسائلية.

وقد كانت هذه العناصر بجميع صورها محل اهتمام كبير من الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين ثم الدعاة المصلحين من بعدهم.

المطلب الأول

المواقع البشرية

لقد كان الرسول ﷺ شديد الحرص على الاستفادة من جميع الإمكانات المتوفرة التي تساعد في الوصول إلىالهدف المطلوب لنجاح الدعوة ونشر الدين الحنيف، ويظهر ذلك جليا في معرفته بأحوال الرجال، والاستفادة من كل طاقة لديهم واستخلاص رأيهم الصائب واتباع مشورتهم ووضع كل منهم في مكانه المناسب، حيث كان صلى الله عليه وسلم في كل هذا الأسوة الحسنة والمثل المحتذى.

ولقد كان هذا من أقوى الأسباب والعوامل لنجاح الدعوة وسيرها في الخط المرسوم نظرا لما في تصرفاته تلك من استغلال للطاقات، وتجميع لها وأخذ بالأمثل فالأمثل وتحري الأصوب، وتحمل كل فرد لمسؤوليته.[1]

وهذا المنهج في الاكتشاف والإعداد للرجال ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، ووضع الرجال الذين يحملون دين الله تعالى ليس بدعا منه صلى الله عليه وسلم إذ إن الله تعالى قد بين في كتابه أنه يختار من الملائكة رسلا ومن

---

(١) عبدالله بن محمد آل موسى، أسباب نجاح الدعوة الإسلامية، ص٣٢٧، عالم الكتب، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

الناس وأنه يصطفي من عباده من يشاء لحمل رسالته إلى الناس، فقال تعالى: «الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس إن الله سميع بصير»[1]، وقال تعالى: «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»[2]. وعن واثلة بن الأسقع قال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله اصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني من بني هاشم»[3]، وعن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أن النبي ﷺ صعد المنبر فخطب فقال: «إن الله خلق الخلق فجعلني من خير خلقه، وجعلهم فرقتين فجعلني من خير فرقة، وخلق القبائل فجعلني من خير قبيلة، وجعلهم بيوتا فجعلني من خيرهم بيتا فأنا خيركم بيتا من خيركم نفسا»[4].

ومن هذه النصوص يتبين أن حمل الرسالات والدعوات يتطلب رجالا يتميزون بخواص تؤهلهم للقيام بهذا الدور خير قيام، وقد كان صلى الله عليه وسلم، خير شاهد لذلك، حيث إنه بما توفر فيه من صفات الفضل والتمييز التي هيأها الله تعالى فيه صار أهلا للاصطفاء وحمل الرسالة، وبذلك كانت رسالته أعظم الرسالات وخاتمتها، ودينه أكمل الأديان وخاتمها، وما كان ذلك بمستغرب حيث كان لأسرته ﷺ الفضل على غيرهم آنذاك حيث كانوا أصحاب رئاسة وأصحاب سلطان في مكة وعرفوا بصفات النبل والمروءة والكرم.

فقد كان قصي بن كلاب[5] أحد أجداد الرسول صلى الله عليه وسلم عندما كثر أولاده وقوي أمره وعظم شرفه رأى أنه أولى بالكعبة وأمر مكة من غيره،

---

(١) سورة الحج، آية، ٧٥.

(٢) سورة فاطر، آية ٣٢.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم، جـ١٥، ص٣٦.

(٤) مسند الإمام أحمد، تحقيق أحمد شاكر، جـ٣، ص٢٢٤، دار المعارف، مصر.

(٥) بن هشام، السيرة النبوية، جـ١، ص١٢٤-١٢٥.

لأنه من قريش ونخبة إسماعيل، فقد أصاب ملكا أطاع به له قومه فكانت إليه الحجابة [1] والسقاية [2] والرفادة [3] والندوة [4]، واللواء [5].

وكذلك ابنه هاشم فهو أول من أطعم الحجاج الثريد بمكة، وكان اسمه عمر، وما سمي هاشما إلا لهشمه الخبز لقومه، ومن مآثره كذلك أنه أول من سن رحلتي الشتاء والصيف [6]، ومثله عبد المطلب بن هاشم جد الرسول ﷺ وسيد قريش بلا منازع، الذي بلغت شهرته الآفاق، حيث كان رجلا متدينا صادق اللهجة ملتزما بمحارم دين قومه في الجاهلية، وكان أول من طلى الكعبة ذهبا من ماله، وقام بتجديد حفر زمزم عندما اشتدت حاجة مكة إلى الماء [7]، وإنما تظهر مكانة هذه الزعامة بظهور مكانها، حيث كانت في قريش التي هي خير قبائل العرب قاطبة كما سبق قوله صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت زعامة العرب إليها . ومما زاد من فضل قريش كونهم حلفاء متضامنين متآلفين، متمسكين بكثير من شريعة إبراهيم الخليل عليه السلام، ولم يكونوا كالأعراب الذين لا يوقرهم ولا يزينهم أدب.

كما كانوا متمسكين ببعض شعائر الحج، مقيمين لبعض نسكه وغيرها من

---

(١) الحجابة: أن تكون مفاتيح البيت عنده فلا يدخله أحد إلا بإذنه.

(٢) السقاية: يعني سقاية زمزم، وكانوا يصنعون بها شرابا في الموسم للحجاج.

(٣) الرفادة: طعام كانت قريش تجمعه كل عام لأهل الموسم.

(٤) الندوة: الاجتماع للمشورة والرأي، وكانت الدار التي اتخذها قصي لذلك يقال لها دار الندوة.

(٥) اللواء: يعني في الحرب، لأنه كان لا يحمله عندهم إلا قوم مخصوصون.

(٦) المصدر السابق، جـ١، ص١٣٦.

(٧) نفس المصدر، جـ١، ص١٣٦، وما بعدها بتصرف.

الشعائر، وما تعارفوا عليه من عادات وفضائل انفردوا بها عن سواهم[١]، وكان تتويج فضلهم وتعظيم شأنهم أن نزل القرآن بلسانهم، فقد روي عن أنس رضي الله عنه أن عثمان بن عفان رضي الله عنه عندما كلف الثلاثة الرهط من القرشيين بنسخ القرآن في المصاحف قال لهم: «إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل القرآن بلسانهم، ففعلوا ذلك»[٢].

ولما كان تبليغ الدين والدعوة إليه هي الغاية من رسالته ﷺ، لزم أن يكون في أمة مهيأة للقيام بهذا الواجب العظيم لا سيما القرن الذي بعث فيه، فقد أراد الله تعالى أن يبعثه في قوم هوت إليهم أفئدة الناس ممن سواهم من قبائل العرب، فكان أصحابه رضي الله عنهم خير أهل الأرض أجمعين كما ثبت ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثا، ثم أن بعدكم قوما يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون ويظهر فيهم السمن»[٣].

وقد أكد القرآن الكريم هذا المعنى، إذ يقول الله تعالى في فضل صحابة رسول الله ﷺ: «والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا، ذلك الفوز العظيم»[٤].

وتأكيدا على الفضل الكبير والمكانة السامية لصحابته رضوان الله عليهم

---

(١) الألوسي، بلوغ الأرب، جـ١، ص٢٤٣.

(٢) مصنف بن أبي شيبة، تحقيق مختار أحمد الندوي، ج١٠، ص٢٦٩، كتاب فضائل القرآن.

(٣) البخاري مع الفتح، كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور، رقم ٢٦٥٢، جـ٥، ص٣٠٦.

(٤) التوبة، آية ١٠٠.

أسوق ما رواه بردة عن أبيه رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النجوم أمنة للسماء فإذا ذهبت أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي، فإذا ذهبت أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون»[1]. قال النووي: «وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون، معناه: من ظهور البدع والحوادث في الدين والفتن فيه وطلوع قرن الشيطان وظهور الروم وغيرهم عليهم وانتهاك المدينة ومكة وغير ذلك، وهذه كلها من معجزاته صلى الله عليه وسلم»[2]، ومثله ما رواه ابن أبي شيبة عن واثلة بن الأسقع رضي الله عنه، قال: قال ﷺ «لا تزالون بخير ما دام فيكم من رآني وصاحبني، والله لا تزالون بخير ما دام فيكم من رأى من رآني وصاحب من صاحبني»[3].

ومما سبق يتبين أن صحابة رسول الله ﷺ هم خير أمته مع ثبوت الفضل لهم أجمعين، إلا أن هناك تفاضلا فيما بينهم، فخير الصحابة وأفضلهم الخلفاء الأربعة، وخير الأربعة أبوبكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي[4] رضوان الله عليهم، وبالنظر إلى خلافة هؤلاء الأربعة نجدها خير قرون الإسلام من بعد عهد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث مكّن الله تعالى بهم الدين وفتح بهم البلاد وأخمد بهم الفتن.

وقد كان ﷺ على علم تام بخواص أصحابه وقدراتهم وما يتميز به كل منهم، إذ قد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم ، ما يفيد ذلك ويدل عليه في كثير من

---

(١) مسلم، بشرح النووي، جـ١٦، ص٢٨.

(٢) مسلم بشرح النووي، نفس الصفحة.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة، جـ١٢، ص١٧٨.

(٤) مسلم بشرح النووي، جـ١٦، ص٨٢.

الأحاديث فقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم، فيما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «نعم الرجل أبو بكر، نعم الرجل ثابت بن قيس بن شماس، نعم الرجل معاذ بن جبل، نعم الرجل معاذ بن عمرو بن الجموح»[١].

وكان صلى الله عليه وسلم يخبر عن خصائص ومميزات بعض أصحابه ، ومن ذلك قوله عن عبد الله بن جحش أحد المهاجرين إلى الحبشة، «لأبعثن عليكم رجلا أصبركم على الجوع والعطش»[٢].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل أمة أمين، وإن أمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[٣].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «بعث النبي ﷺ بعثا وأمر عليهم أسامة بن زيد، فطعن بعض الناس في إمارته، فقال صلى الله عليه وسلم: «إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل، وأيم الله إن كان لخليقا للإمارة وإن كان لمن أحب الناس إليّ وإن هذا لمن أحب الناس إليّ بعده»[٤]، وفي رواية لمسلم: فأوصيكم به فإنه من صالحيكم»[٥]، وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياء عثمان، وأعلمهم بالحلال والحرام، معاذ بن

---

(١) الترمذي، حديث رقم ٣٧٩٥، كتاب المناقب، باب ٣٣، جـ٥، ص٦٢٥.

(٢) ابن حجر ، الإصابة في تمييز الصحابة، جـ٢، ص٢٨٦-٢٨٧.

(٣) البخاري، كتاب مناقب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب مناقب أبي عبيدة بن الجراح، جـ٧، ص١١٦، رقم ١٧٤٤.

(٤) البخاري مع الفتح، جـ٧، ص١٠٨-١٠٩، رقم ٧٣٣٠، باب مناقب زيد بن حارثة.

(٥) مسلم مع النووي، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل زيد بن حارثة وابنه أسامة، رقم ٦٣، جـ١٥، ص٥٦٧.

جبل، وأفرضهم زيد بن ثابت، وأقرأهم أبي، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[١].

وقال ﷺ : «لصوت أبي طلحة أشد على المشركين من فئة»[٢].

وقد ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال لأبي ذر رضي الله عنه، يا أبا ذر إني أراك ضعيفا وإني أحب لك ما أحب لنفسي: لا تأمَّرنَّ على اثنين ولا تُولّين مال يتيم،» مع أنه صلى الله عليه وسلم قال فيه: «ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذر»[٣].

بل إن الرسول صلى الله عليه وسلم كان عليما بخواص قومه حتى قبل إسلامهم فقد ثبت عنه أنه دعا الله تعالى أن يعز الإسلام بأحد اثنين، وذلك فيما رواه الترمذي عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، أبي جهل أو بعمر بن الخطاب، قال وكان أحبهما إليه عمر»[٤].

وقد استجاب الله تعالى، لدعوة نبيه ﷺ فأسلم عمر رضي الله، وأعز الله تعالى به الإسلام، حيث قال عبد الله بن عمر: «ما زلنا أعزة منذ أن أسلم عمر»[٥].

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب ٣٣، رقم ٣٧٩٠، جـ٥، ص٦٢٢، وابن ماجة ، المقدمة، باب ١١، رقم ١٥٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند، جـ٣، ص٢٠٣.

(٣) الترمذي، حديث رقم ٣٨٠٢، كتاب المناقب، باب مناقب أبي ذر.

(٤) الترمذي، حديث رقم ٣٦٨١، كتاب المناقب،باب مناقب عمر.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، جـ٧، ص٥١، رقم ٣٩٨٤.

والشواهد على معرفته صلى الله عليه وسلم بخصائص وقدرات أصحابه كثيرة لا سبيل لاستقصائها وما أشرنا إليه يفي بالمقصود.

وكذلك توظيفه صلى الله عليه وسلم لهذه المعرفة بكوادره في أماكنها المناسبة وذلك بوضع الرجل المناسب في المكان المناسب، مما أسهم في نجاح خطط الدعوة في جميع مجالاتها، فإنه مثلا في مجال الحرب كان يولي خالد بن الوليد منذ أن أسلم وقال عنه: «إن خالدا سيف سله الله على المشركين» مع أنه أحيانا قد يعمل ما ينكره النبي ﷺ، إذ إنه مرة رفع يديه إلى السماء، وقال: اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد»[1] لما أرسله إلي بني جذيمة فقتلهم وأخذ أموالهم، بنوع شبهة ولم يكن يجوز له ذلك، حتى وداهم النبي صلى الله عليه وسلم وضمن أموالهم، ومع هذا فما زال يقدمه في إمارة الحرب لأنه كان أصلح في هذا المجال من غيره.[2]

وقد سار الخلفاء الراشدون رضوان الله عليهم على هذا المنهج حيث كانوا يولون على الأعمال بحسب ما يعرفونه في الصحابي من قدرات ومكانة في الإسلام، وكان ذلك منذ ولاية أبي بكر للخلافة، فقد قال علي والزبير رضوان الله عليهما: «وإنا نرى أبا بكر أحق الناس بها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، إنه لصاحب الغار، وإنا لنعرف شرفه وخيره، ولقد أمره رسول الله ﷺ بالصلاة بالناس وهو حي»[3].

---

(١) البخاري، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عيه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، جـ٧، ص٦٥٣، حديث رقم ٤٣٢٩.

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية في صلاح الراعي والرعية، ص٢٣، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٤٠٥هـ

(٣) الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، الخلفاء الراشدون من تاريخ الذهبي ، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٨هـ ص٧.

وقد وضع علي رضي الله عنه قاعدة كلية جليلة لاختيار الحكام والقادة والقضاة وغيرهم، وذلك في رسالته الشهيرة إلى الأشتر النخعي، والتي يقول فيها: «ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا تُمَحِّكُه[١] الخصومة ولا يتمادى في الزلة، ولا يَحْصَرَ[٢] في الفي[٣] إلى الحق إذا عرفه، ولا تشرف نفسه على طمع، ولا يكتفي بأدنى فهم دون أقصاه، وأوقفهم في الشبهات وآخذهم بالحجج، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصم وأصبرهم على كشف الأمور، وأصرمهم عند اتضاح الحكم ممن لا يزدهيه إطراء، ولا يستميله إغراء، وأولئك قليل»[٤].

وبالنظر إلى الشروط التي ذكرت في النص نجد أنها تعود إلي أصلين هما: القوة والأمانة، وهذان الأصلان هما اللذان أشار إليهما شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: «جعل الشرع أصلا ثابتا لولاية الأمر وعموم الولايات: «إن خير من استأجرت القوي الأمين»[٥]، وقال أيضا: وينبغي أن يعرف الأصلح في كل منصب فإن الولاية لها ركنان: القوة والأمانة، كما قال الله تعالى: «إن خير من استأجرت القوي الأمين»، وقال صاحب مصر ليوسف عليه السلام: «إنك اليوم لدينا مكين

---

(١)تمحكه: قال القاموس : محك كمنع: لجّ، فهو مَحِك، ككتف، وتماحكا، تلاجا، أي تجعله لجوجا في الخصومة الفيروز أبادي، القاموس المحيط، باب الكاف، فصل الميم، ص١٢٣٠.

(٢) الحصر: العي.

(٣) الفي: الرجوع.

(٤) الإمام علي بن أبي طالب، نهج البلاغة، إخراج، د. صبحي الصالح، دار الكتاب اللبناني، ط١٩٨٢،٢م.

(٥) القصص، آية ٣٦.

أمين»[١]، وقال تعالى في صفة جبريل عليه السلام: «إنه لقول رسول كريم، ذي قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين»[٢].

ثم بين أن القوة في كل ولاية تكون بحسبها، فالقوة في ولاية الحرب ترجع إلى شجاعة القلب وإلى الخبرة في الحروب والمخادعة فيها، والقدرة على أنواع القتال، والقوة في الحكم بين الناس ترجع إلى العلم بالعدل الذي دلّ عليه الكتاب والسنة وإلى القدرة على تنفيذ الأحكام[٣].

والأمانة ترجع إلى خشية الله تعالى وألا يشتري بآياته ثمنا قليلا وترك خشية الناس، وهذه الخصال الثلاثة التي اتخذها الله على كل من حكم على الناس في قوله تعالى: «فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»[٤].

ويمضي شيخ الإسلام رحمه الله تعالى مبينا أن اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل، وهو ما أشار إليه علي رضي الله عنه في رسالته السابقة للأشتر بقوله: «أولئك قليل» ولهذا كان عمر رضي الله عنه يقول: «اللهم إني أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة»[٥]. فالواجب في كل ولاية اختيار الأصلح بحسبها، فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة، والآخر أعظم قوة قُدم أنفعهما لتلك الولاية، وأقلهما ضررا فيها، فيقدم في إمارة الحرب الرجل القوي الشجاع وإن كان فيه فجور، على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أمينا، كما سئل الإمام

---

(١) يوسف، ٥٤.

(٢) التكوير، ١٩-٢٠.

(٣) السياسة الشرعية ص ٢٠.

(٤) المائدة، آية ٤٤.

(٥) السياسة الشرعية، ص٢١.

أحمد عن رجلين يكونان أميرين في الغزو أحدهما قوي فاجر، والآخر صالح ضعيف، مع أيهما يغزى؟ فقال: أما القوي الفاجر فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه، وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين، يُغزى مع القوي الفاجر، ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم يستعمل خالد بن الوليد على الحروب منذ أسلم، وقال: إن خالدا سيف سله الله على المشركين، مع أنه كان يعمل ما ينكره النبي ﷺ حتى أنه ـ مرة ـ قام ثم رفع يديه إلى السماء وقال: «اللهم إني أبرأ إليك مما فعل خالد»[1]، لما أرسله إلي بني جذيمة فقتلهم وأخذ أموالهم بنوع شبهة ، ولم يكن يجوز ذلك وأنكره عليه بعض من معه من الصحابة ، حتى وداهم النبي ﷺ ، وضمن أموالهم، ومع هذا فما زال يقدمه في إمارة الحرب، لأنه كان أصلح في هذا الباب من غيره، وفعل ما فعل بنوع تأويل»[2].

ثم بين شيخ الإسلام أنه إن كانت الحاجة في الولاية إلى الأمانة أشد، قُدم الأمين، مثل حفظ الأموال ونحوها ، فأما استخراجها وحفظها فلا بد فيه من القوة والأمانة، فيولي عليها شاد[3] قوي يستخرجها بقوته ، وكاتب أمين يحفظها بخبرته وأمانته. ثم يوضح رحمه الله تعالى أنه في ولاية الحروب إذا أمر القوي وجعل له مستشارون من أهل العلم والدين، فذلك أولى جمعا بين المصلحتين، ثم يخلص من ذلك بوضع قاعدة عظيمة تدل على رسوخه في العلم وثاقب بصره إذ يقول: وهكذا في سائر الولايات إذا لم تتم المصلحة برجل واحد جمع بين عدد فلا

---

(١) استشهد به البخاري في الجزية، كتاب المغازي، باب بعث النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، البخاري مع الفتح، جـ٧، ص٦٥٣-٦٥٤، برقم ٤٣٣٩، وأخرجه أحمد في المسند، جـ٢، ص١٥١.

(٢) انظر : السياسة الشرعية، ص٢٣.

(٣) الشادي: الذي جمع طرفا من العلم والأدب. ترتيب القاموس.

بد من ترجيح الأصلح أو تعدُّد المُولّى إذا لم تقع الكفاية بواحد تام[١].

ومما يؤكد ما ذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية قوله ﷺ عن ابن عمر: «تجدون الناس كإبل مائة لا يجد الرجل فيها راحلة» قال الأزهري: ومعنى الحديث: أن الزاهد في الدنيا الكامل الزهد فيها والراغب في الآخرة قليل جدا كقلة الراحلة في الإبل، ونقل النووي معنى آخر وقال: أجود منه قول آخرين: إن معناه المَرضِيُّ الأحوال من الناس الكامل الأوصاف، الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار»[٢].

قال شيخ الإسلام: فيجب على ولي الأمر أن يولي على كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل، قال صلى الله عليه وسلم: «من وُلي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا وهو يجد من هو أصلح للمسلمين منه فقد خان الله ورسوله وخان المؤمنين» وقد روى هذا الحديث موقوفا على عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «من ولي من أمر المسلمين شيئا فولى رجلا لمودة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين»[٣].

ويمضي شيخ الإسلام رحمه الله تعالى في بيان أن تولية غير الأمين إنما هي حالة استثنائية فرضتها الضرورة القائمة فلذلك يجب السعي في إكمال النقص الحاصل، إذ يقول: «مع أنه يجوز تولية غير الآهل للضرورة إذا كان أصلح الموجود، فيجب مع ذلك السعي في إصلاح الأحوال حتى يكمل في الناس ما لا بد لهم منه من أمور الولايات والإمارات ونحوهما كما يجب على المعسرالسعي في وفاء دينه وإن كان في الحال لا يطلب منه إلا ما يقدر عليه، وكما يجب الاستعداد للجهاد باعداد القوة ورباط الخيل في وقت سقوطه للعجز، فإن ما لا

---

(١) المرجع السابق، ص ٢٦، بتصرف.

(٢) مسلم بشرح النووي، جـ١٦، ص١٠١، والحديث رواه مسلم.

(٣) السياسة الشرعية، ص١٣، والحديث رواه الحاكم، جـ٤، ص٩٢-٩٣.

يتم الواجب إلا به فهو واجب"[1].

ومن جملة ما سبق يتبين لنا أن العنصر البشري هو شريان التخطيط، إذ به يوضع وعليه يقوم، ثم إنه لا بد من توفر صفات معينة تؤهل المسلم العامل لكي يكون مخططا جيدا، حتى يتمكن من توظيف هذا العنصر البشري ويستغل قدراته الكامنة ويفجرها لخدمة الدين، فكما أن للإمكانات والقدرات الفكرية درجات، فهناك أيضا درجات للمهمات، وغاية الكمال هو التوفيق بين هذه المهمات وتلك الإمكانات، فكما أنه ليس من المعقول أن يعهد إلي إنسان بالتخطيط لمجرد أنه طبيب أو بارع في الكلام أو الخطابة، فكذلك ليس من المجدي أن يوكل إلى شخص تنفيذ الخطة لمجردأنه بارع في الكلام أو قوي العاطفة، لذا وبعد أن بينا فيما سبق صفات المنفذ ، فنذكر هنا جملة من صفات المخطط:

أولا: التقوى والورع، وقوة الأخلاقيات الإيمانية والسلوكيات العالية.

ثانيا: العلم الشرعي الدقيق.

ثالثا: الفهم والفقه الممكِّنان من معرفة الواقع وإدراكه على حقيقته وإدراك أبعاده.

رابعا: الإحاطة بالثقافة المعاصرة.[2]

خامسا: التخصص، لأنه العمدة في مجاله والسديد في أدائه وأرائه[3].

---

(١) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص٢٧.

(٢) انظر: د. يوسف القرضاوي، ثقافة الداعية، ص٩، مؤسسة الرسالة، ط٤، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م

(٣) في صفات المخطط، انظر: الشيخ عبد الله الخطيب، الدعاة والتخطيط، ص٥٢، بتصرف.

المطلب الثاني
المواقع الجغرافية والمكانية

إن من الثمار العظيمة التي تجنى من التخطيط السليم، والتي تعتبر أساسا أصيلا فيه: معرفة المواقع الجغرافية والمكانية، حيث إن التخطيط لا يكون خيالات يسبح فيها الداعية والمخطط إنما هو حقائق وإنجاز يبنى على أرض الواقع.

لذا فإن التخطيط السليم يقوم على معرفة الواقع الجغرافي والمكاني، بحيث يحيط المخطط علما بخواص المواقع الجغرافية وطبيعتها من جميع النواحي المناخية والسطحية والاقتصادية والاجتماعية والحربية (الاستراتيجية)، فكما أن للعادات والتقاليد أثرا في حياة الناس الاجتماعية فكذلك للموقع الجغرافي أثر في سلوك الإنسان الذي يلزم أن يعرفه الداعية حتى يعالج الناس على ضوء ذلك لما له من تأثير على أمزجتهم، فمثلا أهل البلاد الصحراوية التي تكون شديدة الحرارة صيفا وشديدة البرودة شتاء نجد أن شدة الحر المستمر طول أشهر الصيف، وزمهرير الشتاء القارس لعدة أشهر أخرى تجعل أهل تلك البلاد في معاناة دائمة ، فهم في الحر يقاسون ويعانون من شدته، ويغض من مضجعهم، ويقلل من نشاطهم، مما يجعل في الغالب مزاجهم حادا مضطربا، لا يقر لهم قرار ولا يهدأ لهم بال، فغليان الحرارة في أدمغتهم يسبب غليان مزاجهم وشدة انزعاجهم، كما يجعل نقصا في مواردهم نسبة لقلة الأمطار والري في مثل هذه البيئة، مما يجعلهم في شغل دائب يلهثون وراء لقمة العيش التي لا يستطيعون الحصول عليها إلا بشق الأنفس، وكذلك يفعل بهم زمهرير الشتاء، حيث يضطرون للبقاء أطول فترة داخل بيوتهم طلبا للدفء وهو قليل ما يحصلونه مع انتقاص أرزاقهم، سيما إن لم تكن وسائل التدفئة متوفرة لديهم، وإذا اضيف إلى ذلك كله طبيعة مثل هذه البيئة القاسية الجافة مع قساوة العيش فيها وشدته، مما يتطلب من أهلها الشدة والقساوة في التعامل معها. أدى ذلك كله إلي تلون مزاج الإنسان وطبعه

ليتلاءم مع ذلك كله، من شدة وغلظة وجفاف في الطباع والمعاملة[1].

ولذا فإن المخطط الداعية مطالب بمراعاة ذلك فيسوس الناس الذين هذا شأنهم بما يناسبهم، بأن يضع في الحسبان أن هؤلاء بحاجة إلى داعية هادئ الطبع وسيع الصدر كسفينة الصحراء التي تحمل كل إنسان حتى توصله إلى المعرفة الصحيحة وتوقفه على الحق يستنير بنور العلم، فيحلم عليهم حين يجهلون، ويرأف بهم حين يقسون، إلا أن تتطلب الحكمة غير ذلك فعندئذ يقسو ليزدجروا.

وقد بعث الله تعالى النبي صلى الله عليه وسلم في بيئة قريبة مما ذكرنا، فإذا نظرنا إلى سياسته معهم، نجد في أكثرها لينا ورقة وبردا وسلاما؛ يطفي حرهم ماء زلالا فراتا يروي ظمأهم، وسعة بال تسكن ثورتهم، وحلما يهدئ غضبهم وعلما يذهب جهلهم.

ولعل أفضل نموذج لهذه الناحية وبيان أهميتها ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن أعرابيا جاء إلى النبي ﷺ يستعينه في شيء فأعطاه، ثم قال صلى الله عليه وسلم: «أحسنت إليك؟» قال: لا، ولا أجملت. فغضب المسلمون، وقاموا إليه، فأشار عليهم صلى الله عليه وسلم أن كفوا، ثم قام فدخل منزله ثم أرسل إلى الأعرابي، فدعاه النبي فزاده شيئا، فرضي فقال ﷺ: «إنك جئتنا فسألتنا فأعطيناك، وقلت ما قلت؟ وفي نفس المسلمين شيء من ذلك، قم إن أحببت فقل بين أيديهم ما قلت بين يدي حتى يذهب من صدورهم ما فيها عليك، قال: نعم. فلما كان الغداة جاء، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن صاحبكم هذا كان جائعا فسألنا فأعطيناه، فقال ما قال، وإنا دعوناه إلي البيت فأعطيناه فزعم

---

(١) انظر، ابن خلدون، مقدمة العلامة ابن خلدون، ص٦٠، تحقيق، الأستاذ حجر عاصي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١٩٩١م.

أنه قد رضي، أكذلك؟، قال الأعرابي: نعم، فجزاك الله من أهل وعشيرة خيرا، فقال صلى الله عليه وسلم: «ألا إن مثلي ومثل هذا الأعرابي كمثل رجل كانت له ناقة، فشردت عليه، فاتبعها الناس، فلم يزيدوها إلا نفورا، فناداهم صاحب الناقة: خلوا بيني وبين ناقتي، فأنا أرفق بها. فتوجه لها بين يديها فأخذ لها من قمام الأرض فجاءت فاستناخت، فشد عليها رحلها واستوى عليها، وإني لو تركتكم حين قال ما قال فقتلتموه دخل النار»[1].

وإضافة لما في معرفة المواقع الجغرافية من أهمية في معرفة البيئة الطبيعية والمناخية والسكانية، فإن لها دورا آخر صاحب الدعوة الإسلامية منذ بواكير أيامها في عهده ﷺ حيث تمثل المواقع الجغرافية ملا ذات آمنة للدعاة إلى الله حين تضيق بهم ديارهم ومن هنا سُنَّت الهجرة في الإسلام من دار الكفر إلى دار الإيمان، حيث يجد المؤمنون السكينة والطمأنينة لعبادة ربهم، وقد وردت أيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على الهجرة في سبيل الله وتقرنها مع الجهاد في سبيل الله، قال تعالى: «إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله»[2]، «ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة»[3]، حتى إننا نجد أن القرآن الكريم قد نعت الذين خرجوا من ديارهم بمكة إلى المدينة وسماهم المهاجرين فصار ذلك وصفا لهم، ينادون به ويتميزون به

---

(١) مجمع الزوائد، ومنبع الفوائد، جـ٨، ص٥٧٦، ح١٤١٩٣، كتاب علامات النبوة، باب حسن خلقه وحياته وحسن معاشرته، تحقيق عبد الله محمد الدروشر، ط١٤١٢هـ، دار الفكر، قال المحقق، رواه البزار، رقم ٢٤٧٦.

(٢) البقرة، ٢١٨.

(٣) النساء، ١٠٠.

«والسابقون الأولون من المهاجرين»[1] ، «للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم»[2].

بل إن الله سبحانه وتعالى، عتب على الذين يتعللون باستضعافهم في الأرض وهوانهم فيها وآخذهم على عدم الهجرة والخلود إلى الأرض ظالمين أنفسهم بذلك حيث قال تعالى: «إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها ، فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا. إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان ، لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا، فأولئك عسى الله أن يعفوا عنهم وكان الله عفوا غفوراً»[3] ، لذلك نجد أن الرسول ﷺ لما ضاقت بأصحابه مكة جعل يبحث عن مأوى لهم حتى استقر رأيه على الحبشة[4]، فقد روت أم سلمة فقالت: «لما ضاقت مكة وأوذي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتنوا، ورأوا ما يصيبهم من البلاء والفتنة في دينهم وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستطيع دفع ذلك عنهم، وكان رسول الله في منعة من قومه ومن عمه لا يصل إليه شيء مما يكره ومما ينال أصحابه، فقال لهم رسول الله ﷺ : «إن بأرض الحبشة ملكا لا يظلم أحدا عنده، فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه» فخرجنا إليها أرسالا حتى اجتمعنا بها »[5].

وفي سيرة ابن هشام قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، لو خرجتم إلى

---

(١) التوبة آية ١٠٠.

(٢) الحشر آية ٨.

(٣) سورة النساء آيات، ٩٧-٩٩.

(٤) لمزيد من التفاصيل حول الهجرة إلى الحبشة راجع ص (٢٢٥) من البحث وما بعدها .

(٥) ابن كثير، البداية والنهاية، جـ٣، ص٧٩.

أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجا مما أنتم فيه، فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله إلى أرض الحبشة مخافة الفتنة وفرارا بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام"[1].

(١) ابن هشام، جـ١، ص٣٢١.

المبحث الثاني
تنظيم وترتيب العمل

والمقصود بالتنظيم هنا تقسيم العمل والاختصاصات والسلطات والتنسيق بين وحدات العمل وإيجاد الترابط والتكامل بينهما لتحقيق الأهداف[١].

ولكي تظهر العلاقة بين التخطيط والتنظيم فلا بد من تعريف التخطيط ثم المقارنة بين التعريفين لمعرفة العلاقة بينهما.

ومن ضمن التعريفات التي أوردتها للتخطيط، فإنه أسلوب علمي وعملي للربط بين الأهداف والوسائل المستخدمة لتحقيقها ورسم معالم الطريق الذي يحدد جميع القرارات والسياسات، وكيفية تنفيذها مع محاولة التحكم في الأحداث عن طريق اتباع سياسات مدروسة ومحددة الأهداف والنتائج[٢].

ومن التعريفات أيضا الشاملة للتخطيط: أنه عبارة عن عمليات منظمة لإحداث تغييرات موجهة وذلك عن طريق حصر إمكانيات المجتمع وتحديد مطالبه وتقدير حاجاته تقديرا إحصائيا فاعلا ووضع تصور شامل ومتكامل ومحدد في الوقت نفسه لتحقيق هذه المطالب والحاجات من خلال فترة زمنية معينة وفي هدي المبادي الاجتماعية التي يريد المجتمع أن يتحرك وينمو في إطارها، مع التنبؤ بما قد يعترض سير المجتمع من عقبات، ثم تحديد أنسب الوسائل اللازمة لتخطي تلك المشكلات والسير بالمجتمع في طريق التقدم المنشود[٣].

وبالنظر في تعريف كل من التنظيم والتخطيط تظهر العلاقة الواضحة بينهما حيث إن التنظيم يعتبر ثمرة أساسية للتخطيط وغاية من غاياته، فالعلاقة بينهما علاقة متلازمة فلا تخطيط بدون تنظيم، كما أنه لا تنظيم بدون تخطيط، فإذا كان

---

(١) د. عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، ص١٤٣.

(٢) راجع ص ٥-٦ من الفصل التمهيدي.

(٣) التنمية الاجتماعية ، ص١٥٤.

ذلك كذلك فإن لتنظيم العمل عناصر أساسية لا بد من توافرها حتى يكون العمل منظما وهذه العناصر هي:

١- تحديد العمل المطلوب إنجازه.

٢- تصنيف العمل وتقسيمه كل بحسب الغاية المقصودة منه.

٣- تحديد الشخص أو الجهة المختصة بإنجاز العمل.

٤- تحديد اختصاصات كل جهة أو شخص وبيان حدود سلطاته اللازمة للتنفيذ.

٥- تحديد الوسائل اللازمة للتنفيذ.

٦- التنسيق بين وحدات العمل وإيجاد الترابط والتكامل بينها.

٧- وجود قيادة تشرف على تنفيذ العمل وإدارته[1].

وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله إلى بعض هذه العناصر عند كلامه لمن تولى الولاية فقال: «والمهم في هذا الباب معرفة الأصلح وذلك إنما يتم بمعرفة مقصود الولاية ومعرفة طريقة المقصود، فإذا عرفت المقاصد والوسائل تم الأمر»[2].

فمقصود الولاية يشبه في الوقت الحاضر وصف الوظيفة أو العمل لأنه لا يمكن معرفة مقصود العمل بدون معرفة جملة المهام والواجبات والمسؤوليات المنوطة بذلك العمل، أما طريق المقصود فيمثل جملة الوسائل التي تؤدي إلى تحقيق المقاصد والغايات.

وسوف أتناول تنظيم وترتيب العمل من خلال المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: التنظيم الاجتماعي، والمطلب الثاني: التنظيم الإداري.

---

(١) محمد عبد الله الخطيب، الدعاة والتخطيط، ص١٧.

(٢) ابن تيمية، السياسة الشرعية، ص٢٨.

المطلب الأول

التنظيم الاجتماعي

لقد أولى الإسلام اهتماما كبيرا بالمجتمع باعتباره المدرسة التي يتخرج فيها الأفراد ويتلقون منها التربية الخلقية والسلوكية وقد جاءت غالب نصوص الشارع الحكيم مخاطبة الأمة باعتبارها جماعة واحدة، كما قال تعالى: «يا أيها الذين آمنوا..» «ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير»[1].

وقد عرف المجتمع بأنه: مجموعة من الناس تسير وفق نظم واصطلاحات واحدة، فعندما تنشأ بين الناس قواعد مشتركة ويتبعون طرائق واحدة وتوجد بينهم وحدة في التفكير والعمل، فإنهم يكونون مجتمعا[2].

وهذا التجمع هوالذي يساعد على البقاء والاستمرار لتحقيق الوضع الأفضل للمجتمع وللأفراد المنتمين إليه وللمجتمعات الإنسانية الأخرى التي تكونت نتيجة دوافع وظروف مماثلة، ولكن هذه الوظيفة الأساسية لا تحقق تلقائيا بل لا بد من وضع قواعد يتم على ضوئها تنظيم عملية المعيشة المشتركة، وقد نشأت هذه القواعد في أول الأمر دون إعداد أو قصد ثم تكون بعد ذلك بمرور الزمن، ما عرف للإنسان من عادات وتقاليد وطبقات وانتهى بذلك كله إلى ما عرف بالتنظيم الاجتماعي[3].

ويعرف التنظيم الاجتماعي بأنه: البناء الاجتماعي والآلة التي تنظم المجتمع الإنساني وتوجه وتنفذ وجوه الأنشطة المتعددة التي يتطلبها تحقيق الحاجات الإنسانية.

والنظام الاجتماعي يتكون من فكرة وبناء، والفكرة قد تكون رأيا ومبدأ أو

---

(١) آل عمران، ١٠٤.

(٢) د. عمر عودة الخطيب، المسألة الاجتماعية، مؤسسة الرسالة، ط، ١٤٠٢هـ، ص٢٢.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص٢٣.

اهتماما معينا، أما البناء فهو الأساس أو الجهاز الذي يساند الفكرة ويزودها بالوسائل التي يمكن أن تتجه بها إلى عالم الحقائق والأفعال بطريقة تخدم مصالح الإنسانية العامة"[1].

وتأسيا بهذه المعاني فإننا عند دراستنا لتنظيم المجتمع الإسلامي سنجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم، منذ بيعة العقبة الأولى قد سعى إلى تكوين النواة الأولى للمجتمع الذي اختار له بيئة صالحة لنموه.. وذلك وفق الخطة التي وضعها صلى الله عليه وسلم وهو بمكة، وكان الاختيار قد وقع على المدينة المنورة حيث كانت السياسة التي يرمي إليها صلى الله عليه وسلم تقوم على تجميع المسلمين، في موطن واحد يمكنهم من إظهار دينهم والتمكين له والتميز به عن غيرهم من المجتمعات الأخرى، وقد كانت بيعة العقبة الأولى تمثل الأساس العقدي لذلك المجتمع المرتقب حيث قبل فيها أهل يثرب المبادئ والقيم والأسس التي يدعو إليها النبي صلى الله عليه وسلم والتزموا بإقامة سلوكهم وتصرفاتهم، وفقا لتلك الأسس والمبادئ.

ثم جاءت بيعة العقبة الثانية والتي تمثل بعدا أعمق وأشمل من الأولى حيث التزم فيها المعاهدون بالدفاع عن المبادئ والقيم التي وافقوا عليها في البيعة الأولى، وفي هذه المعاهدة هاجرت مجموعة من الناس، وبذلك تحقق الآتي:-

١- إيجاد بوادر ونواة لأمة جديدة.

٢- وجود أرض محدودة جامعة لهم.

٣- وجود مبادئ وقيم كأساس يبنى عليه المجتمع الجديد المرتقب.

٤- وجود تشريع منظم للعلاقات"[2].

وبذلك لم يعد ناقصا سوى القائد لمسيرة بناء المجتمع الجديد، وقد توج ذلك

---

(١) راجع ص ٢٤٣ من البحث ، في مبحث أهداف الدعوة في العهد المدني.

(٢) د. محمد لقمان الأعظمي، مجتمع المدينة، ص٤٦.

بهجرته صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، حيث استقبله جمع المؤمنين الذين كانوا يترقبون وصوله بين الفينة والأخرى كما سبق تفصيل ذلك.

فبنى ﷺ المسجد الذي كان رمزا لوحدة المسلمين وأداة لصهرهم في بوتقة الإسلام القائمة على الوحدة العقدية والفكرية من خلال لقاءات العلم والقضاء، والعبادة والبيع والشراء وكان منذ أن أسس الرسول صلى الله عليه وسلم النواة التي تمت حولها مشروعات تعمير المدينة حيث كان أكبر أداة للتطور العمراني والاجتماعي.

ولقد كان اختياره ﷺ منطلقا لجميع أوجه النشاط الاجتماعي والتربوي والعسكري مبنية على أن يرسخ في نفوس الصحابة - رضوان الله عليهم أن جميع الأعمال التي تبذل في إعمار الدنيا والآخرة يجب أن تكون قربة خالصة لله تعالى ويبتغى بها وجهه، وبناء على هذا فقد أثمرت التربية النبوية فخرّجت مجتمعا فاضلا مبنيا على أسس خلقية سامية، وقد حمل ذلك المجتمع الإسلامي الأول همّ الدعوة إلى الإسلام وحمايته ونشره.

وأصبح الجيش الذي بني على التقوى والإيمان، مثالا للجيش الذي يحمي مجتمعه ومبادئه ويقاتل دونها، حتى قال الله تعالى مادحا ذلك البناء: «محمد رسول الله والذين آمنوا معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود..»[1].

وقد أدرك المستعمر خطورة المسجد وأهميته في بناء المجتمع ودوره الرائد في تمييز أفراده، فها هو المستعمر الفرنسي في أكتوبر من عام ثمانية وتسعين وسبعمائة وألف، تدخل خيوله الأزهر، ويعمل الجنود الفرنسيون السيف في طلبته وشيوخه، وينهبون الكتب ويمزقون المخطوطات ويطأونها بسنابك خيولهم، ثم اتخذ الجنود من المسجد - الجامعة - اسطبلا للخيل، فقد كان الأزهر يمثل الكيان المميز

---

(١) سورة الفتح، آية ٢٩.

للأمة، يمثل ذاتها وتراثها وإمكانية مستقبلها[1].

فقد أدرك المستعمرون ذلك كله؛ لذا نراهم يعملون على إضعاف رسالة المسجد في المجتمع الإسلامي وتقليص دوره في المجتمع، وقصر رسالته على أداء الشعائر فقط.

وهكذا نجد أن الرسول ﷺ لما استقر بالمدينة التفت إلى التنظيمات الداخلية، فبدأ بالمسلمين حيث آخى بين المهاجرين والأنصار على النحو السابق ذكره[2].

ولما تم له ذلك سعى إلى تنظيم علاقات المسلمين بغيرهم، داخل المدينة وخاصة اليهود، وكان هذا التنظيم قائما على أساس علاقة معاهدة في وثيقة المدينة السابق تفصيل بنودها ودلالاتها[3].

فتآلفت قلوب المؤمنين، وقد كانت متباعدة، وتباعدت قلوبهم مع أقوامهم المشركين، وحل الانتماء للدين وللجماعة التي تحمله وتدعو إليه محل الروح من الجسد، فما بقي ينافسه في القلوب انتماء لشيء لا لقبيلة، ولا لبلد ولا لغيرهما، بل صار الانتماء القبلي أو الفئوي في حدوده الطبيعية - ميدانا للتسابق في الخيرات والتنافس في البلاء والجهاد والتضحية، كما حدث حين قتل الأوس كعب بن الأشرف، فاستأذنت الخزرج رسول الله ﷺ في قتل سلام بن أبي حقيق - أبي رافع - فأذن لهم فقتلوه[4].

---

(١) محمد جلال كشك، ودخلت الخيل الأزهر، ص٧-٨، ط دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ، وانظر محمود شيت خطاب، رسالة المسجد العسكرية، ص٤٨.

(٢) انظر، ص ٧٤ من البحث.

(٣) راجع ص ٧٦ من البحث.

(٤) ابن هشام، السيرة، جـ٣، ص٢٨٦، وانظر سلمان العودة، الغرباء الأولون، ص٢٤٥.

وقد حقق هذا الترابط الاجتماعي الجديد القائم على العقيدة في البيئة الجديدة أهدافا عديدة تميز بها المجتمع الإسلامي الأول منها:

١- أنه كان ذا أثر كبير في دفع الشعور بالغربة الفردية وتحويله إلى شعور جماعي مثمر، وقد كان ذلك الشعور بالغربة يغطي على كثير من أفراد المسلمين قبل الهجرة، فأصبحوا بعد الهجرة إلى المجتمع الجديد بالمدينة فئة مترابطة ومتكاتفة تشعر بتميزها وتعتز به، وتعلم أن الله تعالى فضلها واختارها لتؤدي دورا عظيما في التاريخ، فدفعها ذلك إلى مزيد من التلاحم والبذل والعطاء.

٢- وقد كان هذا الترابط والانتماء للمجتمع الجديد من أسباب تثبيت المؤمن على دينه، وتحريضه على الصبر عليه، وعلى ما يلقاه في سبيله، فالإنسان مهما يكن مؤمنا قوي الإيمان تصيبه الوحشة، من قلة من حوله من المؤمنين، غير أنه بكثرتهم يشعر بالعزة لأنه يتقوى بهم. كما أن تزايد عدد المؤمنين يمثل خطوة نحو تحقيق كيان مستقل لهم وبناء دولة تحميهم.

٣- إنه من أسباب التضحية والبذل والجهاد عند الصحابة، ذلك إن الشعور بالانتماء إلى كيان واقعي يمثل العقيدة التي يؤمنون بها والمنهج الذي يسيرون عليه مما جعلهم يصبون جميع طاقاتهم وقدراتهم في سبيل دعم هذا الكيان وتقويته وحمايته، ولذلك شرع الاجتماع في الخير لهذا المعنى، حتى أن الرسول ﷺ كان يقسم الصحابة على مجموعات كما فعل مع أصحاب العقبة الثانية[1].

وبالنظر إلى هذا المجتمع الجديد، والذي كان نموذجا رائعا للمجتمع الإنساني نجد أنه قائم على ركائز أساسية ثلاثة، وهي التي أدت إلى النجاح الباهر الذي حققه:

أولا: المبدأ أو المعتقد الواضح الذي كانت تقوم عليه جماعته وتنادي به وتدعو إليه، ومنه كانت تتحدد أهدافها وغاياتها، وعلى ضوئه تتكون

---

(١) انظر ص ٥٧ من البحث، وانظر سلمان العودة، الغرباء الأولون، ص٢٤٧.

نظمهاومناهجها، وذلك المبدأ هو كلمة التوحيد (لا إله إلا الله محمد رسول الله) والتي تمثل الإسلام بكتابه القرآن الذي هو دستور الحياة الجامع للأصول والقواعد العامة في جميع شؤون الحياة، والمفصل للجوانب المهمة في الاعتقاد والأحكام والسلوك، كما قال تعالى: «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين»[1]. وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم الشارحة والمفصلة لما جاء في القرآن، قال تعالى: « وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون»[2].

ثانيا: الأنصار والأتباع الملتفون حول هذا المبدأ وهم صحابة رسول الله ﷺ، خير قرن أخرج للناس بشهادته ﷺ ، حيث إنهم قد جمعوا إضافة إلى الخصائص الفطرية الإيجابية، جمعوا إلى ذلك الخصائص الإيمانية التي استعلوا بها، حيث كانت تلك الخصائص مجتمعة في القوة الدافعة لهم لتحمل هذا الدين بعد تسديد الله تعالى لهم، وآية ذلك ما تحملوه في سبيل دينهم من الأذى والضرر، وما كان كل ذلك ليثنيهم عن حمله ونشره في الآفاق والجهر به على مسمع من الأعداء، ثم ظهر على سلوكهم وأعمالهم في الحرب والسلم، والعسر واليسر من التأثر العميق بهذا الدين والاستجابة التامة لله والرسول صلى الله عليه وسلم، ما يعد مثالا فذا يشهد التاريخ أنه لا مثيل له[3].

كيف وقد شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك معرفا لقدرهم لمن وراءهم ومحذرا إياهم من التطاول عليهم حيث قال عليه الصلاة والسلام «لا تسبوا

---

(١) سورة النمل، آية ٨٩.

(٢) سورة النحل، آية، ٤٤.

(٣) سلمان العودة، الغرباء الأولون، ص٢٢٩.

أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»[١].

ثالثا: القيادة التي تسير بهؤلاء الجنود إلى تحقيق الأهداف وما أعظمها من قيادة تمثلت في شخصية الرسول ﷺ حيث مدحه ربه تعالى بقوله: «وإنك لعلى خلق عظيم»[٢]، وقال: «فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله»[٣].

ولقد صور القرآن الكريم ترابط هذا المجتمع وتماسكه بقوله تعالى: «والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون»[٤].

وهذا الأنموذج المثالي للمسلمين يؤكد أن كل جماعة تسعى لهدف واحد لا بد من أن تقوم العلاقات بين أفرادها على التآخي الذي يجعلهم يقفون بعضهم إلى جانب بعض في السراء والضراء، وإن هذا التآخي المنطلق من العقيدة هو أساس قوة هذه الجماعة وهو الدافع الذي يمكنهم من تحقيق أهداف الدين في الحياة، ولذا كان حرص النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك التآخي الذي كان مضرب المثل في صدقه، وقد كان من ثمرات هذا التآخي رضا الله عنهم والتمكين لهم في الأرض وتحقيق الأنموذج العملي لمبادئ الإسلام في أشخاصهم.

---

(١) البخاري، كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب فضائل أبي بكر، رضي الله عنه، جـ٤، ص١٩٥.

(٢) سورة القلم، آية ٤.

(٣) سورة آل عمران، آية، ١٥٩.

(٤) سورة الحشر، آية ٩.

وبتمحيص النظر في صورة التنظيم الاجتماعي الذي كان سائدا في هذا المجتمع نستطيع أن نخرج بالمقومات والأسس التي اعتمد عليها الشارع ومن هذه الأسس:

أولا: الانطلاق من مبدأ واحد وهو اعتماد العقيدة الإيمانية أساسا لبناء المجتمع والمؤخاة بين أفراده، وهذه العقيدة تقوم على الإيمان بالله وحده لا شريك له، ومحبته وطاعته وإفراده بالعبادة، وأنه وحده المشرع، والإيمان برسوله ﷺ ومحبته واتباعه كما قال تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم»[١].

ثانيا: السعي إلى هدف واحد وهو تمكين دين الله تعالى في الأرض حتى يكون الدين كله لله، فقد بين الله تعالى أهم واجبات الأمة المسلمة حين يمكن الله لها في الأرض ويكون لها دولة وسلطان، فقال تعالى: «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز، الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»[٢].

ثالثا: الالتزام التام بالإسلام: فقد نشأ مجتمع المدينة في كنف الرسول ﷺ وترعرع على يديه فكان له مرشدا معلما ومربيا، وتشرّب ذلك المجتمع تعاليم الإسلام فكان الصورة الأولى لتطبيقه والتزامه ، وكيف لا يكون ذلك وقد أنزل الله تعالى فيهم «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم»[٣].

رابعا: التعاون على البر والتقوى وذلك من لوازم الإخاء في الإسلام

---

(١) التوبة، آية ٧١.

(٢) الحج، آية ٤٠.

(٣) الأحزاب، آية ٣٦.

والتعاون والتراحم، ذلك أن الأخوة الإسلامية قد سمت بنفوس الأفراد في المجتمع حتى أصبحوا يؤثرون على أنفسهم وإن كان بهم خصاصة، وذلك امتثالا لقوله تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»[١].

خامسا: المساواة: كانت مبادئ الإسلام حربا على العصبية والقبلية الجاهلية، فقد وضع الشارع الحكيم أساسا للتعامل والتفاضل بين جميع أفراد المجتمع المسلم، وهو التقوى ،فقال تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم»[٢]. وكما قال الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبة حجة الوداع: «لا فضل لعربي على عجمي ولا عجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر ولا لأحمر على أبيض إلا بالتقوى»[٣].

سادسا: التناصح والتشاور: قال تعالى: «والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم، ومما رزقناهم ينفقون»[٤]، وقال تعالى: «وشاورهم في الأمر»[٥]، وقال تعالى: «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر»[٦]، وقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة، قلنا لمن يارسول الله، قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة

---

(١) المائدة، آية ٢.

(٢) الحجرات، آية ١٣.

(٣) أخرجه الطبري، كتاب آداب النفوس.

(٤) الشورى، آية ٣٨.

(٥) آل عمران، آية ١٥٩.

(٦) سورة العصر.

المؤمنين وعامتهم»[١]، وقد كان الرسول ﷺ أكثر ما يستشير أصحابه في معظم الأمور العامة والخاصة، وقد قيل، «الشورى ألفة للجماعة، وسباء للعقول، وسبب إلى الصواب»[٢].

سابعا: المحبة في الله تعالى: وهذه لازمة للأسس الأخرى وضابط للتسامح والشورى، قال الله تعالى: «والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا»[٣].

وقال ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»[٤].

ثامنا: قيامه على مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: وقد كان هذامن الأسس وهو العلم البارز والخصيصة المميزة لذلك المجتمع ، بل هو الوصف الذي على أساسه استحقت هذه الأمة و في طليعتها ذلك المجتمع المدني الفاضل وصف الخيرية، بقوله تعالى: «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله»[٥].

كما جعل الله تعالى هذا الوصف فارقا بين المؤمنين عن المنافقين، فقال تعالى: «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله

---

(١) أخرجه مسلم مع النووي، كتاب الإيمان، باب الدين والنصيحة برقم (١/٢٢٨).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، جـ١٦، ص٣٧.

(٣) الحشر ٩.

(٤) سبق تخريجه.

(٥) آل عمران آية ١١٠.

إن الله عزيز حكيم»[1] بينما وصف المنافقين بقوله تعالى: «المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون»[2]، وكذلك جاءت أحاديث الرسول ﷺ وتوجيهاته، وهذه المقومات مجتمعة هي التي يقوم عليها بناء المجتمع الإسلامي، وقد تكامل في مجتمع الصحابة الذي أشاد به القرآن الكريم كنموذج سام للتنظيم الاجتماعي الأمثل، وإنما تم بناء هذا المجتمع وفق خطة متكاملة مثلت دعائمها توجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فكانت الثمار كما أراد الله سبحانه وتعالى وكما خطط الرسول صلى الله عليه وسلم.

المطلب الثاني

التنظيم الإداري

بعد أن نجحت خطته ﷺ في الوصول إلى المدينة ، واكتمل بناء دولة الإسلام التي أصبحت المدينة المنورة عاصمة لها، واستمر الرسول ﷺ قائدا لهذه الدولة ونبيا هاديا، بعد ذلك فقد اتخذ صلى الله عليه وسلم من خلال حياته جملة إجراءات إدارية أصبحت أساسا للحياة الإدارية، لمن جاء بعده من الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم فقد اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب الذين بلغوا أربعين كاتبا[3] لمختلف الأغراض، مثل كتابة الوحي ومراسلة الملوك وحكام البلاد المجاورة، ورؤساء القبائل في جزيرة العرب وأطرافها، وكتابة الصدقات وغيرها.

ويمكن تعريف التنظيم الإداري الإسلامي بأنه:

---

(١) سورة التوبة، آية ٧١.

(٢) سورة التوبة آية ٦٧.

(٣) ابن القيم، زاد المعاد، جـ١، ص١١٧، خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٥هـ، ص٩٩.

«البناء التنظيمي المطلق في الدولة الإسلامية والقائم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، والذي يهدف إلى تحقيق هدف شرعي في ظل ظروف إنسانية»[١].

فالتنظيم الإداري الإسلامي بناء تنظيمي داخل الدولة الإسلامية يعتمد على المبادئ الأساسية في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ويهدف إلى تحقيق مصلحة شرعية ويراعي العلاقات الإنسانية.

وقد وضع ﷺ اللبنة الأولى للتنظيم الإداري في الدولة الإسلامية وذلك فور وصوله إلى المدينة ، حيث وضع دستور الدولة في المدينة (وثيقة المدينة) وإن كانت أغلب بنود هذه الصحيفة تهتم بالتنظيم الداخلي الاجتماعي والسياسي للدولة الجديدة، غير أنها تتضمن تنظيم الدولة إداريا بالنص على رئاسة الرسول صلى الله عليه وسلم للسلطتين السياسية والإدارية للدولة، والنص على المبادئ الأساسية في التنظيم الإداري الإسلامي، مثل مبدأ العدالة ومبدأ المساواة، كما سبق شرح ذلك[٢].

وقد كان التنظيم الإداري على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، مطابقا في مضمونه لما هو متعارف عليه في الإدارة الحديثة، حتى وكأن المفهوم الحديث للتنظيم مستمد من التنظيمات الإسلامية، فقد أخذ التنظيم الإسلامي منذ نشأته بمبدأ التدرج الرئاسي، أو تدرج السلطة، فالرسول صلى الله عليه وسلم كان يمثل القيادة العليا ويعاونه من يختارهم من المسلمين، حيث يشاورهم في الأمر ويعهد إليهم ببعض المهام المعينة، والأعمال المحددة سواء كانت مؤقتة أو مستمرة، وكان

---

(١) د. فرناس عبد الباسط البنا: النظم الإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٠٧هـ.

(٢) انظر، في مطلب تحديد أهداف الدعوة في العهد المدني، الفصل الثاني من البحث.

أساس هذا التدرج تفاوت المسؤلية، فكل درجة تتفق وطبيعة العمل ومسؤوليته"[1]، وقد اتخذ النبي ﷺ أربعة عشر رجلا من أصحابه ممن شهد لهم بالعقل والفضل والجهاد في الدعوة إلى الإسلام لمشاورتهم، منهم سبعة من الأنصار وسبعة من المهاجرين منهم أبو بكر، وعمر وعلي، وحمزة، وجعفر، وابن مسعود، وسلمان، وعمار، وحذيفة، وأبو ذر، والمقداد، وبلال، كما اتخذ صلى الله عليه وسلم أمينا لخاتمه، وهو الحارث بن عوف المرثي، وأيضا حنظلة بن ربيع بن صيفي، وكذلك معيقب ابن أبي فاطمة[2].

كما أنه ﷺ قسم الدولة إلى مناطق إدارية وعين على كل منطقة عاملا له، وقد كان ممن عينهم، باذان بن ساسان، أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل اليمن كلها بعد موت كسرى؛ فهو أول أمير في الإسلام على اليمن وأمّر زياد بن أيمن الأنصاري على حضرموت وولى أبا موسى الأشعري زبيد وعدن والساحل، وولى أبا سفيان بن حرب نجران، وولى ابنه يزيد شيماء، وولى معاذ بن جبل الجند[3]، وولى عتاب بن أسيد مكة، وولى عمرو بن العاص عمان[4].

وقد سار الخلفاء الراشدون رضي الله عنهم على سيرته في إدارة شؤون

---

(١) د. محمد عبد المنعم خميس، الإدارة في صدر الإسلام، ص٨٢.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، جـ١، ص١٢٨، وانظر تاريخ بن خياط، ص٩٩.

(٣) الجَنَد: بالتحريك، قال أبو سنان اليماني: اليمن فيها ثلاثة وثلاثون منبرا قديمة، وأربعون حديثة، وأعمال اليمن في الإسلام مقسومة على ثلاثة ولاة، فوال على الجند، ومخاليفها، وهو أعظمها، ووال على صنعاء ومخاليفها وهو أوسطها، ووال على حضرموت ومخاليفها، وهو أدناها، وبالجند مسجد بناه معاذ بن جبل. ياقوت الحموي، معجم البلدان، جـ٢، ص١٦٩.

(٤) المصدر السابق. جـ١، ص٢٥.

الدولة وتقسيمها إلى إمارات ومناطق، وذلك بعد توسع الدولة في عهد الفتوحات الإسلامية.

ولما توسعت في عهد عمر رضي الله عنه ارتأى أن يتخذ منهجا إداريا أعمق وأدق، فبرزت ملامح الحياة الإدارية والتخصص واستمر في إدخال كثير من التعديلات في تقسيم المناطق، ويمكن أن نحدد أهم ملامح التطورات الإدارية في عهده رضي الله عنه ثم العهود التالية له في الآتي:

الفرع الأول:

* إنشاء الدواوين:[١]

عرف الماوردي الديوان بأنه موضع لحفظ ما يتعلق بحقوق السلطة من الأعمال والأموال ومن يقوم بها من الجيوش والعمال.

ويعتبر عمر رضي الله عنه أول من وضع الديوان في الإسلام، وذلك لما توسعت الدولة وكثرت الأموال، فقد روي أن أبا هريرة رضي الله عنه قدم عليه بمال من البحرين، فقال له عمر: ماذا جئت به؟ فقال: خمسمائة ألف درهم، فاستكثر عمر فقال له: أتدري ما تقول: قال: نعم، مائة ألف خمس مرات. فقال عمر: أطيّب هو؟ فقال: لا أدري، فصعد عمر رضي الله عنه المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس قد جاءنا مال كثير، فإن شئتم كلنا لكم كيلا، وإن شئتم عددنا لكم عدا، فقام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين، قد رأيت

---

(١) الديوان: بكسر الدال: مجمّع الصحف والكتاب يكتب فيه أهل الجيش، وأهل العطية. (القاموس المحيط، ص١٥٤٥. وفي تسميته ديوانا وجهان: أ/ إن كسرى اطلع ذات يوم على كتاب ديوانه فرآهم يحسبون مع أنفسهم، فقال ديوانة، أي مجانين، فسُمي موضعهم بهذا الإسم، وحذفت التاء لكثرة الاستعمال.

ب/ أن الديوان بالفارسية اسم الشياطين، فسمي الكتاب باسمهم لحذقهم بالأمور وقوتهم على الخفي والجلي، فسمي مكان جلوسهم به، (الأحكام السلطانية للماوردي، ص٢٤٩.

الأعاجم يدونون ديوانا لهم فدوّن أنت لنا ديوانا، فدوّن عمر الديوان[1].

وقال أبوهريرة رضي الله عنه: دوّن عمر رضي الله عنه وفرض للمهاجرين الأولين خمسة آلاف خمسة آلاف، وللأنصار أربعة آلاف أربعة آلاف، ولأمهات المؤمنين اثني عشر ألفا اثني عشر ألفا[2].

وروى ابن عابدين عن الحارث بن نفيل أن عمر رضي الله عنه استشار المسلمين في تدوين الديوان، فقال له علي رضي الله عنه: تقسم كل سنة ما اجتمع إليك من المال، ولا تمسك منه شيئا، وقال عثمان رضي الله عنه، أرى مالا كثيرا يتبع الناس، فإن لم يحصوا حتى يعرف من أخذ ممن لم يأخذ، خشيت أن ينتشر الأمر، فقال خالد بن الوليد رضي الله عنه: قد كنت بالشام فرأيت ملوكها قد دونوا ديوانا وجندوا جنودا، فدوّن ديوانا فأخذ بقوله، ودعا عقيل بن أبي طالب، ومخرمة بن نوفل، وجبير بن مطعم، وكانوا من شبان قريش، وقال: اكتبوا الناس على منازلهم، فبدأوا ببني هاشم فكتبوهم، ثم أتبعوهم أبا بكر وقومه، ثم عمر وقومه، وكتبوا القبائل ووضعوها على الخلافة، ثم رفعوه إلى عمر رضي الله عنه، فلما نظر فيه، قال: لا، ما وددت أنه هكذا، ولكن ابدأوا بقرابة رسول الله ﷺ الأقرب فالأقرب، حتى تضعوا عمر حيث وضعه الله، فشكره العباس رضي الله عنه على ذلك، وقال: وصِلتُك رحم.[3]

وكان ذلك سنة عشر من الهجرة في شهر محرم، وقيل سنة عشرين، ولعل هذا يدلنا على اهتمام أمير المؤمنين - عمر بن الخطاب - رضي الله عنه بتنظيم أمور

---

(١) انظر الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص٢٤٩، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، بدون تاريخ طبع، والقاضي يعقوب بن إبراهيم أبي يوسف ، الخراج، ص٤٥، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٢هـ.

(٢) الذهبي: الخلفاء الراشدون، من تاريخ الذهبي، ص١٠٢.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص.٢٥٠.

المسلمين حتى يعم العدل والمساواة، وإنه لم ير بأسا في سبيل ذلك أن يستفيد في الجانب الفني من خبرات وتجارب الأمم الأخرى، فيما لا يتعارض مع الشريعة الإسلامية.

وقد تميز تقسيم الديوان في عهده رضي الله عنه بالدقة والتخصص كثمرة من ثمرات التخطيط الإداري الذي اتسمت به أعمال الدولة، فكان أهم ما يشتمل عليه الديوان في عهده رضي الله عنه وفي عهود الخلفاء الراشدين من بعده ما يلي:

١- القسم الأول: ديوان الجيش، وهو الذي يثبت فيه أسماء الأجناد المرتزقة المرصدين للجهاد من الأمراء وغيرهم، فقد روى حذيفة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «اكتبوا لي من تلفظ بالإسلام»[١]، فيصلح ذلك دليلا على أنه من السنة ولاتفاق الصحابة عليه، ولأن الحاجة تدعو إليه[٢].

وقد كتبت أسماء الجند بدقة، حيث كان يسجل اسم الجندي وصفته ومقدار راتبه، وعدد أفراد عائلته وغير ذلك من المعلومات الضرورية[٣].

ويشترط فيمن يثبت اسمه فيه خمسة أوصاف:

الأول: البلوغ، لأن الصبي من جملة الذراري والأتباع، فلم يميز أن يثبت في ديوان الجيش.

الثاني: الحرية، لأن المملوك تابع لسيده، فكان داخلا في عطائه، وإن جوّز ذلك أبو حنيفة وهو رأي أبي بكر رضي الله عنه، وخالفه عمر رضي الله عنه.

الثالث: الإسلام، ليدفع عن الملة باعتقاده، ويوثق بنصحه واجتهاده.

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٤٨.

(٢) الإمام بدر الدين بن جماعة، تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، ص٣٨، ط دار الثقافة، الدوحة، ١٤٠٨هـ.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٥٤، بتصرف.

الرابع: السلامة من الآفات المانعة من القتال.

الخامس: أن يكون فيه إقدام على الحروب ومعرفة بالقتال[1].

وزاد ابن جماعة شرطا سادسا، وإن كان يعود إلى الخامس فيما ذكره الماوردي، وهو: أن يكون ذا معرفة بكيفية القتال[2].

وأما تقدير العطاء فمعتبر بالكفاية، حتى يستغني بما يدفع له عن التماس مادة تقطعه عن حماية البيضة، ويعتبر في تقدير الكفاية والعطاء ثلاثة أوجه:

أ/ عدد من يعوله من الذراري والمماليك.

ب/ عدد ما يربطه من الخيل والظهر.

ج/ الموضع الذي يسكن فيه من حيث الغلاء والرخص[3].

القسم الثاني: الديوان المختص بالأعمال من رسوم وحقوق، فيشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول: تحديد العمل بما يميزه به عن غيره.

الفصل الثاني: أن يذكر حال البلد هل فتح عنوة أو صلحا وما استقر عليه حكم أرضه من عشر أو خراج، وهل اختلفت أحكامه ونواحيه أو تساوت.

الفصل الثالث: إحكام خراجه وما استقر على مسائحه هل هو مقاسمة على زرعه، أو هو رزق مقدر على خراجه.

الفصل الرابع: ذكر من في كل بلد من أهل الذمة وما استقر عليهم في عقد الجزية.

الفصل الخامس: إن كان من بلدان المعادن أن يذكر أجناس معادنه وعدد كل جنس منها.

---

(١) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٥٤.

(٢) ابن جماعة، تحرير الأحكام، ص١٤٠.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٥٦.

الفصل السادس: إن كان البلد ثغرا يتاخم دار الحرب وكانت أموالهم دخلت دار الإسلام معشورا عن صلح استقر معهم وأثبت في ديوان عقد صلحهم..الخ.[1]

القسم الثالث: الديوان المختص بالموظفين على مختلف مستوياتهم من توظيفهم وعزلهم، ويختص بالأتي:

١- تقليد العمال ومن يصح منه ذلك، وهو معتبر بنفوذ الأمر وجواز النظر، فكل من جاز نظره في عمل نفذت فيه أوامره وصح منه تقليد العمال عليه وهذا يكون من أحد ثلاثة:

أ/ السلطان المستولي على كل الأمور.

ب/ وزير التفويض.

ج/ عامل عام الولاية، كعامل إقليم مصر[2].

٢- من يصلح أن يتقلد العمالة: وهو من يصح أن يتولى عملا من الأعمال، ووصفه الماوردي بأنه «من استقل بكفايته، ووثق بأمانته»[3].

٣- ذكر العمل الذي تقلده، وهو ما يسمى في الوقت الراهن: توصيف وتقسيم الوظائف، وقد ذكر الماوردي شروط العمل وكيفيته فنص على:

أولا: تحديد ناحية العمل بما تتميز به عن غيرها.

ثانيا: تعيين العمل الذي يختص بنظره، من جباية أو خراج أو عشر.

ثالثا: العلم برسوم العمل - أي أوصافه - وحقوقه، وهو ما يعرف في النظام الإداري المعاصر بواجبات الوظيفة، على تفصيل ينافي الجهالة.

٤- تحديد زمان النظر، وهو ما يختص بالمدة الوظيفية، وطبيعة هذه المدة من

---

(١) المرجع السابق نفسه، ص٢٥٩-٢٦٠.

(٢) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٦١.

(٣) المصدر السابق نفسه.

حيث الدوام والتوقيت.

٥- ما يصح به التقليد وهو ما يسمى في النظام الإداري الحديث بالإدارة النظامية للتعيين في الوظيفة، أي القرار الإداري بالتعيين[1].

القسم الرابع: ديوان بيت المال: وهو ما يختص ببيت المال من الصادر والوارد، وقد وضع الماوردي القاعدة العامة لذلك بقوله: «إن كل مال استحقه المسلمون، ولم يتعين مالكه منهم فهو من حقوق بيت المال».

ولم يكن للأحوال المقبوضة والمقسومة ديوان جامع على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر رضي الله عنه، بل كان يقسم المال شيئا فشيئا، فلما كان في زمن عمر رضي الله عنه، كثر المال واتسعت البلاد، وكثر الناس، فجعل ديوان العطاء للمقاتلة وغيرهم.[2].

وقد فصل الماوردي كيفية إدارة الديوان وما يشترط في كاتبه من العدالة لأنه مؤتمن على حق بيت المال والرعية فاقتضى أن تكون في العدالة والأمانة على صفات المؤتمنين وما يشترط فيه من الكفاية؛ لأنه مباشر لعمل يقتضي أن يكون في القيام مستقبلا بكفاية المباشرين[3].

وبالنظر في هذه الدواوين ونظم عملها وإدارتها وتنظيماتها الداخلية يظهر لنا مدى الأثر الذي أحدثه التخطيط الدقيق لتحقيق الأهداف المرجوة، فكانت هذه الصورة التنظيمية للجهاز الإداري تمثل قمة الفكر الإداري في النظام الإسلامي في ذلك الوقت وهي صورة تضاهي ما وصل إليه الفكر الإداري المعاصر، وتتفوق عليها ولا سيما من حيث الأهداف والغايات.

---

(١) انظر: د. ماجد راغب الحلو، القانون الإداري، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٤م ص١٦٠.

(٢) ابن تيمية: السياسة الشرعية، ص٤٨.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٢٦٨.

الفرع الثاني:

*** الإدارة على الأمصار وترتيبها بعد توسع الدولة:**

لما تولى عمر رضي الله عنه أصبحت بلاد العراق وفارس ومصر من بلاد الإسلام، فكان لا بد من تحديد الولايات وتقسيمها كي يسهل عليه إدارتها، حيث أصبحت الولايات أربع عشر ولاية وهي: مكة، صنعاء، الجند، البحرين، وما والاها - عمان - الكوفة، البصرة، مصر، دمشق، حمص، الأردن، فلسطين، الجزيرة[١]، ولما تولى عثمان رضي الله عنه فإنه لم يغير التقسيمات الإدارية، إذ وجدت في زمانه بعض الفتوح في شمال غرب إفريقية، وفي البحر المتوسط، كما أعاد السيطرة على أذربيجان وأرمينية وغيرها من بعض بلاد فارس وأبقى على التقسيمات فيها[٢].

وقد كان الخلفاء الراشدون يعطون للعامل الحرية في التصرف في شؤون عمالته ولا سيما في الشؤون الجزئية للأعمال اليومية، إلا أنه كان خاضعا للرقابة في أعماله وسلوكه، وكان لا يسمح له بترك ولايته إلا بإذن الخليفة، بعد أن يستخلف عليها غيره، وقد بين الماوردي جميع أحكام الولاة على الأقاليم من حيث تعيينهم، وصفة ذلك التعيين، ومن حيث مهامهم وواجباتهم، ومن حيث اختصاصاتهم وما لهم مباشرته وما ليس إليهم، ومدى صلتهم بالخليفة ووزير التفويض، وغير ذلك من المباحث التنظيمية الإدارية المتعلقة بالولايات[٣]، ومما لا شك فيه أن هذا التنظيم الدقيق والترتيب المحكم ما كان ليتم لولا أن هناك تخطيطا سليما تسير عليه شؤون الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية.

---

(١) خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، ص١٥٢.

(٢) د. بدري محمد فهد، النظم الإسلامية - الحياة السياسية والإدارية، ص١٥٢.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٣٥ وما بعدها.

*** مبادئ التنظيم الاداري:**

أولا: مبدأ ضرورة التنظيم:

بالنظر في النظام الإسلامي نجد أن الدين الإسلامي بصفة عامة يهتم بالتنظيم، وكثيرا ما يربط ذلك بالنظام الكوني، أو يأمر به في كثير من التشريعات سواء في العبادات أم المعاملات، ومما يدل على ذلك أمره صلى الله عليه وسلم كل مجموعة مهما يكن نوعها وعملها أن تتخذ أميرا قائدا لها، فقد قال ﷺ : «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم»[1] قال شيخ الإسلام: يجب أن يعرف أن ولاية الناس من أعظم واجبات الدين، بل لا قيام للدين إلا بها، فإن بني آدم لا تتم مصلحتهم إلا بالاجتماع لحاجة بعضهم لبعض، ولا بد لهم عند الاجتماع من رأس.

وقال تعليقا على الحديث، «إذا خرج ثلاثة في سفر» فأوجب تأمير الواحد في الاجتماع القليل العارض في السفر تنبيها بذلك على سائر أنواع الاجتماع[2].

ثانيا: مبدأ وحدة الهدف:

يقوم النظام الإسلامي جميعه بتنظيماته المختلفة على هدف واحد هو تنفيذ أمر الله تعالى في جميع الأنشطة متقيدا في ذلك بالمقاصد الشرعية المؤدية في النهاية إلى تحقيق مصالح الأفراد في دنياهم وأخراهم[3]، كما قال تعالى: «قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت وأنا

---

(١) رواه أبو داود، ح ٢٦٠٨، كتاب الجهاد، باب في القوم يسافرون يؤمرون أحدهم، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) شيخ الإسلام بن تيمية، السياسة الشرعية، ص١٧٦.

(٣) انظر: محمد رضا الأغبش، ص٢٧.

أول المسلمين»[1]، وكما قال تعالى: «فإما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا يضل ولا يشقى»[2].

فالإنسان خليفة الله في الأرض، قال تعالى: «ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين»[3]، وقال تعالى على لسان ذي القرنين: «وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى وسنقول له من أمرنا يسراً»[4]. وهذا يؤكد لنا قيام النظام الإسلامي على إعمار الأرض، والتعمير يقتضي التنظيم، والهدف الشرعي لا يقتصر على الأهداف الواردة في كتاب الله تعالى، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل يمتد إلى كل هدف فيه حفظ للدين أو النفس أو النسل أو المال أو العقل، فهذه هي الضروريات الخمسة التي أمر الشارع بالحفاظ عليها، وتتسع صفة الهدف الشرعي فتشمل كل مصلحة تتمشى مع مقاصد التشريع في جلب المنافع ودفع المضار، حتى ولو لم يوجد حكم شرعي لتحقيقها أو دليل شرعي على اعتبارها، أو إلقائها، وهي التي أطلق عليها العلماء اصطلاح المصلحة المرسلة[5].

ثالثا: مبدأ التخصص وتقسيم العمل"

اتسم منهج العمل منذ صدر الإسلام في عهده ﷺ بالقيام على مبدأ التخصص وتقسيم العمل، وإن لم يكن هذا المصطلح موجودا آنئذ، فقد صنف النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه بما يدل على تميز كل منهم في شأن من

---

(١) سورة الأنعام، ١٦٢-١٦٣.

(٢) سورة طه، آية ١٢٣.

(٣) سورة القصص، آية ٧٧.

(٤) سورة الكهف، ٨٨.

(٥) د. فرناس عبد الباسط البنا، التنظيم الإداري في الدولة الإسلامية منهجا وتطبيقا، جـ١، ص١٧٣.

الشؤون، فقال عليه الصلاة والسلام: «أقضاكم علي، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، وأفرضكم زيد بن ثابت، وأقرأكم أبي بن كعب، ولكل أمة أمين وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[1]، وروى البخاري عن ابن عباس أن عمر رضي الله عنه، قال: «أقرؤنا أبي، وأقضانا علي»[2].

وقد تناول الماوردي مبدأ التقسيم والتخصص عند كلامه عن اختصاصات العاملين أو الولاة فجعلهم على أربعة أقسام[3]:

الأول: من تكون ولايته عامة في الأعمال عامة، ـ ويقصد بالأعمال هنا الأقاليم، ـ وهم الوزراء لأنهم مستنابون في جميع الأمور من غير تخصص.

الثاني: من تكون ولايته عامة في أعمال ـ أقاليم ـ خاصة ، وهم أمراء الأقاليم والبلدان ، لأن النظر فيما خصّوا به من الأعمال والأقاليم عام في جميع الأمور، أي أن هؤلاء اختصاصاتهم عامة في جميع الأمور إلا أنها محصورة ومحددة في نطاق الإقليم الذي وكلت إدارتها إليهم.

الثالث: من تكون ولايته خاصة في الأعمال (الأقاليم) العامة، أي في جميع أقاليم الدولة: كقاضي القضاة، ونقيب الجيش، ومستوفي الخراج، وجابي الصدقات؛ لأن كل واحد منهم مقصور على نظر خاص في جميع الأعمال (الأقاليم).

وهذا من جنس التخصيص النوعي لا الإقليمي.

الرابع: من تكون ولايته خاصة في الأعمال (الأقاليم) الخاصة ، أي في

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، باب ٣٣، رقم الحديث ٣٧٩٠، ص٦٢٣، ابن ماجة، المقدمة، باب ١١، رقم ١٥٤و ص٥٥.

(٢) أبو الفرج بن الجوزي، تاريخ عمر بن الخطاب، تحقيق أسامة عبد الكريم، مطبعة مكتبة دار السلام، ص١٢٠.

(٣) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٥٤.

نطاق إقليم معين ـ كقاضي بلد أو مستوفي خراجه أو جابي صدقاته، أو نقيب جنده، لأن كل واحد منهم خاص النظر مخصوص العمل، أي إن كل عامل منهم له اختصاص بعمل معين في إقليم معين[1].

رابعا: وحدة القيادة ووحدة الأمر:

الأصل في القيادة أن تكون فردية، وهذا ما قام عليه النظام الإسلامي في كثير من نصوصه وسوابقه، والجماعة الذين يعملون تحت القائد يجب عليهم الالتزام بالأوامر الصادرة إليهم وطاعتها، ما لم يؤمروا بمعصية، لقوله صلى الله عليه وسلم، «السمع والطاعة على المرء فيما أحب أو كره، ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[2].

ويتفرع عن وحدة القيادة مبدأ وحدة الأمر، ويعني وحدة السلطة الآمرة وصدور الأوامر منها وحدها فقط وعدم تعددها[3]، وقد أشار الإمام الماوردي لهذا المبدأ بقوله: «يجب أن يفوضوا الأمر إلى رأيه، ويكلوه إلى تدبيره، حتى لا تختلف آراؤهم فتختلف كلمتهم، ويفرق جمعهم»[4].

وهكذا يتضح لنا مدى قيام النظام الإسلامي على مبادئ التنظيم والترتيب في العمل، مما يدل على أن هناك تخطيطا محكما كان يضبط أعمال الدعوة الإسلامية، مما كان له الأثر العظيم في نجاحها وتمكنها في النفوس وسرعة انتشارها في الأمم.

وهذا يحتم على القائمين بأمر الدعوة في العصر الحاضر الأخذ بهذا الأسلوب في العمل حتى ترى دعوتهم ثمارها ويكتب لها النجاح والتفوق.

---

(١) الماوردي، المصدر السابق، الصفحة نفسها.

(٢) البخاري مع الفتح، جـ١٣، ص١٠٥.

(٣) د. الأغبش، تنظيم العمل الإداري، ص٣٩.

(٤) الماوردي، الأحكام السلطانية، ص٤٨.

المبحث الثالث
إمكانية التقويم الدعوي

تمهيد:

التقويم هو تحديد قيمة الأشياء، وهو الحكم على مدى نجاح الأعمال والمشروعات ، كما أنه الأداة المصاحبة لإنجاح الأعمال والمشروعات ، وقد استخدم الإنسان التقويم بصوره المختلفة وأساليبه المتنوعة منذ كان هناك أمامه غايات وأهداف يسعى للوصول إليها، وآمال يسعى لتحقيقها، وأعمال يمارسها. وقد تزايدت أهمية التقويم بالنسبة لجميع الناس نسبة للتقويم الحضاري وتعقد أمور الحياة، وتزايد أهمية الطاقة التي يبذلها الإنسان والمال الذي ينفقه ، والوقت الذي يتطلبه أداء الأعمال ، حيث إننا الآن في زمن يلح فيه الناس على إحراز النجاح الذي يشبع حاجاتهم ويحقق لذاتهم ويرفع مستوى حياتهم المعيشية[1].

وكما أن كمال النجاح غير متيسر في غالب الأوقات فقد أصبح مهما للإنسان أن يتعرف على المشكلات التي تعوق طريقه وتقعده عن النجاح، وهذا هو التقويم ذاته.

وإذا كان التقويم مهما في حياة البشر قاطبة وفي ميادين الحياة عامة، فإن ميدان الدعوة الإسلامية التي هي رسالة هذه الأمة، لمن أهم الميادين المتطلبة لذلك، إذ هي الأمة الوسط الشاهد على الناس كلهم مما يستلزم أن تكون مستوفية لشروط الشهادة، وذلك بسلوكها الصراط المستقيم، الذي تدعو الناس إليه، وعليه فإن التقويم يكون من ألزم لوازم الدعوة وآكد وسائلها في تحقيق رسالتها.

تعريف التقويم:

هو أسلوب من أساليب البحث العلمي ومنهج من مناهج التفكير والعمل

---

(١) انظر: خالص جلبي، في النقد الذاتي للحركة الإسلامية، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٠٤هـ ص٤٩، بتصرف.

ينصب في مجال العمل الاجتماعي على تجربة ميدانية سواء كانت مشروعا أو برنامجا، وذلك خلال سريانها وفي مجال عملياته، حيث يتناول بصورة عامة أي مجهود موجه نحو محاولة معرفة المتغيرات التي حدثت خلال وبعد تنفيذ المشروع المعين، ولمعرفة أي جزء من هذه المتغيرات يمكن إرجاعه إلى البرنامج والمشروع"[١].

وقد عرف بتعريفات أخرى منها:

«الملاحظة الدقيقة لشيء معين بقصد حصر الصفات المتعددة المميزة له.

- هو تحديد مدى التطابق بين الأداء والأهداف.

- هو العملية التي تسمح بالوصول إلى الحكم عن قيمة الشيء"[٢].

غير أن أجود التعريفات وأوضحها هو التعريف التالي:

هوالعملية التي يقوم بها الفرد أو الجماعة لمعرفة مدى النجاح أو الفشل في تحقيق الأهداف العامة التي يتضمنها المنهج وكذلك نقاط القوة أو الضعف فيه حيث يمكن تحقيق الأهداف المرجوة بأحسن صورة ممكنة"[٣].

وبالنظر إلى التعريفات السابقة يظهر أن التقويم يهدف إلى دراسة ما حققته البرامج والمشروعات المختلفة من أهداف وغايات والكشف عن حقيقة المتغيرات التي حدثت في الجوانب المادية والمعنوية للخطة الموضوعة من قبل الجهات العليا

---

(١) د. عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، ص٢١٢.

(٢) المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، محاضرات في التقويم التربوي، ط١، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ص٢٠.

(٣) عبد العزيز صادق، مجلة البيان، العدد (٥٠)، شوال ١٤١٢هـ، مقال بعنوان: تقويم المناهج، ص٢٠.

ذات الاختصاص»[1].

وبذلك يتضح أن التقويم في غايته هو التعرف على القيمة الحقيقية لكل ما تم ، ومدى نجاح الخطة في تحقيق الأهداف المنشودة، كما يهدف إلى استخلاص الدروس المستفادة للاسترشاد بها في الخطوات التالية، وبهذا يكون التقويم ليس مجرد تشخيص للواقع بل هو أيضا محاولة تلمس علاج لما به من عيوب، إذ إنه لا يكفي أن نحدد أوجه القصور في المنهج الدعوي وإنما يجب العمل على تلافي تلك العيوب والقصور والتغلب عليها حتى لا تتكرر الأخطاء، ليكون الأداء في كل مرة أفضل من المرات السابقة.

ومن هنا يمكن أن نؤكد أن التقويم بهذا المفهوم هو أثر من آثار التخطيط، إذ إنه لا يستطيع الشخص أن يقوم بعملية التقويم إذا لم يكن هناك خطة محددة وأهداف معينة يمكن على ضوئها أن يقوم بالتقويم اللازم.

أهمية التقويم في العمل الدعوي:

إن نجاح المسيرة الدعوية في أن تتبوأ مركز القيادة والتوجيه وتعيد للأمة مكانها، في عالمنا المعاصر، إن ذلك النجاح مرهون باستقامة تلك المسيرة على المنهج الذي بينه الله تعالى في كتابه الكريم ورسوله، ﷺ في السنة النبوية المطهرة فقد قال الله تعالى: «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»[2]، وقال رسول الله ﷺ: «لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[3]، وقال : «لقد تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا ، كتاب الله وسنة رسول الله-صلى الله عليه

---

(١) المرجع السابق، بتصرف.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٣.

(٣) أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب٦، ح٤٣، جـ١، ص١٦، ومسند الإمام أحمد، جـ٤، ص١٤٦.

وسلم»[١].

ولذا وصف الرسول ﷺ الانحراف عن هذا السبيل الذي هو يعتبر بمثابة الخطة المرسومة التي يجب أن يسير عليها المسلم بالزيغ المؤدي للهلاك، وبناء على هذا فإن انحراف المسيرة عن هذه الخطة المرسومة، يجعلها تفشل في تحقيق الأهداف المنشودة، وإذا حققت شيئا فإنها تحققه بعد زمن طويل وذلك لبعدها عن تلك الخطة المرسومة.

إذن إن نجاح المسيرة يتحقق بأمرين:[٢]

الأول: الهداية إلى الصراط المستقيم: وذلك بالتعرف عليه والتزام حدوده ومستلزماته، لذا شرع الله لنا أن ندعوه دائما أن يهدينا ذلك الصراط المستقيم حيث نردد في صلاتنا كل يوم «اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ولا الضالين»[٣]، وكان النبي صلى الله عليه وسلم عندما يقوم من الليل يسأل ربه الهداية قائلا: «اللهم رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل أنت تحكم بين عبادك، فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه

---

(١) أخرجه الترمذي، كتاب المناقب، مناقب أهل بيت النبي، رقم، ٣٧٨٦، جـ٥، ص٦٢١، والمسند، جـ٣، ص٥٩، وأخرجه مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، رقم ٣، جـ٢، ص٦٨٦.

(٢) د. عمر سليمان الأشقر، تقويم المسيرة، دار الفتح، باكستان، ط١، ١٤١٣هـ، بتصرف.

(٣) الفاتحة، ٥-٧.

من الحق إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1].

الثاني: اتباع ذلك الصراط المستقيم وعدم الانحراف أو الميل عنه. كما قال تعالى: «وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله»[2]، وقد صور رسول الله ﷺ معنى هذه الآية بوسيلة تصويرية غاية في الوضوح وذلك أنه صلى الله عليه وسلم خط في الرمل خطا وخط عن يمين ذلك الخط وشماله خطوطا ثم أشار إلى ذلك الخط المستقيم وقال: «هذا صراط الله مستقيما» وأشار إلى الخطوط عن يمينه وعن شماله وقال: «هذه السبل على كل سبيل شيطان يدعو إليه»[3]، كما وضحه صلى الله عليه وسلم بمثال تصويري آخر فقال: «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وداع يدعو من فوق الصراط يقول «أيها الناس ادخلوا الصراط ولا تعوجوا، وداع يدعو في جوف الصراط، كلما أراد أحدكم أن يفتح بابا من تلك الأبواب يقول: ويحك لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه»[4]

فالصراط الإسلام ، والأبواب محارم الله، والداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من جوف الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم»

---

(١) ذكره النووي في كتاب الأذكار ونسبه لابن السني، وقال فيه ابن حجر حديث حسن، ص٥٨، ط١، ١٤٠٦هـ، دار التراث العربي، القاهرة، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه، جـ٢، ص١٨٥، تحقيق الدكتور/ محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط١، ١٣٩١هـ، ١٩٧١م.

(٢) سورة الأنعام، آية ١٥٣.

(٣) مسند الإمام أحمد، جـ٢، ص٣٩٧.

(٤) المسند، جـ٤، ص١٨٢.

فالاستقامة على الطريق أمر في غاية المشقة والصعوبة ذلك أن النفس الأمارة بالسوء، والدنيا المليئة بالمغريات وشياطين الجن والإنس، كل ذلك يعوق المسيرة عن الخطة السليمة، ويجرف العاملين فيها عن الدرب القويم.[1]

ولذلك كانت أشق آية أنزلت على الرسول ﷺ كما يقول ابن عباس[2] رضي الله عنهما قوله تعالى: «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير»[3].

يقول سيد قطب حول تفسير هذه الآية: «هذا الأمر للرسول صلى الله عليه وسلم ومن تاب معه، وقد أحس صلى الله عليه وسلم برهبته وقوته حتى روي عنه أنه قال مشيرا إليه: «شيبتني هود وأخواتها» فالاستقامة: الاعتدال، والمعنى على النهج دون انحراف، وهو في حاجة دائمة إلى اليقظة الدائمة والتدبرالدائم والتحري الدائم لحدود الطريق وضبط الانفعالات البشرية التي تميل قليلا أو كثيرا.. ومن ثم فهي شغل دائم في كل حركة من حركات الحياة»[4]

فانحراف الدعاة عن الصراط المستقيم يأتي من أحد هذين الأصلين:

أما عن الجهل بالصراط وعدم العلم به، وهذا هو الضلال الذي وقع من النصارى الذين سماهم الله تعالى بـ «الضالين» إذ عبدوا الله على جهل، وإما عن عدم الاستقامة عليه وعدم اتباعه مع العلم به، وهذا هو حال اليهود الذين سماهم الله تعالى بـ «المغضوب عليهم».

---

(١) انظر: تقويم المسيرة، عمر سليمان الأشقر، ص٨.

(٢) الإمام فخر الدين الرازي، التفسير الكبير، جـ٩، (٥٧/١٧)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١٤١١هـ-١٩٩٠م.

(٣) هود آية ١١٢.

(٤) في ظلال القرآن، جـ٤، ص١٩٣١.

وأما حال الذين أنعم الله عليهم فهو معرفة الحق واتباعه، ومن نعم الله تعالى أن جعل ذلك الصراط واضحا معلومة حدوده وهو السبيل الذي ينبغي أن تسير عليه مسيرة الدعوة إلى الله، إذ هذا السبيل بمثابة الخطة العامة التي ينبغي التزامها من قبل الدعاة العاملين، حين يحققوا الأهداف المنشودة»[١].

وقد تكلم السلف رحمهم الله تعالى عن معنى الصراط المستقيم حيث ذكر الطبري في قوله تعالى: «اهدنا الصراط المستقيم»، قال: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك هذا ما اشتهر من لغة العرب[٢].

وقال ابن عاشور: «قال جبريل لمحمد ﷺ : اهدنا الصراط المستقيم يقول ألهمنا الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا اعوجاج له،قال الطبري: إنما وصفه الله بالاستقامة لأنه صواب لا اعوجاج فيه، وكل حائد عن قصد السبيل وسالك غير المنهج القويم فضال عند العرب لإضلاله وجه الطريق، قال ابن عاشور: والصراط في هذه الآية من سورة الفاتحة مستعار لمعنى الحق الذي يبلغ به مدركه إلى الفوز برضاء الله تعالى، فاعل من استقام، قومته فاستقام، والمستقيم: الذي لا اعوجاج فيه ولا تعاريج، وأحسن الطرق الذي يكون مستقيما وهو الجادة ، لأنه باستقامته يكون أقرب إلى المكان المقصود من غيره، فلا يضل فيه سالكه، ولا يتردد ولا يتحير.

والمستقيم هنا مستعار للحق البين الذي لا تخالطه شبهة باطل، فهو كالطريق الذي لا اعوجاج فيه ثم قال: والأظهر عندي: أن المراد بالصراط المستقيم،

---

(١) انظر، عمر سليمان الأشقر، تقويم المسيرة، ص١٤.

(٢) تفسير الطبري، جـ١، ص٧٣ وما بعدها.

المعارف الصالحات كلها من اعتقاد وعمل»[1].

وهذا الصراط المستقيم هو سبيل الرسول صلى الله عليه وسلم الذي يدعو إليه كما قال تعالى عن رسوله ﷺ وآمرا إياه أن يبلغ الناس قائلا: «قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين»[2].

قال ابن كثير في معنى هذه الآية: «يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم إلى الثقلين، الإنس والجن، آمرا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي طريقه ومسلكه وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو بها إلى الله على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي»[3].

وقال الشوكاني في تفسير هذه الأية: «أي قل يا محمد للمشركين هذه الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها، هي سبيلي أي طريقي وسنتي، وفسر ذلك بقوله: «أدعو إلى الله على بصيرة» أي على حجة واضحة، والبصيرة هي المعرفة التي يتميز بها الحق من الباطل، «أنا ومن اتبعني» أي ويدعو إليها من اتبعه واهتدى بهديه، قال الفراء: والمعنى ومن اتبعني يدعو إلى الله كما أدعو. وفي هذا دليل على أن كل متبع لرسول الله ﷺ حقة عليه أن يقتدي به في الدعوة إلى الله تعالى: أي الدعوة إلى الإيمان به وتوحيده، والعمل بما شرعه

---

(١) محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، جـ١، ص١٩٠، الدار التونسية للنشر، بدون تاريخ طبع.

(٢) سورة يوسف، ١٠٨.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، جـ٢، ص٧٦٦-٧٦٧.

لعباده[1].

وقال ابن جزي الكلبي في التسهيل في معنى الأية: «قل هذه سبيلي» إشارة إلى الشريعة والإسلام، «أدعو إلى الله على بصيرة» أي أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمري، وحجة واضحة»[2].

فإذا كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم تقوم على الصراط المستقيم وهو يدعو إليه فإن الدعاة إلى الله تعالى مأمورون باتباعه والاقتداء به في ذلك وجوبا، حيث يجب أن تكون دعوتهم إلى الله سبحانه وتعالى على بصيرة، كما وصفها الحق تبارك وتعالى.

ومن تمام هذه البصيرة أن يتفقد الدعاة إلى الله تعالى سبيلهم ويقوموا مناهجهم حتى يكونوا على نهجه ﷺ ، حتى تؤتي دعوتهم ثمرتها بإذن الله تعالى ولا يكون ذلك إلا بمراجعة النفس والنقد الذاتي وتحسس ما هو منجز مقارنا بالأهداف التي يسعى إليها الدعاة، وكل ذلك يتم في إطار تقويم المسار، إذ إن التقويم بهذا المفهوم يعتبر أحد مكونات العمل ، حيث إن مكونات وحدة العمل أو أجهزة النجاح ثلاثة : هي : خطة نظرية، ممارسة عملية، ومراقبة ونقد ذاتي، «تقويم».

ولا بد لنجاح أي عمل من تكامل هذه الوحدات الثلاثة، غير أن التقويم أوالنقد الذاتي لم يأخذ مكانه الطبيعي في مكونات العمل الإسلامي المعاصر، حيث إن مجرد كلمة (النقد الذاتي) غير مقبولة في الوسط الإسلامي؛ فهي إما

---

(١) الشوكاني، فتح القدير بين فني الرواية والدراية، جـ٣، ص٥٩.

(٢) محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، التسهيل لعلوم التنزيل، جـ٢، ص١٢٩، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٤، ١٤٠٣هـ.

تجريح وتشهير أو اتهام، أو هي مصطلح غربي غير إسلامي فلسنا بحاجة إليها"[1] وعليه فإن التقويم لم يأخذ طريقه بعد كمصطلح ليصبح أداة تمارس وظيفتها - كبقية الوسائل - في إصلاح الوسط الإسلامي ومنحه العافية"[2].

فإن ظاهرة اليقظة الإسلامية في العالم الإسلامي والتي هي أكبر من تنظيم وحزب وتجمع ترافقت مع عجزها حتى الوقت الحاضر عن تشكيل صيغة معاصرة لمجتمع مسلم يعزز نظامه السياسي، إن هذه الحالة - إن جاز لنا أن نسميها أزمة - باعتبار أن الصراع ما زال قائما بين أصحاب الاتجاه وبين الاتجاهات الأخرى، فإن هذه الحالة تلح في الوقت الحاضر إلى الأخذ باتجاه مزدوج بين ممارسة بث الفكر

---

(١) خالص جلبي، في النقد الذاتي للحركة الإسلامية، ص٤٩.

(٢) ظهرت مع أوائل العقد الأول من القرن الخامس عشر للهجرة، مجموعة كتابات لعلماء ومفكرين إسلاميين اتجهت جميعها إلى مراجعة عمل الأفراد والجماعات الإسلامية العاملة في الساحة الإسلامية، وتناولت كل منها جوانب ما اعتبرته خللا في تجربة العمل الإسلامي بقصد التقويم والتصويب حيثما كان هنالك خطأ أو انحراف من وجهة أولئك العلماء والمفكرين، ومن هذه الكتابات:

١- عصام العطار: حديث هادئ إلى العاملين في الدعوة الإسلامية ، مجلة الطليعة الإسلامية، لندن، العدد ٢٥، السنة ٣، جمادى الأولى ١٤٠٥هـ-٢- خالص جلبي: في النقد الذاتي، مصدر سابق. ٣- عمر عبيد: نظرات في مسيرة العمل الإسلامي، مصدر سابق، ٤- مصطفى الطحان، الفكر الحركي بين الأصالة والإنحراف، ٥- يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ٦- الشيخ محمد الغزالي: دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين. ٧- مجلة الأمة القطرية، مقالات بعنوان: أين الخلل، افتتاحية المحرر، قطر شوال، ١٤٠٤هـ-٨- د. زيد بن عبد الكريم الزيد، ضوابط أساسية في تقويم الجماعات الإسلامية، وغيرها من المقالات والكتب التي تناولت مسيرة الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر.

الإسلامي ورفع الوعي العام وبين ممارسة نقده حتى يستوي على قدميه"[1].

إن مفهوم النقد الذاتي بمعنى مراجعة النفس والنشاط الذي يقوم به الفرد أو الجماعة، ثم محاسبتها هو روح القرآن الكريم، فالآية القرآنية: «لا أقسم بالنفس اللوامة»[2]، فيها معنيان: الأول: العملية، أي عملية اللوم، والثاني: تشكل الخلق في هذا الصدد، فهي أولا عملية مراجعة ومحاسبة ولوم النفس لما يحدث، ويقسم الله بها لأنها مستوى عظيم في وصول الإنسان إليه.

وهي ثانيا: لفظة تشديد (اللوامة): أي أن هذه النفس أصبح لها هذا الأمر خلقا وعادة وطبعا تطبعت عليه، بمعنى أن ممارسة النشاط أصبح مرتبطا بشكل عضوي بهذه العملية[3].

وقد روى عن الحسن البصري في معنى قوله: «ولا أقسم بالنفس اللوامة» قال إن المؤمن، والله، ما نراه إلا يلوم نفسه ما أردت بكلمتي؟ وما أردت بأكلتي؟ وما أردت بحديث نفسي؟ وإن الفاجر يمضي قُدما ما يعاتب نفسه.

وقال ابن جرير: «والأشبه بظاهر التنزيل: هي التي تلوم صاحبها على الخير والشر وتندم على ما فات»[4].

وقد ذكر القرآن الكريم هذا المبدأ في النشاط الجماعي وذلك في قوله تعالى: «إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين، ولا يستثنون فطاف عليهم طائف من ربك وهم نائمون، فأصبحت كالصريم فتنادوا مصبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صارمين، فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا

---

(١) خالص جلبي، في النقد الذاتي، ص١٩.

(٢) سورة القيامة آية ٢.

(٣) خالص جلبي، في النقد الذاتي، ص٢١.

(٤) تفسير ابن كثير، جـ٤، ص٧٠١-٧٠٢.

يدخلنها اليوم عليكم مسكين، وغدوا على حرد قادرين، فلما رأوها قالوا إنا لضالون، بل نحن محرومون، قال أوسطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون، قالوا سبحان ربنا إنا كنا ظالمين ، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون.. الآية»[1].

حيث قام أصحاب الجنة بتصرف خاطئ وأرادوا حرمان المساكين فعوقبوا بإهلاك الثمر «فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون، فأصبحت كالصريم».

فلما أصبحوا ورأوها كذلك، فعلوا في الأول كما يفعل عامة البشر في البحث عن كبش فداء وذلك بمحاولة إلصاق الحكم بصورة خارجية ، فأولا حاولوا تطمين خادع النفس أنه لم يحصل شيء، كل ما حصل هو أنهم ضلوا الطريق، وأن هذا ليس بستانهم، «فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين، وغدوا على حرد قادرين، فلما رأوها قالوا إنا لضالون» ولكن تبين بعد قليل أنها هي لم تتغير، ثم حاولوا تنزيه النفس بشكل غير مباشر، وذلك بادعائهم أنهم مظلومون، بل إنهم محرومون، ولكن هناتدخل الرجل المعتدل ، والذي هو أعدلهم وخيرهم (أوسطهم) ليرشدهم إلى جوهر المشكلة، (ألم أقل لكم لولا تسبحون) وهي أن المشكلة فيكم أنفسكم وليس في الخارج ، وارجعوا إلى أنفسكم واكتشفوا الخطأ الذي حدث ، قوموا بعملية نقد ذاتي، فعند ذلك اعترفوا بأنهم هم الظالمون! فأقبلوا يقومون بعملية اللوم الجماعية لتنظيمهم الداخلي الجماعي»[2].

ثم إن التواصي بالحق والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة ميثاق إسلامي أخذه الله سبحانه وتعالى على المسلمين، كما في قوله تعالى «والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا

---

(١) القلم آية، ١٧-٣٠.

(٢) انظر سيد قطب في الظلال، جـ٦، بتصرف، تفسير ابن كثير جـ٤، ص٦٣٥، وخالص جلبي، في النقد الذاتي، ص٢١.

بالصبر»[١]، وقوله تعالى: «ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة»[٢]، وعن جرير بن عبد الله البجلي، قال: «بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم»[٣]، وعن تميم الداري رضي الله عنه، قال: قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الدين النصيحة، قالها ثلاثا، قلنا لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»[٤].

والتناصح والتواصي بالحق والصبر ليس إلا صورة من صور التقويم والنقد الذاتي الذي يعين الفرد والجماعة على التزام الصراط المستقيم، حيث يبرز من هذا التناصح والتقويم، صورة الأمة المسلمة ذات الكيان الخاص والرابطة المتميزة والوجهة الموحدة التي تشعر بوجودها كما تشعر بواجبها وتعرف حقيقة ما هي مقدمة عليه من السير بالبشرية على طريق الإيمان والعمل الصالح، فتتواصى فيما بينها على ما يعينها على النهوض بالأمانة الكبرى»[٥].

كما أن المسلمين قد بلغوا شأوا عظيما في عملية التقويم فأصبحوا على مستوى عال، وذلك في علم مستقل وهو ما عرف بعلم الجرح والتعديل (تقويم الرجال) وهو سابقة فريدة تميز بها المسلمون عن غيرهم من أجل التمحيص العلمي

---

(١) سورة العصر، آيات ١-٣.

(٢) سورة البلد، آيات ١٧-١٨.

(٣) أخرجه البخاري مع الفتح، كتاب الإيمان، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم، الدين النصيحة، جـ١، ص٢٦٦، رقم ٥٧، ومسلم مع النووي رقم، ٩٧، جـ١، ص٢٣١، كتاب الإيمان.

(٤) سبق تخريجه في ص - ٣٨٣

(٥) سليم بن عيد الهلالي، مجلة الأصالة، العدد الخامس، ١٥ ذو الحجة ١٤١٣هـ مقال بعنوان، لماذا نخشى النقد، ص٢٦، بتصرف.

للمحافظة على التراث الإسلامي، ولما كان معلوما بالضرورة من شرع الله تعالى في التغيير أنه: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما يصلح به أولها، كان لزاما على العاملين للإسلام فتح أبواب النقد والحوار والنصح والتقويم لأنه من حق البشرية أن تتلقى الرسالة الإسلامية صحيحة كما أنزلت على قلب محمد ﷺ ، وأن يكون خطاب التكليف سليما صحيحا لتكون الاستجابة صحيحة[1].

ولأن النقد والتقويم أمر بالغ الأهمية في حياة الأفراد والجماعات فقد تولى الشارع الحكيم القيام به وتطبيقه على حملة الدعوة جميعهم ولم يستثن من ذلك حتى رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة ، والله عزيز حكيم، لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم »[2].

وقد كان ذلك في شأن أسارى بدر من المشركين حيث استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه رضوان الله عليهم فأشار عليه عمر رضي الله عنه بقتلهم، وأشار أبو بكر رضي الله عنه، بالعفو عنهم مع الفداء فأخذ ﷺ برأي أبي بكر فنزلت الآية عتابا له صلى الله عليه وسلم وتأييدا لرأي عمر رضي الله عنه»[3]، وكذلك عاتب الله المؤمنين يوم حنين حين رأوا أنهم لن يغلبوا من قلة ، فأنزل الله تعالى فيهم «ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين[3] ».

قال مجاهد: هذه أول آية نزلت من براءة يذكر تعالى للمؤمنين فضله عليهم

---

(١) المرجع السابق نفسه،

(٢) سورة الأنفال، آية ٦٧.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ، جـ٢، ص٥١٠.

(٣) سورة التوبة، آية ٢٥.

وإحسانه إليهم في نصره إياهم في مواطن كثيرة من غزواتهم مع رسوله صلى الله عليه وسلم وأن ذلك من عنده تعالى وبتأييده وتقديره هو لا بعددهم ولا بعُددهم، ونبههم على أن النصر من عنده سواء قل الجمع أو كثر، فإن يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ومع هذا ما أجدى ذلك عنهم شيئا فولوا مدبرين إلا القليل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أنزل نصره وتأييده على رسوله وعلى المؤمنين الذين معه ليعلمهم أن النصر من عنده تعالى وحده وبإمداده وإن قل الجمع، «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين»[١].

فإن هذا العتاب والتعقيب الذي جاء بعد أحداث غزوة حنين يعد بمثابة الدعوة إلى التقويم ومراجعة الخطة؟ لاكتشاف الخلل الذي حدث؟ مما أدي إلى الهزيمة في المعركة! مع توفر شروط النصر، إذ إن العدد كاف وكبير! والخبرة والعتاد كذلك! وأيضا قد جاءت آيات القرآن عقب غزوة أحد، بعد الهزيمة التي وقعت على المسلمين، إذ قال تعالى: «أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شيء قدير»[٢].

بعد أن استبان لنا معنى التقويم وأهميته وما يدل عليه في الشرع الحكيم، فإنه من اليسير علينا أن نتبين صلته بالتخطيط وأنه ثمرة من ثمراته التي تنتج عندما يكون العمل قائما على تخطيط سليم وخطة مدروسة ومحكمة.

وقد كان هذا المعنى مستقرا في سيرة الرسول ﷺ وسيرة الخلفاء الراشدين المهتدين من بعده ومن تبعهم بإحسان من السلف الصالح.

ففي الحديث المشهور أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحاسب عماله وأنه استعمل رجلا على الصدقة، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء، قال: هذا لكم وهذا أهدي إليّ، فغضب الرسول صلى الله عليه وسلم، وقام في الناس خطيبا،

---

(١) ابن كثير ، جـ٢، ص٥٣٧

(٢) سورة آل عمران آية، ١٦٥.

وقال: ما بال الرجل نستعمله على الصدقة فيأتي ويقول هذا لكم وهذا أهدي لي، فهلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظر أيهدى له أم لا، والذي نفسي بيده ، لا يأخذ شيئا إلا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه إن كان بعيرا جاء له رغاء، وإن كانت بقرة جاء بها ولها خوار، وإن كانت شاة جاء بها تيعر، ثم رفع يديه إلى السماء، آلا هل بلغت اللهم فاشهد »[١].

وهذه المحاسبة ما كان لها أن تتم لولا أن سبقتها عملية تقويم لعمل هذا الصحابي، وذلك على ضوء الخطة الموضوعة له في جمع الصدقة.

وقد روي عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنه أنه سأل الناس فقال: « أرأيتم إن استعملت عليكم خير من أعلم ثم أمرته بالعدل أقضيت ما عليّ؟ قالوا: نعم، قال: كلا، حتى أنظر في عمله أعمل بما أمرته أم لا »[٢].

وهذا النظر من عمر رضي الله عنه في أعماله، نجده يتم في إطار العملية التقويمية، إذ إنه سوف ينظر في مدى التزام العامل بالخطة المرسومة القائمة على العدل والحكم بما أنزل الله، ويمكنه من الاطمئنان على سير العمل في ولايته، وبالجملة قد بين ابن حبان البستي المنهج العام الذي يلزم كل ذي ولاية أن يتبعه في عمله قائلا: الواجب على السلطان قبل كل شيء أن يبدأ بتقوى الله تعالى وإصلاح سريرته بينه وبين خالقه، ثم يتفكر فيما قلده الله تعالى من أمر إخوانه ورفقه عليهم، ليعلم أنه مسؤول عنهم في أدق الأمور وأجلّها ومحاسبته على قليلها وكثيرها. ثم يتخذ وزيرا صالحا عاقلا، عفيفا نصوحا، وعمالا صالحين بررة راشدين، وأعوانا مستوزرين وخدما معلومين، ثم يقلد عماله ما لا غنى له عنهم،

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأيمان والنذور، باب كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم، ومسلم في كتاب الإمارة، باب تحريم هدايا العمال، جـ١١، ص٥٣٢، برقم ٦٦٣٦.

(٢) أبو بكر أحمد بن الحسن البيهقي، السنن الكبرى، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، ط١، ١٣٤٤هـ، جـ٨، ص١٦٣.

ويشترط عليهم تقوى الله وطاعته.

وأخذ المال من حله ويفرقه في أهله، ثم يتفقد أمر بيت المال حتى لا تدخله حبة فما فوقها من نهب أو جور أو سلب أو رشوة، فإنه مسؤول عن كل ذرة منه، ومحاسب على كل حبة فيه، ثم لا يخرجه إلا في المواضع التي أمر الله تعالى في سورة الأنفال»[1].

وهذه التوجيهات والإشارات التي اقترحها ابن حبان البستي رحمه الله لكل ذي سلطان وولاية ، هي مما يعين على إنجاز الخطة ومتابعة سير الأداء فيها، إذ إن تولية الأكفاء تسهم إسهاما كبيرا في إنجاح الخطة المرسومة من قبل الوالي.

وعلى ذلك فإنه يجب أن يتضمن التخطيط أساسا لقياس الأداء حتى يمكن متابعة مدى تنفيذ الخطة في مراحلها المختلفة كما يجب أن يتضمن جهاز متابعة يراقب عمليات التنفيذ وصحة الأداء، وأي خلل يخطر به فور حدوثه لإمكان تداركه في وقته»[2].

وما أروع ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في بيان أهمية ترابط الإرادة الجازمة مع القدرة الكاملة لتحقيق النتيجة المطلوبة حيث يقول رحمه الله «الإرادة الجازمة هي التي يجب وقوع الفعل معها إذا كانت القدرة حاصلة، فإنه متى وجدت الإرادة الجازمة مع القدرة التامة، وجب وجود الفعل لكمال وجود المقتضي السالم من المعارض المقاوم، ومتى وجدت الإرادة والقدرة التامة ولم يقع الفعل، لم تكن الإرادة جازمة، وهو إدراك الخلق لما يقدرون عليه من الأفعال ولم يفعلوه، وإن كانت هذه الإرادات متفاوتة في القوة والضعف تفاوتا كثيرا لكن حيث لم يقع الفعل المراد مع وجود القدرة التامة فليس الإرادة الجازمة جزما تاما، وهذه المسألة

---

(١) أبو حاتم محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، دار الكتب العلمية، ط١٣٩٧هـ، ص٢٦٨.

(٢) محمد عبد الله الخطيب، الدعاة والتخطيط، ص٤٩.

إنما كثر فيها النزاع لأنهم قدروا إرادة جازمة للفعل لا يقترن بها شيء من الفعل ، وهذا لا يكون»[١] .

وهذا الكلام الدقيق العميق من شيخ الإسلام يعتبر سنة كونية تؤكدتلازم الإرادة الواعية (التخطيط) عندما تقترن بها القدرة التامة (التنفيذ) بالنتيجة اللازمة، فإذا تخلفت النتيجة مع قيام السبب لزم وجود مانع طبيعي يتمثل في نقص الإرادة (ضعف التخطيط) أو عجز القدرة (عدم الدقة في التنفيذ) وهذا يستلزم المراجعة حتى يتبين موقع الخلل لتقويمه وتصحيحه.

وقد ورد في القرآن ما يؤكد هذا التلازم كما جاء في قوله تعالى «أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم»[٢] ، حيث بين الله تعالى في الآية الأخرى السبب الذي هو من أنفسهم، إذ قال «ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه حتى إذا فشلتم وتنازعتم في الأمر وعصيتم من بعدما أراكم ما تحبون، منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الأخرة»[٣] .

وقد نزلت هذه الآية[٣] لما قال المسلمون من أين أصابنا هذا وقد وعدنا الله نصره، وذلك أن الظفر كان لهم في أحد أول الأمر، حتى قتلوا صاحب لواء المشركين وتسعة نفر بعده ، فلما اشتغلوا بالغنيمة وترك الرماة مركزهم طلبا للغنيمة خلافا للخطة التي وضعها الرسول صلى الله عليه وسلم، كان ذلك سبب الهزيمة.

قال ابن كثير: فلما حصل ما حصل من عصيان الرماة وفشل المقاتلة تأخر

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى، جـ١٠، ص٧٢٢.

(٢) آل عمران، آية ١٦٥.

(٣) آل عمران، آية ١٥٢.

(٣) الواحدي، أسباب النزول، ص٢٥.

الوعد الذي كان مشروطا بالثبات والطاعة[1]».

وهذا ما يؤكده الشيخ سيد قطب رحمه الله تعالى إذ يقول: «لقد كتب الله تعالى على نفسه النصر لأوليائه حملة رايته وأصحاب عقيدته، ولكن علق هذا النصر بكمال حقيقة الإيمان في قلوبهم وباستيفاء مقتضيات الإيمان في تنظيمهم وسلوكهم وباستكمال العدة التي في طاقاتهم وببذل الجهد الذي في وسعهم، فهذه سنة الله، وسنة الله لا تحابي أحدا، أما حين يتصرفون في أحد في هذه الأمور فإن عليهم أن يتقبلوا نتيجة التقصير، فإن كونهم مسلمين لا يقتضي خرق السنن لهم وإبطال الناموس»[2].

- الأسس التي يقوم عليها التقويم:

بعد بيان مفهوم التقويم وأهميته نختم هذا المبحث بذكر أهم الأسس التي يجب أن يقوم عليها التقويم الدعوي حتى يؤتي ثماره ويكون بذلك تقويما موضوعيا بعيدا عن العواطف الإنفعالية والمؤثرات الطارئة التي تدفع إلى النقد الزائل بزوال تلك المؤثرات، وعليه حتى يكون التقويم موضوعيا يجب أن يقوم على الآتي:

١- الإخلاص وابتغاء وجه الله تعالى بذلك:

وهذا يعتبر الركن الأصيل لكل تقويم، ونقد هادف بناء، حتى تخرج الأهواء والأغراض الخاصة الضيقة التي تؤدي إلى اهتزاز العلاقات والثقة بين العاملين في الحقل الإسلامي يقول شيخ الإسلام بن تيمية «وتحقيق ذلك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو من أوجب الأعمال وأفضلها وأحسنها ، وقد قال تعالى: «ليبلوكم أيكم أحسن عملا»[3] وهو كما قال الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى:

---

(١) ابن كثير، جـ١، ص٦١٧.

(٢) في ظلال القرآن، جـ١، ص٥١٣.

(٣) سورة الملك، آية ٢.

«أخلصه وأصوبه» فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل، وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل، حتى يكون خالصا صوابا، والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة»[١].

فإذا تحقق في التقويم هذا الشرط فإنه لا شك يسهم في نجاحه وقبوله.

٢- التسلح بالعلم الشرعي:

وذلك أن المؤمنين مخاطبون برد خلافاتهم إلى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم، والاحتكام إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: «ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا»[٢].

يقول شيخ الإسلام «ولا يكون عمله صالحا إن لم يكن بعلم وفقه، كما قال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، «من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وكما في حديث معاذ رضي الله عنه، «العلم إمام العمل، والعمل تابع له»، وهذا ظاهر، فإن القصد والعمل إن لم يكن بعلم كان جهلا وضلالا واتباعا للهوى، وهذا هو الفرق بين أهل الجاهلية وأهل الإسلام، فلا بد من العلم بالمعروف والمنكر والتمييز بينهما، ولا بد من العلم بحال الأمر والنهي»[٣]، ولا شك أن العلم الشرعي ضروري في العملية التقويمية حتى يستطيع من يمارس التقويم أن يحكم على عمل غيره ببينة ويكون تقويمه مقبولا ومثمرا.

٣- الموضوعية:

ويقصد بالموضوعية عدم تأثر عملية التقويم بالعوامل الشخصية التي

---

(١) شيخ الإسلام ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، مكتبة دار الأرقم ، الكويت، ط١، ١٤٠٣، ص٨١.

(٢) سورة النساء، آية ٥٩.

(٣) ابن تيمية، الحسبة في الإسلام، ص٨٢.

يتعرض لها الداعية أو من يشاركه في عملية التقويم، فالتقويم إنما يسعى إلى بيان الحق وتصحيح المسار فقط دون مهاجمة أو تجريح لفرد أو جماعة، ولا نهاجم إلا بعد أن نعرف منهم الاستكبار عن قبول الحق وتعمد ارتكاب الأخطاء والإصرار عليها كما قال تعالى: «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم»[1]، وليس من الضرورة لتحقيق المصلحة المطلوبة أن نقرن بين النقد والمنتقد، حيث إنه بأمكاننا أن نعرض الحق والصواب ونبينه للناس، وفي هذا كفاية وهداية، ومما يسند هذا الأساس ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «مر النبي ﷺ بحائط من حيطان المدينة ـ أو مكة ـ فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي في الناس بالنميمة»[2]، يقول ابن حجر رحمه الله في الفتح: «لم يعرف اسم المقبورين ولا أحدهما والظاهر أن ذلك كان على عمد من الرواة، لقصد الستر عليهما» وهو مستحسن وينبغي ألا يبالغ في الفحص عن تسمية من وقع في حقه ما يذم به»[3]، وكثيرا ماكان الرسول صلى الله عليه وسلم في مثل هذه المواقف يقول: «ما بال أقوام يقولون كذا وكذا،... ما بال الرجل...،.

وهناك عدة عوامل شخصية تؤثرفي موضوعية التقويم منها:

---

(١) الأنعام، ١٠٨.

(٢) أخرجه البخاري مع الفتح، جـ١، ص٣٧٩، كتاب الوضوء، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله، رقم ٢١٦، وفي رواية «لا يستبرئ» بموحدة ساكنة من الاستبراء، ولمسلم أبي داود «يستنزه» بنون ساكنة بعدها زاي ثم هاء. ابن حجر ص ٣٨٠.

(٣) ابن حجر ، فتح الباري، جـ١، ص٣٨٣، وانظر : ضوابط رئيسة في تقويم الجماعات الإسلامية، د. زيد بن عبد الكريم الزيد، ص١٩-٢٠، مذكرة مطبوعة على الآلة الكاتبة، ضمن محاضرات في السنة المنهجية بكلية الدعوة والإعلام.

أ) الحالة النفسية أو الصحية أو الاجتماعية أو الظروف المحيطة.

ب) قيم المقوِّم واتجاهاته وآراؤه ، فكثيرا ما يتعاطف الشخص مع الذين يشاركونه نفس القيم ويوافقونه في آرائه أو يجور على من يخالفونه فيها[١] ؛ ولذا فإن وظيفة التقويم شاقة وهي تتمثل في دعوة القرآن إلى العدل «اعدلوا هو أقرب للتقوى»[٢].

ج) الشمول والاستمرار:

وذلك بأن يكون التقويم شاملا لجميع الجوانب «لأن التقويم عملية فعالة نامية ومتطورة، وأداة لإضاءة الوعي ، فهي ترافق الإنسان حيث أعمل عقله، سواء في مشاهدة برامج أو قراءة قصة أو تناول بحث، أو كتاب، أو غير ذلك من الأنشطة، فهو أداة يقظة للوعي الداخلي، وتطهير أخلاقي على مستوى الفرد ، وهو بناء أسرة متماسكة، وسبيل للعيش في جو جماعي صحي، وتطهير للوسط السياسي من التسلط، وبناء علاقات حسنة بين الجماعات»[٣] ، كما أن مراحل التقويم يجب أن تكون عملية مستمرة ومصاحبة لجميع مراحل العمل، لأنه عملية تشخيص وعلاج، أما التقويم الذي يتم في فترات محدودة بناء على الظروف الطارئة أو نتيجة انفعالات مؤقتة فإنه لا يعطي ثمرة، ولا يجدي قيد شعرة؛ لذا فإن التقويم المستمر يحقق الآتي:

أ/ تغطية جميع الجوانب المراد تقويمها.

ب/ تحديد نقاط القوة أو الضعف مع تجدد كل مرحلة.

ج/ الكشف عن المعوقات والمصاعب الطارئة والدائمة.

د/ علاج نقاط الضعف وتدعيم نقاط القوة أولا بأول.

---

(١) مجلة البيان، أسس تقويم المنهج، ص٣٨، العدد ٥٠، شوال، ١٤١٢هـ مرجع سابق.

(٢) سورة المائدة، آية ٨.

(٣) خالص جلبي، في النقد الذاتي، ص١٦٤.

هـ/ التأكد من صلاحية الخطة ومدى واقعيتها.

و/ إتاحة الفرصة لإشراك أكبر عدد من الأفراد في عملية التقويم.

وبهذا يكون قد اتضح لنا مدى تأثير التخطيط في نجاح الدعوة الإسلامية، عبر مراحلها المختلفة، وقد رأينا كيف أن التخطيط قد رافق الدعوة منذ البعثة النبوية، واستمر معها إلى أن تم بناء الدولة الأنموذج، في المدينة المنورة، وقد سار الخلفاء الراشدون على ذلك المنهج الذي ورثوه من النبي ﷺ وقعدوا القواعد في الترتيب والتنظيم والتقويم، وكل ما من شأنه أن يسهم في نجاح العمل الإسلامي.

الفصل الخامس
عقبات التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي

ويشتمل على المباحث التالية:

المبحث الأول : البعد عن المنهج الإسلامي وسبيل علاجه.

المبحث الثاني: الجهل بمخططات الأعداء وكيفية التصدي لها.

المبحث الثالث: ندرة الدعاة المؤهلين وطرق علاجها.

المبحث الرابع: ضعف التنسيق بين الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي.

الفصل الخامس

عقبات التخطيط الدعوي وسبيل مواجهتها

بما أنني تناولت في الفصول الماضية أهمية التخطيط ، وعناصره، وأهم أشكاله في المجتمع الإسلامي، ثم تأثيره على نجاح الدعوة، ففي هذا الفصل الأخير سوف أتناول إن شاء الله أهم العقبات والعوائق التي تواجه التخطيط الدعوي وسبيل علاجها.

إن التخطيط للدعوة الإسلامية قد يصيب النجاح ويؤتي ثمرته، وقد يعتريه شيء من التعثر بحسب قدرة الدعاة والعاملين على ملاءمة وتطوير وسائل الدعوة بما تقتضيه الظروف والأحوال المناسبة وإداراك أبعاد الساحة التي يعملون فيها، والقدرة على تحديد الموقع الفاعل والموثر والوسيلة المجدية من خلال الظروف المحيطة والإمكانات المتاحة، الأمر الذي يقتضي معاناة دائمة، وحسا صادقا، وحسن دراية، وفقها لمعركة الدعوة، وخصومها، حيث تتجدد المعارك وتتبدل المشكلات وتتطور أسلحة المواجهة بسرعة هائلة.[1]

ومن هنا تتأكد عملية المراجعة المستمرة والتصويب الدائب والدائم على ساحة الدعوة الإسلامية في المراحل المختلفة لترشيد المسيرة ومعالجة العقبات والصعوبات التي تحول دون التخطيط السليم لمسيرة الدعوة، وأرى أن من أهم العقبات التي تعترض التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي المعاصر ما يلي:

١- البعد عن المنهج الإسلامي.

٢- الجهل بمخططات الأعداء.

٣- ندرة الدعاة المؤهلين.

٤- ضعف التنسيق بين الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي.

---

(١) انظر: عمر عبيد حسنة، مجلة الأمة، العدد، ٤٢، جمادى الآخرة، ١٤٠١هـ كلمة التحرير.

ود. عبد الله ناصح علوان، عقبات في طريق الدعوة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام، ط١، دار السلام، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، ص٦، بتصرف.

المبحث الأول
البعد عن المنهج الإسلامي وسبيل علاجه

إن النظام الإسلامي الشامل، والمنهج الرباني المتكامل لتنظيم المجتمع وإصلاحه، وتحقيق حاجاته قد أبعد عن التطبيق العملي في كثير من بلاد المسلمين في فترات الضعف والانحلال والاستعمار التي تعرضت له معظم مجتمعات المسلمين.

ويقول في ذلك الشيخ محمد الغزالي: «إن تعليم الإسلام والدعوة إليه اتخذا طريقا شاردة انتهت بالأمة الإسلامية إلى هذه الوحشة الهائلة، وجعلت ألوفا مؤلفة من الناس تحيا باسم الإسلام وهي أقصى ما تكون عن فقهه وفهمه، وأنأى ما تكون عن روحه ونصه...»[1].

لقد كان الإسلام عبر مراحله التاريخية المتتالية قاعدة انطلاق المسلمين نحو بناء الحضارة، والموجه الأساس لحركتهم الفكرية في مواجهة متغيرات الحياة، والقيام بدور الخلافة في وجه الأرض في إطار السنن الإلهية التي أودعها الله سبحانه وتعالى في الوجود كله.

إلا أننا نجد في العصر الحديث أن الإسلام ليس هو الموجه الأساس الذي تعد قاعدته الحضارية هي القاعدة التي ينطلق منها المسلمون لمواجهة الحياة الحضارية الجديدة التي نتجت عن احتكاكهم بالعالم الغربي وحضارته الحديثة.

يا ترى ما الذي حدث؟ وكيف حدث هذا البعد عن المنهج الإسلامي؟ وهل كان ذلك مصادفة وبلا مقدمات؟ وما هي الأسباب الكامنة التي غيرت من حياة المسلمين، ودفعتهم إلى تجاهل الإسلام أو الجهل بحقائقه، والخروج عليه ونسيانه؟

ذلك أنه من المعلوم أن هذا الكون ما فيه ومن فيه خلقه الله تعالى بنظام وسببية وغائية، كل ظاهرة تخضع إلى مجموعة من السنن الإلهية التي تتحكم في

---

(١) محمد الغزالي، كيف نفهم الإسلام، دار الكتب الحديثة، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص٩.

وجوده وصيرورته، لا تفلت منها ظاهرة، ولا تخرج عليها ذرة، كل شيء في الوجود يمشي موزونا مضبوطا مسببا[1].

والظواهر الاجتماعية هي جزء من الظواهر الكونية تخضع في ظهورها وتغيرها وتلاشيها إلى أسباب وسنن اجتماعية معروفة تدخل ضمن السنن الإلهية الكونية ، وظاهرة التغيير في حياة المسلمين كانت ظاهرة ضخمة وصيرورة تاريخية كبيرة، لا بد أن أسبابا مهمة ومتنوعة تقف وراءها، وإن كل ذلك يتم وفق سنن مقررة كشفها الله لكي يهتدوا على ضوئها، ويضبطوا مسارهم بمقتضاها[2].

يقول الله تعالى: «إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[3]، «ذلك بأن الله لم يكن مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»[4]، «ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس لنذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون»[5]، «فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء، حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون»[6]، «أولما أصابتكم مصيبة قد

---

(١) انظر في ذلك: جودت سعيد، حتى يغيروا ما بأنفسهم، ص٧ وما بعدها، ط٦و ١٤٠٨هـ وإبراهيم بن علي الوزير، على مشارف القرن الخامس عشر الهجري دراسة للسنن الإلهية، والمسلم المعاصر، دار الشروق ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م ص١٢.

(٢) انظر، محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١١٦، بتصرف.

(٣) سورة الرعد، آية ١١.

(٤) سورة الأنفال، آية، ٥٣.

(٥) سورة الروم، آية ٤١.

(٦) سورة الأنعام، آية، ٤٤.

أصبتم مثليها قلتم أنى هذا، قل هو من عند أنفسكم..»[1].

وهذا التغيير الوارد في الآيات السابقة هو ما يمكن أن نعبر عنه بالعوامل الداخلية، التي كما تحدث للفرد فإنها يمكن أن تحدث في الأمة عندما تنحرف عن المنهج الذي حدد لها، ولا شك أن هناك عوامل داخلية وقعت في المجتمع الإسلامي أسهمت في إبعاده عن المنهج الصحيح.

بالإضافة للعوامل الخارجية التي كان لها الدور الكبير.

---

(١) سورة آل عمران، آية ١٦٥.

المطلب الأول

العوامل الداخلية

<u>الفرع الأول:</u> الانحراف الديني والصراع السياسي:

يقول الشيخ محمد الغزالي: «من أمد بعيد أحسست أننا مصابون من داخلنا، وأن مواريثنا الفكرية لا تنبع من ديننا، بل من تعاليم دخيلة على هذا الدين ومن أمد بعيد أحسست أن هناك إزورارا عن توجيهات الإسلام الحاسمة في الميادين السياسية والاجتماعية، والاقتصادية تمشيا مع أهواء فرد من الأفراد، أو طبيعة جنس من الأجناس، وأن العبادات فقدت روحها، وأصبحت رسوما ميتة، وأن الأخلاق سقطت عن عرشها، وأمسى تعامل الناس وفق غرائزهم، وأن الصراع العالمي ليس بين الإسلام وغيره من أهواء البشر، وإنما هو صراع بين تطبيقات غبية للإسلام ومسالك بشرية يقظة جريئة»[1].

وهذا الازورار عن توجيهات الإسلام في المجالات المختلفة والذي أحسه فضيلة الشيخ محمد الغزالي قد بدأ مبكرا في حياة الأمة الإسلامية .

وتمثل في الابتعاد التدريجي عن الصراط المستقيم وذلك عندما نشطت حركة الترجمة في العصر العباسي من الإغريقية واللاتينية، وقد بدأت بالكتب التي تتصل بالجانب العملي كالطب مثلا، والكيمياء، أما ما وراء الطبيعة والأخلاق، فإنهم كانوا يتحرجون كل التحرج من ترجمتها اكتفاء واعتزازا بما عندهم[2]في ذلك من وحي معصوم، واستمروا على ذلك إلى أن جاء عهد

---

(١) الشيخ محمد الغزالي: سر تأخر العرب والمسلمين، دار الصحوة للنشر، ط١، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م،ص٥.

(٢) أبو الأعلى المودودي، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص١٥٠، دار القلم، الكويت، ط١١، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، بتصرف.

المأمون فبدأوا بأمر منه يترجمون في مجال ما وراء الطبيعة ومجال الأخلاق، وبدأ التفلسف البحت، وبدأنا نلمس فتور الإيمان كأساس من أسس التفلسف"[١].

وهذا يعني الاعتماد على الأفكار الوافدة من الفلسفات الإغريقية واليونانية في مجال العقيدة والأخلاق، مما سبب خللا واضحا في البنية الأساسية للمجتمع المسلم لأول مرة.

يقول في ذلك الدكتور/ عبد الله محمد العجلان: «بدأ الانحراف العام للأمة المسلمة في أصل عقيدة التوحيد مع قيام الدولة العباسية بعمليات النقل من الأمم السابقة في العلوم والآداب مثل الفرس والهند وترجمة بعض المعارف العامة التي كتبت في ظل مفاهيم غير إسلامية واصطبغت بها حتى صار من الصعب تجريدها من الفلسفات التي قامت عليها وبإفساح المجال لأهل الكلام بالتحدث عن التوحيد والألوهية وفق مصطلحات تقوم على المنطق اليوناني والفلسفة الإغريقية، وإقامة المناظرات في المساجد والمنتديات في البصرة والكوفة وبغداد وغيرها من حواضر العالم الإسلامي آنذاك»[٢].

هذا بإيجاز بعض صور الانحراف الذي صاحب قيام الدولتين الأموية والعباسية في شتى مجالات الحياة، مما أدى لنهايتهما، وذلك وفق السنن الربانية التي لا تحابي أحدا، وهذا بالضرورة لا يعني أنه ليس لهما جوانب إيجابية مشرقة كثيرة تحمد لهما في سبيل نشر الإسلام والتمكين له في الأرض، بل ظل الارتباط بالإسلام والتمسك بآدابه والدفاع عنه سمة للدولتين الإسلاميتين في هذه

---

(١) انظر في ذلك: ابن النديم، الفهرست، القاهرة، ١٣٤٨هـ، ص٣٣٩-٣٤٠، و د. أحمد إبراهيم الشريف، العالم الإسلامي في العصر العباسي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٥، ص٢٧٢، وعلي سامي النشار، التفكير الفلسفي في الإسلام، ص٨٩، ط١، ١٩٧٢م

(٢) د. عبد الله بن محمد العجلان، حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث، ص٢١، ط١، دار طيبة، ١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م.

الفترة من تاريخ الإسلام.

وإنني هنا لست مقوما ولا مؤرخا لأحداث تلك الفترة من تاريخ الدعوة الإسلامية، وإنما قصدت تتبع خط الانحراف الذي أدى إلى البعد عن المنهج الإسلامي في مسيرة الدعوة الإسلامية، وما تبع ذلك من آثار ظلت تتناقل عبر القرون ومن انحراف في المفاهيم الإسلامية في حس الأجيال المتأخرة.

وكل ذلك شكل عقبة أمام كل حركات الإصلاح التي قامت تنادي بالرجوع إلى المنهج الإسلامي القائم على التمسك بالكتاب والسنة.

وخصوصا ما واجه حركات الإصلاح في القرنين الأخيرين، مثل حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، وحركة الإمام حسن البنا في مصر، وغيرهما من حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، وكذلك ما تواجهه كل الحركات الإصلاحية والدعاة المخلصين في أنحاء العالم المختلفة من عقبات، ما هي إلا بسبب الغبش الشديد المحيط بحقيقة الإسلام في نفوس المسلمين، والبعد المتزايد عن المنهج الرباني مما يستدعي من القائمين على أمر الدعوة التفكير والتخطيط،لوضع طرق للخلاص من هذا الانحراف الذي نتج عن ترك الالتزام بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ وهما المصدران الأساسيان للمنهج الإسلامي، ذلك المنهج الكامل الشامل إنما أنزله الله ليواجه الحياة البشرية ويحميها وينظمها ويقيمها على الحق والعدل،ويسيرها بنور الله،إلى السعادة في الدنيا والآخرة.

والسنة النبوية كذلك هي التطبيق العملي والمسلك المبين والشارح للقرآن، كما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك»[1].

فحين ترك المسلمون التمسك بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ونبذوهما وراءهم ظهريا.. وقعوا في الذل والخزي والهزائم العسكرية، والنفسية

---

(١) رواه الإمام أحمد، المسند، جـ٤، ص١٢٦.

والتفرق والشتات وانتشار الجهل والأمية بينهم كما هو حالهم اليوم، ولن يزالوا كذلك حتى يفيئوا إلى الله ويظهروا ويعلوا كلمته... فيطبقوا الإسلام منهجا لحياتهم، ويجاهدوا في سبيل الله حتى يكون الحكم والدين كله لله.

الفرع الثاني: تفشي الأمية في المجتمعات الإسلامية:

الأمية لغة: «نسبة إلى الأم، أو الأمة» وهي «مصدر صناعي، معناه: الغفلة أو الجهالة»، ومن ثم كان الأمي، هو العي الجافي»[1].

ومن ثم يكون من الخطأ قصر الأمية على عدم معرفة القراءة والكتابة، وإن كان الجهل بالقراءة والكتابة، وخاصة في القرن العشرين يمكن أن يكون من الأسباب التي تؤدي إلى «الغفلة والجهالة» وتؤدي بالإنسان إلى أن يكون «عييا جافيا» فإن القراءة في نظر الدارسين المحدثين، هي مفتاح باب المعرفة وهي بالتالي مفتاح التقدم»[2].

ومن هنا كان ارتباط الأمية بالجهل بالقرأة والكتابة عند الكثيرين.

إذ إن الشأن في الذي لا يقرأ ولا يكتب أنه لا يحصل علما ولا يصل إلى المعرفة، ولذا تستعمل الأمية في الدلالة على ذلك ، وإن كان الشخص قارئا أو كاتبا، وقد غلبت الأمية على العرب قبل الإسلام.

أنواع الأمية:

كثير من الكتاب يفرق بين نوعين من الأمية:

- الأمية الأبجدية.

---

(١) المعجم الوسيط، قام بإخراجه: إبراهيم مصطفى وآخرون، وأشرف على طبعه عبد السلام هارون، ، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط ١٣٨٠هـ ١٩٦٠م، جـ١ ص٢٧.

(٢) د. عبد الغني عبود، الإسلام وتحديات العصر مجلة تعليم الجماهير، مجلة متخصصة تصدر عن الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، السنة الثالثة، العدد٥، القاهرة، يناير ١٩٧٦، عدد خاص.

- الأمية الحضارية.

أ) الأمية الأبجدية:

يعرفها الدكتور محي الدين صابر[1] بأنها: «هي الجهل بمهارتي القراءة والكتابة في أي لغة من اللغات المكتوبة والمقروءة، وهي كظاهرة اجتماعية قديمة قدم المعرفة وقدم الإنسان»

ومن ثم كان اعتبار الأمي هو «من لا يقرأ ولا يكتب» إلا أن محو الأمية الأبجدية ليس هو غاية في حد ذاته وإنما هو وسيلة إلى هدف آخر.

ب) الأمية الحضارية (الدينية):

يقول عن الأمية الدينية الشيخ مناع القطان: «والذي نعنيه بالأمية الدينية هنا عدم معرفة الدين والعلم به، وإن أحرز المرء أعلى المراتب في الدرجات العلمية، فإنه إذا جهل حقيقة الدين ومفاهيمه أو فهمه فهما قاصرا كان أميا، وحق له أن يوصف بالأمية الدينية في هذه الحالة، مهما نبغ في كثير من العلوم، وتفوق على أقرانه، ونال شهادة الجدارة والامتياز»[2].

ولعل ما ذهب إليه فضيلة الشيخ مناع القطان من تعريف للأمية الدينية، هو ما يعبر عنه بعض الكتاب بالأمية الحضارية، عندما يقصدون الفرد الذي لا يعيش روح عصره. يقول في ذلك الدكتور صابر: «وكثيرا ما نسمع عن (أمية المتعلمين) ولكننا لا نستطيع استيعابها لأننا ننظر إليها من منظور ضيق، فنرى تناقضا بين الأمية التي تعني عدم معرفة القراءة والكتابة، وبين العلم، الذي يعني معرفتهما، ولو نظرنا إليها من منظورها الحقيقي لاستوعبناها، وذلك لأن (هذه الأمية الأبجدية مصدرها الأمية الحضارية) ، فإن المجتمع الأمي، هو أبو الفرد الأمي،

---

(١) د. محي الدين صابر، الأمية - مشاكل وحلول -، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط١٩٨٦م،ص٢٥٢.

(٢) معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، مكتبة ،وهبة. ط١٤١١هـ ص٨.

وأمية المجتمع تتمثل في تقليديته، وتخلفه الاجتماعي والاقتصادي»[1].

وعلى ذلك يكون معنى محو الأمية، المقصود به الأمية الحضارية والدينية هذا الذي ينبغي أن تبذل الجهود من أجله أولا، وإن كان هناك تلازم واضح بين الأمية الأبجدية والحضارية، وهو الذي انتشر في المجتمعات الإسلامية وأدى إلى بعدها عن المنهج الرباني.

- موقف الإسلام من الأمية:

الإسلام ـ فيما نعلم ـ أول دين أعلن الحرب على الجهل والأمية ودعا إلى التعلم، ورفع مكانة العلم والعلماء[2].

فأول آية منه نزولا دعت للقراءة والكتابة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم»[3].

وهكذا يقرر الإسلام منذ اللحظة الأولى أنه دين يقوم على العلم، ويجعله قيمة أساسية في أصل العقيدة من حيث شرف المعرفة، وفضيلة السلوك، يقول تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء»[3]، ويضعه معيارا للمفاضلة بين

---

(١) د. محي الدين صابر، مجلة تعليم الجماهير، السنة الثانية، العدد الرابع، سيبتمبر ١٩٧٥م ص٨.

(٢) د. يوسف القرضاوي، من أجل صحوة إسلامية راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، ص١٧٩،، المكتب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٣) سورة العلق، آية، ١-٥.

(٣) سورة فاطر آية ٢٨.

الناس: «قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون»[١].

لذلك أقبل المسلمون في فجر الإسلام إقبالا لا مثيل له في تاريخ أمة من الأمم على العلم والتعلم، حتى أن الرسول ﷺ قال: «إنه يستغفر للعالم من في السموات والأرض حتى الحيتان في البحر»[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم: «من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة»[٣].

وكان الدارسون من الصحابة يجلسون حلقا في المسجد في عهد النبي ﷺ، وظل الإسلام يدعو بثبات إلى التعليم للصغار والكبار طول عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، والخلفاء الراشدين، وجاء القرن الثاني للهجرة وزاد عدد الكتاتيب، وعدد المعلمين زيادة هائلة، حتى أصبح بكل قرية كتاب بل ربما وجد فيها أكثر من كتاب»[٤].

وفي القرن الرابع الهجري، بلغت العناية بالعلم وتعليم الكبار درجة عالية فكان العالم يجلس في المجلس وحوله المئات من طلاب العلم، وقد أورد آدم متز[٥]أن أبا الطيب المتنبي الصعلوكي الأديب الفقيه مفتي نيسابور وهي مركز

---

(١) سورة الزمر، آية ٩.

(٢) صحيح سنن ابن ماجة، جـ١، ص٢٣٩، الشيخ ناصر الدين الألباني.

(٣) البخاري مع الفتح، جـ١، ص١٩٢، كتاب العلم، باب العلم قبل القول والعمل، حديث رقم٦٧.

(٤) منير حمد البياتي: تعليم الكبار في المجتمع الإسلامي دوافعه أسبابه، مجلة تعليم الجماهير، العدد ١٤، ١٩٧٩م، ص٢٥.

(٥) آدم متز: (أستاذ اللغات الشرقية بجامعة بازل بسويسرا)، الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧،ص٣٣٢-٣٣٣.

علماء خراسان يقال أنه حضر مجلسه أكثر من خمسمائة طالب علم في بعض جلساته.

ومما يصور لنا مدى حب هؤلاء للتعلم وتعلقهم بمعلمهم ما يحدثنا به السبكي في طبقاته: أن العالم إذا مات كسر تلاميذه المحابر والأقلام وطافوا في البلد نائحين مبالغين في الصياح[١]، فلما مات الجويني، وكان خطيبا مشهورا، كسر منبره، واشتركت نيسابور كلها في الحزن عليه.

وقد ظهر إلى جانب المسجد نوع جديد من المؤسسات العلمية، هي المدارس والمعاهد كالمدرسة التي بنيت لابن إسحاق الإسفرائيني، المتوفى ٤١٨هـ، والمدرسة التي بنيت لابن فورك المتوفى ٤٠٦هـ.

وهكذا الإيمان الحقيقي والسعي في الحياة لا يكونان إلا مع العلم. كما أوجب الإسلام على من تعلم العلم أن يعلم غيره، قال ﷺ :«من سئل علما فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة»[٢]، وهناك كثير من الأحاديث التي تحث على فضل العلم والتعلم، يقول الدكتور يوسف القرضاوي[٣]«ومن هذه الوسائل الرائعة اغتنام الرسول صلى الله عليه وسلم فرصة وقوع عدد من أسرى قريش المشتركين في غزوة بدر في أيدي المسلمين، وكانوا يحسنون الكتابة، ولا يملكون مالا ليفدوا

---

(١) إن للإسلام موقف من شق الجيوب ولطم الخدود والنياحة، وهي من العادات الجاهلية التي حاربها ، كما في الحديث: «ليس منا من شق الجيوب ولطم الخدود، ودعا بدعوى الجاهلية»ولعل ما ذكره السبكي داخل في هذا، وهو يعتبر مخالف لهدي الإسلام إن ثبت صحة نسبته لهؤلاء التلاميذ، وإن كان هؤلاء ما أظهروا حزنهم بهذا الشكل على العالم إلا لخسارة الدين بفقده.

(٢) الشيخ ناصر الدين الألباني، صحيح سنن النسائي، جـ١، ص٢٦٤، باب من سئل علما فكتمه.

(٣) د. يوسف القرضاوي: من أجل صحوة إسلامية راشدة ص١٨١.

أنفسهم، فاشترط النبي صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكتابة»[1].

فكان هذا أول مشروع ينظمه رئيس الدولة لإعلان الحرب على الأمية في تاريخ الأمة، بل لعله في تاريخ البشرية كلها، ويقول ابن حزم في إلزامية التعليم ووجوبه على الإمام: «ويجبر الإمام أزواج النساء وسادات الأرقاء على تعليمهم إما بأنفسهم، وإما بالإباحة لهم لقاء من يعلمهم ، وفرض على الإمام أن يأخذ الناس بذلك وأن يرتب أقواما لتعليم الجهال»[2]، فإذا كان هذا الموقف المشرف والمشرق للإسلام من محاربة الجهل والغفلة، وكان هذا هو المنهج الإسلامي القويم في نشر العلم، وبه ساد المسلمون في قرونهم الأولى الذهبية، وملكوا العالم، فلننظر إلى واقع المسلمين اليوم هل هو كما كان المجتمع الأول.

- واقع المسلمين وانتشار الأمية:

وقد يقول قائل وله الحق فيما يقول: وأين هذا الذي يقال من واقع المسلمين اليوم، إن من المحزن المؤسف أن تكون نسبة الأمية في بلاد المسلمين تقارب الثمانين في المائة ٨٠٪ وأن يوضع العالم الإسلامي كله في دائرة البلاد النامية[3] والإجابة على هذا السؤال ميسورة ، وهي أن واقع المسلمين اليوم بعيد عن

---

(١) مسند الإمام أحمد،جـ٤، ص٤٧، وانظر، الطبقات، ابن سعد، جـ١/٢، ص١٤، ومستدرك الحاكم، جـ٢، ص١٤٠.

٢) فاروق عمر فوزي: التعليم الإلزامي وتعليم الكبار في التراث العربي الإسلامي، مجلة تعليم الجماهير، عدد١٤، ١٩٧٩م، ص٣٢.

(٣) انظر د. محي الدين صابر، الأمية مشكلات وحلول، ص١٦، ود. يوسف القرضاوي، من أجل صحوة الإسلام، تجدد الدين وتنهض بالدنيا، ص١٧٩، وسميح عيسى، على طريق محو الأمية، في القطر العربي السوري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ١٩٧٩م، ص١٥.

الإسلام، في صورته المشرقة الأولى، عن الحضارة والمدنية التي يدفع الإسلام المسلمين إليها دفعا.

ويرى الدكتور/ صابر[1] أن من الأسباب التي أسهمت في انتشار الأمية في العالم العربي التعليم، حيث يقول: «سبب الأمية هو التعليم، فقبل انتشار التعليم الحديث بالصورة التي وردت إلينا من أوروبا كان عدد الأميين في المنطقة العربية أقل بكثير جدا مما هو عليه الآن، لأنه كان هناك تلاحم بين العلم والحياة، وكان الناس جميعا يتعلمون القرآن ويتعلمون معه مجانا مهارات القراءة والكتابة، ثم يتبعون العلم بالعمل مما أعطى للتعليم مفهومه الحضاري آنذاك، وجاءت المدارس والمعلمون والأجراس وناظر المدرسة والمراقب والحصة والكراريس...الخ، وأصبح التعليم بالفلوس.. مع قيود كثيرة في العمر وغيره.. وفرضت علينا مشاكل كثيرة جدا ومعوقات عديدة للتعليم وهكذا تسربت الأمية وظهرت ، وانفصل التعليم عن الحياة»[2].

وقد يأتي اعتراض على ما ذهب إليه الدكتور صابر كيف يكون التعليم

---

(١) لعل ذكر هذا السبب وبالذات من د. محي الدين صابر الذي هو شخصية سودانية تأثرت بالفكر القومي الناصري، في بداية الستينات، وقد عين وزيرا للتعليم في السودان في بداية السبعينات في عهد الرئيس السابق جعفر النميري، عندما كان يعتنق الفكر الاشتراكي، وقد دعا د. صابر لمحاربة التعليم الديني، وكاد أن يلغي جامعة أم درمان الإسلامية، ويحولها إلى معهد، لولا لطف الله ثم وقفة المخلصين من الدعاة هناك، ثم صار فيما بعد مديرا للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ويعتبر كلامه دلالة قوية على أصالة منهج التعليم الإسلامي وفعاليته في محاربة الأمية، (وشهد شاهد من أهلها).

ولكن قد سمعت من بعض الثقات أن الرجل ترك الفكر القومي الناصري وحسن دينه.

(٢) د. محي الدين صابر، الأمية مشاكل وحلول، ص١٨.

الحديث هو السبب في انتشار الأمية في العالم الإسلامي؟ إذ يبدو في ظاهره أن فيه تناقضا مع الدعوة إلى سد منابع الأمية في إطار الواقع المعاصر عن طريق تعميم التعليم الحديث، الذي قال عنه إنه السبب في انتشار الأمية.

ولعل فكرة الدكتور صابر لا تنطلق من نقد نظام المدارس كمؤسسات ولكنها تنطلق من أهداف وغايات تلك المدارس التي أسسها في الأصل المستعمر، فقد كانت تعنى بتخريج فئات من المواطنين لدعم النظام السياسي الذي أنشأته، دون الالتفات إلى تعليم الفئات الأخرى، وكان أسلوب التعليم المطبق قد تم اختياره ليحقق تلك الغاية، فهو أسلوب قائم على التلقين والحفظ وتكوين المهارات اللازمة للوظيفة المقصودة، وظلت هذه المثالب نقطة سوداء في نظام التعليم الذي خلفه الاستعمار سواء في عجزه عن الوصول لكل الناس[1]، أو عجزه عن تشكيل المسلم المتفاعل مع مجتمعه المدرك لقضاياه، إذ إن خريج هذه المدارس يجهل جهلا مطبقا ما يتعلق بأمور دينه،، ولعل إبراز هذه الفكرة يؤكد على ضرورة الالتفات إلى ربط النظام التعليمي بقضايا المجتمع - كما كان في الصدر الأول - وأهمية توجيه سياساته وأهدافه نحو تشكيل العقل المسلم المتفاعل مع قضايا مجتمعه وبيئته..، وقد تنبه لهذا الأمر القائمون على التعليم في السودان إذ إنهم عقدوا مؤتمرا وضع استراتيجية شاملة للتعليم عالجت كثيرا من القضايا المتعلقة بالتعليم وأزالت كل ما يؤدي لتعطيل فاعليته[2].

وأيضا ممن ذهب إلى أن السبب في انتشار الأمية في العالم الإسلامي هو

---

(١) انظر: هاشم أبو زيد الصافي، الأمية في الوطن العربي، منتدى الفكر العربي، عمان، الأردن، ط١، ١٩٧٩م، ومحمد قطب، واقعنا المعاصر، ص٢١٩.

(٢) جريدة السودان الحديث، الخرطوم، العدد ٥٨٧، تاريخ ١٥مايو١٩٩١م، خطاب وزير التعليم العالي والبحث العلمي الدكتور إبراهيم أحمد عمر، أمام الجلسة الختامية، لمؤتمر التعليم العالي المنعقد في الخرطوم في الفترة من ٣ إلى ١٠ جماد الآخرة، ١٤١١هـ.

التعليم الحديث فضيلة الشيخ مناع القطان، حيث يقول تحت عنوان «العوامل التي أدت إلى الأمية الدينية «موجة التغريب، التي شملت مناهج الدراسة في معظم بلاد المسلمين التي وقعت في شباك المندوب البريطاني (كرومر) ووزيره القسيس (دنلوب) في مصر، فانطمست فيها معالم المواد الدينية، ولا تشمل خطتها سوى مادة واحدة لا يزيد نصيبها عن ساعة أو ساعتين في الأسبوع»[1].

ونتيجة لذلك التعليم تخرج معظم أبناء المسلمين وهم يجهلون أحكام الإسلام جهلا تاما، وكما عبر عن ذلك الأمير شكيب أرسلان بقوله: «من أعظم أسباب تأخر المسلمين الجهل، الذي يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر والخل، فيتقبل السفسطة قضية مسلمة ولا يعرف أن يرد عليها»[2].

وهذا الجهل الذي جعل كثيرا من المسلمين يعتمدون على الخرافة دينيا، ومن ثم اتجهت جهود المصلحين في مطلع القرن الثاني عشر، إلى رد المسلمين مرة ثانية إلى طريق الإسلام ووضاءته الأولى، ووضع أقدامهم بالتالي على المنهج الإسلامي الصحيح.

وإلى هذا العمل الكبير اتجهت جهود الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية وغيره من المصلحين في أنحاء متفرقة في العالم الإسلامي، وكذلك بذلت كثير من المؤسسات والمنظمات والهيئات الخيرية والدعوية جهودا مقدرا في مجال إصلاح التعليم ومحاربة الأمية باعتبارها عقبة كأداء أمام التخطيط السليم للدعوة الإسلامية.

ويوكد ذلك ما صرح به معالي الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي - السابق عندما سئل عن أهم العقبات التي تعترض طريق

---

(١) ، معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، ص١٥ بتصرف.

(٢) الأمير شكيب أرسلان: لماذ تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم، دار البشير للطباعة والنشر، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص٧٥.

الدعوة الإسلامية حيث قال: «شبح الأمية الذي ما زال يطارد المسلمين في كل منحى من مناحي حياتهم بالرغم من وضوح عناية الإسلام وحثه على التعليم... هذا في الواقع واحدة من أعقد المشكلات التي يتألم الإنسان لوجودها بين أبناء المسلمين حتى هذا الوقت، فقد عمل الاستعمار على تنميتها وبقائها في عدد من الأجيال المتعاقبة، إدراكا منه لحقيقة أن الأمية تساعد على الغفلة عن الحقوق، وتبقى المغتصب علي حاله أطول فترة ممكنة.

وقد رحل الاستعمار عن تلك البلاد التي تتفشى فيها الأمية، وأصبح لزاما على أمة الإسلام أن تتخلص من هذا العيب بشتى الوسائل»[1].

ولا شك في أن دعوة المتعلم أيسر من دعوة الأمي ذلك أن المتعلم يحتاج إلى جهد يسير من التوجيه ليعتمد بعد ذلك على جهده الخاص في البحث والاطلاع والمعرفة والتحصيل على العكس من الأمي الذي لا يستطيع شيئا من هذا كله.

وعليه ينبغي على القائمين بشؤون الدعوة في العالم الإسلامي والذين يريدون أن يعودوا بالناس إلى المنهج الإسلامي الصحيح، والذي يشكل البعد عنه أحد عقبات التخطيط الدعوي، فإنه ينبغي عليهم أن يجتهدوا في معالجة مشكلة انتشار الأمية بين المسلمين.

- بعض طرق علاج الأمية.

إن مفهوم الأمية الذي نقترح بعض الطرق لعلاجه، ينبغي أن يحرر من إطاره الضيق المقصور على تعلم القراءة والكتابة والحساب فقط، ليشمل الأبعاد التي تهم المسلم من أمور دينه، بحيث يصبح لا يجهل شيئا معلوما من الدين بالضرورة، بذلك تصبح اكتساب مهارات القراءة والكتابة والحساب ليست غاية في حد ذاتها، بقدر ما يجب أن تكون وسيلة لبلوغ غايات أهم، ومن هنا ينبغي توظيف تلك المهارات المكتسبة في سياق

---

(١) د. عبد الله عمر نصيف، مجلة المنار، العدد ٨، السنة ١٤، ص٨٦-٨٨.

محاربة الجهل والأمية الدينية بمفهومها الشامل.

ولذا أقترح بعض الحلول لعلاج الأمية في المجتمعات الإسلامية:

أ) يجب على الجهات الدعوية القائمة بأمر الدعوة في المجتمعات الإسلامية التعاون والتنسيق مع منظمات جامعة الدول العربية المختصة بمحو الأمية في العالم العربي، وذلك مثل (المنظمة العربية للثقافة والعلوم، وجهاز محو الأمية) التابع لها، وذلك حتى يتسنى الاستفادة من خبراتهم ووسائلهم في هذا المجال.

ب) أن تهتم الجامعات والمعاهد الإسلامية بتضمين مناهجها لمواد علمية ذات علاقة بمحاربة الأمية في المجتمعات الإسلامية، وحتى يتخرج الداعية ولديه خبرة عملية وتقدير لأهمية محاربة الأمية في المجتمعات التي يعمل فيها.

ج) الإسهام في سد منابع الأمية بإلزامية التعليم الابتدائي وتعميمه في جميع أنحاء العالم الإسلامي، وهذا يتطلب من الجمعيات والمنظمات الإسلامية أن توليه عناية خاصة وأن توجه جزءا كبيرا من ميزانياتها وبرامجها لدعمه، كما أشار لهذا الدور معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي السابق الدكتور/ عبد الله عمر نصيف، في معرض حديثه عن خطورة الأمية في المجتمعات الإسلامية، وطرق علاجها، حيث قال: «والرأي عندي هو الاهتمام بالمدارس وتوفير المدرسين لها أهم بكثير من أي أسلوب آخر في الدعوة، ونستطيع أن نستخدم الموارد والخامات المتوفرة في البيئة بدلا من إنشاء مدارس ضخمة من أجل المباهاة، وقد نرى اليوم في مجتمعات إسلامية كثيرة من يريد - عن جهل - أن ينشئ مسجدا تصل تكاليفه عشرة ملايين دولار في بنجلاديش أو البرازيل، أو هنا أو هناك، لو أنه أنشأ مسجدا بمائة ألف ريال بالطين أو الطوب أو الخشب لحقق الغرض، إننا لا نزال نعاني من مركب النقص، نريد أن نبني مساجد بقباب ومنابر فخمة وبالهواء المكيف، وننسى أننا بحاجة إلى نشر دور لتعليم الأطفال في مناطق المسلمين.. وأذكر أنه عندما ذهبت مجموعة من الأفراد لبحث موضوع المجاعة في أفريقيا وجدت في مناطق كثيرة أن عدد الأطفال المسلمين الذين يهيمون بلا مدارس يزيد

على ثلاثمائة ألف في المنطقة الواحدة.إننا نتهاون في قضية تعليم الأبناء ثم نكافح الأمية عند الكبار، فكأننا في الحقيقة نعمل في فراغ»[1].

وهذا الرأي الذي ذهب إليه معالي الدكتور عمر عبد الله نصيف، رأي له وزنه باعتباره صادرا من رجل تبوأ أعلى المناصب في مؤسسة تمثل العالم الإسلامي قاطبة وتحمل آلامه وهمومه.

وعليه نرجو أن يجد هذا الاقتراح طريقه إلى التنفيذ لدى المؤسسات العاملة في مجال الدعوة إلى الله في المجتمعات الإسلامية.

الفرع الثالث: الهزيمة النفسية:

إن من أهم العوامل الداخلية التي أسهمت بقدر كبير في إبعاد المجتمع الإسلامي عن المنهج الرباني عبر التاريخ الطويل، وأصبحت تشكل عقبة أمام دعاة الإصلاح والتوجيه الذين يخططون للعودة بالأمة الإسلامية إلى هذا المنهج المستقيم، هو ما يمكن أن نسميه بالهزيمة النفسية.

وهي عبارة عن شعور داخلي يصيب الفرد والمجتمع والأمة، وقد عرفها فضيلة الشيخ عبد الله بن حمد الشبانة، في كتابه القيم (المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية) بأنها: «شعور بالهوان والضعة والضعف والعجز عن مجاراة الأعداء بله التفوق عليهم.

إذ إنها في أدق صورها وأجلى معانيها ذوبان في الشخصية وتحلل من التبعات ورخاوة في تناول شؤون الحياة وإخلاد إلى الدعة والسكون في ذلة وخور وإقبال على المتاع الغليظ يصب منه المهزوم فلا يكاد يفيق. إنها ذل في سويداء القلب ورضى بالدونية يجعل صاحبه لا يرفع رأسه ولا يفتح عينيه.

إنها واقع مريض أسود يصم صاحبه بكل قبيح من الصفات التي يكفي منها

---

(١) كتاب الأمة، فقه الدعوة ملامح وآفاق، الجزء الأول، حوار مع معالي الدكتور/ عبد الله بن عمر نصيف، الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي، ص.٩٠.

أن تستبدل العبودية بالحرية وأن يتحول إلى ظل لهازمه الذي ملأ عليه كل فراغ وسد عليه كل منفذ، فلا يستنشق إلا بالهواء الذي يستنشقه هازمه الذي يسير في ركابه ويسيطر على عقله وقلبه وكيانه كله، ولا يسلك إلا الطريق الذي يسلكه ولا يرى إلا ما يراه ولا يسمع إلا ما يسمعه.

إن الهزيمة النفسية بعبارة أخرى تحوّل إلى (نسخة كربونية) - إن صح التعبير - عن ذلك السيد الهازم المطاع»[١].

وإن هذا التعريف الوافي الذي ذهب إليه الشيخ عبد الله الشبانة، هو ما يصور لنا واقع معظم المجتمعات الإسلامية في القرون المتأخرة.

ولا شك أن لتخطيط أعداء الإسلام وجهودهم الماكرة دور كبير في قتل روح المقاومة في الأمة وليس ذلك فحسب، وإنما استطاعوا أن يحولوا شعور العداء ضدهم إلى شعور محبة وصداقة وارتياح، بل إنه قد وجد في العالم الإسلامي في فترة من الفترات من ينادي بالتبعية التامة للمستعمرين[٢].

ومما يؤكد لنا أهمية هذا العامل في إبعاد المسلمين عن المنهج الإسلامي اهتمام طائفة كبيرة من مفكري الأمة الإسلامية وعلمائها الأجلاء، بتناول أسباب انحطاط وتأخر المسلمين ، وكثير منهم عزى ذلك للانهزام النفسي والروحي الذي ساد في الأمة.. ومن أوائل الكتاب الذين أشاروا لذلك الأمير شكيب أرسلان، حيث قال: «من أعظم أسباب انحطاط المسلمين في العصر الأخير فقدهم كل ثقة بأنفسهم، وهو أشد الأمراض الاجتماعية وأخبث الآفات الروحية، لا يتسلط هذا الداء على إنسان إلا أودي به ولا على أمة إلا ساقها إلى الفناء، وكيف يرجو

---

(١)عبد الله بن حمد الشبانة، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م،ص٣١.

(٢) د. ناصر عبد الكريم العقل، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، رسالة دكتوراة، مطابع جامعة الإمام، بدون تاريخ طبع،ص٣٨.

الشفاء عليل يعتقد بحق أو بباطل أن علته قاتلته؟ وقد أجمع الأطباء في الأمراض البدنية أن القوة المعنوية هي رأس الأدوية، وأن من أعظم عوامل الشفاء إرادة الشفاء، فكيف يصلح المجتمع الإسلامي ومعظم أهله يعتقدون أنهم لا يصلحون لشيء ، ولا يمكن أن يصلح على أيديهم شيء، وإنهم إن اجتهدوا أو قعدوا فهم لا يقدرون أن يصارعوا الأوروبيين في شيء»[1].

وواضح من تحليل الأمير شكيب أرسلان أن أحد أسباب انحطاط المسلمين هو فقدان الثقة بالذات، أو ما عبرنا عنه بالهزيمة النفسية، وهي من أخطر الأمراض الفتاكة إذ تنخر في جسم المجتمع الإسلامي كالسوس، ومن هنا يؤكد على أهمية معالجتها ومحاربة من يقف من ورائها.

وقريبا من هذا الذي ذهب إليه أرسلان نجد مفكرا آخر وهو المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي ـ رحمه الله ـ في عدد من كتبه يؤكد على هذا الخلل في جسم الأمة، وهو ما يعبر عنه (بالقابلية للاستعمار)، فقد ذكر في معرض تحليله لواقع بلاده الجزائر وما آلت إليه من تردي في أوضاعها العامة أن ما وصلت إليه قام على قواعد ثلاثة، هي:

- لسنا بقادرين على فعل شيء لأننا جاهلون.
- لسنا بقادرين على أداء هذا العمل لأننا فقراء.
- لسنا بقادرين على تصور الأمر لأن الاستعمار في بلادنا.

وبعد تحليله لهذه القواعد الثلاثة يقول في الختام «ويهمنا هنا أن نذكر أنه فيما يتصل بالأسطورتين اللتين فرغنا من حديثهما، لا يأتي عامل الكف من خارج الذات، بل هو سبب داخلي ناتج عن نفسية الناس، وأذواقهم، وأفكارهم، وعاداتهم، أي عن كل ما يكون عقل ما بعد الموحدين، وهو في كلمة واحدة ناتج

---

(١) الأمير شكيب أرسلان، لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم، تقديم محمد رشيد رضا، دار البشير، القاهرة، بدون تاريخ طبع، ص١٤١-١٤٢.

عن قابليتهم للاستعمار»[1].

وهو ما يعبر عنه أيضا في كتابه شروط النهضة بقوله: «فإن العامل الاستعماري في الواقع يخدع الضعفاء ويخلق في نفوسهم رهبة ووهما ، ويشلهم عن مواجهته بكل قوة وإن هذا الوهم ليتعدى أثره إلى المستعمِرين أنفسهم فيغريهم بالشعوب الضعيفة، ويزين لهم احتيالهم إذ يحاولون إطفاء نور النهار على الشعوب المتيقظة، ويدقون ساعات الليل عند غرة الفجر وفي منتصف النهار لترجع تلك الشعوب إلى العبودية والنوم...»[2].

هذه الصورة التي صور بها مالك بن نبي إنسان الجزائر وموقفه من الاستعمار هي في الحقيقة صورة معظم الناس في عصرنا الحاضر.

وهذه الحالة هي أشبه بحالة الانبهار بما عند المستعمر، وبالتالي تخلق حالة من الانهزام النفسي، يفقد معها الشخص (المستعمر ـ بفتح الميم ـ) التفكير السليم لمواجهة خطر الاستعمار.

إذن بعد أن تأكد لنا خطورة الهزيمة النفسية في المجتمع الإسلامي، كعامل من العوامل الداخلية التي أسهمت في إبعاده عن المنهج الإسلامي، فإنه تبقى علينا أن نشير إلى أهم المجالات التي تظهر فيها الهزيمة النفسية في المجتمع الإسلامي المعاصر:

١- مجال الفكر، (الفكر التربوي - الفكر الإعلامي):

٢- مجال النظم، (النظام الاقتصادي، السياسي)

٣- مجال السلوك، (سلوك الفرد، وسلوك الجماعة):

---

(١) مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر ، دمشق، ترجمة عبد الصبور شاهين، ط ١٤٠٢، ١٩٨١م، ص٨٠-٨٣.

(٢) مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة، القاهرة، ط٢، ١٩٦١م ص٢٠٥.

هذه هي أهم المجالات التي تظهر فيها الهزيمة النفسية، فإننا نجد مظاهر الهزيمة النفسية في مجال التعليم تتمثل في محاصرة التعليم الديني ماديا ومعنويا، والانشطار في التعليم أساسا وظهور تلك المناهج المزدوجة وتقسيم التعليم إلى تعليم ديني وتعليم آخر غير ديني، وإهمال الجامعات الإسلامية والمعاهد العريقة دون أدنى اهتمام، كما حدث للأزهر الشريف، وجامع الزيتونة، والتوسع في الابتعاث إلى الدول الكافرة وانتشار المدارس الأجنبية في البلاد الإسلامية وتمييع للمناهج الإسلامية بحجة التطوير والإختلاط في التعليم بين الجنسين، وترويج اللهجات المحلية السوقية، ومحاولة انتزاع الدراسات العربية من حضانة الدين والقرآن لنزع قداسة اللغة العربية وحرمانها من حماية الدين لها[1].

أما مظاهر تلك الهزيمة النفسية في مجال الإعلام في كثير من البلدان الإسلامية - إلا من رحم ربك - فهي تبدو واضحة فيما يقدم عبر وسائل الإعلام من برامج وتحليلات، تبدو بعيدة عن روح وقيم الأمة الإسلامية إلى درجة العبث وضياع الهوية الحقيقية للأمة في وسائل إعلامها، وتخبط تلك الوسائل في دياجير الحيرة والتيه، واعتماد وسائل الإعلام على الوكالات الأجنبية وصحافة الأعداء دون تدقيق أو إعادة نظر فيما تنقله عنها.

وكذلك الفصل الإعلامي المتمثل في تقسيم البرامج التي تبث عبر الإذاعة والتلفزيون إلى برامج دينية وأخرى غير دينية ، وكذلك تخصيص صفحات في الصحف والمجلات للفكر الديني مما يفهم منها أن غيرها من الصفحات ليست كذلك .

وتقديم وسائل الإعلام في بعض البلاد الإسلامية للساقطين والساقطات وإطلاق

---

(١) انظر حول الهزيمة والتبعية للغرب في التعليم: عبد الله الشبانة، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، ص٦٣، ومحمد قطب، واقعنا المعاصر، ص٢١٧ وما بعدها، وناصر العقل، التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية ص٩٣.

ألقاب الأبطال والنجوم عليهم وتقديمهم كنموذج ونخبة ، وتسليط الأضواء عليهم ليكونوا المُثل العليا للشباب من الجنسين ، في حين يحرم من هذه المساحات العلماء والمفكرون"[١].

أما أبرز مظاهر الهزيمة النفسية في مجال الاقتصاد ، فهي تتمثل في التبعية المطلقة للمذاهب الرأسمالية والاشتراكية في مختلف مجالات الاقتصاد النظرية منها والتطبيقية، مما أدى إلى التخلف الاقتصادي الظاهر في البلاد الإسلامية وعدم الاستغلال الأمثل للطاقات المادية والبشرية مما نتج عنه الفقر والجمود ، وهذا كله نتيجة إلى البعد عن المنهج الإسلامي في مجال الاقتصاد ، كما يؤكد ذلك الدكتور عيسى عبده: «ومما يجدر الإشارة إليه أن الأمة الإسلامية وقد فقدت شخصيتها في الأجيال القليلة الماضية التي صاحبت ضياع الدولة العثمانية، أصيبت بنوع خطير من الولاء السلبي جعلها تؤمن بكل ما هو مستورد من نتاج المصانع إلى نتاج المزارع إلى نتاج الفكر الطليق، وقد يكون هذا النتاج ضلالا ، وننبه بالقول الصريح إلى أن الكثرة من المعاهد العلمية والجامعات في البلاد الإسلامية قد شهدت من نحو مائة عام مضت إلى يومنا هذا تباعدا مستمرا عن الشريعة.. وقربا من الدراسات الإنسانية التي تصدر عن المفكرين في الغرب والشرق، وبعض هذه الدراسات فاسد وبعضها لا يخلو من صواب ولكنها تتفق في أمر واحد ، وهو عدم الاستقرار» ومن جملة هذه الدراسات غير المستقرة الجانب الأكبر من الدراسات الاقتصادية، وبعبارة أخرى الاقتصاد كله إلا ما كان منه في أضيق الدوائر التي يصح وصفها بالعلم، وإلى هذه الأوضاع الخطيرة ينبه

---

(١) لمزيد من التفصيل حول علمانية ومظاهر الهزيمة النفسية في وسائل الإعلام انظر: محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص٣٢٥ وما بعدها، ويوسف العظم: رحلة الضياع للإعلام العربي المعاصر، ضمن سلسلة التوعية الإسلامية، الدار السعودية للنشر، جدة، ط١، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، ص٦و٢٨، ومحمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب، ص٩٨، وعلي جريشة وزميله: أساليب الغزو الفكري للعالم، ص٧٠وما بعدها، د. محمد زين العرمابي، مجالات انتشار العلمانية، دار العاصمة، الرياض، ط١،

المؤلف ويتلمس العذر لمن وضعوا المناهج ولمن شغلوا الكراسي لعشرات السنين لأنهم جميعا حرموا من دراسة التراث الإسلامي الغني بمادته، وأول ما حرموا منه القرآن والسنة، «وفي ذلك بلاء عظيم» وفاقد الشيء لا يعطيه»[١].

أما عن أهم مظاهر الهزيمة النفسيه لدى كثير من المسلمين فيما يتعلق بالنظام السياسي، فإننا نجد في مقدمة تلك المظاهر نكبة المسلمين بألغاء الخلافة الإسلامية في تركيا في عام ١٣٤٣هـ، ١٩٢٤م، وعزل وطرد آخر خليفة للمسلمين واحتلال معظم بلاد المسلمين من قبل الدول الغربية الكافرة في أواخر القرن الميلادي الماضي وأوائل هذا القرن، وتنازل الدول الإسلامية في ضعف وعجز عن شريعتها وأحكامها الإسلامية وتحكيم القوانين الوضعية في جميع مجالات الحياة، وتتبع ومطاردة كل داعية لإعادة الخلافة الإسلامية سواء كان فردا أو جماعة، ووضع أقصى العقوبات على دعاة الإسلام، وغيرها كثير من مظاهر الهزيمة النفسية.[٢]

أما من أخطر ما تظهر فيه أمارات الهزيمة في مجال السلوك فرديا كان أو جماعيا، فأن من تلك المظاهر تقليد المهزومين من أبناء الأمة لهازميهم في الملبس

---

(١) د. عيسى عبده، الاقتصاد الإسلامي، مدخل ومنهاج، دار الاعتصام، بدون تاريخ طبع، ص٣١ بتصرف.

(٢) لمزيد من التفصيل حول الهزيمة النفسية في النظام السياسي:

- د. عبد الحليم عويس، أوراق ذابلة من حضارتنا، دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية، ص٩، دار الشروق، ط٢، ١٩٨٢م..

- د. أبو المعطي أبو الفتوح، حتمية الحل الإسلامي وتأملات في النظام السياسي، ص٦، مطبعة الجبلاوي، القاهرة، ١٩٧٧م.

- د. يوسف القرضاوي،الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا، ص١١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١١، ١٩٧٧م..

والمأكل ، فحسب المقلدون المنهزمون «أنه بتغيير اللباس تتبدل عقلية أمة متخلفة وتنشأ فيها الحركة والحيوية والنشاط»[1].

وتقليد المرأة بوجه خاص للمرأة الغربية في التبرج والإسراف، واستعمال الزينة، والاختلاط بين الجنسين، وهكذا تبدو مظاهر الهزيمة النفسية عند المسلمين في سلوكهم أفرادا وجماعات، وهكذا قد تواطأت عدة عوامل على إبعاد المسلمين عن المنهج الإسلامي القويم.

-طرق العلاج:

لا شك أنه لا يكفي ذكر مظاهر الهزيمة النفسية في المجتمع الإسلامي، وكيف أنها أسهمت في الابتعاد عن المنهج الإسلامي إذ لا بد على الأقل من ذكر بعض طرق علاجها، إذا كان مقام البحث لا يسمح باستقصاء جميع طرق العلاج، ومن أجل علاج هذه الظاهرة الخطيرة فإنني أقترح على القائمين والمهتمين بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي القيام بالآتي:

١- الاهتمام بالأجيال القادمة من أبناء المسلمين وتربيتهم تربية إسلامية، وإنشاء جيل يعتز بدينه وقيمه الإسلامية، ويسعى في نشرها ، ولا يتم ذلك إلا بالاهتمام بمناهج التربية والتعليم ومقومات العملية التربوية والتعليمية، فإذا استقامت جميعها وصلح أمرها أمكننا الاستفادة منها في علاج هذه الظاهرة، لأهمية ميدان التربية والتعليم واحتوائه على عصارة الأمة وزهرتها وهم شبابها وأبنائها الذين إذا استطعنا إنقاذهم من آثار هذه الظاهرة وهذا الداء العضال انطلقنا نصلح بهم غيرهم ونعالج بهم بقية المرضى بهذا الداء من فئات الأمة

---

(١) أبو الأعلى المودودي، الإسلام في وجه التحديات المعاصرة، ص١٦٣-١٦٤، ترجمة خليل أحمد العمادي، دار القلم، الكويت، ط٥، ١٩٨٣م.

المختلفة[1].

٢- السعي لوضع استراتيجية شاملة للإعلام الإسلامي تقوم على أساس الفهم العميق للإسلام، بأن يختار لوضعها ممن يجمعون بين الالتزام بدينهم والإيمان المطلق بعظمته والحماس له، وبين الخبرة اللازمة في مجال الإعلام كما يجب أن تقوم هذه الاستراتيجية على الوحدة والتناسق فيما يقدم للناس، وذلك لمحاربة الانشطارية الحاصلة في مجال الإعلام اليوم، إذ إنه لا يليق بأمة الإسلام أن يكون إعلامها في كثير من البلاد الإسلامية ذا وجهين، فوجه إسلامي ووجه يتنكر للإسلام، والقضاء على التناقض الحاصل في برامجه وخططه إذ تجد الشيء ونقيضه في الإذاعة الواحدة والصحيفة الواحدة والتلفاز الواحد، مما يولد الشكوك وعدم المصداقية في نفس المستقبل لمثل هذه البرامج وبالتالي ينعكس على الرسالة التي من المفترض أن تكون منطلقة من قيم الإسلام شكلا ومضمونا.[2]

المطلب الثاني

العوامل الخارجية

كما مر في المطلب السابق، دور العوامل الداخلية في الإسهام في إبعاد المجتمع الإسلامي عن المنهج الرباني، الذي كان من المفترض أن يسير عليه، وكما وضحت أن تلك العوامل من عند المسلمين أنفسهم، وإن كان هناك بعض التأثير بفعل عوامل خارجية، فإنني في هذا المطلب سوف أتناول بشيء من الإيجاز هذه العوامل الخارجية، والمتمثلة بالدرجة الأولى في الاستعمار، وما استغله من واجهات مثل التبشير والإغاثة والخدمات الطبية والتعليم إلخ.. وما استخدمه من

---

(١) انظر: عبد الله الشبانة، المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، ص١٦٣، بتصرف.

(٢) انظر : المصدر السابق نفسه، بتصرف، والندوة العالمية للشباب الإسلامي، الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية بين النظرية والتطبيق، الشيخ زين العابدين الركابي، النظرية الإسلامية في الإعلام والعلاقات الإنسانية، ص٣٣٢.

وسائل لتحقيق أغراضه الرامية إلى تدمير العالم الإسلامي، والسيطرة التامة على خيراته.

مما شكل عقبة أمام كل الدعاة والمصلحين ورواد التحرر الذين يسعون ويخططون للتخلص من هذا الكابوس الذي ظل يمثل هاجسا وعائقا لخطة الدعوة والتحرر.

وسوف أتناول موضوع العوامل الخارجية في النقاط التالية:

* الاستعمار وعلاقته بالتبشير.

* أهم الوسائل التي استخدمت لإبعاد المجتمع عن المنهج الرباني.

* ما طرق مواجهة هذا الاستعمار؟

أولا: الاستعمار وعلاقته بالتبشير:(١)

لم يعد ثمة شك في ارتباط التبشير المسيحي بالاستعمار بعدما تكشف من وثائقه ونشراته التي صدرت عن المستعمرين والمبشرين، وما سجله المفكرون والأحرار في بلاد الاستعمار وما أعلنه المناضلون من أجل الحرية في المستعمرات السابقة، يقول القسيس زويمر - رئيس إرسالية التبشير في البحرين - في المؤتمر الذي دعا لعقده في القدس، إبان الاحتلال البريطاني لفلسطين، وبعد أن استمع إلى خطب كثير من المبشرين اليائسة والدالة على إفلاس التبشير في البلاد

---

(١) حول موضوع الاستعمار وعلاقته بالتبشير انظر: د.عمر فروخ ومصطفى الخالدي، التبشير والاستعمار ص٣٤ وما بعدها، ط٥، ١٩٧٣م، وأحمد عبد الوهاب: حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص١٢٧، مكتبة وهبة، القاهرة، ط١، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م، ومحمد محمود الصواف: المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص٣١، دار الاعتصام، ط١، ١٣٩٩هـ، ١٩٧٩م، ص٥٦، ود. عبد الستار السعيد، الغزو الفكري، ص٥٣، دار الوفاء، المنصورة، ط٤، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م، وأ.شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ص١٢٣، ترجمة محب الدين الخطيب، ومساعده الياف، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م.

الإسلامية يقول: «..ولكن مهمة التبشير التي ندبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية ليست هي إدخال المسلمين في المسيحية فإن في هذا هداية لهم وتكريما - هكذا - وإنما مهمتكم أن تخرجوا المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله، وبالتالي فلا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها، وبذلك تكونون أنتم بعملكم هذا طليعة الفتح الاستعماري في الممالك الإسلامية، وهذا ما قمتم به خلال الأعوام المائة السالفة خير قيام، وهذا ما أهنئكم عليه وتهنئكم دول المسيحية والمسيحيون جميعا كل التهنئة»[1].

وهكذا كان خطاب القسيس زويمر واضحا في علاقة التبشير بالاستعمار مما لا يحتاج إلى تعليق..

ويقول المبشر الأمريكي جاك مندلسون: «لقد تمت محاولات نشيطة لاستعمال المبشرين، لا لمصلحة المسيحية وإنما لخدمة الاستعمار والعبودية»[2].

ومغزى هذه العبارة واضح في تحديد هدف التبشير.

ومما يؤكد علاقة الاستعمار بالتبشير ما صاحب دخول الإنجليز السودان كما يقول ذلك الدكتور مصطفى الخالدي وزميله: «على أن جهود السياسة في السودان كان أكثر تضافرا على التبشير، جاء الجنرال غردون حاكما على السودان في أواخر أيام الخديوي إسماعيل باشا، الذي خلع عن عرش مصر عام ١٨٧٩م، ومنذ ذلك الحين حثت الجمعيات التبشيرية رجالها على البدء بالتبشير الفعلي في السودان المصري»[3].

وفي السودان بالذات كان نشاط المبشرين واضحا وعلاقتهم بالاستعمار

---

(١) محمد محمود الصواف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص٥٨.

(٢) جاك مندلسون: الرب والله ووجوجو، ترجمة إبراهيم أسعد، دار المعارف القاهر، ص٢٠٩.

(٣) الاستعمار والتبشير في البلاد العربية،، ص١٤٩.

وطيدة، بل كانوا في معظم فترات الحكم الإنجليزي على السودان هم الذين يديرون شؤون البلاد، واستمر هذا الحال حتى بعد الاستقلال وقيام حكومات وطنية، مما اضطر إحدى الحكومات في السودان وهي حكومة الفريق إبراهيم عبود، في ١٩٦٤/٢/٢٧م باتخاذ قرارا بطرد جميع المبشرين والقساوسة، وهذا نص القرار:

وافق مجلس الوزراء في ١٩٦٤/٢/٢٧م على الآتي:

١/ إبعاد كل المبشرين والقساوسة الأجانب بالمديريات الجنوبية.

٢/ تقييد عمليات التجار الأجانب في الجنوب بحيث لا تتجاوز مستوى العواصم والمراكز الإدارية.

كما أوضح مجلس الوزراء الأسباب التي دعته لاتخاذ هذه الإجراءات:

١/ عمل المبشرين الدؤوب خارج وداخل السودان على إشاعة عدم الاستقرار وزعزعة الأمن الداخلي للبلاد عن طريق نشر المعلومات الكاذبة ضد الحكومة وتحريض المواطنين على ترك البلاد والانضمام لحركة المقاومة، وإثارة الطلاب وحضهم على الشغب.

٢/ تدخل المبشرين الأجانب في الشؤون الداخلية للبلاد وانغماسهم في السياسة المحلية وتحريضهم للجنوبيين لفصل الجنوب، وحضهم على الثورة ضد تغيير العطلة الأسبوعية من الجمعة إلى الأحد، وحثهم الجنوبيين على مكافحة استيطان الشماليين في الأقاليم الجنوبية، بالإضافة إلى محاولاتهم التأثير على توجهات وميول الناخبين.

٣/ انتهاك قوانين البلاد بالمتاجرة غير المشروعة في الأدوية دون الحصول على تراخيص،...الخ.[1]".

---

(١) د. حسن مكي محمد أحمد، المشروع التنصيري في السودان، نشر المركز الإسلامي الإفريقي بالخرطوم، ط١، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، ص٩٦.

عندما صدر هذا القرار الذي يفضح تورط المبشرين وكنائسهم في شؤون البلاد الداخلية، صعقت كل الدول الصليبية وعلى رأسها دولة الفاتيكان، وأخذت الصحافة المسيحية تشن حملة شعواء ضد حكومة العرب في الشمال كما يحلوا لهم أن يسموها.

ولعل مما يؤكد أيضا دور الكنائس والمبشرين في تدخلهم في السياسة في السودان، ما ظلوا يقدمونه من دعم ورعاية متواصلة لحركة (جون قرنق)[١] ويمدونها بالسلاح والمال اللازمين تحت ستار الإغاثة وحقوق الإنسان.

وقد نجح هذا الحلف الشيطاني بين الاستعمار والتبشير في تحقيق أغراضه الرامية إلى الاستيلاء على العالم الإسلامي ونشر الفساد والخراب في معظم البلاد التي سيطروا عليها.

---

(١) حركة جون قرنق: حركة منصرية اشتراكية علمانية، وتسمي نفسها بحركة (الجيش الشعبي لتحرير السودان) وقد ركز ميثاقها على ما أسماه بأزمة الهوية السودانية، وتبنت الحركة في البداية أطروحات الفكر الماركسي الشيوعي، ودعوتها إلى قيام سودان اشتراكي علماني، وتحرير السودان من حكم الأقلية، ـ الخرطومية ـ كناية عن تحرير السودان مما يسمونه بطغيان الثقافة الإسلامية والعربية، وتلقى قائد الحركة تعليمه بين تنزانيا والولايات المتحدة، حيث نال الدكتوراة في الاقتصاد الزراعي، ويقال أنه تلقى تدريبات عسكرية في إسرائيل، والآن في عهد الحكومة الحالية يعتبر موقفه ضعيف جدا رغم ما يتلقاه من دعم ومناصرة، وقد استطاعت الحكومة استعادة معظم المدن التي كان قد سيطر عليها إبان الحكومات السابقة.

- أهم الوسائل التي اتخذوها لتحقيق أهدافهم:[(١)]

وكان من أهم وسائل المنصرين ما يلي:

١- فتح المدارس الأجنبية في العالم الإسلامي والإكثار منها على مختلف المراحل الدراسية وإظهارها بمظهر يفوق المدارس الأهلية الوطنية، التي يقوم عليها المسلمون، والإكثار من الاستعانة بالقسس والمبشرين ليشرفوا على هذه المدارس ويربوا أجيال المسلمين على أعينهم.

٢- التوسع في الابتعاث إلى الخارج وبالذات إلى الدول الصليبية، فقد حرص أعداء الإسلام على إعطاء أبناء المسلمين فرصا للدراسة حتى يعودوا إلى بلدانهم وقد تشربوا بالثقافة المسيحية، التي تجعلهم بمنأى عن عقيدتهم ودينهم، ليكونوا عونا للاستعمار وحربا على رسالة الإسلام.

٣- تشجيع الدعوات القومية كالطورانية والفرعونية والفينيقية والبابلية والأشورية والقومية العربية ، والإفريقية، وكل هذه الدعوات لإخماد فكرة تجمع المسلمين حول الإسلام، تحت أية راية كانت.

٤- السيطرة على التعليم والثقافة ووسائل النشر وعلى العديد من الأدباء والكتاب.

٥- السيطرة على خيرات العالم الإسلامي وربط المصالح الدولية الاقتصادية بالغرب الكافر ليبقى يستثمر خيرات البلاد والشعوب الإسلامية ويستنزف طاقاتها ويشيع الفقر والبطالة فيها، ويعمل جاهدا على عدم توفير الخدمات الفنية

---

(١) انظر تفصيل هذا الوسائل في: د. مصطفى خالدي وزميله، التبشير والاستعمار، ص٦٥ وما بعدها،ومحمد محمود الصواف، المخططات الاستعمارية، ص١٨٥ ، ود. عبد الستار السعيد: الغزو الفكري، ص٤٧، ود. علي جريشة: حاضر العالم الإسلامي، ص٧٣، وشاتليه: الغارة على العالم الإسلامي، ص٣٤٤، وأحمد عبد الوهاب، حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، ص٦٣، ود. حسن مكي، المشروع التنصيري في السودانص١٤٥.

والتكنولوجية للمسلمين.

٦- العمل على إفساد المرأة المسلمة ثم إخراجها باسم الثقافة والحرية والديمقراطية سافرة متبرجة، وجعلها إحبولة الفساد في المجتمعات الإسلامية، ومن تعطيل الأسرة وهدم كيان المجتمع الإسلامي وإبعاده عن المنهج الرباني.

٧- العمل على إلغاء المحاكم الشرعية واستبدالها بالمحاكم الوضعية، ومن ثم الحط من قيمة الشريعة الإسلامية وترويج فكرة عجز الفقهاء المسلمين بل الفقه الإسلامي عن حل المشكلات الحديثة وعرقلة الجهود المبذولة لتطبيق الشريعة الإسلامية على الحياة والدولة.[١]

٨- استغلال العمل الطبي والإغاثي، وذلك نظرا لأهمية تأثيرهما في معظم أنحاء العالم الإسلامي.

٩- لعبة الانقلابات العسكرية، وتمكين بعض الفئات الموالية لسياسة الاستعمار والغرب لتحكم في العالم الإسلامي بالنظام العلماني القائم على فصل الدين عن الدولة.[٢]

وغيرها كثير من الوسائل التي يتفننون في ابتكارها كلما استجد أمر في العالم الإسلامي.

ونسأل الله أن يبطل كيدهم ويجعله في نحورهم «إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا»[٣].

* وسائل حماية المجتمع الإسلامي من خطر التبشير والاستعمار:

إنه لكي نصل إلى علاج مناسب لمكافحة مخططات التبشير والاستعمار الذي تتعرض له الأمة الإسلامية في مختلف جوانب حياتها، لا بد من تشخيص

---

(١) الشيخ مناع القطان، مقومات تطبيق الشريعة الإسلامية، ص١٣، بتصرف.

(٢) د. علي جريشة، حاضر العالم الإسلامي، ص٧٣.

(٣) سورة الطارق، آية ١٥-١٧.

المرض، ومعرفة موطن الداء لكي نصف الدواء.

فالمجتمع الإسلامي الذي يتناوشه الأعداء من كل جانب حتى أصبح لقمة سائغة لكل ذي مأرب، وصدق فيها قول الرسول ﷺ : «يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها»[1]، وقد تكالبت عليه الأمم من الغرب والشرق، تريد أن تحطم هذا المجتمع، وغدا العالم الإسلامي مطمعا لكل الطامعين، ولا شك أن موطن الداء في جسد الأمة الإسلامية يكون في أفرادها أنفسهم[2]، حيث إنهم في فترة من الفترات جعلوا الغرب قدوتهم ، وانصرفوا بذلك عن عقيدتهم ونسوا الله فأنساهم أنفسهم، عند ذلك كان خط الانحراف ، ذلك الخط الذي قاد المجتمع الإسلامي إلى مهاوي الردى ودياجير الظلام، فبدأ المجتمع ينسلخ عن دينه رويدا رويدا، بفعل فاعل أراد بالأمة كيدا وفتنة، على الرغم من تحذيرات القرآن المتكررة عن اتباع هؤلاء الأعداء «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم»[3]، وقوله تعالى: «ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا»[4].

وغيرها كثير من الآيات والأحاديث النبوية.

إن المتتبع لتاريخ المجتمع الإسلامي يدرك تماما تلك النكبات التي وجهت له، ويعرف إلى أي مدى كان تأثيرها عليه.

هذه العوامل مجتمعة نخرت في جسد الأمة الإسلامية، لتتسع عند ذلك

---

(١) أخرجه أبو داود: سنن أبي داود، كتاب الملاحم، باب تداعي الأمم على الإسلام، حديث رقم٤٢٩٧، جـ٤، ص٤٨٣، تحقيق عزت عبيد الدعاس.

(٢) انظر: مطلب الهزيمة النفسيه من هذا البحث.

(٣) سورة البقرة، آية ١٢٠.

(٤) سورة البقرة، آية، ٢١٧.

رقعة الداء على الراتق[1].

ولذا فإنه لا يتم علاج هذا الداء في الأمة الإسلامية إلا بعودة المجتمع الإسلامي إلى منابعه الحقيقية الأولى: القرآن والسنة، والعمل على التخلص من تبعية الغرب والشرق «إن البحث عن الأصالة يتطلب منا أولا أن ننهي مرحلة التسكع الثقافي والفكري، لأننا فعلا نعيش وننغمس منذ بداية العهد الاستعماري وبداية اتصالنا بالحضارة الغربية في النطاق الاستعماري»[2].

إذا تم لنا الرجوع إلى منابع الإسلام الأولى يمكن بعد ذلك اتخاذ الوسائل التالية لصد العدو الخارجي:

١- لعل من أبرز الوسائل في محاربة التحديات الخارجية التنصيرية وغيرها التي تعترض المجتمع في دينه وعقيدته، الاهتمام بالعقيدة الإسلامية القائمة على مبدأ التوحيد الخالص من كل الشوائب، والبدع والخرافات، حتى نستطيع أن نواجه الغزو الثقافي الوافد، لأن المجتمع الذي يتسلح بالعقيدة الصحيحة لا يمكن أن يتأثر بأي عقيدة فاسدة.

٢- كشف الاستعمار وخططه وأهدافه وتوعية شعوب المنطقة الإسلامية بأخطاره، ويتم ذلك من خلال نشر الوثائق والكتب وعقد الندوات والمؤتمرات لتعرية كل النشاطات المشبوهة.

٣- أن تعمل الدول الإسلامية الغنية على توسيع فرص المنح الدراسية لأبناء المسلمين حتى يتذودوا بالعلم الشرعي، إذ إن الفرص المتاحة حاليا لا تفي بالغرض، خصوصا إذاعلمنا «المنح التي تقدمها الجامعات الإسلامية لأبناء المسلمين في العالم لا تتعدى العشرات، بينما نجد دولة صغيرة مثل (كوبا) تمنح (موزامبيق) قبل أعوام قليلة أربعة آلاف منحة لتتحول موزمبيق إلى دولة

---

(١) الوعي الإسلامي، مجلة الكويت، ١٤٠٨هـ، ٢٨٦.

(٢) انظر: أنور الجندي، الطريق إلى الأصالة، دار الاعتصام، القاهرة، ص٦.

شيوعية في أفريقيا، وميزانية (كوبا) كلها لا تزيد على ميزانية بعض بلديات المدن العربية الكبيرة»[1].

هذه إذا كانت كوبا على صغر حجمها وخمول ذكرها، فكيف بالدول الكبرى؟ وياترى كم منحة تقدمها لأبناء العالم الإسلامي في السنة؟

لا شك أن ما تقدمه تلك الدول من منح دراسية إلى أبناء المسلمين، يفوق كثيرا ما يقدم لهم من الدول الإسلامية ذات الإمكانات المادية والعلمية الميسورة.

ومن باب الإنصاف فإننا نجد أن المملكة العربية السعودية منذ فترة طويلة لها يد طولى في هذا السبيل حيث فتحت أبواب جامعاتها السبعة لمئات بل لآلاف من أبناء المسلمين، لينهلوا من العلوم الإسلامية، والجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة تكاد تكون قائمة في برنامجها التعليمي منذ نشأتها على تعليم أعداد كبيرة من أبناء المسلمين من مختلف أنحاء العالم.

بل إننا نجد أن للمملكة دورا أعظم في إعطاء المنح لأبناء المسلمين، وذلك بفتح المعاهد والمراكز الإسلامية في مختلف أنحاء العالم، ليتلقى أبناء المسلمين العلوم الشرعية التي تنفعهم في دينهم ودنياهم.

---

(١) د. عباس محجوب، مجلة الأمة القطرية، العدد، ٥٨، شوال، ١٤٠٥هـ يونيو ١٩٨٥م، ص.١٠.

المبحث الثاني

الجهل بمخططات الأعداء، وكيفية التصدي لها

إن أعدء الإسلام والمسلمين لا يكفون عن تدبير المؤامرات وإعداد الخطط للنيل من الإسلام وتشويش أفكار المسلمين، مما يوجب التصدي لهم، والعمل على إحباط خططهم، ورد كيدهم في نحورهم، حتى تكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى.

والخطط التي وضعها أعدء الإسلام المعارضين للدعوة الإسلامية إنما هي لإفساد الفرد المسلم، والأسرة المسلمة، والمجتمع المسلم، تلك الخطط التي تتسم في الفكر المعاصر بالصبغة اليهودية والصليبية والشيوعية،[1] وغيرها من القوى التي تسعى لمحاربة الإسلام، وقد اتخذ هؤلاء الأعداء لمحاربة الإسلام أساليب ووسائل عديدة منها:

١- اصطناع طائفة من العملاء يكون ولاؤهم لغير المسلمين ولهم جرأة على الجهر بإنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة والعمل على وضع هذه الطائفة في مراكز القيادة والتوجيه.[2]

٢- تكوين فريق من المستشرقين للطعن في الإسلام والتشكيك في مصادره، بهدف قطع الصلة بين المسلمين في الحاضر وبين ماضيهم المجيد، ولا يتحقق مثل هذا الهدف إلا بتشويه تاريخ المسلمين بتزييف وقائعه والتشكيك في مفاخره، وتفسير أحداثه تفسيرا مغرضا مضلا، وتلقين أبناء المسلمين هذه المعلومات الخاطئة المضللة، حتى ينفروا من تاريخهم القديم في الصورة التي تقدم

---

(١) الشيخ محمد محمود الصواف، المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، ص١٢، والدكتور عبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكري، ص٧٤، بتصرف.

(٢) انظر، د. علي جريشة، حاضر العالم الإسلامي، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ط٣، ١٤٠٨هـ ص٥٣.

لهم، ولا يجدون فيه ما يعتزون به، لأن الإنسان بفطرته يحن إلى القديم، ويبحث فيه عما يفخر ويعتز به، فإذا لم يجد ما يصبو إليه، لفظ هذا الماضي، وبحث عن تاريخ آخر يحتمي فيه ويعتز به"[1].

وتقدم هذه الدراسات التي يقوم بها المستشرقون في شكل مؤلفات يشجع الاستعمار على طبعها ونشرها باسم البحث العلمي وحرية الفكر والمناقشة.

٣- إنشاء الجمعيات التبشيرية وعقد الندوات وإلقاء المحاضرات في مراكز الثقافة حول تمجيد المسيحية وروحانيتها، والنيل من الإسلام، وافتراء الأكاذيب حوله[2].

٤- إنشاء المدارس والكليات ذات الطابع النصراني في عواصم الدول الإسلامية ومدنه الكبيرة، مثل الكلية الأمريكية في كل من بيروت ودمشق، والقاهرة، وكلية فيكتوريا في الإسكندرية وغيرها من المدارس في تركيا والهند وتونس الخ، للقيام بتكوين جيل من المتعلمين يغذى بلبن المبشرين، ويربى على أيديهم، ولا تكاد تخفى هذه المؤسسات طابعها التبشيري والمسيحي[3]، ولكن ضعف المسلمين يبقي عليهم في الوطن الإسلامي ليعملوا على تخريب عقيدة فلذات أكباد المسلمين.

ونسوق مثلا لذلك ما جاء في المنشور الذي أصدرته الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٠٩م، ردا على احتجاج الطلاب المسلمين لإجبارهم على الدخول يوميا إلى الكنيسة، فقد جاء في المادة الرابعة من المنشور ما يلي:

---

(١) د. عبد المنعم محمد حسين، الدعوة إلى الله على بصيرة، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) د. علي جريشة، محمد شريف الزئبق، أساليب الغزو الفكري، دار الاعتصام، دون تاريخ طبع، ص٣٢، بتصرف.

(٣) د. مصطفى خالدي، ود. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ، ص٤٦، وكذلك ص٦٦ من نفس المرجع.

«إن هذه كلية مسيحية أسست بأموال شعب مسيحي، هم اشتروا الأرض وهم أقاموا الأبنية وهم أنشأوا المستشفى وجهزوه، ولا يمكن للمؤسسة أن تستمر إذا لم يسندها هؤلاء، وكل هذا قد فعله هؤلاء ليوجدوا تعليما يكون الإنجيل من مواده، فتعرض منافع الحقيقة المسيحية على كل تلميذ، وكل طالب يدخل مؤسستنا يجب أن يعرف سابقا ماذا يطلب منه...

كما أعلن مجلس أمناء الكلية في هذه المناسبة:

«أن الكلية لم تؤسس للتعليم العلماني، ولا لبث الأخلاق الحميدة، ولكن من أولى غايتها أن تعلم الحقائق المسيحية الكبرى وأن تكون مركزا للنور المسيحي، وأن تخرج بذلك على الناس وتوصيهم به»[1].

وعلى هذا النمط أنشئت كثير من المدارس والكليات في معظم أنحاء العالم الإسلامي، وهي تبث سمومها بين أجيال المسلمين التي تمسك بأزمة الأمور في بلادها في المستقبل القريب، ولذلك اهتم أعداء الإسلام والمسلمين، في أثناء سيطرتهم على كثير من بلاد المسلمين بتوجيه التعليم في هذه البلاد الوجهة التي يريدونها[2]، وصبغوا التعليم بالصبغة العلمانية وحاولوا إضعاف التعليم الديني، وتقليل زاد أبناء المسلمين من الثقافة الإسلامية الأصلية، وجعل التعليم الديني في مرتبة أدنى من التعليم العلماني لينفر أبناء المسلمين منه، وتقل معرفتهم بأمور دينهم، وصوروا هذا الأمر على أنه دليل على التطور والتحرك للحاق بركب الحضارة الأوروبية الحديثة، ولا أظن أن هذا الأمر يحتاج لدليل، فقد أصبح واضحا وضوح الشمس في رابعة النهار، ولكن رغم ذلك نجد من المسلمين من يكابر في مثل هذه الحقائق ومن فرط جهلهم يفضلون أن يعلموا أبناءهم في

---

(١) د. محمد البهي، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر، ص١٠. نقلا من كتاب التبشير والاستعمار، ص١٠٨، ١٠٩.

(٢) د. مصطفى الخالدي، ود. عمر فروخ، التبشير والاستعمار، ص٧٦-٧٨.

مدارس التبشير وجامعاته..

٥- ومن وسائل الاستعمار اليوم ـ بمستشرقيه ومبشريه وكتابه ـ تفكيك عرى الوحدة بين المسلمين[1] تلك الوحدة الفطرية الربانية التي أقامها الله بين المسلمين، وجعل الحج والاجتماع حول البيت من أبرز مظاهرها، ومن أقوى دعائمها، ولقد كانت الوحدة فيما مضى من الدهور من أقوى العوامل في اندحار الأعداء في الحروب الصليبية، وإفشال خططهم الماكرة ومؤامراتهم.

وما نراه اليوم من نزاع على الحدود بين الدول الإسلامية والعربية ليس إلا شاهدا على ذلك، وتلك الحدود التي وضعها الاستعمار لتكون قنابل موقوتة يفجرها في الوقت المناسب، كما يحدث هذه الأيام من مشادة على الحدود بين السودان ومصر، والعراق والكويت، وإيران والإمارات، وغيرها كثير، وللأسف الشديد نجد من أبناء المسلمين من ينجرف وراء حيل وألاعيب الاستعمار وأعداء الأمة الإسلامية من يهود ونصارى وغيرهم سواء عن جهل أم سوء قصد، ومثال ذلك المقال الذي كتبه رئيس تحرير جريدة أخباراليوم المصرية إبراهيم سعدة، والذي يحرض فيه النظام المصري على غزو السودان، على غرار ما حدث في هايتي.[2]

٦- ومن أساليب أعداء الإسلام تمهيد عقول الشباب المسلم للغزو الفكري الاستعماري مهما كانت أشكاله وصوره، من شيوعية أو رأسمالية أو دارونية ما

---

(١) د. مصطفى خالدي، ود. عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، ص٣٧، بتصرف.

(٢) انظر جريدة الشعب المصرية التي يصدرها حزب العمل - العدد ٨٨٢ بتاريخ ٢٤ ربيع الآخر ١٤١٥هـ، ص٣.٧ - حيث إنها قامت باستطلاع آراء كبار الشخصيات الدبلوماسية والدعاة والمواطنين حول تلك الدعوة التي أطلقها إبراهيم سعدة، وحيث جاءت إدانة شاملة واستنكار لها.

دام يهدم بنيان الإسلام[1] ، وأعداء الإسلام مهما اختلفت سياستهم فهم متفقون على أن الإسلام لايصلح أن يبقى في الوجود لأنه خطر على مصالح المستعمرين.

لذا فإن أعداء الإسلام يشجعون كل ما من شأنه خدمة أغراضهم، فتجدهم يشجعون ويمدون الأدب الإباحي والأدباء والشعراء الإباحيين والمغنين والخليعين يمدونهم بكل أسباب القوة، فينشرون مفاسدهم ويلقون عليهم الأضواء حتى يجعلوهم للشباب المثل الأعلى، كما يشجعون الأدب العابث الذي لا يلتزم بخلق ولا يعمل إلا للعبث والمجون وقضاء الوقت والفراغ بالباطل... ويقدمون لأصحابه الجوائز العالمية ذات الأغراض المعروفة.

كل هذه الوسائل والأساليب التي اتخذها أعداء الإسلام، متفرقين أو مجتمعين، من الداخل أو من الخارج سرا وجهرا، ومهما اختلفت اتجاهاتهم وأهدافهم فهي ولا شك إنما تشكل عقبات أمام التخطيط للدعوة الإسلامية في المجتمعات الإسلامية والعربية.

فمنذ سقوط الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م، وأعدء الإسلام يكيدون ليلا ونهارا للقضاء على دعوة الإسلام، وذلك بالغزو الاستعماري العسكري في مرحلة من المراحل، وبالغزو الفكري الثقافي حين لم يُجْدِ الغزو الاستعماري.

والحمد لله.. ورغم كل هذا الكيد والتخطيط للقضاء على دعوة الإسلام، فإنه لم يخل عصر من العصور، ولا مجتمع من المجتمعات الإسلامية من داعية مصلح يقف أمام هذا الغزو ويقاومه بشتى الوسائل والأساليب.

ولعل العزاء في أن هذه سنة الله في الصراع بين الحق والباطل والعاقبة للمتقين.

وبما أن الصراع قديم قدم الحق والباطل على وجه الأرض فإنه لا بد للقائمين على أمر التخطيط للدعوة الإسلامية من وضع خطط ووسائل للتصدي إلى

---

(١) عبد الله ناصح علوان، حتى يعلم الشباب، دار السلام للطباعة، ص١٢٣، بتصرف.

مخططات أعداء الدعوة، وتبصير المسلمين بما يحاك ضدهم من مؤامرات، وأن تكون هذه الوسائل والأساليب ملائمة ومتطورة ومتكافئة لتلك الوسائل التي يحارب بها الإسلام...

* كيفية التصدي لمخططات الأعداء:

مع اعترافنا بما سبق فإن الإصلاح لا يعدم وسيلة تنفذ إلى الواقع الفاسد بالإقناع والترغيب والتربية والتقويم، وكشف خطط الأعداء وتعريتها لكل ذي عينين، ولا بد أن يعمل القادة المصلحون على إقناع الذين انحرفوا من أبناء أمتنا، حتى يعلموا أنهم قد كانوا ضحايا غزو فكري أعده أعداءأمتهم بإحكام بالغ، لهدم مباني مجدها التاريخي العظيم، ولذا أرى أن من أهم الوسائل والأساليب التي يمكن أن نصدّ بها مخططات الأعداء في العصر الحاضرما يلي:

١- السعي الجاد من قادة الفكر والدعاة والمصلحين المسلمين لإقامة الحكومة الإسلامية، التي عن طريقها يُمَكَّن للدعوة الإسلامية وبواسطتها ينطلق الدعاة في أنحاء العالم ينشرون هذا الدين، ولا يتم ذلك إلا عن طريق دولة الإسلام ذات السيادة والتمكين، كما قال تعالى: «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»[1]. وكما قال ثالث الخلفاء الراشدين: «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن».

٢- تكوين هيئة إسلامية في كل بلد إسلامي تضم فريقا من الباحثين والعلماء للرد على مفتريات المبشرين والمستشرقين والمنافقين، وغيرهم من أعداء الإسلام، ودراسة ومتابعة ما ينشر أو يذاع عن الإسلام لتحديد المواقف على أساس علمي.

٣- دعوة أصحاب الاتجاه الإسلامي الجاد ـ على اختلاف مواقعهم ـ إلى العمل الجاد لإبراز (خطة بديلة) في مجال التربية والتعليم، والفكر والثقافة، يمكن

---

(١) سورة الحج، آية ٤١.

بواسطتها إعادة صياغة الفرد المسلم، والبيت المسلم، والأمة المسلمة وفق معايير الإسلام[1].

وروح هذه الخطة تربية الأجيال على الاعتزاز المطلق بدينها واستشعار عظمته وسموه، وسبقه وتفرده عما لدى البشر من حطام الفكر وركام المذاهب والشرائع كما قال تعالى: «إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم»[2].

٤- العمل على إنشاء دائرة معارف إسلامية يكتبها وينشرها علماء مسلمون مخلصون، لمواجهة الأباطيل التي دسها المستشرقون في دائرة المعارف التي أعدوها.

٥- العمل على امتلاك صحيفة أو أكثر في كل بلد إسلامي تكون لها قوتها ونفوذها، وإمكاناتها لتفنيد الافتراءات والشائعات التي يطلقها أعداء الإسلام على الدعوة ورموزها في العمل[3].

٦- العمل على تخصيص إذاعة إسلامية في كل بلد يوجد فيه مسلمون ويجري تبادل الخبرات والمعلومات بين هذه الإذاعات، وذلك لأهمية وسائل الإعلام في العصر الحاضر، وما يقوم به أعداء الإسلام من امتلاك عدد كبير من الإذاعات بمختلف اللغات تبث سمومها صباحا ومساء في العالم، فإن المنظمات النصرانية - وحسب إحصائيات المجلة الدولية لأبحاث التبشير- وهي مجلة علمية أمريكية -

---

(١) د. عبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص١٥٨-١٥٩.

(٢) سورة الإسراء، آية ٩.

(٣) د. محمد حسن فايد، بحث حول أساليب الدعوات المضادة ومقاومتها، قدم للمؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، في الفترة ٢٤-١٣٩٧/٢/٢٩هـ

يوجد لديها (٢٠٥٠) محطة إذاعة وتلفزيون[1].

وقد أحسنت لجنة مسلمي أفريقيا[2] عندما قامت بأنشاء إذاعة القرآن الكريم بافريقيا، التي تغطي ١٦ دولة إفريقية في غرب إفريقيا ومقرها (سيراليون)، وتبث بعشر لغات، وللأسف إن هذه الإذاعة تعاني من مشكلات مالية[3].

٧- دعوة المؤسسات الإسلامية في كل مكان إلى الانتباه البالغ لآثار الغزو الفكري، وموجاته المستحدثة، وأن تكون هذه المؤسسات نموذجا يحتذى في محاربتها لهذا الغزو وعلى سبيل المثال ينبغي على الجامعات في العالم الإسلامي، أن تتجه إلى تدريس العلوم باللغة العربية، وأن تعمل جادة على وضع التراجم الأصلية والمراجع الوثيقة بهذه اللغة، وأن تنبذ تكريم النظريات التي لم تثبت علميا، والتي تعلم لأبناء المسلمين باعتبارها (حقائق علمية) كنظرية دارون، وكثير من نظريات علم النفس والاجتماع[4]. لفرويد ودور كايم وغيرهم...الخ.

وحسنا قد فعل القائمون على أمر التعليم في السودان عندما عقدوا أول مؤتمر للتعليم العالي في عهد ثورة الإنقاذ الوطني في الفترة من ٣/٦-١٠/٦/١٤١١هـ، وقد جاء من ضمن توصياته العمل على تعريب التعليم

---

(١) مجلة البيان، تصدر عن المنتدى الإسلامي، لندن، العدد: ٨٠، ص٩٤، تاريخ ربيع الثاني، ١٤١٥هـ في مقابلة مع الدكتور عبد الرحمن السميط الأمين العام للجنة مسلمي أفريقيا.

(٢) لجنة مسلمي أفريقيا: تأسست عام ١٤٠٢هـ، ومقرها الكويت. انظر مجلة منار الإسلام، العدد السابع، رجب ١٤١٠هـ، ص٤٤-٥٤.

(٣) مقابلة مع د. عبد الرحمن السميط، في مجلة البيان، العدد، ٨٠، ربيع الثاني، ١٤١٥هـ ص٨٥.

(٤) د. عبد الستار فتح الله السعيد، الغز الفكري، ص١٦١.

في الجامعات التي كانت تدرس كل المواد باللغة الإنجليزية ـ لغة المستعمر ـ وقد بدأوا بجامعة الخرطوم التي أنشأها الإنجليز عندما خرجوا من السودان في عام ١٩٥٦م[1].

(١) انظر حول تاريخ إنشاء جامعة الخرطوم (كلية غوردون التذكارية) :

- د. مصطفى خالدي وزميله، التبشير والاستعمار، ص١١٠.

وعن تعريب التعليم انظر:

- مجلة الملتقى السودانية، العدد، ٢٥، بتاريخ ١٢ جمادى الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م، كلمة التحرير عن توصيات المؤتمر، والآفاق، العدد ٧٤، السنة الرابعة، غرة صفر، ١٤١٤هـ، ص٣٣، وجريدة الخرطوم الأسبوعية، والتي تصدر من القاهرة، عدد ٦٨٥، بتاريخ ١٩٩٥/١/١٦م، في لقاء أجرته مع البروفسير إبراهيم أحمد عمر وزير التعليم والبحث العلمي.

المبحث الثالث

ندرة الدعاة المؤهلين وطرق علاجها

إن نشر الدعوة الإسلامية بدون تخطيط سليم لمنهج مدروس يجعل نتائج الجهود التي تبذل في نشر الدعوة غير مضمونة والعمليات التي تؤدى في هذا المجال غير فعالة.

ومعنى ذلك أن الدعوة إلى الله تحتاج إلى إعداد القيادة اللازمة والدعاة المؤهلين للعمل في مجال الدعوة في كل أنحاء العالم، وإعداد الرصيد البشري من الدعاة لتحمل مسؤلية الدعوة في كل موطن يعملون فيه ويجاهدون في سبيل نشر الإسلام الحق.

ولكن الناظر في واقعنا المعاصر يجد نقصا واضحا في إعداد الدعاة المؤهلين علميا والمربين عمليا والقادرون على تبليغ رسالة الإسلام، أولئك الدعاة العالمون بحقائق الدين وواقع العصر، القادرين على نشر الدعوة بمنهج سديد يعتمد على الحكمة والموعظة الحسنة والحوار العلمي النزيه.

وبالتالي هذا النقص في أعداد الدعاة المؤهلين يشكل عقبة في تنفيذ خطة الدعوة في المجتمع، ومما يؤكد فعليا وجود ندرة في الدعاة المؤهلين الذين يقومون بواجب الدعوة، الواقع المشاهد من ناحية، وهذا لا يحتاج إلى كبير توضيح فكل المناطق الإسلامية في حاجة ماسة إلى الدعاة الأكفاء والعجز واضح جدا، حتى في البلاد التي توجد بها معاهد لتخريج الدعاة، وأقوال بعض العلماء العاملين للدعوة وتعليقاتهم في عصرنا الحاضر من ناحية أخرى تؤكد ذلك وتشكو منه .

ومن ذلك ما قاله الدكتور أحمد أحمد غلوش: «وقد ظهر في العصر الحديث أفراد ينتسبون إلى الدعوة كدعاة، ومع ذلك فإنهم يضرون ولا يفيدون، وسبب ذلك يرجع إلى قصور في تكوينهم كدعاة إلى دين الله.

إن الإسلام أكثر حاجة في العصر الحديث إلى دعاة يفقهونه الفقه الواجب،

وينشرونه بين الناس بوضوحه وتمامه»[1]

وواضح من شكوى د. أحمد غلوش أن هناك ندرة في الدعاة المؤهلين الذين يقومون بواجب تنفيذ خطة الدعوة، مما أتاح المجال لأناس غير مؤهلين للقيام بالدعوة، وعليه يكون ضررهم أكبر من نفعهم، ويلزم من ذلك واجب القيام بإعداد الدعاة المؤهلين.

ويؤكد ذلك ما قاله الدكتور/ محمد حسين الذهبي: «ومشكلة جهاز الدعوة الإسلامية اليوم بوجهه البشري والمادي، تتمثل في عجزه عن الوفاء بمتطلبات الدعوة تحت ظروف العصر عجزا مزدوجا يشمل الكم والكيف معا:

فمن حيث الكم:

نجد قصورا واضحا في أعداد الدعاة والمشتغلين في مجال الدعوة على وجه العموم، فالمساجد ـ مثلا ـ لا تجد من الأئمة والخطباء من يقومون بهذه الوظائف بأعداد تكفي لتغطية حاجتها، والواقع ـ حتى في أحسن المجتمعات الإسلامية ظروفا من هذه الناحية ينطق بهذا النقص.

ومثل ذلك يقال عن عدد الوعاظ ـ فالمؤهلون منهم قلة محددة خلال جمعيات تعد لهم مستويات من الدراسة تتيح لهم الحد الأدنى من المعرفة الدينية الضرورية التي قد تكفي لمواجهة حاجات البيئات المحددة الفكرة والثقافة، ولكنها لا تفي بحاجات الإنسان الذي نال قسطا كبيرا من ثقافة العصر، وتعرض لمؤثراته الفكرية والحضارية»[2].

وكذلك تتفق رؤية الدكتور محمد حسين الذهبي للقصور الشديد في التأهيل

---

(١) د. أحمد أحمد غلوش، الدعوة الإسلامية، مرجع سابق، ص٤٣٥.

(٢) د. محمد حسين الذهبي: بحث بعنوان مشكلات الدعوة والدعاة، تقدم به إلى المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة، بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عام ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م، تحت عنوان (مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث)، جـ٢، ص١١.

المطلوب للدعاة مع رؤية الشيخ أحمد غلوش، وإن كان هناك تأهيل في جانب معين ولكنه لا يفي بحاجة الإنسان في العصر الحديث

ومن الذين يرون أن هناك نقصا في الدعاة المؤهلين حتى على مستوى بلد إسلامي واحد، وهو يعتبر أكبر بلد إسلامي توجد فيه أكبر مؤسسة تعليمية إسلامية في العالم، الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوش عندما كان عميدا لكلية الدعوة بالأزهر[1]، وذلك عندما وجه إليه هذا السؤال:

- افتتحت وزارة الأوقاف عددا من المعاهد لتأهيل الدعاة من غير خريجي جامعة الأزهر، هل يمكن لهذه المعاهد أن تسد النقص في أعداد الدعاة؟ وما هي الصورة التي ينبغي أن تكون عليها هذه المعاهد أو المراكز؟

فأجاب قائلا: «هذه المعاهد ضرورية للغاية ونافعة لأن مصر بها أكثر من سبعين ألف مسجد، وليس عندنا من المتخرجين في كليات الدعوة ما يغطي عشرة آلاف مسجد، والمسجد الذي لا يجد الداعية المؤهل قد يصعد منبره رجل ثقافته ناقصة أو مشوهة.

فالمعاهد التي افتتحتها وزارة الأوقاف في القاهرة وعدد من المحافظات تلبي رغبة من يريد أن يعمل في حقل الدعوة الإسلامية من خريجي الجامعات ولم يؤهل لذلك، وهم كثيرون.. والإقبال الكبير على معاهد إعداد الدعاة من حملة المؤهلات العليا تؤكد نجاحها وضرورته..انتهى»

وبإجابة الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوش يتأكد لنا فعلا النقص الواضح في إعداد الدعاة المؤهلين في المجتمعات الإسلامية، مما يشكل عقبات أمام من يريد أن يضع خطة للدعوة الإسلامية، إذ إنه كيف يستطيع تنفيذها إذا لم يجد العنصر

---

(١) مجلة منبر الإسلام، القاهرة، العدد، ٨، السنة ٤٨، شعبان ١٤١٠هـ، مارس ١٩٩٠، حوار أجراه بسيوني الحلواني مع فضيلة الدكتور/ محمد إبراهيم الجيوش، عميد كلية الدعوة الإسلامية بجامعة الأزهر، ص٣٠-٣٥.

البشري المطلوب..

ويقول الشيخ محمد الغزالي: «ولست أدري كيف يتعرض لإمامة الناس ووعظهم رجل قصير الباع في الدراسات الإسلامية، كل ما يستظهره من كتاب الله بضع سور وآيات ، وكل ما يعيه من سنة الرسول ﷺ جملة من الأحاديث لا تسد جوع المجتمع إلى فنون التوجيه وألوان النصح وكثير من المشتغلين بالدعوة الإسلامية مصابون بهذا العوز الفظيع ، وظاهرهم أنهم يحملون الإسلام في حناياهم، والواقع أن الإسلام هو الذي يحمل عبئهم، ويتحامل على نفسه وهو يسير بهم في متاهات الحياة ودروبها »[1] .

وهذا الوصف يعتبر وصفا دقيقا لحال كثير من الدعاة الذين يؤمل عليهم في الدعوة إلى الله وإخراج الناس من الظلمات إلى النور.. فكيف يتم ذلك وهم على هذه الحالة؟

وكذلك في سؤال وجه لمعالي الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية السابق، ووزير الشؤون الإسلامية والأوقاف حاليا، والسؤال هو: أكثر ما تعانيه الدعوة الإسلامية في الحاضر قلة الدعاة وفقر هذه الدعوة إلى الثقافة الإسلامية الواعية القادرة على ملء الفراغ لدى العامة.. فكيف الطريق للتغلب على هذا؟

فأجاب قائلا: «هذه واحدة من المشكلات الكبيرة التي تواجه مسيرة العمل الدعوي بالفعل، فلو وجد عدد من الدعاة وجدنا قدرات غالبيتهم محدودة وتصوراتهم غير شمولية وليست واسعة كما أرادها الإسلام، وبالتالي هذا يؤثر سلبا على مستوى الأداء للدعاة.

وعلى كل حال هناك مستويات متعددة فالجامعات الإسلامية وكليات الدعوة ومعاهدها عليها واجب كبير في إعداد وتدريب وتخريج الدعاة الذين يقومون

---

(١) الشيخ محمد الغزالي: مع الله دراسات في الدعوة والدعاة، ص١٩٦-١٩٧.

بالدعوة إلى الله عز وجل في الوقت الحاضر.. وعلى المؤسسات التعليمية واجب كبير في مجال تأهيل الدعاة القادرين على الوفاء بالواجب نحو نشر الدين الحنيف والتعريف بقيمه وأحكامه.. »[1].

فكأن معالي الدكتور عبد الله التركي يشير إلى قصور المناهج في إعداد الدعاة المؤهلين، وعدم فاعلية تلك المناهج، ويحث الجهات التعليمية بالقيام بواجبها تجاه إعداد الدعاة، الإعداد اللازم.

بعد سرد الباحث لتصريحات واعترافات هؤلاء العلماء الأجلاء وقادة العمل الدعوي في المجتمعات الإسلامية في عصرنا الحاضر وما نلاحظه من الواقع المعاش، بأن هناك فعلا قصورا ملموسا في إعداد الدعاة المؤهلين الذين يقع عليهم عبء تنفيذ خطة الدعوة ، بعد ذلك يجب علينا أن نعرف ما هي أسباب هذا القصور وما هي طرق علاجه؟

المطلب الأول

أسباب ندرة الدعاة المؤهلين

أ) ضعف المناهج التي تقوم بإعداد الدعاة في المجتمع الإسلامي:

يرى كثير من الباحثين[2]، والمتتبعين لمناهج الدراسات الإسلامية أن المؤسسات الإسلامية عامة والجامعات خاصة لم تصل بعد بمناهجها إلى تكوين الشخصية التي تتفاعل مع عقيدتها وثقافتها، وتترجم قيم الإسلام ومثله واقعا

---

(١) لقاء أجري مع معاليه، في مجلة الوعي الإسلامي، الكويت، العدد ٢٨٣، رجب، ١٤٠٨هـ، ص٨٦-٨٧.

(٢) ممن يرى ذلك من الباحثين كل من : د. عباس محمود، مجلة الأمة ، العدد، ٣٧، جمادى الأولى، ١٤٠٥هـ ود. عبد الله التركي، مجلة الوعي الإسلامي، العدد ٨٦، رجب ١٤٠٨هـ، و د. محمد حسين الذهبي، مؤتمر إعداد الدعاة الأول، و د. رؤوف شلبي، مجلة الأزهر، جـ٨، شوال وذي القعدة، ١٣٩٧هـ أكتوبر ونوفمبر، ١٩٧٧، ص١٥٨٢.

معاشا وتقنع به الآخرين، ولا يزال كثير من هذه المؤسسات هياكل مادية وإدارية تتعلق بالتراث، وترفع شعار الدعوة دون ترجمة لها ضمن حقائق الحياة وهموم المسلم العادي.

فإعادة النظر في قصور المناهج يحتاج إلى تجرد وإخلاص، وإلى شجاعة تنظر إلى المسؤولية أمام الله قبل كل الاعتبارات.

ويحسن بنا أن نحدد بعض النقاط المتعلقة بالمناهج الدراسية والتي تمثل عوامل هامة في ضعف الدعاة والمتخرجين من المؤسسات الإسلامية، وبطبيعة الحال فإن ما أقوله لا ينطبق على كل داعية، ولا على كل مؤسسة تعليمية في عالمنا الإسلامي الفسيح، وأهم هذه النقاط:

١- عدم اعتماد القرآن والسنة مصدرا ومادة للمنهج:

يرى الدكتور/ محمد حسين الذهبي رحمه الله: «أن سبب ضعف المناهج الإسلامية عدم اعتماد القرآن والسنة مصدرا ومادة للمنهج، واعتماد مناهج التعليم الإسلامي على كتب ومؤلفات موضوعة بدلا من الاعتماد على القرآن، والسنة بطريقة مباشرة»[١].

إذ إن التزام المنهج المستمد مباشرة من الكتاب والسنة في العقيدة والأحكام في الأخلاق والعبادات، وفي الاقتصاد ونظم الحكم، كان يستطيع حماية التربية الإسلامية من السقوط والجمود الذي انتهت إليه لأنه كان يفرض عليها أن تحاول الارتفاع بوسائلها وأدواتها وطرقها إلى مستوى يؤهلها للتعامل معه.. وكان يفرض عليها أن تحافظ على هذا المستوى وتنميه.. أما حين انفصلت عنه وأحلت مناهج بديلة من كتب المؤلفين ومصنفاتهم، فقد أحلت نفسها من هذا الالتزام الشاق والمضني، وأصبحت في حل من مسايرة الزمن هبوطا وصعودا، بل إنها بهذا الموقف دفعت بعوامل هبوطها واضمحلالها بسرعة عجلت نهايتها ، وما كان

---

(١) د. محمد حسين الذهبي: ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة والدعاة. ج٣ص٣٨.

للاجتهاد الفقهي مثلا أن يتوقف لو استمر النشاط الفقهي مرتبطا بالكتاب والسنة ارتباطا مباشرا »[1].

هذه إحدى العلل في المناهج التي تدرس في الجامعات ومعاهد إعداد الدعاة، فإنها مهما كانت قيمتها فلن تصلح بديلا لإعداد داعية يريد أن يكون على بصيرة في دين الله.

ب، إهمال الجانب التربوي الأخلاقي:

إن إعداد الدعاة إعدادا ثقافيا وعلميا من الأمور الهامة في تكوين الأساس العلمي للداعية، ولكن الأهم من ذلك كله هوالإعداد الخلقي الذي يمثل بالنسبة للداعية الحصانة القوية من كل الاهتمامات البشرية القصيرة، والغايات العاجلة، في الحياة، والاستسلام غير اللائق لأنظمة البشر وأهدافهم، وقوانينهم، مهماكانت المبررات، وعن هذا الإعداد الخلقي يقول الدكتور محمد حسين الذهبي - رحمه الله - :[2] «إن فلسفة إعداد الداعية تبدو لنا ناقصة نقصا خطيرا، ذلك أنها تعنى بالجانب التعليمي التلقيني، أو الجانب النظري من الإعداد، بينما هي تهمل إهمالا شبه كامل الجانب التربوي الذي هو الوجه المكمل للوجه النظري.

إن العلم وحده لا يكفي لتكوين داعية، والمعرفة وحدها لا تصنع داعية، ومما يؤكد ذلك قول المصطفى صلى الله عليه وسلم «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللسان»[3].

إن العلم إذا لم يستند إلى خلق يحميه من نزوات النفس وطغيان الشهوات،

---

(١) مجلة البعث الإسلامي، الأعداد ٥، ٦، ٧، عام ١٣٩٦هـ، مجلة دورية شهرية تصدر عن ندوة العلماء، الهند، لكنو، كلمة التحرير.

(٢) د. محمد حسين الذهبي، المرجع السابق.

(٣) أخرجه الإمام أحمد، في مسنده، جـ١، ص٢٢، ٤٤، وجـ٣، ص٢٧.

يصبح كارثة يوجه لغايات آثمة، أو يستغل في مآرب خبيثة»[١].

إذن لا بد للقائمين على أمر إعداد الدعاة في العصر الحاضر العمل على تنمية الإحساس بأن الداعية صاحب رسالة هي امتداد لوظيفة النبوة، ومسؤوليتها - لذلك - مسؤولية ضخمة، والتبعة فيها على قدر سموها وجلالها.

والتركيز على غرس هذه المعاني في نفس الداعية شرط أولي، يجب أن تحرص على التمكين له فلسفة إعداد (الدعاة) ولا تفصل عنه خطوة من خطوات هذا الإعداد.

وقد تساءل الدكتور/ محمد حسين الذهبي رحمه الله «هل تصلح معاهد إعداد الدعاة الحالية لهذا اللون من التربية؟ وبالقطع هي لا تفي بها، ولم تصمم مبانيها ولا مناهجها، ولا فلسفتها على هذا الأساس»[٢].

والحق كما يقول الدكتور يوسف القرضاوي: «إن المؤسسات الدينية الرسمية في كثير من البلاد الإسلامية - على أهميتها وعراقتها وسعة قواعدها - لم تعد قادرة على القيام بهذه المهمة المنشودة منها ما لم ترفع السلطات السياسية أيديها منها، وعن اتخاذها أداة لتأييد خطواتها، ولسانا للثناء على مواقفها، وعن تقريب رجالها وإبعادهم، تبعا لموافقتهم على هذا النوع من السلوك أو رفضه.

إن المؤسسات الدينية الكبرى في عالمنا الإسلامي تستطيع أن تسهم بدور إيجابي في توعية الشباب، وتثقيفهم ثقافة نقية من الشوائب والفضول، إذا ترك أمرها إلى أهلها، ولم يُدِرها رجال السياسة في فلكهم، تشرق معهم حيث يشرقون، وتغرب حيث يغربون، وإلا فرغت من خيرة أبنائها، وصفوة علمائها،

---

(١) د. محمد حسين الذهبي، المرجع السابق نفسه.

(٢) المرجع السابق نفسه، ص٢٧.

وتبقى هيكلا ضخما بلا روح ولا حياة»[1].

ولعل فضيلة الدكتور القرضاوي قد وضع يده على مكمن الداء في العلة الأساسية التي تسببت في ضعف المناهج بالمؤسسات التي تعنى بإعداد الدعاة في المجتمع الإسلامي، إذ إن سيطرة الأنظمة الحاكمة عليها وعدم إعطائها الحرية الكافية لكي تقرر ما يخدم الدعوة هو السبب في ضعفها.

ج) عدم التوازن في المناهج بين التراث وتحديات العصر:

إننا نجد معظم مناهج الجامعات الإسلامية لا تتعدى العلوم القديمة التي تعمق عزلة الفكر الإسلامي وتخلفه عن إشباع حاجات الأمة المسلمة في بناء الأفراد والأمم، وقد نبه الأستاذ المودودي إلى خطورة هذا الاتجاه حين قال: «إن نظام التربية القائم مبني على أساس ترديد معارف الأسلاف واستظهار علومهم من غير زيادة أو تطوير، ومثل هذا النظام يستحيل عليه أن ينجب لنا رجالا يستطيعون أن يحققوا الثورة في نظم التعليم، وبالتالي يخفقون في انتزاع زمام القيادة من يد الغرب، وعلى هذايصبح جليا أنه إذا كنا لا نبالي أن تضمحل النزعة (الربانية) من العالم ويطويها الفناء البطئ فما علينا إلا أن نبقي النظام القائم على ما هو عليه، أما إذا كنا نحرص على أن نؤدي واجبنا تجاه الإسلام وتجاه الإنسانية فإن تغيير مناهج التعليم أمر ضروري لا بد منه»[2].

ولعل مأخذ العلامة المودودي على نظام التربية القائم، في اقتصاره على ترديد معارف الأسلاف واستظهار علومهم دون أخذ العبرة والاستفادة من أساليبهم، إذ أن كثيرا من الناس يظنون أن دراسة التراث والارتباط بمناهج الأقدمين في التحصيل هو الوسيلة إلى فهم الإسلام، دون معايشة هذا التراث

---

(١) د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م، ص٢٣.

(٢) العلامة أبو الأعلى المودودي، مجلة البعث الإسلامي، مرجع سابق، العدد، ٥، ٦، ٧.

وفهمه، وهضمه وتقديمه إلى الناس بما يحقق الأهداف التي حققها لمن كتب لهم في الأصل.

ومثال ذلك عندما نجد التركيز على دراسة الملل والفرق والأفكار الهدامة التي كانت منتشرة في العصور السابقة، والدخول في تفاصيلها، في أننا نعجز عن أن نواجه تحديات جديدة تتمثل في مذاهب عقدية حديثة، وملل وأفكار منحرفة وديانات متنامية ومتعاظمة.

إن كل جيل مطالب بمواجهة التحديات المعاصرة له، ومقاومة العقائد والأفكار المطروحة أمامه، وهذا لا يمنع دراسة القديم المشابه دراسة عبرة ومعرفة وليس دراسة تخصص. هذه هي بعض جوانب الضعف في مناهج التعليم المنوط بها إعداد الدعاة في المجتمع الإسلامي مما يشكل عقبة في سبيل إعداد الدعاة المؤهلين.. فإذن ما هي طرق العلاج؟

• طرق العلاج المقترحة لقصور المناهج:

رأينا مما سبق أن من الأسباب التي أدت إلى القصور في إعداد الدعاة المؤهلين الخلل في المناهج التي تدرس في الجامعات والمعاهد والكليات المنوط بها تخريج الدعاة. مما يتطلب التفكير في إصلاحها، ولذا أرى علاج هذه المشكلة فيما يأتي:

١- تخطيط المناهج: أصبح وضع المناهج والتخطيط لها من التخصصات التي جاءت نتيجة لتطور التربية، وكذلك الحاجة إلى متخصصين في الدرسات التربوية والنفسية والبيئية والاجتماعية والثقافية، والاستعانة بأصحاب الخبرة في مجال التعليم وقيادته وتقويمه، ولم يعد تخطيط المناهج معنيا بتحديد المواد الدراسية فحسب، بل العناية إلى جانب ذلك بتحديد الأهداف العامة والخاصة للمنهج عامة والمواد خاصة، وتحديد حاجات المجتمع ومن تقع عليهم عملية التربية

إلى جانب الأنشطة التي تحقق تلك الأهداف[1].

وبهذا المفهوم الشامل للمنهج ، ينبغي أن تشتمل مناهج الجامعات والكليات والمعاهد التي تقوم بإعداد الدعاة، على تغطية جوانب الضعف والقصور التي تناولت بعضا منها وفي مقدمتها:

١- سد ثغرة الانفصام عن المصدر الأصلي للإسلام، ممثلا في الكتاب والسنة.

٢- سد القصور في جانب المنهج الأخلاقي التربوي، الذي يحقق إعداد الفرد المسلم والجيل المسلم، وهوالمنهج الذي تتكامل فيه جوانب التربية كلها الروحيه والأخلاقية، والبدنية، والاجتماعية والسياسية والثقافية، مما يحقق التكامل والتوازن في بناء الشخصية الإنسانية المسلمة، ويحول دون طغيان جانب على الجوانب الأخرى، حتى لا يؤدي هذا الطغيان إلى تشويه الشخصية وعدم تكاملها وانسجامها.

٣- سد ثغرة اختلاف التوازن بين التركيز على التراث القديم، وتحديات العصر الحاضر.

٤- سد القصور في جانب التدريب العملي للدعاة على أدوات الدعوة، حتى يستطيع الداعية أن يبلغ رسالة الإسلام بالكيفية والطريقة المرضية.

وتدريب الداعية العملي يكون بإتقان المهارات الأساسية التالية كلها أو بعضها وهي:

---

(١) في تخطيط المناهج انظر:

- د. محمد سيف الدين، التخطيط التعليمي، مكتبة الأنجلوا المصرية، بدون تاريخ طبع، ص١٢، بتصرف.

- د. نجاح يعقوب الجمل، نحو منهج تربوي معاصر، ص١٠٥-١٢٠، ط٢، ١٩٨١م، مطابع الشعب، الأردن، عمان..

١- الخطابة.

٢- المحاضرة.

٣- المناظرة.

٤- كتابة المقالات الإسلامية في الصحف والمجلات

٥- إتقان أساليب الحديث العادي مع الناس"[1].

والدعوة الإسلامية ـ وأداتها الكلمة ـ لا بد لها من تفكير جاد في دراسة وسائلها التقليدية لتطويرها من جهة وتكميلها بما استحدثه العصر من وسائل تلائمها وتجعلها أكثر قدرة على النفاذ إلى القلوب.

المطلب الثاني

تدني المستوى الاجتماعي والمعيشي للدعاة

يقوم الدعاة بأسمى عمل يؤديه بشر، ويقصدون أنبل غاية وهدف، فهم يحملون دين الله إلى الناس، ويرجون الهدى والخير للعالمين، وإنهم رسل سعادة، وحماة أمن ورجال حقوق، يحاربون الفوضى، ويعادون الفساد ويقفون في الخط الأول أمام أعداء الله يتصدون لكيدهم يهزمون مكرهم ويردونهم على أعقابهم خائبين.

ولذلك كانت خطط أعدائهم من البشر توجه إليهم لتعطيل رسالتهم، وإبعادهم عن منزلتهم الاجتماعية السامية آملين من ذلك الإساءة إلى أشخاصهم وإلى دعوتهم، وكان لهم بعض ما أرادوا.

وإن نظرة واقعية لمعظم أحوال الدعاة اليوم في المجتمع الإسلامي ـ خاصة في البلاد التي أدارت ظهرها للدين وعادت الشريعة ـ تؤكد أنهم أصبحوا في مؤخرة الصف الاجتماعي، والواقع المعاش يؤكد أن وضعهم المادي ضئيل جدا، وليس لهم

---

(١) د. تركي رابح، مقال بعنوان: (الدعاة إلى الإسلام وطرق تكوينهم)، مجلة الأمة القطرية، العدد، ٤٢، تاريخ جمادى الآخرة، ١٤٠٤هـ، ص٧١.

من الجاه والسلطان ما يذكر، وكما قال د. محمد حسين الذهبي، رحمه الله : «وحري بمن هذا وضعه أن لا يسمع قوله، ولا تؤثر توجيهاته ومواعظه.. إن الناس قد جبلوا على احترام ذي المظهر والغني وصاحب الجاه والسلطان»[1].

ومن أجل ذلك جاءت تعاليم الإسلام وتوجيهاته للمسلم للاعتناء بمظهره العام في ملبسه ومأكله ومشربه، كما يقول تعالى: «يا أيها المدثر، قم فأنذر، وربك فكبر، وثيابك فطهر»[2].

ومن ذلك أيضا ما جاء في السيرة أن رجلا حسن المظهر حسن الثياب مر على الصحابة وهم جلوس مع رسول الله ﷺ فسألهم، فقال: «ما تقولون في هذا؟ قالوا: حريّ إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يُشفع، وإن قال أن يسمع. قال، ثم سكت. فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع لا يُشفَّع، وإن قال لا يسمع، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»[3].

فإنه على الرغم من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه في نهاية الحديث خطأهم إلا أنهم رضوان الله عليهم حكموا بما جبلوا عليه من احترام ذي المظهر الحسن، وتقدير الرجل الغني، وطاعة ذوي الوجاهة والسلطان.

ولمعرفة أعداء الإسلام لمكانة الدعاة المميزة في نفوس الناس سعوا لتحطيم هذه المكانة.

فما أهم الوسائل والأساليب التي اتخذها أعدء الدعوة في العصر الحاضر في المجالات المختلفة للتقليل من مكانة الدعاة في المجتمع الإسلامي؟ وما هو سبيل مواجهتها؟.

---

(١). محمد حسين الذهبي: مؤتمر توجيه الدعوة والدعاة، جـ٣، ص٢٨.

(٢) سورة المدثر، آيات ١-٤.

(٣) البخاري مع الفتح، جـ٩، ص٣٥، ح٥٠٨٨، كتاب النكاح، باب الأكفاء في الدين.

أولا: من الوسائل التي اتخذها الأعداء في العصر الحاضر لمحاربة الدعاة:

أ) أولا التعليم:

يعتبر التعليم من أخطر المجالات والسيطرة عليه سيطرة على مستقبل الأمة وحاضرها، ولذا ما دخل الاستعمار في بلد إلا ووجّه ضربته الأولى إلى السياسة التعليمية.

وهذا ما قدم به المسيو شاتليه[1] عن إرساليات التبشير البروتستانية: «قلنا في سنة ١٩١٠م عندما كنا نخوض على صفحات هذه المجلة في موضوع السياسة الإسلامية:

ينبغي لفرنسا أن يكون عملها في الشرق مبنيا قبل كل شيء على قواعد التربية العقلية ليتسنى لها توسيع نطاق هذا العمل والتثبت من فائدته، ويجدر بنا لتحقيق ذلك بالفعل أن لا نقتصر على المشروعات الخاصة التي يقوم الرهبان والمبشرون وغيرهم بها لأن لهذه المشروعات أغراضا اقتصادية ثم ليس للقائمين بها حول ولا قوة في هيئتنا الاجتماعية التي من دأبها الاتكال على الحكومة وعدم الإقبال على مساعدة المشروعات الخاصة التي يقوم بها الأفراد فتبقى مجهوداتهم ضئيلة بالنسبة إلى الغرض العام الذي نحن نتوخاه، وهو غرض لا يمكن الوصول إليه إلا بالتعليم الذي يكون تحت الجامعات الفرنساوية، نظرا لما اختص به هذا التعليم من الوسائل العقلية والعلمية المبنية على قوة الإرادة.

وأنا أرجو أن يخرج هذا التعليم إلى حيز الفعل ليبث في دين الإسلام التعاليم المستمدة من المدرسة الجامعة الفرنساوية»[2].

وهذا يوضح لنا الهدف من التركيز والاهتمام بالتعليم من جانب المبشرين،

---

(١) أ.ل. شاتليه، الغارة على العالم الإسلامي، ترجمة محب الدين الخطيب، ٣، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، منشورات العصر الحديث، الدار السعودية للتوزيع، جدة، ص١٥.

(٢) المرجع السابق نفسه.

وذلك أنه مهما كانت المشروعات التنصيريةالخاصة التي يقوم بها المبشرون فستظل آثارها محدودة، ومن ثم لا بد من البحث عن وسائل تكون أكثر تأثيرا في دين الإسلام، فكان التفكير في التعليم، فإذا تم لهم السيطرة على عقول المسلمين بواسطة التعليم النصراني، يكون قد تحقق غرضهم في القضاء على تعاليم الإسلام في نفوس المسلمين.

وبالفعل قد تحقق لهم بالتعليم التأثير في عقول كثير من أبناء العالم الإسلامي.

ولعل خير نموذج نقدمه في مجال التأثير في التعليم، هو التجربة المصرية ، فقد كان للصليبيين عناية خاصة بمصر بالذات، وبالقضاء على الإسلام فيها ، بسبب مركزها الحيوي المؤثر في قلب العالم الإسلامي[1]، وبالذات بسبب وجود الأزهر فيها ، مما جعلها مركز الإشعاع الروحي والثقافي للعالم الإسلامي كله.

قال أحد المبشرين في كلمة له في المؤتمر التبشيري الذي عقد في القاهرة، سنة ١٩٠٦م وهو يتساءل عما إذا كان الأزهر[2] يتهدد كنيسة المسيح بالخطر: «إن المسنين من المسلمين رسخ في أذهانهم أن تعليم العربية في الجامع الأزهر متقن ومتين أكثر منه في غيره، والمتخرجون في الأزهر معروفون بسعة الاطلاع على علوم الدين وباب التعليم مفتوح في الأزهر لكل مشايخ الدنيا ، خصوصا وأن

---

(١) الشيخ محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص١٩٧.

(٢) يعتبر الأزهر الشريف القلعة الحصينة في العالم الإسلامي، والتي وجهت لها سهام أعداء الإسلام، من مستعمرين ومستشرقين وصليبيين، وذلك لمعرفتهم بما له من مكانة سامية في نفوس المسلمين، وهناك بحوث وكتابات توضح مدى الهجمة الشرسة على الأزهر، منها: مقالات منشورة في مجلة البحوث الإسلامية التي تصدر عن الأزهر، ورسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد، للدكتور يوسف القرضاوي، ومحمد جلال كشك: ودخلت الخيل الأزهر، ط دار المعارف، القاهرة، بدون تاريخ طبع.

أوقاف الأزهر الكثيرة تساعد على التعليم مجانا، لأن في استطاعته أن ينفق على ٢٥٠ أستاذا، ثم عرض اقتراحا يريد به إنشاء مدرسة جامعة نصرانية تقوم الكنيسة بنفقاتها لتتمكن من مزاحمة الأزهر بسهولة، وتتكفل هذه المدرسة الجامعة بإتقان تعليم اللغة العربية.

وختم كلامه قائلا: ربما كانت العزة الإلهية قد دعتنا إلى اختيار مصر مركز عمل لنا لنسرع بإنشاء هذا المعهد المسيحي لتنصير الممالك الإسلامية»[١].

لذلك كانت عنايتهم بإفساد الإسلام في مصر، أو بعبارة أخرى محاولة إخراج مصر من الإسلام - عناية شديدة وبذلوا في سبيل تحقيقها جهودا مركزة قد تكون أوسع نطاقا وأعمق أثرا من أي محاولة قاموا بها في بقية العالم الإسلامي، وخصوصا في مجال التعليم ومحاولة ضرب موسساته المؤثرة ومحاولة إضعاف دورها في المجتمع بكل الوسائل.

وبما أن الأزهر يمثل رمز الإسلام والتعليم الديني في العالم الإسلامي، كما مر معنا في تقرير زويمر السابق، فإن كل تفكيرهم ظل منصبا على إضعاف أثره في المجتمع، وقد جاءت خطة التعليم لضرب الأزهر - موطن الخطر على كنيسة المسيح - وبالفعل بدأ إنشاء المدارس الجديدة التي تعلم (العلوم الدينية) ولا تعلم الدين إلا تعليما هامشيا، وهذا في حد ذاته جزء من خطة إخراج المسلمين من الإسلام[٢].

وأصبحت هذه المدارس بتدبير من الاستعمار هي الوسيلة للرزق من ناحية، وللمكانة الاجتماعية من ناحية أخرى.

«لقد كان المتخرج من هذه المدارس - بعد أربع سنوات فقط من الدراسة -

---

(١) الغارة على العالم الإسلامي، ص٥٢.

(٢) د. علي محمد جريشة، محمد شريف الزيبق، أساليب الغزو الفكري، دار الاعتصام، بدون تاريخ طبع، ص٦٢، بتصرف.

يعين فور تخرجه في دواوين الحكومة براتب يبلغ أربع جنيهات كاملة، كانت في ذلك الحين تمثل ثروة ضخمة، أما خريج الأزهر الذي يقضي في الدراسة عشرين سنة من عمره في بعض الأحيان فلا يجد عملا.. وإن وجد عملا في إقامة الشعائر في المسجد، فبمائة وعشرين قرشا، تكفي للحياة نعم، ولكنها حياة ذليلة ضئيلة بالنسبة لخريج المدرسة الابتدائية الذي يعمل في الديوان»[1].

وبالتالي قد تسبب هذا الوضع في تدني المستوى الاجتماعي والمعيشي لخريجي الأزهر، الذين يمثلون شريحة كبيرة من الدعاة في المجتمع الإسلامي.

ولا شك أن أي أسرة عندما يكون لها ابن وتريد تعليمه، فإنها لن تذهب به إلى الأزهر ليقضي زهرة شبابه هناك ثم يتخرج ليبقى عاطلا، أو يعمل مقيم شعائر في المسجد بهذا الراتب الضئيل.

وقد كان هذا الأسلوب المتبع من قبل أعداء الدعوة أشد جرأة في محاربة حملة المؤهلات المتخصصة في علوم اللغة العربية وعلوم التربية الإسلامية، ويقول في ذلك الشيخ محمد قطب: «فقد كان الراتب الذي يتقاضاها المدرسون من أصحاب المؤهلات العليا اثنى عشر جنيها، إلا مدرس اللغة العربية وحده، يتقاضى أربعة جنيهات.

وكان لهذا الوضع انعكاساته ولا شك سواء في داخل المدرسة أو في المجتمع على اتساعه، فأما في داخل المدرسة فلم يعد مدرس اللغة العربية هو المقدم، بل أصبح في ذيل القافلة يتقدمه المدرسون جميعا حتى ذووا المؤهلات المتوسطة، بل يتقدمه في الراتب فراش المدرسة أحيانا، إذا كان ذا أقدمية طويلة!! ،من ثم لم تعد له الكلمة في المدرسة، فلا هو يستشار في شؤونها، ولا هو يشارك في شيء من إدارتها ولم يعد له كذلك عند التلاميذ احترام، ولولا العصا التي يحملها ويؤدب بها التلاميذ، ما وقره أحد، ولا عمل له حسابا، أما

---

(١) الشيخ محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص٢١٨.

في المجتمع الواسع فهو أشد ضياعا منه في المدرسة، فالناس جميعا يعلمون وضعه المالي، ويعلمون أنه في ذيل القافلة، وأن المدرسين الآخرين مقدمون عليه في الراتب وفي الاحترام سواء!»[١].

فإذا كان هذا هو الحال بالنسبة لمدرسي اللغة العربية فإنه من - باب أولى - ينطبق على مدرس التربية الإسلامية أو كل من يقوم بوظيفة الداعية من خطيب وإمام وواعظ.

وإذا كانت هذه هي نظرة المجتمع للداعية، فكيف يكون له تأثير في حياة الناس؟

ولا ننكر أنه قد بدأ في السنوات الأخيرة من هذا القرن تحسن كبير وملحوظ في المستوى الاجتماعي والمعيشي للدعاة في بعض بلدان العالم الإسلامي، فمثلا إننا نجد الدعاة في بلدان الخليج بصفة عامة وفي المملكة العربية السعودية بصفة خاصة يتمتعون بوضع اجتماعي ومستوى وظيفي لا بأس به مما أهلهم للقيام بأدوار متقدمة في مجالات الدعوة في مجتمعاتهم.

وكذلك نجد تحسنا ملحوظا وبارزا على أوضاع الدعاة في المجتمع السوداني وذلك بفضل الله أولا ثم بفضل النظام الحاكم في البلاد، إذ إنه يتبنى التوجه الإسلامي، ومن الخطوات البارزة التي اتخذت في مجال رفع المستوى الاجتماعي والمهني للدعاة إصدار قرار من وزارة التعليم العالي بأن يمنح كل من يحفظ القرآن درجة البكالريوس[٢]، وبالتالي يتمتع حافظ القرآن بكل الإمتيازات التي يتمتع بها خريج الجامعة وغيرها من الإصلاحات والتوجيهات التي تخدم الإسلام والمسلمين هناك.

---

(١) المصدر السابق، ص٢٢.

(٢) انظر: نشرة منظمة أفريكا ووتش،الآفاق المتحدة، لندن، العدد ٧٤، بتاريخ، ١/٢/١٤١٤هـ، ص٣٦..

ثانيا: وسائل الإعلام:

إذا كان هذا نصيب مناهج التعليم في عملية إضعاف المستوى الاجتماعي والمعيشي للدعاة، فهناك أدوات أخرى لا تقل خطرا إن لم تكن أخطر، تلك هي وسائل الإعلام، من كتاب وصحيفة ومسرح، وإذاعة وتلفزيون، وغيرها من الوسائل الحديثة التي تسير في نفس المخطط، وبما أن المستهدف من الحملة العدائية التي تقوم بها أجهزة الإعلام والتي يتولى توجيهها أعداء الإسلام - هم الدعاة الذين يحملون لواء نشر الدعوة وهم الخط الأول في المواجهة مع الأعداء، وبالتالي فقد جاءت سهام الإعلام موجهة لهم وذلك ليس لأشخاصهم ولكن باعتبارهم رمزا للإسلام.

وكما قلنا في حديثنا عن التعليم، إنه كانت للصليبيين عناية خاصة بمصر بالذات[1]، وبالقضاء على الإسلام فيها بسبب مركزها الحيوي المؤثر، في قلب العالم الإسلامي، وجود الأزهر فيها، مما جعلها مركز الإشعاع الروحي والثقافي للعالم الإسلامي كله.

فإنه أيضا كانت الحملات الإعلامية والدعائية ضد حملة الدعوة بمصر بصفة عامة، وعلى الأزهر بصفة خاصة.

ولنسمع لما كتبه الدكتور محمد محمد أبو زيد في كتابه القيم (أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية)[2]، عندما تحدث عن الإعلام وموقف طلاب الأزهر من وظيفة الداعية: «يستطيع الذي يتابع إقبال طلاب الأزهر على

---

(١) د. عبد الستار فتح الله سعيد، الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام، ص٦١، وخالد محمد نعيم، دراسة بعنوان الجذور التاريخية لإرساليات التنصير في مصر، مجلة المختار الإسلامي، العدد ٦٨، صفر، ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

(٢) طبعة ١، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م، دار الوفاء للطباعة، المنصورة، ص٤٧.

الالتحاق بالكليات المختلفة أن يخرج بنتيجة واحدة وهي إحجام معظم الطلاب عن الأقسام التي تؤهلهم للعمل في وظيفة إمام أو خطيب أو واعظ أو داعية.

وكثير من الطلاب يبذلون جهودا كبيرة للابتعاد عن هذه الكليات والأقسام، وإذا لم يتمكنوا من ذلك أثناء الدراسة اتجهوا بعد التخرج إلى وظائف أخرى، وإذا لم يستطيعوا الالتحاق بالوظائف الأخرى استسلموا لقدرهم وأدوا الأعمال التي تناط بهم في مجال الدعوة بلا نشاط وبدون اكتراث حتى لكأنك تتخيلهم يعملون ضد الدعوة ولا يعملون من أجلها »

وإذا تساءلنا لماذا هذا النفور من الدعوة الإسلامية؟ وهي أشرف عمل يقوم به الإنسان في الحياة، للتقرب به إلى الله سبحانه وتعالى وذلك بتشريف المولى عز وجل، للدعاة في كتابه الكريم بقوله: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين»[1].

« ولقد كان الانتساب إلى الأزهر فيما مضى شرفا تتسابق إليه الأسر.. وكانت الأسرة التي تحوي ضمن أفرادها (عالما) أي من خريجي الأزهر، تصبح محط الأنظار سواء في العاصمة أو الأقاليم، وينظر إليها الناس بالتبجيل والإكبار، لأن العلم في حس الناس هو علم الدين، الذي هو خير الدنيا والآخرة، ولأن وظائف الدولة يحتل معظمها خريجو الأزهر، فينالون في المجتمع الإسلامي كل وسائل الرفعة والسؤدد »[2].

فقطعا إننا نجد أن هناك عوامل أثرت في هذه المكانة السامية التي كان يتمتع بها الداعية من خريجي الأزهر أو من غيره من المدارس الإسلامية.

وإذا نظرنا للذي تغير فإننا نجد أن المؤثرات الخارجية والوسائل التي يمتلكها أعداء الإسلام من استعمار وصليبية وشيوعية وصهيونية، عملت ليلا

---

(١) سورة فصلت، آية ، ٣١.

(٢) الشيخ محمد قطب، واقعنا المعاصر، ص٢١٨.

ونهارا، سرا وجهارا، للنيل من مكانة الدعاة في المجتمع الإسلامي، وقد تعرض الداعية فيما تعرض لمعركة شرسة ومستمرة كان وما يزال يخوض غمارها وهو أعزل من السلاح ضد عدو يملك تفوقا هائلا في أساليب الكيد ووسائل الهجوم.

وقد استخدمت في هذه المعركة غير المتكافئة كل وسائل وأساليب الإعلام الحديثة التي عرفها هذا العصر لتشويه صورة الإسلام ومسخ مبادئه وتشويه صورة رجاله ـ الدعاة ـ وذلك لكي يصبح المجتمع الإسلامي من غير مثل أعلى، بعد انهيار كرامة الدعاة ومهابتهم عند العامة والخاصة[1].

ومن بداية القرن العشرين وحتى الوقت الراهن وأجهزة الإعلام في معظم البلاد الإسلامية وغير الإسلامية، وفي مصر على وجه الخصوص، تحاول وتلح على فكرة واحدة وهي السخرية من الدعاة والحط من شأنهم[2].

وإن كانت الوسائل التي يتخذها أعداء الإسلام للحط من الدعوة والدعاة في العصر الحاضر حديثة ومتطورة، إلا أن الأساليب والحيل، وأصل العداء قديم منذ أن خلق الله السموات والأرض، وأرسل الرسل، وكان الصراع بين الحق والباطل، ومنذ أن بدأ الإسلام يشع طريقه في جزيرة العرب، وكان هناك حقد عليه من الأعداء، من المشركين وأهل الكتاب، وإن كان أبرزهم وأخطرهم أهل الكتاب، ويصور الحق سبحانه وتعالى موقف الكثرة من أهل الكتاب، بقوله تعالى: «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم»[3] ويقول تعالى: «لتجدن أشد

---

(١) انظر: د. يوسف القرضاوي، الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف، ص١١٧، ود. محمد محمد أبو زيد، أثر الظروف النفسية والاجتماعية في سلوك الداعية، ص٤٩، ود. يوسف صديق، حقيقة التطرف، ط دار القلم، الكويت، ١٤١٠هـ ص٧ وما بعدها.

(٢) د. محمد محمد أبو زيد، أثر الظروف النفسية، ص٤١.

(٣) سورة البقرة، آية ١٢٠.

الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا»[١]، وقوله تعالى: «ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك»[٢].

هذا فيما يتعلق بالأعداء المعروفين من خارج الصف الإسلامي، وكذلك قد نبه القرآن الكريم للأعداء من داخل الصف، وما عرف من عداء المنافقين للرسول ﷺ في المدينة المنورة خير دليل، كما قال الله تعالى عن أذاهم للرسول وللمؤمنين[٣]: «ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم»[٤]، وقوله تعالى: «الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم»[٥].

وهناك كثير من آيات القرآن الكريم وسنة النبي صلى الله عليه وسلم في بيان عداء أهل الكتاب والمنافقين للإسلام في عهده الأول وقد حذر من كيدهم ومكرهم.

المطلب الثالث
في طرق العلاج

والآن بعد أن وقفنا على بعض الأسباب التي أدت إلى «ضعف المستوى الاجتماعي والمعيشي» وكشفنا عن حقيقتها ومن وراءها؟ بقي علينا أن نسأل ما العلاج؟ وما طرائقه؟

---

(١) سورة المائدة، آية ٨٢.

(٢) سورة البقرة، آية ١٤٥.

(٣) د. سميرة محمد عمر جمجوم، المعوقون للدعوة الإسلامية في عهد النبوة وموقف الإسلام منهم، ص٢٣،الناشر: دار المجتمع، جدة، ١٤٠٧، ١٩٨٧م،رسالة دكتوراة جامعة أم القرى.

(٤) سورة التوبة، آية ٦١.

(٥) سورة التوبة، آية، ٧٩.

وهنا أؤكد أن العلاج لا ينفصل عن الأسباب، فإذا كانت الأسباب كما بينت متعددة متنوعة، فلا بد أن يكون العلاج كذلك متعددا ومتنوعا، ومن ذلك:

١- تحسين المستوى الاجتماعي والمعيشي للدعاة[1]:

لقد اتضح لنا مما سبق أن أعداء الإسلام قد سعو في إضعاف المستوى الاجتماعي والمعيشي للدعاة في المجتمع الإسلامي، مما جعل كثيرا من الدعاة ينفرون من وظيفة الداعية، وذلك لأن صاحبها لا يتمتع بالاحترام والتقدير في المجتمع، وما دام الأمر كذلك فإنه لا بد للقائمين على شؤون الدعوة من السعي في تحسين صورة الدعاة أمام الناس، وهذا يعتبر أيضا من الدعوة الواجبة على المسلمين جميعا، ولا يتم ذلك إلا بالعمل على تحسين مستوى الدعاة من الناحية الاجتماعية والمهنية، وأن يبذلوا كل ما في وسعهم من أجل ذلك، وحتى يتم التخطيط السليم للإسهام في إزالة هذه الصورة فإنني أقترح الآتي:

١- ففي مجال رفع المستوى المعيشي والمهني للدعاة والوعاظ يجب أن يكون مركز إمام المسجد[2] في الحي - وهو يمثل قيادة دينية من نوع متميز - مركزا يعكس الأبعاد الشمولية للإسلام نفسه في تنظيم الواقع الإنساني بجميع أبعاده

---

(١) في مقترحات تحسين المستوى الاجتماعي والمعيشي للدعاة انظر:

- د. أحمد أحمد غلوش، بحث بعنوان: كيفية إعداد الدعاة، ضمن بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، في الفترة ٢٤-١٣٩٧/٢/٢٩هـ

- الأستاذ منصور الرفاعي عبيد، وسائل إعداد الدعاة، بحث نشر في مجلة الأزهر، جـ١٢، السنة التاسعة والخمسون، ذي الحجة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

(٢) من توصيات مؤتمر رسالة المسجد، بمكة المكرمة، ١٥ رمضان، ١٣٩٥هـ، واللواء/ محمود شيت خطات، الوسيط في رسالة المسجد العسكرية، ص١٨٤، دار القرآن، بيروت، ط٧، ١٤٠١هـ ١٩٨١م.

فأثر هذا الإمام وتوجيهاته يجب أن تمتد إلى كل نواحي حياة الناس، حتى في أخص خصوصياتهم فهو يؤثر على أفكارهم وأخلاقهم وسلوكهم ومشاعرهم، فإذا كان مستواه المعيشي والمهني غير مناسب فإنه لن يتمكن من أداء دوره بنجاح، ومن أجل تحسين مستواه المعيشي أقترح الآتي:

- منح الدعاة الرواتب المجزية التي لا تقل عن رواتب نظرائهم من أصحاب المهن الأخرى كالمهندسين والأطباء.

- فتح الباب أمام الدعاة للترقي وفتح المجالات لإنشاء درجات بالوزارات ذات الاختصاص، يشغلها كل من تدرج في هذا الميدان، بدء بالأئمة والوعاظ والمرشدين.

- توفير السكن المناسب للدعاة، إذ إن رسالة الدعاة هي بناء الإنسان أخلاقيا والإسهام بقدر الطاقة في العمل الاجتماعي، وكلما توافرت لهم سبل الراحة ازداد عطاؤهم، ولهذا كان من أوجب الواجبات توفير السكن المناسب لهم، وذاك لأن استثمار وقت الداعية خير بكثير من استثمار الأموال، لأن العلماء هم أعظم ثروة تستطيع الأمة بهم أن تؤسس حضارة وتبني نهضة وتعيد عزا ومجدا.

- أن يتمتع الدعاة بكافة الامتيازات التي يتمتع بها كافة موظفي الدولة، من علاج مجاني وإجازات، وفرص الترقية، وضمان للمعاش عند وصولهم لسن معينة، أو عند وفاتهم، وهذا بدوره يسهم في خلق الاستقرار النفسي ويدفع لمزيد من البذل والعطاء.

- أن يكون الدعاة أعضاء بلجان المصالحات ومجالس الجمعيات التي تقع في الأحياء التي يسكنون فيها ومجالس آباء مدارس الحي، ومجالس إدارة المستشفيات، ولجان الزكاة، وتوزيع المال، وكل ما من شأنه أن يجعل موقع الداعية فعالا ومؤثرا.

- أن تتاح الحرية الكافية للدعاة لإبداء آرائهم وتوصياتهم في المشكلات والأحداث التي تحتاج لمعالجة في المجتمع الإسلامي، عبر وسائل الإعلام الرسمية

المرئية والمسموعة، وهذا يعطي الناس ثقة أكبر بالعلماء والدعاة.

- عندما يبعث الدعاة إلى الخارج يجب أن يتمتعوا بالحصانة الدبلوماسية التي توفرها الدول لسفرائها، وذلك أمر سهل لو حاوله المسلمون ، إذ إن المبشرين الغربيين يتمتعون بما هو أقوى من هذه الحصانة، فجميع ممثلي دولهم في خدمتهم وسياسة دولهم في عونهم[١].

وبهذه المقترحات وأمثالها يأخذ الدعاة منزلتهم اللائقة بهم في المجتمع الإسلامي المعاصر، كما كان أسلافهم في العهود السابقة من تاريخ الإسلام، يؤدون دورهم بصورة حسنة ناجحة، وهكذا يمكن الإسهام في حل مشكلة ندرة الدعاة الموهلين، بالإعداد والتدريب والإعانة ورفع مكانتهم وكل ذلك وفق خطة منظمة وتحت إشراف دقيق، ومتابعة مستمرة.

---

(١) د. عبد الرحمن السميط، المدير العام للجنة مسلمي أفريقيا، لقاء في مجلة البيان، العدد ٨٠، ربيع الثاني، ١٤١٥هـ، ٨٥.

المبحث الرابع

ضعف التنسيق بين الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي وسبيل علاجه.

وفيه مطالب:

المطلب الأول: مفهوم التنسيق.

المطلب الثاني: مزايا التنسيق.

المطلب الثالث: مبررات التنسيق في العمل الدعوي.

المطلب الرابع: أساليب التنسيق.

المطلب الخامس: التنسيق في الواقع الدعوي الموجود.

المطلب السادس: علاج ضعف التنسيق.

المطلب الأول

مفهوم التنسيق

يقصد بالتنسيق، العملية التي بموجبها تنسجم الجهود وتتوافق بما يحقق إنجاز الهدف المرغوب، وتنبع الحاجة إلى التنسيق من اختلاف وجهات النظر في كيفية تحقيق الأهداف الجماعية، أو كيفية العمل بانسجام وتوافق، حيث عادة ما يفسر الأشخاص الأهداف المتشابهة بطرق مختلفة وبالتالي لا تتفق جهودهم لتحقيق تلك الأهداف مع جهود الآخرين[1]، ومن ثم يصبح من الضروري وجود جهة تعمل على التوفيق بين الاختلافات في كيفية الدعوة إلى الله وتحديد الأولويات والاهتمامات والأهداف القريبة والبعيدة، الثانوية والأساسية.

---

(١) انظر في التنسيق:

- د. محمد سويلم: أساسيات علم الإدارة، دار وهدان للطباعة ، ص٢٤٩، ود. عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، ص١٧٤، د. أحمد الصباب، مبادئ الإدارة، جـ٢ ص٢١ مكاظ للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـ ١٩٨٠م، ص٢١، بتصرف،

المطلب الثاني

مزايا التنسيق

للتنسيق مزايا عديدة من أبرزها:

١- يمنع التنسيق من التشابه: والتداخل في الوظائف والواجبات المنوطة بالعاملين في حقل الدعوة وهذا يساعد في تحقيق أهداف الدعوة بكفاية كاملة.

٢- يمنع حدوث الازدواج ويوفر جهودا كبيرة يمكن أن تبذل في المناشط المختلفة.

٣- يساعد على تقسيم العمل بين العاملين، ويرسخ التخصص كأسلوب لإتقان العمل ويساعد على توزيع مهام الدعوة وأدوارها.

٤- هناك علاقة طردية بين الحاجة إلى التنسيق، وبين حجم النشاط الدعوي المراد بذله، وكذلك بينه وبين التمكين للدعوة.

٥- ثم إن التنسيق من الأهمية بحيث يجب أن يوخذ في الاعتبار منذ وضع الأهداف التفصيلية للنشاط الدعوي وكذلك عند تحقيق وإنجاز هذه الأهداف.

٦- كما أن التنسيق يساعد في إعداد السياسات والتخطيط وبناء البرامج كما يشمل أيضا وسائل تحقيق الأهداف وأساليب تنفيذ البرامج"[١].

المطلب الثالث

مبررات التنسيق في العمل الدعوى

لقد وضحت من خلال معرفة مزايا التنسيق أهميته ويمكن من خلالها التعرف على المبررات الملحة للتنسيق في العمل الدعوي ولعل أبرزها:

١- وحدة الهدف والمصدر والغاية، إذ إن رسالة الدعاة كلهم واحدة، مهما اختلفت مشاربهم، واحدة من حيث المصدر إذ كلها تنطلق من الكتاب والسنة في تصوراتها، واحدة من حيث الهدف، إذ كلها تجتمع على هداية الناس إلى الخير،

---

(١) انظر: د. محمد سويلم، أساسيات علم الإدارة، ص٢٥٠.

وهي واحدة من حيث الغاية، إذ الجميع يبغون رضا الله والفوز بالجنة في الدار الآخرة.

٢- عظم تكاليف الدعوة وثقلها والعمل على تحقيقها، مما يؤرق جميع الدعاة - مع تكاتفهم وتعاونهم - فكيف بغياب التنسيق والتعاون، ثم إن عظم تلك التكاليف يستدعي تعدد مجالات العطاء والبذل وهذا من أقوى دواعي التنسيق.

٣- ثم إن مبررات التنسيق تتضح باستشعار الأهداف البعيدة للدعوة إلى الله، إذ هو في حقيقته تعاون على البر والتقوى، وتأصيل للشعور بالجسد الواحد، كما قال تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان»[(١)]

وكما جاء في الحديث الشريف: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»[(٢)].

وهذه المعاني بالإضافة إلى بعدها الإيماني والاجتماعي فإنها ضمان لإنجاح الدعوة وترابط حلقاتها، بل هي ترجمة عملية للشعور الداخلي إلى عمل فعال ينهض بالأمة كلها.

المطلب الرابع
أنواع التنسيق وأساليبه

للتنسيق أنواع وأساليب متعددة، تمثل القنوات التي تتحقق من خلالها عملية التنسيق، ويمكن حصر أنواع التنسيق بالجملة في نوعين اثنين:

النوع الأول: التنسيق الداخلي: ويقصد به التنسيق الذي يتم بين الأقسام والإدارات الداخلية للمؤسسة الدعوية «ويهدف هذا النوع إلى إيجاد نوع من

---

(١) سورة المائدة، آية ٢.

(٢) أخرجه البخاري، جـ١، ص٣٦٧، ومسلم جـ١، ص٤٣٨، رقم ٢٥٨٦، وأخرجه الإمام أحمد في المسند، جـ٤، ص٢٧٠.

التوافق والانسجام بين نشاط الأفراد داخل كل فرع أو قسم من جهة وبين نشاط الأفراد في الفروع والأقسام الأخرى»[١]، داخل المؤسسة الدعوية من جهة أخرى، وهذا التنسيق يتم أيضا رأسيا وأفقيا، أي بين الأجهزة والإدارات العليا في تلك المؤسسة، وبين المستويات المماثلة في الإدارات والأقسام.

الفرع الثاني: التنسيق الخارجي: ويقصد به إيجاد نوع من الانسجام والتوافق بين نشاط المؤسسة الدعوية الواحدة وبين أوجه النشاط الذي تقوم به المؤسسات الدعوية الأخرى المماثلة سواء كانت هذه المؤسسات نظيرة لها أو مغايرة، ويمكن أن نضرب لذلك مثلا بالتنسيق الذي يتم بين رابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي في كثير من القضايا ذات الصبغة الإقليمية[٢]

وكذلك يمكن تقسيم التنسيق من حيث المستويات إلى مستويين:[٣]

- المستوى الأول: التنسيق بين الأهداف التي ترمي المنظمة أو المؤسسة إلى تحقيقها.

المستوى الثاني: التنسيق بين الوسائل والإجراءات والسياسات اللازمة لتنفيذ تلك الأهداف وإمكانية تحقيقها. أما فيما يتعلق بالأهداف، فمن المعروف أن لكل منظمة أو مؤسسة أو جمعية، أهدافا أساسية، وأخرى فرعية، ويستلزم تحقيق تلك الأهداف، التنسيق بينها بحيث لا تتكرر الجهود دون ما حاجة إلى هذا التكرار، أو تتداخل إلى الحد الذي يحول دون بلوغ مستوى المواءمة المثمرة بين الإمكانات والاحتياجات، أو تتضارب بحيث تتجاذب المشروعات الدعوية جهات

---

(١) انظر: د. إبراهيم عبد العزيز شيحا، أصول الإدارة العامة، ط١، دار المعارف، الإسكندرية، ص٣٧١.

(٢) انظر: أ. جمال محمود، التعاون والتنسيق في نشر الدعوة في الخارج، مقال نشر بمجلة الأزهر، ج٨، السنة ٦٠، شعبان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

(٣) انظر: عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، ص١٧٥.

دعوية أخرى ربما تؤثر في نتائجها أو تقضي عليها قضاء نهائيا.

وأما بالنسبة للوسائل والإجراءات والسياسات اللازمة لتنفيذ الخطة، فإن التنسيق بينها يعتبر كذلك أمرا ضروريا باعتبارها وسائل مؤدية إلى تحقيق الأهداف العامة للدعوة في المجتمع.

أما أساليب التنسيق وقنواته التي يتم من خلالها فهي متعددة وهي مرتبطة بشكل مباشر بالجهة المولة والسلطات المختصة للقيام بإجراء التنسيق ، وهنا ينبغي الإشارة إلى أن الجهة المخولة بالتنسيق هي قيادات المؤسسات والمنظمات الدعوية وصانعوا القرارات فيها، فهم المعنيُّون برسم مساراته وتحديد قنواته لكونه عاملا مهما لنجاح الخطة العامة التي تسير عليها المؤسسة الدعوية، وهذا لا يعني أنه وقف على القيادات العليا، بل قد يتحقق بأساليب ووسائل أخرى عن طريق أفراد أصحاب مسؤليات معينة في المؤسسة.

ويتم التنسيق عبر إنشاء اللجان والمجالس المختلفة والملتقيات الدعوية الدورية والعابرة، كما يمكن أن يتم التنسيق عن طريق تبادل المعلومة الصحيحة، إذا إن نقص المعلومات الضرورية للنشاط يعيق تنفيذ كثير من بنود الخطة، وكذلك المؤتمرات التي تقرب وجهات النظر وتوحدها وتُؤَصِّل لمسيرة الدعوة وتضع معالم مناهجها وأساليبها وخطواتها التنفيذية، وعلى هذا يمكن أن نجمل أساليب التنسيق في أربعة أنواع:[1]

١- المؤتمرات.

٢- اللجان والمجالس.

٣- مراكز المعلومات.

٤- الملتقيات الدعوية.

---

(١) انظر: د. أحمد الصباب، مبادئ الإدارة، ص٢١، ود. محمد سويلم، أساسيات الإدارة، ص٢٤٩.

أولا: المؤتمرات:

يجدر بنا أن نعطي فكرة عن المؤتمرات، تعريفها وأهميتها، وأنواعها، لتتضح لنا علاقتها وأهميتها في عملية التنسيق.

يعرف المؤتمر على أنه «اجتماع بين اثنين أو أكثر تربطهم مصالح وأهداف مشتركة متفق عليها أو مختلف عليها»[1]، وتهدف المؤتمرات إلى بحث الأمور المتفق عليها لتطويرها، والأمور المختلف عليها لتقريب وجهات النظر بشأنها، والوصول إلى أدنى اتفاق حولها يمثل قناعات المؤتمرين وتصدر بشأنها قرارات وتوصيات يلتزم بها الجميع ويعملون على تنفيذها.

وتأتي أهمية المؤتمرات في البحوث والدراسات العلمية التي تعالج الموضوعات المختلفة ذات العلاقة بالواقع ومشكلاته وغالبا ما تعد تلك الدراسات من متخصصين في تلك المجالات وهي بذلك لا تقل أهمية عن الرسائل العلمية التي تقدم في المؤسسات الأكاديمية، من حيث توفر الشروط الموضوعية والعلمية لها، بل قد تتفوق عليها أحيانا من حيث المعالجة والعمق، كما تتفوق عليها من حيث الأثر، إذ تصدر بشأن تلك الدراسات قرارات وتوصيات تجعل منها برامج عمل جاهزة للتنفيذ.

كما تبرز أهميتها من جهة أخرى من كونها تجمع المختصين وأهل الرأي والخبرة في الموضوع المعين وتتيح لهم فرصة التلاقي والتعارف وتدارس القضايا مما يسهم في تلاقح الأفكار ونضوجها.

وتتنوع المؤتمرات من حيث الموضوعات، فمنها التي تبحث في قضايا دينية بحتة، ومنها التي تتناول قضايا سياسية ومنها الاقتصادية، ومنها

---

(١) حزام توفيق وبسمة اللوزي، الخطوات الأساسية في إدارة المؤتمرات وتنظيمها، دراسة منشورة في المجلة العربية، للإدارة، العدد الثالث، ١٩٨٦م عدد خاص بمناسبة استضافة المنظمة للعلوم الإدارية، للمؤتمر العشرين للعلوم الإدارية، ص٢٥٥، وما بعدها.

الزراعية...الخ.

بل قد أصبح كل فن من فنون المعرفة تعقد له مؤتمرات للرقي به وتطوير وتأصيل مفاهيمه، كما تتنوع من حيث كونها إقليمية أو محلية أو دولية، كما تتنوع من كونها رسمية حكومية أو شعبية خيرية.

وقد كثرت في النصف الثاني من هذا القرن المؤتمرات ذات الصبغة الإسلامية[1] سواء كانت رسمية أو شعبية، وتنوعت موضوعاتها، وانبثقت عن بعضها منظمات ومؤسسات دعوية، ولعل أبرز تلك المؤتمرات الفعالة مؤتمر القمة الإسلامي الذي جمع بين قادة العالم الإسلامي، والذي دعا إليه الملك فيصل رحمه الله في عام ١٣٨٩هـ، ١٩٦٩م بجدة وانبثقت عنه منظمة المؤتمر الإسلامي، لتبدأ أول عمل مشترك على مستوى عال من التنظيم بين الدول الإسلامية[2].

وكذلك من المؤتمرات الإسلامية الشعبية غير الرسمية (المؤتمر الشعبي العربي الإسلامي) الذي عقد بالخرطوم في الفترة من ١١ إلى ٢٠شوال ١٤١١هـ، والذي دعا له الدكتور حسن بن عبد الله الترابي، الأمين العام للجبهة الإسلامية بالسودان، وقد حضره ممثلوا أكثر من سبعين منظمة ومؤسسة وجمعية إسلامية في العالم الإسلامي، وقد انبثق عن توصيات المؤتمر، إقامة أمانة دائمة للمؤتمر ومقرها الخرطوم.

ومن أهم الأعمال التنسيقية التي قام بها هذا المؤتمر الوساطة بين الفصائل الأفغانية المتقاتلة، والوساطة التي قام بها بين الحكومة الجزائرية وجبهة الإنقاذ

---

(١) انظر: أ. جمال الدين محمود، مجلة الأزهر، جـ٨، السنة ٦٠، شعبان، ١٤٠٨هـ، ص١١٥.

(٢) د. عبد الله الأحسن، منظمة المؤتمر الإسلامي، دراسة لمؤسسة سياسية إسلامية، ص٥٠، ترجمة الدكتور/ عبد العزيز إبراهيم الفائز، ط٢، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م ، مطابع دار الشبل الرياض.

الإسلامية بالجزائر[1].

إذن المؤتمرات ـ كما اتضح من أهميتها ـ فرصة ثمينة ـ لو أحسن استغلالها ـ لوضع أنظمة مختلفة وإنشاء أجهزة متخصصة للتنسيق بين المؤسسات القائمة بأمر الدعوة. إلا أنه مما يؤسف له أن الإفادة من أسلوب المؤتمرات لنشر الدعوة والتمكين لها والتنسيق بين المؤسسات القائمة بأمرها لم يصل بعد إلى مستوى يذكر، بل لم تتعد نتائج كثير من تلك المؤتمرات والتوصيات قاعات المؤتمر[2].

ثانيا: اللجان أو المجالس:

وهذا نوع آخر من أساليب التنسيق يمكن أن تلجأ إليه المؤسسات الدعوية في إطارها الداخلي أو الخارجي، لضمان التنسيق في إطار منظم ودائم، وذلك بتكليف أفراد متفرغين لهذه العملية يشكلون لجنة أو مجلسا دائما أو مؤقتا.

ويتحقق التنسيق عبر تلك اللجان أو المجالس بحيث لا يلغي دور المؤتمرات بل هو مكمل لها إذ يمكن أن يعد من جهاز المراقبة أو المتابعة للتحقق من عملية التنسيق بعد أن رسمت معالمها وحددت مساراتها في المؤتمرات ، ويمكن التمثيل لمثل هذه المجالس واللجان ذات الصبغة التنسيقية، بالمجلس العالمي للدعوة

---

(١) مجلة المجلة، العدد ٧٧٢، ٢٧نوفمبر، ١٩٩٤م، غرة رجب ١٤١٥، لقاء مع الأمين العام للمؤتمر العربي الشعبي الإسلامي، د. حسن الترابي، ص٣٤-٣٥. وانظر، مطبوعات وثائق المؤتمر ،بتاريخ ٢١ جمادى الثانية، ١٤١٤هـ مطابع جامعة الخرطوم.

(٢) اللواء جمال الدين محفوظ، مقال بعنوان، (السبيل إلى الإفادة من المؤتمرات الإسلامية) مجلة الأزهر، الجزء الثامن، السنة ٤٩، شوال، ذو القعدة ١٣٩٧هـ.

والإغاثة[١]، ورابطة الجامعات الإسلامية[٢]، على المستوى الإقليمي، أما على المستوى المحلي فكثيرا ما يحدث تنسيق بين منظمة أو أخرى في كثير من النشاطات كما هو قائم الآن بين المنظمات الدعوية العاملة في السودان[٣].

ثالثا: مركز المعلومات:

مراكز المعلومات كأسلوب من أساليب التنسيق تعتبر حديثة نوعا ما[٤].

رابعا: الملتقيات الدعوية:

الملتقيات الدعوية كأسلوب من أساليب التنسيق تعتبر من أسهلها، وذلك ليسر عقدها والاستفادة منها ، حيث إن اللقاء العابر أو المنظم بين شخصين أو

---

(١) تم انعقاد أول اجتماع للهيئة التأسيسية للمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة برئاسة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر، والذي عقد في القاهرة، في صفر ١٤٠٩هـ، وقد ضم الاجتماع ٣٧ مؤسسة إسلامية عاملة في مجال الدعوة الإسلامية، وقد تحدد هدف هذا المجلس في التنسيق في القضايا الإسلامية المختلفة ، ومتابعة الحملات الموجهة ضد الإسلام وتنظيم جهود الجمعيات والجماعات لمواجهتها في نطاق التنسيق والتعاون في كافة الميادين، مجلة منار الإسلام، العدد ٣ تاريخ ١٤١٠هـ

(٢) عن رابطة الجامعات الإسلامية، راجع ص ٥٠٩-٥١٢ من هذا البحث.

(٣) توجد لجان تنسيق بين المنظمات والهيئات العاملة في مجال الدعوة في السودان، ومن هذه الهيئات التي يوجد بينها لجان تنسيق، منظمة الدعوة الإسلامية، والوكالة الإسلامية للإغاثة، وجمعية الإصلاح والمواساة. انظر: لقاء نائب المدير التنفيذي لمنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم، الأستاذ عبد السلام سليمان سعد، جريدة الشرق القطرية، بتاريخ ٢٠ رمضان، ١٤١٢هـ ص١١.

(٤) حول تعريف شامل وكامل لمراكز المعلومات انظر، المطلب الثالث من الفصل الثالث من هذا البحث.

أكثر على هامش مؤتمر أو ندوة أو داخل مكتب، لا يحتاج إلى كثير جهد أو إعداد مسبق.

المطلب الخامس

التنسيق في الواقع الدعوي

يخرج المتأمل لواقع الدعوة بنتائج مؤسفة عن واقع التنسيق تحمل صورا متباينة، تتراوح بين سلبية حادة ـ هي نقيض التنسيق ـ إلي إيجابية ضعيفة لا تبعث على كثير أمل نحو إمكانية إيجاد تنسيق على مستوى التحديات والآمال، وأسوأ صور عدم التنسيق نراها أحيانا في صرف جزء كبير من طاقات المسلمين وجهودهم لمحاربة بعضهم بعضا في مختلف المجالات، وقد تصل العلاقة بين بعضهم أحيانا إلى حمل السلاح والاقتتال وسفك الدماء ـ كما يحدث الآن بين فصائل المجاهدين في أفغانستان الجريحة ـ ويليه في السوء سعي بعضهم إلى إفشال مشاريع الآخرين والقضاء على جهودهم ـ كما صرح بذلك الدكتور عبد الرحمن السميط ـ عن نشاط المؤسسات الدعوية في إفريقيا إبان الأزمة الصومالية، وكذلك نجد أحيانا التنافس غير الشريف ـ والله أعلم بالنيات ـ في إقامة مشاريع مماثلة هزيلة ومكررة، مع الغياب شبه التام عن مساحات عطاء أخرى، تمثل حاجة ماسة للمسلمين، ويعد ارتيادها مكسبا كبيرا للدعوة كما صرح بذلك الدكتور/ يوسف القرضاوي: «ومن التوازن المفقود الذي يجب السعي إليه والحرص عليه، هو التنسيق بين مختلف الأجهزة والمؤسسات ، ومختلف البلدان، بحيث لا يهدم جهاز ما يبنيه الآخر، ولا تتناقض مؤسسة مع عمل مؤسسة أخرى، ولا يتكرر العمل الواحد في أكثر من بلد رغم الحاجة إليه، على حين تترك ثغرات عديدة كبيرة في عدد من البلاد، دون أن تجد من يملؤها»[1].ويشارك الدكتور القرضاوي في وجود هذا الخلل معالي الدكتور/ عبد الله عمر نصيف الأمين العام

---

(١) في حوار أجري معه بمجلة الأمة، ص٩، ربيع الأول ١٤١٢هـ.

السابق لرابطة العالم الإسلامي[1]، والدكتور عبد الرحمن السميط، المدير العام للجنة مسلمي إفريقيا[2]، وكذلك يشاركهم الرأي اللواء أحمد عبد الوهاب[3] في بحثه الذي قدمه إلى موتمر البحوث الإسلامية بالقاهرة، حيث يقول: «من العقبات التي تواجه الدعوة الإسلامية على مستوى الدولة الواحدة أو على مستوى العالم الإسلامي، عدم وجود هيئة عالمية إسلامية تقوم بمهمة التنسيق» وهذا الواقع القائم لا يدعونا لأن ننكر أن هناك جهودا مقدرة تبذل هنا أو هناك من بعض المخلصين القائمين على أمر الدعوة في العالم، لتدارك غياب التنسيق والتعاون، إلا أن تلك الجهود تبدو ضئيلة قياسا بالمساحة الكبيرة التي أظلمت بسبب فقدان التنسيق المطلوب.

ولكي أكون موضوعيا أكثر سوف أتناول هذا الأمر من خلال حديثي عن المؤسسات والهيئات والجماعات القائمة بأمر الدعوة، والتي يمكن أن أجملها فيما يلي:

١- المؤسسات والهيئات الخيرية الإسلامية الإقليمية والدولية.

٢- المؤسسات العلمية الإسلامية.

٣- الجماعات الإسلامية.

وسوف أتناول واقع التنسيق فيها من خلال مدى إفادتها من أساليب التنسيق

---

(١) معالي الدكتور عبد الله نصيف، في حوار أجري معه في مجلة النور الكويتية، العدد ٥٦، ص٢٤، وما بعدها.

(٢) في مشاركة له في ندوة مجلة الخيرية التي عقدت بالكويت، عدد ٣٨، تاريخ محرم ١٤١٤هـ، ص٢٠.

(٣) اللواء أحمد عبد الوهاب، بحث مقدم إلى المؤتمر العادي عشر لمجمع البحوث الإسلامية في القاهرة، رجب ١٤٠٨هـ مارس ١٩٨٨م، بعنوان (التنسيق بين الهيئات العاملة في حقل الدعوة الإسلامية) مجلة الفكر الإسلامي، ص٧٣-٧٥.

التي ذكرتها في المطلب السابق.

أولا: المنظمات والهيئات الخيرية الإسلامية الإقليمية والدولية:

مع ازدياد مآسي المسلمين في مواقع كثيرة من العالم، من حروب وكوارث وهجرات جماعية، جاءت فكرة إنشاء الهيئات الخيرية الدعوية، لتقدم الغذاء والكساء والدواء مع الدعوة إلى الله[1]، لتحمي بذلك المستضعفين من المسلمين وغيرهم، من كيد المؤسسات التنصيرية، التي ترفع شعار (اخلع ثوب الإسلام نخلع عنك الفقر والتخلف) ولقد بذلت جهود مقدرة في هذا الجانب لمحاربة هذا الثالوث الخطير، (الجهل، الفقر، المرض) وقد قاربت هذه التجربة أن تكمل عقدين من الزمان، وهي في تنام مستمر، وقد أصبحت بذلك ظاهرة صحية ملموسة من ظواهر الصحوة الإسلامية، ويشهد بذلك كل مخلص غيور، إلا أن هذه التجربة في الدعوة إلى الله بحاجة إلى وقفة من القائمين على أمرها ليقوّموا ويؤصّلوا مسارها خاصة مع كثرة هذه الهيئات ليس فقط في دول مختلفة بل حتى في إطار الدولة الواحدة.

ولعل غياب التنسيق الذي تشكو منه هذه الهيئات الخيرية كما تشكو منه مجالات العمل الإسلامي الأخرى يشكل عقبة كأداء في وجه كل تخطيط يراد منه تنفيذ عمل إسلامي ناجح، ولعل في الندوة التي عقدتها الهيئة الخيرية العالمية

---

(١) انظر المقال الذي بعنوان: (التنسيق بين أجهزة الدعوة والإغاثة) مجلة الأزهر، جـ٨، السنة ٦٠، شعبان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، لفضيلة الشيخ إبراهيم الدسوقي مرعي، وزير الأوقاف السابق.

الإسلامية[1] ما يعطي دليلا على الإحساس لدى قيادات ورموز بعض المؤسسات والهيئات الإسلامية، بأهمية التنسيق، إذ إن المشاركين في هذه الندوة أكدوا على أن تعدد المؤسسات الخيرية بدون تنسيق بينها يعد ظاهرةسلبية يعيق إتقان العمل ويقف عقبة أمام التخطيط للمستقبل ويؤدي إلى تكرار بعض الأنشطة مع غيابها في مجالات أخرى. بل طالب بعضهم، بضرورة دمج بعض هذه المؤسسات ذات النشاطات المتشابهة، وأن ترسخ مبادئ التنسيق وأساليبه كمرحلة أولى تسبق مرحلة الدمج الكامل.

وكذلك من الذين أكدوا على أهمية التنسيق وضرورته، مع الشكوى من فقدانه معالي الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي[2] حين سئل عن أهمية التنسيق والتكامل بين المؤسسات والهيئات الإسلامية الدولية والإقليمية ـ فأجاب ـ قائلا: «في الواقع نحن تأخرنا كثيرا في عقد لقاء بين المسؤولين عن المؤسسات الإسلامية الموجودة، وينقصنا فقط عقد لقاءات وتشكيل لجان للتنسيق ووضع الخطط وضبط عمليات الاتصال، إن التنسيق بين الأجهزة الدعوية العاملة في مختلف بلاد العالم ضرورة دينية وعصرية في الوقت نفسه، ورابطة العالم الإسلامي ترحب دائما بالتعاون والتنسيق مع أي جمعية أو مؤسسة إسلامية في

---

(١) مجلة الخيرية: تصدر عن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، ومقرها الكويت، العدد ٢٨، محرم، ١٤١٤هـ شارك في هذه الندوة، د. عبد الله نصيف الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي، والأستاذ أحمد بزيع الياسين، رئيس مجلس إدارة بيت التمويل الكويتي، ود. عبد الرحمن السميط، رئيس لجنة مسلمي أفريقيا، د. مانع الجهني، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي، وعبد الله المطوع، رئيس مجلس إدارة الإصلاح الاجتماعي، الكويت.

(٢) انظر: اللقاء الصحفي، مع الدكتور عبد الله عمر نصيف، الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي، مجلة النور، العدد ٥٦.

أي مكان في العالم، فالهدف لا بد أن يكون واحدا والغاية لا بد أن تكون مشتركة ، وهي خدمة الدين الحنيف وإسعاد البشرية».

هذه شواهد من أقوال وملاحظات قيادات تلك المؤسسات والهيئات الخيرية الإسلامية، وبقي علينا أن ننظر مدى استفادتها من أساليب التنسيق المذكورة آنفا:

أ) المؤتمرات:[1] عقدت مؤتمرات إسلامية كثيرة ومتنوعة، فهل أفادت هذه المؤتمرات في مجال التنسيق للدعوة الإسلامية، لا شك أنها أفادت كثيرا ويمكن إجمال ذلك فيما يلي:

١- أتاحت الفرصة لاجتماع الدعاة والعلماء لتبادل وجهات النظر وإيجاد رأي إسلامي موحد لمواجهة كثير من المشكلات المعاصرة، ولعل خير دليل على ذلك المؤتمرات التي تعقدها (منظمة المؤتمر الإسلامي) وغيرها من المؤتمرات.

٢- إنها تجاوزت مرحلة الوطنية والقومية إلى عالمية الإسلام.

٣- إنها تعبر عن صور الترابط والتآخي بين المسلمين، وهو تعاون في مجالات العلم والثقافة والمعرفة.

٤- إنها تمثل إرهاصا بتأسيس وحدة فكرية إسلامية شاملة بعد عصور التشتت والتمزق الطويلة.

---

(١) للاستزادة من هذه الفقرة انظر: التحقيق الصحفي الذي أجراه الأستاذ جابر رزق رحمه الله مع كبار الدعاة الذين أسهموا في إعداد وإنجاح وتوجيه كثير من هذه المؤتمرات الإسلامية، أمثال: د. يوسف القرضاوي، اللواء محمود شيت خطاب، محمد الغزالي، عبد الستار فتح الله السعيد، وغيرهم، وقد نشر التحقيق بعنوان (حول مؤتمراتنا الإسلامية) في مجلة الأزهر، جـ٨، السنة التاسعة والأربعون، شوال، ذو القعدة، ١٣٩٧هـ، أكتوبر ١٩٧٧م، ص١٦٨٤ وما بعدها، وكذلك انظر مقال اللواء جمال الدين محمود، مرجع سابق.

٥- إنها صورة من صور الاجتهاد الجماعي بديلا عن الاجتهاد الفردي والجمود الفكري.

إلا أنه مع هذه الإيجابيات للمؤتمرات الإسلامية، فإن بعض كبار الدعاة والمفكرين المهتمين بهذه المؤتمرات والذين أسهموا فيها، يسجلون عليها جملة من المآخذ حول تأثيرها في واقع الدعوة والعمل الإسلامي، يمكن أن نجملها فيما يلي:

١- غياب الإعداد العلمي الجيد لهذه المؤتمرات، سواء من حيث إعطاء الوقت الكافي لمعدي البحوث والأوراق المقدمة للمؤتمر، أم من حيث وقت تبليغ المشاركين بمواعيد تلك المؤتمرات، فيكون الاستعداد ضعيفا من جهتين: من جهة المعد ومن جهة المشارك، ولإيضاح الفرق بين إعداد غير المسلمين والمسلمين في الإعداد للمؤتمرات يمكن التذكير بالمؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة (بازل) بسويسرا عام ١٨٩٧م، والذي كان من ثمرته قيام دولة إسرائيل بعد خمسين عاما من انعقاده، يذكر أنه استمر ثلاثة أيام، في حين استمر الإعداد له سبع سنوات، والذين قاموا بالمشاركة فيه هم الخلاصة في كل ميدان، ولذا فكل بحث قدم كان خلاصة أهل الخبرة في ذلك المجال[١].

ويؤكد بعض المشاركين في المؤتمرات الإسلامية على ظاهرة سلبية أخرى ألا وهي غلبة الإنشائية ومخاطبة العاطفة وعدم وضوح الأهداف التي عقد لها المؤتمر، وغلبة الدعاية والمظهر على الجانب الجوهري.

٢- ومما يؤثر على المؤتمرات اتخاذها كخدمة للأغراض السياسية كما يفقدها تأثيرها وثقة الناس بها، بل ربما حدث بينها وبين عامة المسلمين انفصام، فالدولة التي تهزأ بالإسلام وعلمائه علنا وتحارب بعض شرائعه، ثم تعقد مؤتمرا إسلاميا وتحشد الموالين لها فيه، قطعا لا يكون لذلك المؤتمر أي تأثير بل ربما أضر

---

(١) انظر المرجع السابق، تحقيق جابر رزق الله، مجلة الأزهر، جـ٨، السنة ٤٩، عدد شوال ذو القعدة، ١٣٩٧هـ.

بالمؤتمرات الجادة.

٣- إن كثيرا من تلك المؤتمرات لا تتجاوز المرحلة الوصفية التي تمتدح النظام الإسلامي، أو إنها تعالج المشكلات الآنية، دون التطرق بعمق إلى آفاق المستقبل.

٤- أغلب بحوث المؤتمرات لا تطبع بحيث ينتفع بها الناس، وما يطبع يوزع في حدود ضيقة ومحدودة، ولا يعمم على قاعدة كبيرة من القراء.

٥- من حيث الجهة التي تتبنى قرارات المؤتمر وتوصياته يلاحظ غياب جهاز متابعة - تحدد بدقة مهامه ووسائله - للإشراف على تنفيذ تلك القرارات والتوصيات، وهنا تجدر الإشارة إلى أنه لا بد من تضافر جهود الحكومات الإسلامية والدعاة في تبني مثل هذا الجهاز، والاستفادة من كل الفرص المتاحة لتنفيذ قرارات تلك المؤتمرات وتوصياته[1].

ب) المجالس واللجان:

أما عن مدى استفادة المؤسسات والهيئات الإسلامية من أسلوب اللجان والمجالس كأسلوب من أساليب التنسيق، فإنه قد تم تشكيل المجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة في شهر صفر ١٤٠٩هـ، بالقاهرة، حيث عقد بين قادة المنظمات والهيئات الإسلامية والدعوية في الاجتماع الأول وأعلنوا عن تشكيل هذا المجلس للتنسيق بين منظماتهم والتكامل في أهدافها وبرامجها ووسائلها. ويقول عنه الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي: «إن هذا المجلس حقق أشواطا

---

(١) حول سلبيات وإيجابيات المؤتمرات الإسلامية انظر:

- تحقيق الأستاذ جابر رزق، مجلة الأزهر، مرجع سابق، وعبد اللطيف فايد، قضية المتابعة والتنفيذ لنتائج المؤتمرات الإسلامية، مجلة منبر الإسلام العدد ٨ شعبان، ١٤١٠هـ. ١٩٩٠م، ص٢-٤. ومجلة المجتمع، المؤتمرات الإسلامية بين الإنفعال الوقتي والانتظام الثابت، العدد ١٥٢، ربيع الثاني ١٣٩٣هـ مايو ١٩٧٣م، ص١١.

طيبة في مجال التنسيق والتعاون وارتقى بآليته إلى مستوى الآلية المعروفة في المنظمات الدولية الأخرى، كما يقوم المجلس بتنسيق تبادل المعلومات وتنفيذ بعض البرامج المشتركة بين المؤسسات الإسلامية»[١].

ولعل تصريح الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي يبعث الأمل على وجود تنسيق فعال ومثمر بين المنظمات الإسلامية حتى ترتقي بأساليب عملها نحو الأفضل والأكمل - إن شاء الله تعالى - في المستقبل.

ج) مراكز المعلومات:

كأسلوب من أساليب التنسيق تعتبر حديثة نوعا ما ولم تعرف إلا في منتصف هذا القرن مع ظهور الأجهزة الحديثة، وللأسف لا توجد مراكز معلومات متخصصة تفيد في تبادل المعلومات بين الهيئات والمؤسسات الإسلامية في العالم، وهذا مما أدى إلى تعطيل وتضارب كثير من النشاطات، فمثلا في مجال تنفيذ المشاريع تجد أن بعض المتقدمين يقوم بتقديم مشروع لأكثر من جهة وفي بعض الأحيان يصل له دعم من أكثر من جهة أيضا في حين أن شخصا آخر لا يحصل على شيء، وأيضا وجد من يعمل في مجال الدعوة ويتقاضى راتبا من أكثر من جهة إسلامية، وقد أنشئ حديثا المجلس العالمي للمعلومات الإسلامية، ومقره لندن وأسهم في إنشائه أكثر من منظمة إسلامية، ويمكن أن يعتبر بداية للاستفادة من أسلوب من أساليب التنسيق بتبادل المعلومات الصحيحة بين المنظمات الإسلامية العاملة في الساحة، وكذلك يمكن أن يسهم في صد التيار العالمي المتزايد لإثارة الشبهات الباطلة ضد الإسلام وتشويه صورته.

وقد جاءت التوصية بإنشاء هذا المجلس أثناء انعقاد المؤتمر العالمي للأديان

---

(١) الرابطة: مجلة متخصصة تصدر عن رابطة العالم الإسلامي، بمكة المكرمة، العددان ٣٥٣و٣٥٤، ربيع الأول وربيع الثاني، ١٤١٥هـ، لقاء مع الأمين العام للرابطة الدكتور أحمد محمد علي.

الذي عقد في مدينة شيكاغو الأمريكية في نهاية أغسطس من عام ١٩٩٣م"[١].

د) الملتقيات الدعوية:

أما عن مدي استفادة المؤسسات والهيئات الإسلامية من الملتقيات الدعوية كأسلوب من أساليب التنسيق، فإننا لا نستطيع تحديد عدد هذه الملتقيات وأماكنها، ولكن لا شك أن هناك ملتقيات كثيرة تتم بواسطة قيادات ورموز العمل الدعوي، وعادة يتم ذلك على هامش المؤتمرات، أو في المناسبات الإسلامية العامة والمواسم السنوية مثل اللقاءات التي تتم في موسم الحج، ولرابطة العالم الإسلامي دور مقدر في الاستفادة من هذه الملتقيات.

ثانيا: واقع التنسيق بين المؤسسات العلمية:

أقصد بالمؤسسات العلمية الجامعات والمعاهد الإسلامية المنتشرة في العالم الإسلامي، وقد خدمت هذه الجامعات والمعاهد الدعوة الإسلامية خدمة كبيرة، بل تعتبر الحصون التي حفظت التراث الإسلامي وأسهمت في تحقيقه ونشره للناس، وتخرج في كلياتها العلماء والدعاة الذين انطلقوا يبلغون رسالة الإسلام، وقد عرف العالم نواة الجامعات الإسلامية في وقت مبكر جدا ثم استفادت من تطور العلوم الإنسانية لترسخ التعليم الإسلامي، ومع تطور هذه الجامعات وكثرتها وانتشارها في العالم، تجيء ضرورة التنسيق والتعاون بين تلك الجامعات! فهل حدث شيء من ذلك؟ هنا يمكن أن نشير إلى التجربة المتمثلة في إنشاء رابطة الجامعات الإسلامية.

«إن الجامعات الإسلامية إدراكا منها للدور الملقى على عاتقها في الحفاظ على شخصية الأمة الإسلامية وحمايتها من الغزو الأجنبي، وفي تغذية العالم المعاصر بتعاليم الإسلام، وفي تحقيق ما تتطلع إليه الأمة من وحدة فكرية تقوم على أصيل ثقافتها ووعيا منها بالمشكلات والصعوبات التي تعترض سير

---

(١) مجلة المجتمع الكويتية، العدد ١١٢٤، جمادى الآخرة، ١٤١٥هـ ٨ نوفمبر ١٩٩٤م.

مؤسسات التعليم العالي في الدراسات الإسلامية والعربية واقتناعا منها بأنه يمكن التغلب على هذه المشكلات وتلكم الصعوبات، قامت بوضع إطار للعمل التعاوني فيما بينها وذلك بإنشاء مؤسسة تجمع جهودها وتعمل على استثمار كفايتها، وفتح قنوات الاتصال فيما بينها، وتوحيد توجهاتها والتنسيق في مختلف شؤونها، فكانت فكرة الرابطة»[1].

- نشأتها:

اجتمعت مجموعة من ممثلي الجامعات الإسلامية لتأسيس الرابطة في مدينة فاس بالمغرب عام ١٣٨٩هـ، إذ اجتمع ممثلوا ثلاث وعشرين جامعة إسلامية إضافة إلى مجموعة من الشخصيات الإسلامية المرموقة، واتفقوا على تأسيس رابطة للجامعات الإسلامية ومقرها الرئيس الرباط بالمغرب، تجمع في عضويتها مؤسسات التعليم والبحث العلمي في مجال الدراسات الإسلامية والعربية أو ما يعادلها.

- من أهداف الرابطة:

تهدف رابطة الجامعات الإسلامية إلى:

١- العمل على تنمية الروح الإسلامية وإشاعتها والاعتزاز بالقيم الإسلامية والتمسك بها.[2].

٢- تنمية التعاون بين مؤسسات التعليم الجامعي في الدراسات الإسلامية والعربية، فيما يعود بالنفع عليه في أداء رسالتها لخير الإسلام والمسلمين.

٣- تجميع البيانات عن التعليم الجامعي والبحث العلمي وعن كل ما يتعلق بالإسلام من دراسات وبحوث ووثائق، وتدوينها في سجل خاص ترسل منه نسخ

---

(١) انظر: دليل رابطة الجامعات الإسلامية، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

(٢) المرجع السابق. ص٢٧.

للمؤسسات الثقافية والإسلامية.

٤- تنمية الاتصالات بين رابطة الجامعات الإسلامية وبين مؤسسات التعليم الجامعي في الدراسات الإسلامية وغيرها من المؤسسات الثقافية الأخرى، وبين هذه المؤسسات من ناحية والاتحادات والمؤسسات الثقافية الإسلامية والعالمية من ناحية أخرى وذلك كله في حدود ما يتفق مع رسالة الإسلام وخير المسلمين.

٥- العمل على تيسير تبادل الأساتذة بين مؤسسات التعليم الجامعي في الدراسات الإسلامية والعربية بكافة الطرق المنتجة. وعلى الأخص عن طريق إنشاء سجل خاص يتضمن بيانا عن المؤسسات الإسلامية التي تكون في حاجة إليهم، وعن تلك التي يوجد من أساتذتها فائض يمكن من سد تلك الحاجة.

٦- دعم المؤسسات الثقافية الإسلامية وحمايتها والعمل على سد حاجتها وتنسيق وسائلها.

٧- التنسيق في توزيع المنح الطلابية بين الجامعات الإسلامية.[١]

لا شك أن تلك الأهداف التي تسعى الرابطة لتحقيقها تمثل أسلوبا من أساليب التنسيق التي يمكن أن تسهم في توحيد الجهود ودعم التعاون المشترك بين الجامعات الإسلامية لخدمة الإسلام، إلا أننا وبالرغم من وجود الرابطة بين الجامعات الإسلامية وقيامها بشيء من التنسيق لا ينكر وخصوصا في مجال تبادل الخبرات والكفاءات الذي يتم عادة بين بعض الجامعات والمعاهد، فإن هناك قصورا واضحا وضعفا شديدا في كثير من المجالات التي كان يجب أن يكون فيها تنسيق كما نصت على ذلك لوائح الرابطة ولنأخذ مثلا مجال البحث العلمي، فإن التنسيق يكاد يكون معدوما، كما ذهب إلى ذلك الدكتور عباس محجوب في بحثه القيم المنشور في مجلة الأمة حيث تحدث عن افتقاد كثير من البحوث إلى العمق والأصالة والابتكار وغياب التنسيق وضعف أسلوب تبادل المعلومات مما

---

(١) المرجع السابق، نفس الصفحة.

يؤدي إلى تكرار البحوث ليس في الجامعات المختلفة فحسب بل أحيانا في جامعة واحدة، وذلك لانعدام الضوابط التي تحكم البحوث وتوجهها، ولانعدام الفهرسة الدقيقة للبحوث بحيث يسهل على طالب الدراسات العليا الإلمام بطبيعة الموضوعات التي عولجت في الجامعات الأخرى»[1]، وأدى هذا بدوره إلى طغيان الناحية الكمية في البحوث على حساب الجودة النوعية. فهذا لا شك خلل واضح في مجال من أهم المجالات التي تقوم عليها رسالة الجامعة، فكذلك نجد نوعا من ضعف التنسيق في مجال آخر وهو قبول الطلاب للدراسة بالجامعات فلغياب التنسيق وتبادل المعلومات بأحدث الوسائل يتم أحيانا قبول بعض الطلاب في أكثر من جامعة في بداية التسجيل في كل فصل دراسي، وهذا قطعا يؤدي إلى تضييق فرص القبول على طلاب آخرين في حاجة لهذه الفرصة، وعليه يصبح التنسيق بين الجامعات والمعاهد العليا في العالم الإسلامي ضرورة قصوى لا بد من تداركها.

ثالثا: واقع التنسيق بين الجماعات الإسلامية:

بعد أن تآمر الغرب على إسقاط الخلافة الإسلامية العثمانية وتقسيمها إلى دويلات متنافرة، قامت حركات إصلاحية تنادي بالعودة إلى إعادة الخلافة وتدعو إلى إقامة الجامعة الإسلامية تمهيدا لوحدة الأمة في خلافة إسلامية.

وقد احتضنت هذه الحركات والجماعات كثيرا من شباب المسلمين تربيهم وتحصنهم من مؤامرات الأعداء والأفكار الهدامة التي يبثها بينهم أعداء الأمة.

وقد أدى الاختلاف والاجتهاد حول أولويات الدعوة وترتيب مجالات الإصلاح إلى خلاف شديد بين تلك الجماعات لم يلبث أن وصل مستوى خطيرا نتج

---

(١) انظر: تلك الدراسة النقدية حول (البحث العلمي في مناهج الجامعات الإسلامية) التي أعدها الدكتور عباس محجوب، مجلة الأمة القطرية، عدد، جمادى الآخرة، ١٤٠٤هـ، ص٢٤-٢٧.

عنه تعصب مقيت، أعمى عن واجبات أخوة الإسلام، ووجوب التعاون والتواصي بالحق والصبر.

بل إننا نجد أن هذا الخلاف وصل بين بعض الجماعات الإسلامية إلى حد حمل السلاح.

«إن هذا الخلاف بين الجماعات ما لم يوجد له تبني صادق من الدعاة والعلماء الموثوقين في دينهم الراسخين في علمهم المبصرين بواقع الحياة ، فإن مستقبل الصحوة يواجه خطرا من جراء هذه الفرقة المستشرية، وهذا الخلاف ليس كله خلاف هوى وشهوة، بل منه ما هو خلاف شبهة وما هو خلاف شهوة.

إن الدعوة الإسلامية بحاجة إلى اجتهاد جماعي من المختصين لترتيب الأولويات العلمية والعملية في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر»[1] ، وذلك لترسيخ التفريق بين القطعيات ومسائل الإجماع، وما يلحقها من الاختيارات العلمية الراجحة التي تمثل مخالفتها نوعا من الشذوذ أو الزلل، وبين الظنيات التي يكون للاجتهاد مجال فيها ، أي ما يمكن أن يعبر عنه بالثوابت والمتغيرات، مع بيان المنهج لدى أهل العلم في التعامل مع كل منها.

ولا يخفى على المتأمل أن كثيرا من القضايا الكبرى التي مثلت نقاط تماس واختناق في واقع العمل الإسلامي المعاصر والتي أدى الاختلاف حولها إلى كثير من التهارج والتدافع، لم يكن مرد الاختلاف فيها إلى تنازع حول الأصول العلمية الضابطة لهذه القضايا بقدر ما كان التنازع حول تحقيق المناط فيها ، والتباسا في بعض الأمور العملية التي يؤدي خفاؤها أو تراكم الغبش حولها إلى الاختلاف في توصيف هذه القضايا ومن ثم في تكييفها وترتيب الوسائل والمناهج اللازمة

---

(١) انظر: د. صلاح الصاوي، الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، المنتدى الإسلامي، الكتاب الحادي عشر، ط١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، ص٣.

للتعامل معها »[١].

لعل هذه الرؤية الشاملة المتكاملة التي ذهب إلها الدكتور صلاح الصاوي لطبيعة الاختلاف بين الجماعات الإسلامية تبين لنا واقع العلاقات بين تلك الجماعات إذ إن معظم جهودها منصبة في معالجتها ومستغرقة لمعظم نشاطاتها إن لم يكن كلها في بعض الجماعات، وبالتالي في مثل هذه الأجواء فقطعا تنعدم فرص التنسيق وفق الأساليب التي قررناها في مبحث سابق من هذه الدراسة[٢]، اللهم إلا ما يكون بين بعض الجماعات المتقاربة في وسائلها وأساليبها، وكذلك هناك محاولة لا بأس بها يمكن أن تشكل أسلوبا من أساليب التنسيق، وهو المؤتمر العربي الشعبي الإسلامي الذي دعا له الدكتور حسن الترابي، الأمين العام للجبهة الإسلامية بالسودان، حيث كانت الدعوة له عقب أزمة الخليج الثانية، وما نتج عنها من فرقة وانقسام بين المسلمين، والذي انعقد في الخرطوم، حيث قدمت الدعوة لكل قيادات الجماعات الإسلامية، والأقليات المسلمة في العالم، ورموز الصحوة الإسلامية، وقد كانت هناك استجابة واسعة لحضور المؤتمر حيث حضره أكثر من سبعين شخصية تمثل مختلف الجماعات والأقليات في العالم، وقدمت أوراق عمل تتعلق بقضايا المسلمين ومستقبلهم، ووسائل للتنسيق والتعاون، وقد انبثقت عن هذا المؤتمر أمانة دائمة للمؤتمر واختير لها أمينا عاما، تجدد رئاسته للأمانة سنويا كل سنتين.[٣]

وعلى كل يعتبر هذا المؤتمر خطوة مباركة في سبيل معالجة ضعف التنسيق والتعاون بين الجماعات الإسلامية في العالم الإسلامي، وإن كانت فترة هذا المؤتمر ليست كافية حتى نحكم له أو عليه.

---

(١) المرجع السابق، ص٤.

(٢) انظر، مطلب أساليب التنسيق.

(٣) انظر ص٤٩٨ من هذا البحث.

المطلب السادس

علاج ضعف التنسيق بين الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي

استعرضت فيما مضى ضعف التنسيق أو غيابه في بعض المجالات بين القائمين بأمر الدعوة، وهنا لا بد من ذكر معالم تمثل محاولة لتلمس العلاج، ويمكن أن أوردها فيما يلي:

١- استشعار المشكلة (مشكلة عدم التنسيق) وذلك باستحضار مبررات التنسيق واستحضار أهميته[1]، حتى يتغلب المرء على كثيرمن العوائق النفسية والعملية التي تحول دون تصور خطر غياب التنسيق، ثم التوعية المستمرة بجدوى التنسيق وإحياء روح التكامل بين القائمين بأمر الدعوة برفع شعار (أنا مكمل للآخرين ولست بديلا عنهم) وهذه لا شك تحتاج إلى مجاهدة عظيمة من النفس، وما أحلاها من عبادة، وما أقربها من طاعة تقر بها عين صاحبها يوم يلقى ربه في الآخرة، ومثلها في الدنيا حين يرى ثمرة تجرده وتعاونه مع إخوانه المسلمين.

٢- تبني أصول عامة في العمل الدعوي تمثل ثوابت ومرتكزات للقائمين على أمر الدعوة جميعهم، درءا للتعارض والتصادم وتضييقا لدوائر الاختلاف والفرقة، على أن تكون هذه الأصول العامة من قطعيات الكتاب والسنة، ثبوتا ودلالة، ثم ما كان منها أقرب إلى ذلك مما ذهب إليه جمهور المسلمين.

٣- استشعار عظيم الواجبات الملقاة على الدعاة وعظيم كيد خصوم الإسلام، وأن الدعوة تمر بمفترق طرق «إما التكامل والتراحم والتعاون، وإصلاح ذات البين،

---

(١) راجع ص ٤٩٩ من هذا البحث .

فيرشد المسار، وإما التهارج والتنازع وفساد ذات البين»[١].

٤- التأكيد على مرحلية التنسيق المأمول وعدم إغفال التدرج حتى يؤتي ثماره المرجوة.

٥- تعميق مفهوم التخصص درءا للتكرار لأعمال الدعوة مع غياب الاتفاق اللازم.

٦- السعي إلى تشكيل مجالس عليا للتنسيق، وإقامة لجان مشتركة لتنفيذ سياسات تلك المجالس على المستويات الدنيا، كما أشار إلي ذلك فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ـ شيخ الأزهر ـ بمناسبة انعقاد المؤتمر العالمي للدعوة الإسلامية بالأزهر حيث قال: «إن قضية الدعوة الإسلامية التي تعمل في حقلها هيئات وجهات متعددة منبعثة عن الشعوب الإسلامية لا بد أن تشمر من أجلها الجهود وتتضافر حتى تصل إلى الغاية المرجوة... لذلك كان للوصول إلى هذه الغاية وهذا الهدف أن يعمل الأزهر الشريف على التنسيق والتكامل بين الجهات القائمة على شؤون الدعوة في العالم الإسلامي، ولما كانت أمور الدعوة وأعباؤها لا تقوم على الكلمة وحدها، بل لا بد من التنسيق والتكامل مع الجهات القائمة على أمور الإغاثة في العالم الإسلامي.. ومن هنا... كانت توصيات المؤتمر العالمي للسيرة والسنة الذي عقده الأزهر في عام ١٩٨٤م وكان من أهم توصياته دعوة جهات البر في الدول الإسلامية لتنسيق جهودها فيما بينها حتى يتكامل نشاطها ويمتد إلى سائر المسلمين في جميع أنحاء العالم وضرورة النظر في تشكيل هيئة دولية إسلامية لأعمال الإغاثة في العالم الإسلامي»[٢]

ولعل اقتراح شيخ الأزهر كان واضحا في تركيزه على إنشاء أو تشكيل

---

(١) انظر: صلاح الصاوي، الثوابت والمتغيرات، ص. ٢٤.

(٢) كلمة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، شيخ الأزهر، بمناسبة انعقاد الموتمر العالمي للدعوة الإسلامية، مجلة الأزهر، عدد شعبان ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص١١١٣.

هيئة عالمية للإغاثة وهي تمثل أهم المجالات التي يمكن التنسيق فيها بين المنظمات والمؤسسات الإسلامية المعنية بهذا الشأن.

٧- يمكن إنشاء مراكز لتبادل المعلومات، وذلك على مستوى كل المجالات المتشابهة سواء بين المؤسسات والهيئات الخيرية، أو المؤسسات العلمية، أو الجماعات الإسلامية، ويكون بالإفادة من وسائل تخزين المعلومات ونشرها بالطرق الحديثة[1].

هذا وإذا أمكن تفادي كل أنواع التضارب والتناقض في الأعمال الدعوية في الساحة الإسلامية، فإنه لا شك سوف يتحقق الكثير من الخير للأمة الإسلامية، وتزال كثيرمن العقبات التي تعترض التخطيط بسبب ضعف التنسيق بين الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي.

---

(١) انظر مقال (التعاون والتنسيق في نشر الدعوة في الخارج) للأستاذ المستشار، جمال الدين محمود، مجلة الأزهر، عدد شعبان، ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م، ص١٠٧.

الخاتمة :

لما كانت الغاية الأساسية من البحوث العلمية المتخصصة في موضوعات محددة المعرفة التفصيلية والدقيقة لما يتعلق بتلك الموضوعات من خلال عمليتي التحليل تركيباً.

فقد أتاحت هذه الدراسة لموضوع التخطيط للدعوة الإسلامية أن أقف - ولله الحمد - على أهم ما يرتبط بهذا الموضوع وقوفاً تفصيلياً أحسب أنه يتيح لي أن أبرز أهم النتائج التي توصلت إليها ، كما أنه من خلال تنقيبي في الجزئيات والمباحث التي تناولتها بالبحث فإن ذلك قد أتاح فرصة الإطلاع على مسيرة الدعوة الإسلامية في عهد الرسول ﷺ والخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - من مصادرها الصحيحة المتعددة ثم الإطلاع على مسيرة العمل الإسلامي في العصور التالية لهم لاسيما عصرنا الحاضر ، وكل ذلك مكنني من الوقوف على بعض الجهود الدعوية المبذولة من الجهات القائمة بأمر الدعوة سواءً كانت تلك الجهات رسمية أم شعبية . عليه فسوف أذكر هنا أهم ما أراه من النتائج التي خرجت بها من هذه الدراسة ، ثم أهم التوصيات التي أرى ضرورة الأخذ بها تسديداً للمسيرة ودفعاً لخطوات أوثق ونتائج أوفق ...

أولاً : أهم النتائج

- إن التخطيط في مفهومه العام وغايته القصوى يرمي إلى الإعداد للمستقبل والإستعداد له بما يمكّن من تحقيق أفضل النتائج للعمل المراد إنجازه ، ومن خلال دراستي للسيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين - رضى الله عنهم - ومواقف كثير من السلف وأراء معظم العلماء المعاصرين ، لم أقف على ما يتعارض مع مفهوم التخطيط السابق بيانه ، وبالتالي فليس هناك ما ينافي مشروعيته بل كثيراً من نصوص الكتاب والسنة ووقائع السيرة النبوية التي تمثل تطبيقاً عملياً لنصوص الكتابة والسنة ، وكذلك ما ورد من آثار عن السلف وأقوال الخلف تحث على الإعداد للمستقبل والسعي لاتقان العمل لتحقيق أفضل النتائج

وهذا ما يرمي اليه التخطيط ذاته ويسعى لتحقيقه

٢- حتى يكون التخطيط عملياً وناجحاً فلابد أن يقوم على عناصر أساسيه ثلاثة ، وهي :

أ- معرفة الواقع الذي يراد العمل فيه .

ب- تحديد الأهداف التي يراد الوصول إليها .

ج- تحديد الأساليب والوسائل المستخدمه لانجاز الأهداف المحددة مسبقاً .

إلا أنه من خلال البحث فقد أتضح لي أن غالب الجهود المبذوله في عصرنا الحاضر تفتقر في عملها إلى القيام على هذه العناصر بصورة مدروسة ومعدة إعداداً علمياً دقيقاً ، وذلك على خلاف ما كان عليه عمله ص وخلفائه الراشدين رضي الله عنهم حيث قامت أعمالهم على بصيرة نافذة تنبيء عن إعداد وإدراك للجهد المبذول والغاية المراد تحقيقها بتلك الجهود والوسائل المستخدمه في ذلك.

٣- الغياب شبه التام في عصرنا الحاضر للعمل القائم على التخطيط العلمي السليم في مختلف مجالات وأشكال العمل الدعوي بشقيه الرسمي والشعبي ، وقد تسبب ذلك الغياب في إرباك وتعثر مسيرة العمل الإسلامي ، ونتج عن ذلك كله تخلف الجهود المبذوله عن تحقيق النتائج المرجوة . وهذا يوضح لنا بجلاء الفرق الشاسع بين الأعمال والجهود القائمة على تخطيط علمي سليم والأعمال التي تقوم على العفويه أو العشوائيه والإرتجال .

٤- لقد تبين لي من خلال الدراسة الآثار الملموسة التي تنتج عن الأخذ بالتخطيط ، وأهم هذه الآثار يتمثل في :

أ- معرفة المواقع الخصبه ، سواء الجغرافية أو البشرية أو غير ذلك مما يؤدي إلى زيادة فعالية الأداء الدعوي .

ب- ترتيب وتنظيم العمل . وهذا ما يجنب العمل الدعوي الفوضى التي تصاحبه في كثير من صوره الراهنة .

جـ- تقويم العمل الدعوي ، وهذا أيضاً مما يفتقد إليه العمل الإسلامي المعاصر حيث لا يهتم في غالب أحواله بتقويم تجاربه لتدعيم الايجابيات وتجنب السلبيات .

٥- لقد تبين لي من خلال الدراسة أن هناك عقبات ومعوقات مادية ومعنوية تحول دون الأخذ بالتخطيط للعمل الدعوي في المجتمعات الإسلامية المعاصرة ، وقد أسهمت هذه المعوقات في استمرار الغيبوبة الفكرية وحالة فقدان الوعي المنهجي لاساليب العمل الفعال ، وتتمثل أهم تلك المعوقات في :

أ- ابتعاد المجتمع المسلم في بعض قطاعاته عن المنهج الإسلامي السليم وعياً وسلوكاً مما جعله بعيداً عن حال المؤمن الموسوم بأنه كيس فطن ، وأنه لا يلدغ من جحر واحد مرتين .

ب- عدم الوعي المطلوب بمخططات الأعداء الذين يترصدون بنا الدوائر ويظهر ذلك في سهولة تمرير الأعداء لمخططاتهم علينا ونحن في حالة اللاشعور أو اللاوعي.

جـ- ندرة الدعاة المؤهلين ، حيث إن غالب العاملين في الحقل الدعوي من الذين حملتهم الغيره على دين الله تعالى والحماس للدعوة إليه ، فظلت هذه الغيرة – التي يحمدون عليها – هي الدافع للعمل فليس هناك – غالباً – إعداد مسبق لأولئك الغيورين حتى يمكن ذلك الاعداد من توظيف تلك الغيره والحماس لتحقيق النتائج المرجوة إنطلاقاً من عمل قائم على بصيره .

د- ضعف التنسيق بين الجهات العامله في مجال الدعوة بحيث تكون جهود تلك الجهات جميعها منصبه نحو تحقيق غايات واحدة بصورة تكامليه تبعدها عن الاحتكاك والتشاحن والاصطراع والتكرار والإزدواجيه .

هـ- ضعف موارد التمويل الثابتة ، مع ندرة ذاتية تلك الموارد واستقلالها ، حيث إن العمل للدعوة في واقعنا المعاصر لا يمكن أن ينفك عن المال الذي هو عصب الحياة . فلا يتخيل قيام عمل ناجح دون موارد تمويل قويه ومستقلة تبعده عن الإملاء والإحتواء . وما الهجمه العالمية الإعلامية التي تشن اليوم على ما يحسب أنه مصدر تمويل العمل الإسلامي عنا ببعيدة

ثانياً : أهم الإقتراحات والتوصيات :

أ- ينبغي أن يأخذ موضوع التخطيط حظه من الإهتمام والعناية من قبل القائمين على أمر الدعوة في العالم الإسلامي ، وأرى أن هذا الإهتمام يتحقق بما يلي :

١- القيام بترجمة ما كتبه الشرقيون والغربيون في مجال علم الإدارة بوظائفها المختلفة ومن بينها التخطيط ، وتنقيته من الشوائب التي تخالف قواعد الدين الثابته ، والاستفادة من ذلك ، فإن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها .

٢- بعد أن ينقي هذا العلم ويؤصل أقترح أن يقرر كمادة دراسية في الجامعات والمعاهد الإسلامية ، ثم يلزم كل طالب بإعداد خطة عمل في نهاية كل سنة دراسية يقوم بتنفيذها في مجتمعه الذي يعيش فيه ، ثم تكون هناك جهات مختصه لتقويم عمله ومتابعته ، حتى تتبلور هذه الخطط بعد تخرجه في خطة شاملة يسير عليها بقية حياته الدعوية .

ب- اقترح أن يتم إنشاء مركز عالمي للدراسات والبحوث الدعوية وأن يكون القائمون عليه من الجامعين بين فقه الشرع وفقه الواقع وقد تربوا وفق المنهج الإسلامي الصحيح . وأن يسعى المركز لتحقيق المهام التالية :

١- جمع المعلومات الدقيقة عن واقع الشعوب الإسلامية من حيث إمكاناتها البشرية والماديه وهمومها وإهتماماتها ، وذلك بغية تخطيط العمل للمستقبل .

٢- رصد النشاطات المعادية للإسلام ووضع الوسائل والأساليب الكفيلة لصدها .

٣- إيجاد شبكة للاتصال بين المنظمات والمؤسسات الدعوية العاملة في حقل الدعوة من أجل تبادل الخبرات والمشاورات فيما بينها والعمل على تطوير الوسائل والأساليب وفق مقتضيات العصر وضوابط الشرع .

٤- العمل على رفع كفاءة وتدريب الدعاة وتنمية مهاراتهم الإدارية .

٥- العمل على إنعاش فن النقد الذاتي (التقويم - المراجعة) وهو فن يقوم على محاكمة الواقع الإسلامي إلى المثل المقررة في الإسلام نفسه ، وبيان مسافة القرب والبعد ، والصواب والخطأ في هذا الواقع المضطرب ، ويكون هذا النقد هدفه إنصاف الإسلام ذاته .

جـ- بما أن المال يمثل الركيزة الأساسية في عملية التخطيط ، وهو عصب الحياة ، فلابد من العمل على توفير اللازم منه لتسير خطة الدعوة وحتى لا تصبح حبراً على ورق ، ومن أجل ذلك أقترح ما يلي :

- العمل على إستثمار رأس المال الإسلامي في المشروعات التي تعود عليه بالربح الوفير وذلك وفق الطرق المشروعة .
- الإستفادة من أموال الزكاة في المشاريع ذات الريع ، وذلك حسب الضوابط الشرعية المقررة [1] .
- إنشاء مصارف ذات صيغ إسلامية تكون مهمتها تمويل الخطط والبرامج التي تخدم الإسلام والمسلمين أينما وجدوا وأن تستفيد من التطور التقني في هذا الجانب .

هذا وأسأل الله أن يقيض لهذه الاقتراحات والتوصيات وغيرها من الاقتراحات من يطبقها في الواقع ، حتى تنهض الأمة وتؤدي دورها الحضاري المنشود .

---

(١) انظر الندوة التي نظمتها الهيئة الشرعية العالمية للزكاة « بيت الزكاة - الكويت » في الفترة من ٨-٩ جمادي الآخر ١٤١٣هـ الموافق ٢-٣/١٢/١٩٩٢م ، مطابع الخط الكويت ، حيث إنهم ناقشوا إستثمار أموال الزكاة - وقد أنتهوا إلى جواز استثمارها بالضوابط التالية :

١- أن لا تتوافر وجوه صرف عاجلة تقتضي التوزيع الفوري لأموال الزكاة .
٢- أن تتخذ الإجراءات الكفيلة ببقاء الأصول المستثمرة على أصل حكم الزكاة وكذلك ريع تلك الأصول .
٣- المبادرة إلى تنضيض «تسييل » الأصول المستثمرة إذا إقتضت حاجة مستحقي الزكاة صرفها عليهم
٤- بذل الجهد للتحقق من كون الاستثمارات مجدية ومأمونة وقابلة للتنضيض عند الحاجة ، وغيرها من الشروط التي تكفل حسن أستغلالها ، علماً بأن هذه التوصيات كانت مستندة إلى قرار مجمع الفقه الإسلامي رقم «٣» د٣/٠٧/٨٦ بشأن توظيف أموال الزكاة ، وأنه جائز بضوابط أشار القرار إلى بعضها .

قائمة المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - إبراهيم ابو الأنبياء، عباس محمود العقّاد، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨١م .

٣ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية، الماوردي، بيروت، دار الكتب العلمية، (د. ت)

٤ - أحكام القرآن، ابن العربي (ابو بكر محمد بن عبدالله بن محمد المقامزي)، القاهرة : مطبعة السعادة ١٣٣١هـ .

٥ - إحياء علوم الدين، الغزالي (ابو حامد محمد بن محمد) القاهرة، مؤسسة الحلبى للنشر والتوزيع، ١٩٧٦م .

٦ - أخبار مكة، الأزرقي (ابو الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد)، بيروت، دار الثقافة، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٧ - الإدارة، الأصول والأسس، سيد الهواري، القاهرة، مكتبة عين شمس، ١٩٧٩م .

٨ - الإدارة العامة، عادل حسين، الإسكندرية، ١٩٦٤م .

٩ - الإدارة العامة، ماجد راغب الحلو، الإسكندرية ١٩٨٣م .

١٠ - الإدارة العام بين النظرية والتطبيق، محمد عثمان اسماعيل، دار النهضة العامة، ١٩٧٠م .

١١ - الإدارة العامة في المملكة العربية السعودية، أمين الساعاتي، الرياض، معهد الإدارة العامة ١٤٠٤هـ .

١٢ - الإدارة العامة في النظرية والممارسة، إبراهيم درويش، ط ٢، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م .

١٣ - الإدارة العلمية، زكي محمود هاشم، ط ٢، الكويت : وكالة المطبوعات، ١٩٧٨م .

١٤ - الإدارة في الإسلام، أحمد إبراهيم، أبو سن، المطبعة المصرية، ١٩٨١م "د. ت"

١٥ - الإدارة في الإسلام النظرية والتطبيق، عبدالرحمن بن إبراهيم، جدة، دار

الشروق، ١٤٠٧هـ .

١٦ - الإدارة في صدر الإسلام، دراسة مقارنة، محمد عبدالمنعم خميس، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م . القاهرة .

١٧ - الأدب المفرد للإمام البخاري، فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد، المكتبة السلفية، القاهرة ط ٢ ١٣٨٨هـ .

١٨ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، ابو السعود العمادي، القاهرة : دار المصحف (د. ت) .

١٩ - أساسيات علم الإدارة، محمد سويلم، دار وهران للطباعة، ١٩٩١م .

٢٠ - أساليب الإتصال والتغيير الاجتماعي، محمود عودة، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م .

٢١ - أساليب الغزو الفكري، على جريشة ومحمد شريف الزيبق ، دار الاعتصام، القاهرة - (د. ت) .

٢٢ - أسباب نجاح الدعوة الإسلامية، عبدالله بن محمد آل موسى، الرياض، عالم الكتب، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٢٣ - أسباب النزول، الواحدي (ابو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي)، القاهرة ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٨م .

٢٤ - أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، القاهرة، دار الطباعة الإسلامية، ١٣٩٧هـ.

٢٥ - الأسس العلمية للعلاقات العامة، علي عجوة، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٨م.

٢٦ - الأسس العلمية لنظريات الإعلام، جيهان رشتى، ط ٢، القاهرة، عالم الكتب، ١٩٧٦م .

٢٧ - الإسلام عقيدة وشريعة، محمود شلتوت، القاهرة، دار الشروق، ١٩٨٧م .

٢٨ - الإسلام والإيمان، علي سامي النشار، ط ٥، دار المعارف بمصر، ١٩٧١م .

٢٩ - الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني)، بيروت : دار الكتاب العربي، (د. ت) .

٣٠ - أصول الإدارة، محمود عساف، القاهرة، مكتبة لطفي ، ١٩٨٨م .

٣١ - أصول الإدارة الحديثة، أحمد الصباب، جدة، مكتبة

مصباح، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

٣٢ - أصول الإدارة العامة، إبراهيم عبدالعزيز شيحا، الإسكندرية، دار المعارف، "د. ت" .

٣٣ - أصول الإدارة العامة، عبدالكريم درويش، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٦م .

٣٤ - أصول الدعوة، عبدالكريم زيدان، ط ٣، دار البيان، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

٣٥ - الإعلام الإسلامي، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، اللقاء الثالث في ٢٣ شوال ١٣٩٦هـ، الرياض [مؤتمر] .

٣٦ - الإعلام الإسلامي - المرحلة الشفهية، إبراهيم إمام، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٠م .

٣٧ - الإعلام في صدر الإسلام، عبداللطيف حمزة القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧١م .

٣٨ - الإعلام والإتصال بالجماهير، إبراهيم إمام، مطبعة الأنجلو المصرية، ١٩٦٩م .

٣٩ - الأغاني ، ابو الفرج الأصفهاني (علي بن الحسين)، بيروت : مكتبة دار الحياة، ١٩٧١م .

٤٠ - الإقتصاد الإسلامي مدخل ومنهاج، عيسى عبده، دار الإعتصام، (د. ت) .

٤١ - إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، المقريزي (تقي الدين أحمد بن علي)، القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤١م .

٤٢ - الأمية مشاكل وحلول، محي الدين صابر، بيروت، المكتبة العصرية، ١٩٨٦م .

٤٣ - إنتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، الرياض، دارة الملك عبدالعزيز .

٤٤ - الأهداف الرئيسية للدعاة إلى الله، جاسم يس مهلهل، الكويت، مكتبة دار الدعوة، ١٤٠٩هـ .

٤٥ - أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة، يوسف القرضاوي، القاهرة، مكتبة وهبه ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٤٦ - الإيمان وأثره في الحياة، يوسف القرضاوي، ط ٧ مؤسسة الرسالة، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٤٧ - الإيمان وأثره في حياة الإنسان، حسن عبدالله الترابي، ط ٤، الكويت، دار القلم، ١٤٠٣هـ .

٤٨ - بحوث الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م [مؤتمر] .

٤٩ - البداية والنهاية، ابن كثير القرشي (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن عمر)، بيروت، مكتبة دار المعارف، ١٩٧٩م .

٥٠ - بشائر النبوّة، رؤوف شلبي، القاهرة، مجمّع البحوث الإسلامية، ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م .

٥١ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، محمود شكري الألوسي، ط ٢، مصر المطبعة الرحمانية، ١٣٤٢هـ .

٥٢ - البيان والتبيين، الجاحظ (ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب) القاهرة، ١٣٣٢هـ .

٥٣ - بين العمل الفردي والعمل الجماعي، عبدالله ناصح علوان، القاهرة، دار السلام، ١٤٠٨هـ .

٥٤ - تاج العروس من جواهر القاموس، الزبيدي مرتضى الزبيدي، ابو الفيض محمد بن محمد بن الحسيني، بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٦م.

٥٥ - تاريخ الأدب الجاهلي، علي الجندي، ط ٢ ، بيروت مكتبة الجامعة العربية، ١٩٩٦م .

٥٦ - تاريخ الأدب العربي - العصر الجاهلي، شوقي ضيف، مصر : دار المعارف، ١٩٦٠م .

٥٧ - تاريخ الأدب العربي في العصر الجاهلي، بلاشير ريجيس، ترجمة إبراهيم الكيلاني، بيروت، دار الفكر ، ١٩٥٦م .

٥٨ - التاريخ الإسلامي العام، على إبراهيم حسن، القاهرة، مكتبة النهضة، ١٩٥٣م .

٥٩ - تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري، القاهرة المكتبة التجارية الكبرى، ١٩٦٩م .

٦٠ - تاريخ الأمم والملوك، الطبري (ابو جعفر محمد بن جرير الطبري)، بيروت،

دار الفكر، ١٩٧٩م .

٦١ - تاريخ التشريع الإسلامي، مناع القطّان، ط ١٠، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م .

٦٢ - تاريخ خليفة بن خيّاط، خليفة بن خياط، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٥هـ .

٦٣ - تاريخ العرب، فيليب حتى، بيروت، دار الكشفان، ١٩٦٥م . (الترجمة العربية) .

٦٤ - تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام، محمد مبروك، ط٢ مصر : مطبعة السعادة، ١٩٥٢م .

٦٥ - تاريخ العرب في عصر الجاهلية، السيد عبدالعزيز سالم، بيروت : مطبعة النهضة، ١٩٧١م .

٦٦ - تاريخ العرب من ظهور الإسلام حتى سقوط الدلوة الأموية، السيد عبدالعزيز سالم، الإسكندرية، مؤسسة الثقافة الجماعية .

٦٧ - تاريخ عمر بن الخطّاب، ابن الجوزي (ابو الفرج عبدالرحمن بن علي)، مكتبة دار السلام، (د. ت) .

٦٨ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية، مصطفى الخالدي وعمر فروخ، ط ٥، ١٩٧٣م .

٦٩ - تحرير الأحكام في تدبير أهل الإسلام، الإمام بدر بن جماعة، الدوحة، دار الثقافة، ١٤٠٨هـ .

٧٠ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، (د . ت) .

٧١ - التخطيط : دراسة في مجال الإدارة الإسلامية والإدارةالعامة، فرناس عبدالباسط البنا ، دار الكتب المصرية، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

٧٢ - التخطيط الاجتماعي، سميرة محمد كامل، المكتب الجامعي الحديث . الإسكندرية ١٩٨٢م .

٧٣ - التخطيط الإقتصادي : الفكر - النظرية والتطبيق، حمدية زهران، مكتبة عين شمس، ١٩٨٣م .

٧٤ - التخطيط الأمني، سعد عودة الردادي ط ٢ ، الرياض مطابع الشريف ١٤١٢هـ .

٧٥ - التخطيط الإعلامي في ضوء الإسلام - محمود كرم سليمان، دار الوفاء -

المنصورة، ط ١ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م .

٧٦ - التخطيط والتنظيم في الهجرة، حسن فتح الباب، القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

٧٧ - التخطيط المتابعة بين النظرية والممارسة، طلال الغرياني، الرياض : شركة العبيكان للطباعة، ١٤١٢هـ .

٧٨ - التدابير الواقية من الربا في الإسلام، فضل الهي بن ظهير بن الشيخ الهي ظهور، باكستان، إدارة ترجمان الإسلام، ١٤٠٦هـ .

٧٩ - تذكرة الدعاة، ابو الأعلى المودودي، الاتحاد العالمي للمنظمات الطلابية، الكويت ١٩٨٥م .

٨٠ - تذكرة دعاة الإسلام، البهي الخولي، ط ٨، مكتبة دار التراث ، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

٨١ - التسهيل لعلوم التنزيل، محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، ط ٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٣هـ .

٨٢ - تفسير القرآن العظيم، للإمام أبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، بيروت: دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م .

٨٣ - التفسير الكبير أو مفاتح الغيب، الإمام فخر الدين الرازي، بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م .

٨٤ - التفسير الواضح، محمد محمود حجازي، دار التفسير للطبع والنشر، ١٩٨٠م .

٨٥ - التفكير الفلسفي في الإسلام، على سامي النشار، ١٩٧٢، . (د. ت) .

٨٦ - التقليد والتبعية وأثرهما في كيان الأمة الإسلامية، ناصر عبدالكريم العقل، رسالة دكتوراه، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض .

٨٧ - تقويم البلدان، أبو الفداء (عماد الدين أبو الفداء اسماعيل بن علي)، باريس، دار الطباعة السلطانية، ١٨٤٠م .

٨٨ - تقويم المسيرة الإسلامية، عمر سليمان الأشقر، باكستان، دار الفتح، ١٤١٣هـ .

٨٩ - التنظيم الإداري في الإسلام، محمد رضا الأغبش، الرياض، دار الناشر الدولي، ١٤١٢هـ .

٩٠ - التنظيم والإدارة في قطاع الأعمال، صلاح الشنواني، ط ١، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة، ١٩٨٣م .

٩١ - التنظيم الوطني للمعلومات، أحمد بدر ، الرياض، دار المريخ للنشر، ١٤٠٨هـ .

٩٢ - تهذيب التهذيب، بن حجر العسقلاني (أحمد بن علي) بيروت، دار صادر، ١٣٢٧هـ .

٩٣ - ثقافة الداعية، يوسف القرضاوي، ط ٤، مؤسسة الرسالة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٩٤ - الثوابت والمتغيرات في مسيرة العمل الإسلامي المعاصر، صلاح الصاوي، المنتدى الإسلامي لندن ١٤١٤هـ .

٩٥ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري، بيروت : دار الفكر ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٩٦ - جزيرة العرب قبل الإسلام، التاريخ الاقتصادي والاجتماعي الثقافي السياسي، برهان الدين ذلو، بيروت : دار الغارابي، ١٩٨٩م .

٩٧ - جمهرة أنساب العرب - ، ابن حزم (ابو محمد علي بن أحمد)، تحقيق عبدالسلام هارون محمد ، دار المعارف، القاهرة ١٩٧٧م .

٩٨ - جوامع السيرة النبوية، ابن حزم (ابو محمد علي بن أحمد ابن سعيد) دمشق، بيروت، مؤسسة علوم القرآن، ١٩٨٤م .

٩٩ - حاضر العالم الإسلامي، علي جريشة، ط ٣، دار المجتمع للنشر والتوزيع، ١٤٠٨هـ .

١٠٠ - حتى يعلم الشباب، عبدالله ناصح علوان،دار السلام للطباعة، (د. ت) .

١٠١ - حتى يغيروا ما بأنفسهم، جودت سعيد، المؤلف دمشق، ط ٦ ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .

١٠٢ - الحركة الإسلامية في السودان، حسن عبدالله الترابي، ط ٢، الخرطوم، بيت المعرفة للنشر ١٤١٢هـ .

١٠٣ - حركة التجديد والإصلاح في نجد في العصر الحديث، عبدالله بن محمد العجلان، دار طيبة، الرياض ١٩٨٩م .

١٠٤ - الحسبة في الإسلام، ابن تيمية، الكويت، مكتبة دار الأرقم، ١٤٠٣هـ .

١٠٥ - الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، آدم متز، ترجمة محمد

عبدالهادي ابو ريدة، ط٤، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م .

١٠٦ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه، عباس محمود العقّاد، ط ٣، دار القلم، ١٩٦٩م .

١٠٧ - حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر، أحمد عبدالوهاب، القاهرة، مكتبة وهبة ١٤٠١هـ .

١٠٨ - الحل الإسلامي فريضة وضرورة، يوسف القرضاوي، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٠هـ .

١٠٩ - الحياة العربية من الشعر الجاهلي، أحمد محمد الحوفي، القاهرة، دار نهضة مصر، ١٩٧٢م .

١١٠ - حياة محمد، محمد حسنين هيكل، القاهرة، مطبعة مصر ١٩٣٥م .

١١١ - حياة محمد، أميل ور منضم، ترجمة عادل زعيتر، ط ٢، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية .

١١٢ - خاتم النبيين ، محمد ابو زهرة، دار الفكر العربي، ١٩٧٢م . القاهرة .

١١٣ - الخدمة الاجتماعية والمجتمع، أحمد كمال وعدلي سليمان، دار المحامي للطباعة، ١٩٦٣م .

١١٤ - الخطابة، إعداد الخطب، توفيق الواعي، مكتبة الفلاح الكويت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

١١٥ - الخلفاء الراشدون، الذهبي، (محمد بن أحمد بن عثمان) بيروت، دار الكتب السلفية، ١٤٠٨هـ .

١١٦ - دراسة إنشاء مركز رئيسي للمعلومات في مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، ١٤٠٣هـ .

١١٧ - دراسة في السيرة النبوية، عماد الدين خليل، ط ٦، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١١٨ - دليل رابطة الجامعات الإسلامية، جامعة الإمام، الرياض، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٤٠٧هـ .

١١٩ - الدعاة والتخطيط، محمد عبدالله الخطيب، دار المنار الحديث، ١٤١٠هـ .

١٢٠ - الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد أحمد غلوش، ط ٣، القاهرة : مطبعة النهضة (د. ت).

١٢١ - الدعوة الإسلامية فريضة شرعية، وضرورة بشرية صادق أمين، مطابع عمان، ١٩٨٧م .

١٢٢ - الدعوة الإسلامية في عهدها المكي، رؤوف شلبي، بيروت، دار القلم ، ١٤١٢هـ .

١٢٣ - الدعوة إلى الإسلام، توماس أرنولد، ترجمة حسن إبراهيم حسن، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م .

١٢٤ - الدعوة إلى الله على بصيرة، عبدالمنعم خميس، دار الكتاب المصري، ١٤٠٥هـ .

١٢٥ - دولة الرسول في المدينة، أحمد إبراهيم الرشيف، الكويت، دار البيان، ١٩٧٢م .

١٢٦ - الدولة في عهد الرسول ﷺ ، صالح أحمد العلي، المجمّع العلمي العراقي، ١٩٨٨م .

١٢٧ - الدين، بحوث ممهده لدراسة تاريخ الأديان، محمد عبدالله دراز، ط ٢، الكويت، دار القلم، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م .

١٢٨ - ديوان زهير بن أبي سلمى، بيروت، دار صادر (د. ت) .

١٢٩ - ديوان طرفه، علي الجندي، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٦١م .

١٣٠ - الرب والله وجوجو، جاك مند لسون، ترجمة إبراهيم أسعد، دار المعارف القاهرة ١٩٧١م .

١٣١ - رحلة الضياع للأعلام العربي المعاصر، يوسف العظم، جدة، الدار السعودية للنشر ١٤٠٠هـ .

١٣٢ - الرحيق المختوم، صفى الرحمن المباركفوري، المنصورة، دار الوفاء (مصر) ١٩٩١م .

١٣٣ - الرسالة الخالدة، عبدالرحمن عزام، ط ٤، بيروت، دار الفكر، ١٩٦٩م .

١٣٤ - الرسول بين مكة والمدينة، محمد متولي الشعراوي، القاهرة، دار النصر للطباعة ، (د. ت) .

١٣٥ - الرسول في المدينة، علي حسن الخربو طلي، القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٩٧٣م .

١٣٦ - الرسول القائد، محمود شتيت خطاب، ط ٢، بغداد : مكتبة النهضة، ١٩٦٠م .

١٣٧ - الرسول والعلم، يوسف القرضاوي، ط ٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م .

١٣٨ - روح الدين الإسلامي، عفيف طبارة، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٧٨م .

١٣٩ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، الألوسي (ابو الثناء شهاب الدين محمود)، دار الفكر ١٩٨٣م .

١٤٠ - الروض الانف في شرح السيرة النبوية لابن هشام السهيلي (ابو القاسم عبدالرحمن بن عبدالله)، مصر : مطبعة دار السعادة، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م .

١٤١ - الروض المعطار في خبر الأقطار، الحميري (ابو عبدالله محمد بن عبدالمنعم)، مكتبة لبنان، ١٩٧٥م .

١٤٢ - روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ، ابو حاتم محمد بن حيان البستي، دار الكتب العلمية، ١٣٩٧هـ .

١٤٣ - زاد المعاد في هدى خير العباد، ابن القيم الجوزية (شمس الدين ابو عبدالله محمد) بيروت، دار الفكر، ١٣٩٢هـ .

١٤٤ - الزكاة : الضمان الاجتماعي الإسلامي، عثمان عبدالله ، المنصور، دار الوفاء، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

١٤٥ - سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، محمد بن الصالح الشامي، القاهرة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

١٤٦ - سر تأخر العرب والمسلمين، محمد الغزالي، دار الصحوة للنشر ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م .

١٤٧ - سنن بن ماجة، ابن ماجة (ابوعبدالله محمد بن بزا القزويني) تحقيق ناصر الدين الألباني، ط ٣، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٨هـ .

١٤٩ - سنن البيهقي، الإمام البيهقي (ابو بكر أحمد بن الحسن)، حيدر اباد : مطبعة مجلس دائرة المعارف ١٣٤٤هـ .

١٥٠ - سنن الترمذي، الترمذي (ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة البوغي)، بيروت، دار الكتب، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م .

١٥١ - السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، ابن تيمية (تقي الدين ابو العباس أحمد بن عبدالحليم)، دمشق، مكتبة دار البيان، ١٤٠٥هـ .

١٥٢ - السيرة الحلبية، علي برهان الدين الحلبي، القاهرة المطبعة الأزهرية المصرية، ١٣٢٠هـ .

١٥٣ - السيرة النبوية، ابن هشام (حققها وضبطها مصطفى السقا)، مؤسسة علوم القرآن، القاهرة، (د.ت) .

١٥٤ - السيرة النبوية الصحيحة، أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط ١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

١٥٥ - السيرة النبوية في ضوء القرآن والسنة، محمد بن محمد ابو شهبة، دمشق: دار القلم ١٤٠٩هـ .

١٥٦ - السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، مهدي رزق الله أحمد، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

١٥٧ - شرح الشفا في شمائل صاحب الإصطفاء - علي القارلي (نور الدين علي سلطان بن محمد)، مطبعة المدني، القاهرة ١٣٩٨هـ .

١٥٨ - شروط النهضة، مالك بن تي، ترجمة عبدالصبور شاهين، ط ٢، القاهرة، مكتبة دار العروبة، ١٩٦١م .

١٥٩ - شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الفاسي (تقي الدين ابو الطيب محمد بن أحمد)، بيروت، الكتاب العربي، ١٩٨٥م .

١٦٠ - الصحاح، الجوهري (اسماعيل بن حماد)، تحقيق عبدالغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

١٦١ - صحيح ابن خزيمة، الإمام أبي بكر محمد بن اسحاق بن خزيمة، تحقيق محمط مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي، ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م .

١٦٢ - صحيح مسلم، الإمام النووي (ابو زكريا محي الدين يحيى بن شرف)، بيروت : دار الفكر، ط ٣ .

١٦٣ - صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر، ابن المجاورد (يوسف بن يعقوب بن محمد بن علي الشيباني) بديل ليدن ١٩٥٤م .

١٦٤ - صفة جزيرة العرب، الهمداني (ابن الحائك، ابو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب) نشرة المؤرخ محمد عباالله بلعيد النجدي، القاهرة، ١٩٥٣م .

١٦٥ - ضوابط رئيسة في تقويم الجماعات الإسلامية، زيد بن عبدالكريم الزيد، [مذكّرة مطبوعة على الآلة الكاتبة] .

١٦٦ - الطبقات الكبرى، ابن سعد (ابو عبدالله محمد بن سعد ابن منيع)، القاهرة، لجنة نشر الثقافة الإسلامية ، ١٣٥٨م .

١٦٧ - الطريق إلى الأصالة، أنور الجندي، القاهرة، دار الإعتصام، (د .ت) .

١٦٨ - العالم الإسلامي في العصر العباسي، أحمد إبراهيم الشريف، القاهرة، دار الفكر العربي، ط ٥، ١٩٦٦م .

١٦٩ - العبادة في الإسلام، يوسف القرضاوي، ط ١٥ ، القاهرة : مكتبة وهبه، ١٩٨٥م .

١٧٠ - العدالة الاجتماعية في الإسلام، سيد قطب، ط ٧، ١٣٨٦هـ، ١٩٦٧م ، دار الكتاب العربي - القاهرة .

١٧١ - عقبات في طريق الدعوة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام، عبدالله ناصح علوان، دار السلام، الرياض، ١٤٠٧هـ .

١٧٢ - العلاقات العامة والإعلام في الإسلام، محمود يوسف مصطفى، جدة : مكتبة مصباح ط١ ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

١٧٣ - علم الإدارة العامة، محمد رفعت عبدالوهاب ط ١، ١٩٨٩م .

١٧٤ - علي مشارف القرن الخامس عشر الهجري دراسة للسنن الالهيه والمسلم المعاصر، إبراهيم بن علي الوزير، دار الشروق، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

١٧٥ - عمدة القاري في شرح صحيح البخاري، العيني (بدر الدين محمود بن أحمد) ، بيروت : دار إحياء التراث العربي، (د. ت) .

١٧٦ - عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن بشر النجدي الحنبلي، الرياض، مكتبة الرياض الحديثة .

١٧٧ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، ابن سيد الناس (فتح الدين ابو الفتح محمد بن محمد)، بيروت، دار الجيل، ١٩٧٤م .

١٧٨ - الغارة على العالم الإسلامي، أ. شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب، ط ٣، الدار السعودية ١٤٠٠هـ .

١٧٩ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام الحافظ ابن حجر العسقلاني، (أحمد بن علي)، ط ١ ، القاهرة : دار الريان للتراث ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

١٨٠ - فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في علم التفسير، الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، بيروت : دار الفكر ، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م .

١٨١ - فتوح البلدان، البلاذري (ابو العباس أحمد بن يحيى بن جابر بن داود)، نشرة صلاح الدين المنجد مكتبة دار النهضة المصرية، (د.ت) .

١٨٢ - فجر الإسلام، أحمد أمين، بيروت : دار الكتاب العربي، ١٩٦٩م .

١٨٣ - الفصل في الملل والأهواء والنحل، ابن حزم (ابو محمد علي بن أحمد بن سعيد الظاهري)، القاهرة ، المطبعة العصرية ١٣١٧هـ .

١٨٤ - فقه الدعوة الفردية، علي عبدالحليم محمود، المنصورة دار الوفاء، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م .

١٨٥ - فقه الدعوة الفردية في المنهج الإسلامي، السيد محمد نوح ط ٣، دارالوفاء للطباعة، ١٤١٣هـ .

١٨٦ - فقه الزكاة ، يوسف القرضاوي، ط ٨، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ .

١٨٧ - فقه السنة، السيد سابق، ط ٢، القاهرة دار البيان، ١٤١١هـ .

١٨٨ - فقه السيرة، محمد سعيد رمضان البوطي، ط ٥، بيروت : دار الفكر ، ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م .

١٨٩ - فقه السيرة، محمد الغزالي، ط ٧، دار الكتب الحديثة، ١٩٧٦م .

١٩٠ - فقه السيرة، محمد منير الغضبان، جامعة أم القرى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م .

١٩١ - فن الخطابة، أحمد محمد الحوفي، ط ٤، القاهرة مطبعة النهضة، (د. س) .

١٩٢ - فن نشر الدعوة، زمانا ومكانا، محمد زين الهادي العرمابي، دار العاصمة-الرياض ١٤٠٩هـ .

١٩٣ - الفهرست، ابن النديم (ابو الفرج محمد بن اسحاق) القاهرة، ١٣٤٨هـ .

١٩٤ - في النقد الذاتي للحركة الإسلامية، خالص جلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط ١، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٩٥ - القاموس المحيط، الفيروز ابادي (مجد الدين محمد بن يعقوب)، ط ٢، بيروت : مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

١٩٦ - القانون الإداري، ماجد راغب الحلو، الإسكندرية، دار المطبوعات الجامعية، ١٩٩٤م .

١٩٧ - قضايا الفكر الإسلامي، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مطبوعات الندوة، ١٩٧٦م .

١٩٨ - القيادة والتغيير، وبحوث قيادية أخرى، بشير شكيب أرسلان، جدة، دار حافظ للنشر ١٤١٤هـ .

١٩٩ - الكامل في التاريخ، ابن الأثير (عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبدالكريم)، بيروت دار صادر، ١٤٠٢هـ .

٢٠٠ - كتاب الأصنام، ابو المنذر (هشام بن محمد الكلبي) دار الكتب، ١٣٤٣هـ ١٩٢٤م (نسخة مصوّرة).

٢٠١ - الكتاب المصنّف في الأحاديث والآثار، ابن أبي شيبة (الإمام الحافظ عبدالله بن محمد)، الهند، الدار السلفية، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م .

٢٠٢ - الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل، الزمخشري (جار الله ابو القاسم محمود بن عمر)، مصر : مصطفى البابي الحلبي، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م .

٢٠٣ - لسان العرب، ابن منظور (الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، بيروت : دار ضاد، ١٣٧٤هـ/ ١٩٥٥م .

٢٠٤ - لماذا تأخّر المسلمون ولماذا تقدّم غيرهم، شكيب أرسلان، القاهرة، دار البشير للطباعة والنشر، (د. ت) .

٢٠٥ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ابو الحسن الندوي، ط ١١، الكويت، دار القلم، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م .

٢٠٦ - مبادئ الإدارة، أحمد الصباب، عكاظ للطباعة والنشر، ١٩٨٠م .

٢٠٧ - مبادئ علم الإدارة، محمد عبدالحميد ابو زيد، ط ٢، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٨م .

٢٠٨ - مبادئ علم الإدارة العامة، سليمان الطماوي، دار الفكر العربي، ط٣، ١٩٦٥م .

٢٠٩ - مبادئ وأصول في مؤتمرات خاصة، حسن البنا .

٢١٠ - مبادئ وأهداف التخطيط الإداري في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة، محمد رضا الأغبش، أبها، ١٩٨٨م .

٢١١ - مجالات انتشار العلمانية، محمد زين العرمابي، الرياض، دار العاصمة، ١٤٠٩هـ .

٢١٢ - المجتمع المدني في عهد النبوة، أكرم ضياء العمري، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية، ١٤١٣هـ .

٢١٣ - مجتمع المدينة في عهد الرسول ﷺ ، محمد لقمان الأعظمي الندوي، دار الاعتصام، القاهرة، (د. ت) .

٢١٤ - مجتمع المدينة المنورة تنظيم القبائل سياسيا واجتماعيا في عصر الرسول ﷺ ، عبدالله إدريس، ط ٢ ، جامعة الملك سعود، ١٩٩٢م .

٢١٥ - مجموع الفتاوي، بن تيمية، (تقي الدين ابو العباس أحمد بن عبدالحليم)، بيروت، مطابع دار العربية، ١٣٩٨هـ .

٢١٦ - مجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، بيروت، دار الإرشاد، ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م .

٢١٧ - المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام، محمد محمود الصواف، دار الاعتصام، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٢١٨ - محاضرات تاريخ الأمم الإسلامية، محمد الخضري، دار الفكر العربي، (د. ت) .

٢١٩ - محاضرات في تاريخ العرب، صالح احمد العلي، ط٢، بغداد : مطبعة دار المعارف ١٩٥٩م .

٢٢٠ - محاضرات في التقويم التربوي، المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج، مكتب التربية العربي لدول الخيج، (د. ت) .

٢٢١ - محمد نبي الرحمة ورسول الهدى، محمد محي الدين، القاهرة، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية (د. ت) .

٢٢٢ - مختصر سيرة الرسول، محمد بن عبدالوهاب، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٥هـ .

٢٢٣ - المدخل إلى علم الدعوة، محمد ابو الفتح البيانوني، مؤسسة الرسالة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٢٢٤ - مروج الذهب ومعادن الجوهر، المسعودي (ابو الحسن علي بن الحسين بن علي)، ط ٣، بيروت : دار الأندلس، ١٩٧٨م .

٢٢٥ - المسألة الاجتماعية، عمر عودة الخطيب، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٢هـ .

٢٢٦ - المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، عبدالله حمد الشبانة، الرياض، دار طيبة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

٢٢٧ - المسند، الإمام أحمد بن حنبل (ابو عبدالله أحمد بن محمد بن هلال الشيباني)، بيروت : دار صاد، (د. ت) .

٢٢٨ - المشروع التنصيري في السودان، حسن مكي محمد أحمد، الخرطوم، المركز الإسلامي الإفريقي، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٢٢٩ - مشكلات الدعوة والداعية، فتحي يكن، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٤هـ/ ١٩٧٤م .

٢٣٠ - مصادر تمويل الدولة الاسلامية في منطلق الدعوة والخلافة الراشدة، محمود محمد بابلي، الرياض، دار الشبل، (د. ت) .

٢٣١ - مطلع النور، عباس محمود العقّاد، ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م ، دار الكتاب العربي - بيروت - .

٢٣٢ - المظاهر الحضرية للمدينة المنورة في عصر النبوة، خليل إبراهيم السامرائي، الموصل : مكتبة بسّام، ١٩٨٤م .

٢٣٣ - مع الله : دراسات في الدعوة والدعاة، محمد الغزالي، ط ٤، القاهرة ، دار الكتب الحديثة، ١٣٩٦هـ/ ١٩٧٦م .

٢٣٤ - مع المصطفى في عصر البعثة، عائشة عبدالرحمن، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١م .

٢٣٥ - المعارف، ابن قتيبة (الدنيوري، ابو محمد عبدالله بن مسلم)، بيروت، دار إحياء التراث، ١٣٩٠هـ .

٢٣٦ - معالم في الطريق، سيد قطب، الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية -الكويت- ١٩٨٥م .

٢٣٧ - معجم البلدان، ياقوت الحموي (شهاب الدين ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله)، بيروت : دار صادر بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٢٣٨ - معجم المعاجم الجغرافية للسيرة النبوية، البلاذري (ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر بن داود)، دار مكة، ١٤٠٥هـ .

٢٣٩- معجم مقاييس اللغة، ابو الحسن أحمد بن فارس، دار الفكر ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٢٤٠ - المعجم الوسيط، أحمد بن محمد الفيومي، ط ٢، بيروت : دار الأمواج للطباعة والنشر، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م .

٢٤١ - معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية، منّاع القطّان، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١١هـ .

٢٤٢ - مغازي الرسول، الواقدي (ابو عبدالله محمد بن عمر) القاهرة : مطبعة السعادة، ١٩٤٨م .

٢٤٣ - المغني، ابن قدامة (المقدسي، شمس الدين ابو عبدالرحمن ابن محمد)،

الرياض : مكتبة الرياض الحديثة .

٢٤٤ - مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ابن القيّم (ابو عبدالله محمد بن ابي بكر الدمشقي)، بيروت، دار الفكر (د. ت) .

٢٤٥ - المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جواد علي، بيروت : دار القلم للملايين، بغداد : مكتبة النهضة، ١٩٨٠م .

٢٤٦ - مقدّمة بن خلدون، بن خلدون (ولي الدين ابو زيد عبدالرحمن)، القاهرة، ١٩٥٧م .

٢٤٧ - مقدّمة في علم المعلومات، محمد فتحي عبدالهادي، القاهرة، مكتبة غريب، (د. ت) .

٢٤٨ - مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول، أحمد إبراهيم الشريف، القاهرة : دار الفكر العربي، ١٩٦٥م .

٢٤٩ - ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده، يوسف القرضاوي، القاهرة، مكتبة وهبة، ١٤١٤هـ .

٢٥٠ - من أجل صحوة إسلامية راشدة، يوسف القرضاوي، بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م .

٢٥١ - المنجد الأبجدي، دار الشروق، بيروت، ١٩٦٧م .

٢٥٢ - المنطلق، محمد أحمد الراشد، ط ١٣ مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٥٣ - المنظمّات الدولية الإسلامية، والتنظيم الدولي، عبدالرحمن الضحيان، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٢٥٤ - منظمّة المؤتمر الإسلامي، دراسة لمؤسسة سياسية إسلامية، عبدالله الأحسن، ط ٢، الرياض، مطابع دار الشبل، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م .

٢٥٥ - المنهج التربوي للسيرة النبوية - التربية الجهادية، محمد منير الغضبان، مكتبة المنار، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م .

٢٥٦ - المنهج الحركي للسيرة النبوية، محمد منير الغضبان، ط ٥، الأردن : مكتبة المنار، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م .

٢٥٧ - منهج القرآن في التربية، محمد شديد، بيروت، دار الأرقم، (د. ت) .

٢٥٨ - المواهب اللدنية للقسطلاني، الزرقاني (ابو عبدالله محمد بن عبدالباقي بن يوسف المصري)، المطبعة المصرية ، ١٣٢٦هـ .

٢٥٩ - الموطأ، الإمام مالك بن آنس (ابو عبدالله مالك ابن آنس بن مالك التيمي)، القاهرة : دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٣٣٩هـ .

٢٦٠ - نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، علي سامي النشار، ط ٤، ١٩٦٦م، دار المعارف القاهرة .

٢٦١ - النظام الاقتصادي، تقي الدين النبهاني، ط ٣، منشورات حزب التحرير عمان، (د. ت) .

٢٦٢ - نظم استرجاع المعلومات، لاتكستر ولفرد، ترجمة حشمت قاسم، مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨١م .

٢٦٣ - النظم الإسلامية، فرناس عبدالباسط البنا، مكتب التربية العربي لدول الخليج ، ١٤٠٧هـ .

٢٦٤ - النفقات العامة : دراسة مقارنة، يوسف إبراهيم يوسف، ط ٢، الدوحة، دار الثقافة ١٤٠٨هـ .

٢٦٥ - نهج البلاغة، الإمام علي بن ابي طالب، ط ٢ ، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢م .

٢٦٦ - نوح علي السلام وقومه في القرآن المجيد، عبدالرحمن حسن حنبكة، دمشق، دار القلم، ١٩٩٠م .

٢٦٧ - النور أولى، زين العابدين الركابي، ط ٢، (د. ت) بدون دار نشر .

٢٦٨ - نور اليقين في سيرة سيد المرسلين، محمدالخضري، الأردن، مكتبة المنار، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م .

٢٦٩ - نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار، الإمام الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، بيروت : دار الجيل . (د. ت) .

٢٧٠ - هداية المرشدين ، الشيخ علي محفوظ، ط ٩ ، دار الاعتصام، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م .

٢٧١ - هموم داعية، محمد الغزالي، دمشق، دار القلم ١٤٠٧هـ .

٢٧٢ - وجهة العالم الإسلامي، مالك بن نبي، ترجمة عبدالصبور شاهين، ط ٢، دمشق : ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٢٧٣ - ودخلت الخيل الأزهر، محمد جلال كشك، القاهرة، دار المعارف، (د. ت) .

٢٧٤ - الوسيط في رسالة المسجد العسكرية، محمود شيت خطاب، بيروت : دار القرآن، ١٤٠١هـ .

٢٧٥ - وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، السمهودي (نور الدين ابو الحسن علي بن عبدالله) بيروت : ١٩٧١م .

٢٧٦ - وقفات دعوية في رحلة سفير الدعوة الأول إلى المدينة، زيد بن عبدالكريم الزيد، الرياض : دار العاصمة، ١٤١٢هـ .

المؤتمرات

* بحوث المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة (٢٤-٢٩/٩/١٣٧٩) الجامعة الإسلامية المدينة المنورة .

الـــدوريـــات

○○ الأزهر : مجلة شهرية جامعة - تصدر عن مجمع البحوث الاسلامية بالأزهر في مطلع كل شهر عربي .
○○ مجلة الأصالة . لبنان - جمعية النور والإيمان الخيرية - إسلامية شهرية .
○○ مجلة الأمة القطرية، رئاسة المحاكم الشرعية، والشئون الدينية بدولة قطر، الدوحة .
○○ مجلة البيان، المنتدى الإسلامي، لندن . شهرية .
○○ مجلة تعليم الجماهير، المنظمّة العربية للتربية والثقافة، والعلوم ، مجلة متخصّصة تصدر مرتين في السنة - عن الجهاز العربي لمحو الأمية وتعليم الكبار، القاهرة .
○○ مجلة الخيرية - مجلة إسلامية، الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بالكويت.
○○ مجلة رابطة العالم الإسلامي، رابطة العالم الإسلامي ، مكة المكرّمة .
○○ جريدة الشرق القطرية، جريدة يومية - قطر - الدوحة .
○○ مجلة الفكر الإسلامي . - دار الفتوى الإسلامية - بيروت، مجلة شهرية.
○○ مجلة المجتمع، مجلة إسلامية أسبوعية - تصدرها جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويت .
○○ مجلة المسلم المعاصر، مؤسسة المسلم المعاصر، مجلة فصلية - القاهرة - .
○○ المجلة العربية للإدارة، مجلة فصلية متخصّصية في التنمية الإدارية والعلوم الإنسانية ذات العلاقة . عمان - الأردن .
○○ مجلة المختار الإسلامي - مصر القاهرة
○○ فقه الدعوة، ملامح وآفاق،(كتاب الأمة)، سلسلة فصلية، تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشئون الدينية، في دولة قطر - الدوحـــة .
○○ مجلة المنار- مجلة إسلامية - القاهرة
○○ مجلة الملتقى، الخرطوم ، مجلة شهرية .
○○ مجلة النور الكويتية، الكويت مجلة شهرية .
○○ الوعي الإسلامي، الكويت، وزارة الشئون الدينية بالكويت - شهرية .
○○ مجلة الوثيقة الإسلامية - تصدر عن المركز الإسلامي للإعلام، والإنماء، بيروت ، لبنان .

فهرس الآيات

سورة الفاتحة

سورة البقرة

سورة البقرة

سورة آل عمران

سورة آل عمران

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
٣	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر / الآية	١٠٤	٣٧٤ ، ٣٠٨
٤	كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله / الآية .	١١٠	٢٨٨ ، ٢٥٠ ٣٨٣
٥	يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة / الآية .	١٣٠	١٢١ ، ١٢٠
٦	ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم بإذنه	١٥٢	٤١٥
	وطائفه قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلين / الآية .	١٥٤	١٠٣
-	فبما رحمة من الله لنت لهم ، ولو كنت فظا غليظ القلب لا نفضوا من حولك / الآيه .	١٥٩	٣٨
٩	وشاورهم في الأمر / الآية	١٥٩	٣٨٢ ، ٣١٩
١٠	أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنىّ هذا ؟ قل هو من عند أنفسكم / الآيه	١٦٥	٤١٥ ، ٤١٢ ٤٢٤ ، ٤٢٣
١١	ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون .	١٦٩	٢٦٣

سورة النساء

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستهدوا عليهن أربعة منكم / الآية	١٥	٢٥٧
٢	وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان / الآية	٢٥	١٦٧
٣	واعبدوا الله ولا تشروكوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا / الآية	٣٦	١٨٧
٤	يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حت تعلموا ما تقولون / الآية	٤٣	٢٥٦
٥	يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم / الآية	٥٩	٤١٧ ، ٣١٨
٦	يا أيها الذين أمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات أو انفروا جميعاً .	٧١	٣٠
٧	ألم تر إلى الذين قيل لهم : كفوا أيديكم ، وأقيموا الصلاة وأتوا الزكاة ، فلما كتب عليهم القتال إذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله / الآية .	٧٧	٢٥٩
٨	أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيّدة / الآية .	٧٨	٢٦٢
٩	ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم / الآية .	٨٣	٣٢٣
١٠	إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا : فيم كنتم قالوا :كنا مستضعفين في الأرض / الآية	٩٧	٣٧٠

سورة النساء

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١١	ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغما كثيرا وسعة / الآية .	١٠٠	٣٦٩
١٢	ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً .	١٢٤	٣٢
١٣	يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذي نزل على رسوله / الآية	١٣٦-١٣٧	٢١٠

سورة المائدة

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان / الآية	٢	٣٨٢ ، ٤٩٤
٢	اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا / الآية	٣	٢٨ ، ٢٤٢
٣	اعدلوا هو أقرب للتقوى / الآية	٨	٤١٩
٤	فلا تخشوا الناس واخشون ، ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلاً / الآية .	٤٤	٣٦٣
٥	لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً / الآية	٤٨	٢٠
٦	وان احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم / الآية .	٤٩	٢٥٤
٧	أفحكم الجاهلية يبغون ، ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون .	٥٠	١٠٣

سورة المائدة

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
٨	لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا / الآية	٨٢	٤٨٧ ، ٤٨٨
٩	يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان / الآية .	٩٠	٢١٠ ، ٢٥٦
١٠	يوم يجمع الله الرسل فيقول : ماذا أجبتم ؟ قالوا لا علم لنا إنك أنت علاّم الغيوب .	١٠٩	١٦

سورة الأنعام

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون .	٣٨	٢٨
٢	فلما نسوا ما ذكّروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء / الآية	٤٤	٤٢٣
٣	عالم الغيب والشهادة . وهو الحكيم الخبير	٧٣	١٦
٤	وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر : أتتخذ أصناماً ألهه ! / الآيات	٧٤ – ٧٩	١٩٦ – ١٩٧
٥	أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده / الآيه	٩٠	٣٠٢
٦	ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم / الآية	١٠٨	٤١٨
٧	قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفها بغير علم / الآية	١٤٠	١٠٨

سورة الأنعام

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
٨	قل : تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا / الآية	١٥١	١٨٨
٩	ولا تقتلوا أولادكم من إملاق ، نحن نرزقكم وإياهم / الآية	١٥١	ـــــ
١٠	ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن/الآيه	١٥١	١٦٧
١١	وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ، ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله / الآية .	١٥٣	٤٠٠ ، ٤٠٢
١٢	قل : إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين	١٦٢	٢٨ ، ٢٩٥ ٣٩٤ ، ٣٩٥
١٣	لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين	١٦٣	٣٩٥

سورة الأعراف

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وإذا فعلوا فاحشة قالوا : وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل : إن الله لا يأمر بالفحشاء / الآية	٢٨	٢٠٨
٢	قل : إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن / الآية	٣٣	١٨٧
٣	قل : يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا الذي له ملك السماوات والأرض / الآية	١٥٨	٢٦٨
٤	خذ العفو ، وامر بالعرف وأعرض عن الجاهلين	١٩٩	١٠٦ ، ٢٨١

سورة الأنفال

التسلسل	الآيــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	إذ يوحى ربك للملائكه أني معكم فثبتوا الذين آمنوا / الآية	١٢	٢٩٧
٢	وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك / الآية .	٣٠	٦٦
٣	إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدّوا عن سبيل الله / الآية	٣٦	٣٤١ ، ٣٣٠
٤	ذلك بأن الله لم يكن مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم / الآية	٥٣	٤٢٣
٥	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل / الآية	٦٠	١٦ ، ٢٦١، ٣٢٩
٦	ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتي يتخن في الأرض / الآية	٦٧	٤١١
٧	وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله / الآية .	٧٥	٧٥ ، ٢٤٦

سورة التوبة

التسلسل	الآيــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً / الآية	٢٥	٤١١
٢	والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم	٣٤	٣٢٨
٣	إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني أثنين / الآية	٤٠	٦٧ ، ٢٩٩

سورة التوبة

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
٤	ولو أراد الخروج لأعدوا له عدّة / الآية	٤٦	٣٠
٥	ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون : هو أذن قل : أذن خير لكم / الآية	٦١	٤٨٨
٦	المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف / الآية	٦٧	٣٨٤
٧	والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر / الآية	٧١	٣٠٩ ، ٢٥٠ ٣٨٣ ، ٣٨١ ٣٨٤
٨	والذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات ، والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم،سخر الله منهم ولهم عذاب إليم	٧٩	٤٨٨
٩	والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه / الآية	١٠٠	٣٧٠ ، ٣٥٧
١٠	وقل : أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون / الآية	١٠٥	١٦
١١	لقد جاءكم رسول من أنفسكم ، عزيز عليه ما عنتم / الآية	١٢٨	٢٢٥

سورة يونس

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	قل : لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به / الآية	١٦	٩٩
٢	فذلكم الله ربكم الحق ، فماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأني تصرفون !	٣٢	٢٩٥
٣	فهل ينتظرون إلا مثل أيام الذين خلوا من قبلهم ؟ قل : فانتظروا إني معكم من المنتظرين	١٠٢	٢٠١

سورة هود

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ، ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير .	١١٢	٤٠٣

سورة يوسف

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	قال : تزرعون سبع سنين دأبا ، فما حصدتم فذروه في سنبله الا قليلاً مما تأكلون .	٤٧	١٦
٢	وقال الملك : أتوني به أستخلصه لنفسي ، فلما كلمه قال : إنك اليوم لدينا مكين أمين	٥٤	٣٦٢ ، ٣٦٣
٣	ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردّت إليهم	٦٥	٣٤
٤	قل : هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني / الآية	١٠٨	١٨٣ ، ٢٢٤ ، ٢٩٠ ، ٣١٢ ، ٤٠٥

سورة الرعد

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون	٤	٢٠١
٢	إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم	١١	٤٢٣

سورة إبراهيم

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	الله الذي خلق السموات والأرض ، وأنزل من السماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقا لكم	٣٢	٢٠١
٢	ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة / الآية	٣٧	١٤٤

سورة الحجر

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين	٩٤	١٨٢ ، ٢٨٠

سورة النحل

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	ينزل الملائكه بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن انذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون	٢	١٩٠
٢	والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون	٥	١٢٦
٣	إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون	١١	٢٠١
٤	وعلامات وبالنجم هم يهتدون	١٦	١٩٧

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته /الآية	١٦	٢٢٦
٢	ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً ، إلا أن يشاء الله / الآية	٢٣ ، ٢٤	٤٢
٣	وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاءً الحسنى	٨٨	٣٩٥
٤	حتى إذا بلغ بين السدّين وجد من دونيهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً	٩٣	٣٥
٥	قال : ما مكنّي فيه ربي خير ، فأعينوني بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً .	٩٥	٣٦
٦	حتى إذا ساوى بين الصدفين قال:أنفخوا/الأيه	٩٦	٣٦

سورة طـــه

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى	١٢٣	٣٩٥

سورة الأنبياء

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله الا أنا فاعبدون .	٢٥	١٩٠
٢	أولم ير الذين كفروا أن السماوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناها / الآية .	٣٠	٢٠٢

سورة الأنبياء

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
٣	ولقد أتينا إبراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين	٥١ –٦٨	١٩٩
٤	إذ قال لأبيه وقومه : ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟	٥٢	٢٠٧
٥	قالوا : وجدنا آباءنا لها عابدين .	٥٣	٢٠٧

سورة الحج

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور . حنفاء لله غير مشركين به / الآية	٣٠، ٣١	١٨٧
٢	أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير .	٣٩	٢٦٠ ، ٢٨٢
٣	ولينصرنَّ الله من ينصره ، إن الله لقوي عزيز	٤٠	٣٨١
٤	الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة / الآية	٤١	٤٦٣
٥	الله يصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس إن الله سميع بصير .	٧٥	٣٥٥
٦	وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم إبرهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل / الآية	٧٨	٢٨٠

سورة المؤمنون

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	فقال الملأ الذين كفروا من قومه : ما هذا إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم /الآية	٢٤	٢٠٦

سورة النور

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	الزانية والزاني فاجلدوا كلَ واحد منهما مائة جلدة / الآية	٢	٢١١ ، ٢٥٨

سورة الفرقان

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	تبارك الذي نزّل الفرقان على عبده ليكون للعاملين نذيراً	١	٢٨
٢	فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً	٥٢	٢٨٢
٣	وإذا قيل لهم : اسجدوا للرحمن قالوا : وما الرحمن أنسجد لما تأمرنا ، وزادهم نفوراً	٦٠	١٩٢
٤	وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا / الآية	٦٣	١٠٧
٥	وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا : سلاماً	٦٣	١٠٦

سورة الشعراء

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم . وأزلفنا ثم الآخرين / الآيات	٦٣ ، ٦٧	٢٩٨
٢	واتل عليهم نبأ إبراهيم . إذ قال لأبيه وقومه : ما تعبدون ؟ الآيات	٦٩ ، ٨٢	١٩٨
٣	قالوا : سواء علينا أوعظت أم لم تكن من الواعظين	١٣٦	٢٠٧
٤	إن هذا إلا خلق الأولين	١٣٧	٢٠٧
٥	وأنذر عشيرتك الأقربين	٢١٤	٤٧

سورة النمل

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	إن في ذلك لآية لقوم يعلمون	٥٢	٢٠١
٢	وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد	٢٠	٣١٩

سورة القصص

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	قالت إحداهما : يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الأمين	٢٦	٣٦٢
٢	أو لم نمكّن لهم حرماً آمنا يجبي إليه ثمرات كل شيء / الآية	٥٧	١١٦
٣	وابتغ فيما آتك الله الدار الآخرة ولا تنسى نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله اليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين	٧٧	٣٩٥

سورة العنكبوت

سورة الروم

سورة لقمان

التسلسل	الآيــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وإذا قيل لهم : اتبعوا ما أنزل الله ، قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا . أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير .	٢١	٢٠٨
٢	ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ؟ ليقولن الله / الآية .	٢٥	١٩٣

سورة الأحزاب

التسلسل	الآيــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين / الآية	٦	٢٤٦
٢	وإذ قالت طائفة منهم : يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا / الآية	١٣	١٤٩
٣	يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودّوا لو أنهم بادون في الأعراب / الآية	٢٠	١١٠
٤	لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً	٢١	٩٦ ، ٢٢٤
٥	وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى	٣٣	١٠٣
٦	وما كان لمؤمن ولا مؤمنه إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم	٣٦	٣٨١

سورة سبأ

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	لقد كان لسباء في مسكنهم أية جنتان عن يمين وشمال / الآية	١٥	١١٢
٢	فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم / الآية	١٦	١١٣ ، ١٤١
٣	وما أرسلناك إلا كافةً للناس بشيراً ونذيرا/الآية	٢٨	٢٦٨

سورة فاطر

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	إنما يخشى الله من عباده العلماء / الآية	٢٨	٤٣٠
٢	ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله / الآية	٣٢	٣٥٥

سورة يس

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون	٩	٦٥
٢	وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون	٧٢	٢٠٤

سورة ص

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	أجعل الآله إله واحداً إن هذا لشيء عجاب ! وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على الهتكم /الآية	٥ ، ٧	١٩٢
٢	كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته وليتذكر أولوا الألباب	٢٩	٢٩٣

سورة الزمر

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	والذين اتخذو من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى / الآية	٣	١٨٥ ، ١٩٢
٢	قل : هل يستوي الذين يعملون والذين لا يعملون / الآية	٩	٤٣١
٣	للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة / الآية	١٠	٢٢٦

سورة فصلت

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال : إنني من المسلمين	٣٣	٢٨٨ ، ٤٨٦

سورة الشورى

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها / الآية	٧	١٤٤
٢	فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم / الآية	١٥	٢٨٨
٣	والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم / الآية	٣٨	٣١٩ ، ٣٨٢

سورة الزخرف

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	بل قالوا : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون	٢٢	٢٠٨ ، ٢٠٩
٢	وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون	٢٣	٢٠٩ة
٣	وقالوا : لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم .	٣١	١٥٢ ، ٢٣٥
٤	ولئن سألتهم : من خلقهم ؟ ليقولن : الله ، فأني يؤفكون !	٨٧	١٩٣
٥	فاصفح عنهم وقل : سلام فسوف يعلمون	٨٩	٢٨١

سورة الجاثية

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وقالوا : ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر / الآية	٢٤	١٨٦

سورة محمد

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك /الآية	١٩	٢٩٤
٢	أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها	٢٤	٢٩٤

سورة الفتح

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهلية / الآية	٢٦	١٠٣
٢	محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم / الآية	٢٩	٣٧٦

سورة الحجرات

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا / الآية	١٣	٣٨٣

سورة ق

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي / الآيات	٦ ، ١١	٢٠٣

سورة الذاريات

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وفي الأرض آيات للموقنين	٢٠	٢٠٥

سورة الواقعة

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	إنه لقرآن كريم	٧٧	٢٨

سورة الحديد

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السماوات والأرض	١٠	٣٢٩
٢	وأنزلنا الحديد فيه بأسٌ شديد ومنافع للناس / الآية	٢٥	١٢٥

سورة الحشر

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضوانا/الآية	٨	٣٧٠
٢	والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم / الآية	٩	٧٤ ، ٢٤٦ ٣٨٠ ، ٣٨٣

سورة الصف

التسلسل	الآيــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟	٢	٣٠٠
٢	إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص	٤	٣١٥
٣	وإذ قال عيسى ابن مريم : يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يديّ من التوراة ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد/الآية	٦	١٩٥ ، ١٩٦

سورة الجمعة

التسلسل	الآيــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته / الآية	٢	٣
٢	قل : إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملاقيكم/الآية	٨	٢٦٢

سورة الملك

التسلسل	الآيــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ، وهو العزيز الغفور	٢	٤١٦

سورة القلم

التسلسل	الآيــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وإنك لعلى خلق عظيم	٤	٣٨٠ ، ٣٠٢
٢	إنا بلوناكم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنه مصبحين . ولا يتثنون / الآيات	١٧ ، ٣٠	٤٠٩ ، ٤٠٨
٣	وما هو إلا ذكر للعالمين	٥٢	٢٦٨

سورة الحاقة

التسلسل	الآيــــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	إنه كان لا يؤمن بالله العظيم	٣٤	١٧٢

سورة المدثر

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	يا أيها المدثر قم فأنذر . وربك فكبر . وثيابك فطهر والرجز فاهجر / الآيات	١ ، ٧	٤٦ ، ٤٧٩

سورة القيامة

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	ولا أقسم بالنفس اللوامة	٢	٤٠٨

سورة الإنسان

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا	٨	١٧٢

سورة التكوير

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وإذا الموءُدَة سئلت بأي ذنب قتلت ؟	٨ ، ٩	١٦٨
٢	إنه لقول رسول كريم ، ذي قوة عند ذي العرش مكين	١٩ ، ٢٠	٣٦٣
٣	إن هو إلا ذكر للعالمين	٢٧	٢٦٨

سورة الطارق

التسلسل	الآيـــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيداً ، فمهل الكافرين أمهلهم رويداً	١٥ ، ١٧	٤٥٤

سورة الغاشية

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت / الآيات	١٧ ، ١٩	٢٠٣

سورة البلد

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	فلا اقتحم العقبة . وما أدراك ما العقبة فك رقبة	١١ ، ١٣	٣٣٧
٢	ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة	١٧ ، ١٨	٤١٠

سورة التين

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	والتين والزيتون وطور سنين وهذا البلد الأمين	١ ، ٣	١٤٤

سورة العلق

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	أقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق ، اقرأ وربك الأكرم / الآيات	١ ، ٥	٤٣٠

سورة البينة

التسلسل	الآيـــــــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء / الآية	٥	١٨٧

سورة العصر

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات / الآية	١ ، ٣	٣٨٢ ، ٤٠٩ ٤١٠

سورة قريش

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	لإيلاف قريش .إيلافهم رحلة الشتاء والصيف/الآيات	١ ، ٤	١١٦

سورة الماعون

التسلسل	الآيـــــة	رقمها	رقم الصفحة
١	أرأيت الذي يكذب بالدين . فذلك الذي يدع اليتم . ولا يحض على طعام المسكين	١ ، ٣	١٧٢

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

التسلسل	أول الحديث	المصدر	رقم الصفحة
١٦	اسمعوا وأطيعوا وان استعمل عليكم عبد حبشي	أخرجه البخاري	٣١٨
١٧	أقرؤنا أبيّ ، وأقضانا عليّ	تاريخ عمر ابن الجوزي	٣٩٦
١٨	أقضاكم عليّ ، وأعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل	الترمذي	٣٩٦
١٩	اكتبوا لي من يلفظ بالإسلام	أخرجه البخاري	٣٨٩ ، ٣٤٨
٢٠	ألا إن القوة الرمي	مسلم ، ابن ماجة سنن أبي داود	٢٦٥
٢١	ألا رجل يحملني إلى قومه ، فإن قريشا قد منعوني	أبو داود ، الترمذي الإمام أحمد	٢٣٧
٢٢	إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل	البخاري	٣٥٩
٢٣	إنْ قامت الساعة وبيد أحدكم	البخاري في الأدب المفرد	١٧
٢٤	أنّ أعرابياً جاء إلى النبي ﷺ يستعينه في شيء فأعطاه	مجمع الزوائد ومنبع الفوائد	٣٦٩ ، ٣٦٨
٢٥	إن بأرض الحبشة ملكاً لا يظلم أحد عنده فالحقوا ببلاده	ابن هشام في السيرة	٣٧١
٢٦	إن خالدا سيف سلّه الله على المشركين	البخاري	٣٦٤ ، ٣٦١
٢٧	أن رجلا حسن المظهر حسن الثياب مرّ على الصحابة وهم جلوس مع رسول الله ﷺ	البخاري	٤٧٩

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس الأحاديث

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات



الملاحـــــق

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام
الدرسات العليا

استبانة لأخذ رأي العلماء والدعاة في
بعض موضوعات التخطيط للدعوة الإسلامية

إعداد
عبد المولى الطاهر المكي

إشراف
الدكتور/ مصطفى صيام

العام الجامعي
١٤١٥هـ

- ... -

بسم الله الرحمن الرحيم

سماحة الشيخ/ عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أفيد سماحتكم بأنني طالب بمرحلة الماجستير بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد سجلت رسالتي بعنوان «التخطيط للدعوة الإسلامية - دراسة تأصيلية»، ومن ضمن مباحث الرسالة مبحث يتعلق بأخذ رأي العلماء والدعاة العاملين في مجالات الدعوة في بعض موضوعات التخطيط الدعوي ومنها:-

مشروعية التخطيط للدعوة:

بما أن التخطيط أحد وظائف العملية الإدارية الأربعة (التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة) وقد عرفه علماء الإدارة بتعريفات كثيرة ومن أشملها التعريف القائل بأن التخطيط هو «التدبير الذي يرمي إلى مواجهة المستقبل بخطط منظمة سلفا لتحقيق أهداف محددة»

- هل التخطيط بهذا المفهوم يتعارض مع شيء من قواعد الدين الثابتة مثل (التوكل على الله، والإيمان بالقضاء والقدر)؟

وما هي في نظركم ضوابط التخطيط للدعوة؟ وما هي أشكاله

والله يحفظكم ويرعاكم،،

الباحث

عبد المولى الطاهر

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الشيخ/ .... حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أفيد فضيلتكم بأنني طالب بمرحلة الماجستير بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد سجلت رسالتي بعنوان «التخطيط للدعوة الإسلامية - دراسة تأصيلية»، ومن ضمن مباحث الرسالة مبحث يتعلق بأخذ رأي العلماء والدعاة العاملين في مجالات الدعوة في بعض موضوعات التخطيط الدعوي ومنها:-

مشروعية التخطيط للدعوة:

بما أن التخطيط أحد وظائف العملية الإدارية الأربعة (التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة) وقد عرفه علماء الإدارة بتعريفات كثيرة ومن أشملها التعريف القائل بأن التخطيط هو «التدبير الذي يرمي إلى مواجهة المستقبل بخطط منظمة سلفا لتحقيق أهداف محددة»

- هل التخطيط بهذا المفهوم يتعارض مع شيء من قواعد الدين الثابتة مثل (التوكل على الله، والإيمان بالقضاء والقدر)؟

وما هي في نظركم ضوابط التخطيط للدعوة؟ وما هي أشكاله؟.

وجزاكم الله خيرا.

الباحث

عبد المولى الطاهر

(٣)

بسم الله الرحمن الرحيم

فضيلة الدكتور/ حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أفيد فضيلتكم بأنني طالب بمرحلة الماجستير بكلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد سجلت رسالتي بعنوان «التخطيط للدعوة الإسلامية - دراسة تأصيلية».

وهناك مبحث من ضمن مباحث الرسالة يتعلق بأخذ رأي العلماء والدعاة العاملين في مجالات الدعوة المختلفة في بعض موضوعات التخطيط الدعوي .

ولما كان التخطيط أحد وظائف العملية الإدارية الأربعة (التخطيط، التنظيم، التوجيه، الرقابة) ويكاد يتفق علماء الإدارة على أن المفهوم العام للتخطيط هو «التدبير الذي يرمي إلى مواجهة المستقبل بخطط منظمة سلفا لتحقيق أهداف محددة»، ويعد بحثي حول مشروعية التخطيط للدعوة في القرآن الكريم والسنة النبوية، وأخذ رأي كبار العلماء في مجال العلوم الشرعية، وعلى رأسهم سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وقد تبين من إجاباتهم أنه لا يعارض شيئا من قواعد الدين الثابتة من الإيمان بالغيب، والقضاء والقدر، والتوكل على الله، بل النصوص الشرعية تدل على مشروعيته ووجوبه، وكذلك ليس ثمة اختلاف يذكر بين المفهوم العام للتخطيط، ومفهوم التخطيط الدعوي، اللهم إلا الاختلاف في الأهداف والغايات.

وعليه فإنني أرغب في معرفة رأي فضيلتكم في بعض موضوعاته الأخرى.

ومنها:-

أولا: تأثير التخطيط في نجاح الدعوة:-

لا شك أن للتخطيط تأثيرا في نجاح الدعوة الإسلامية في مختلف المجالات، وفي رأيي يتمثل التأثير في النقاط التالية:

١- معرفة المواقع الخصبة.

٢- تنظيم وترتيب العمل الدعوي.

٣- إمكانية تقويم العمل الدعوي.

السؤال: هل توافقني في التأثير المتمثل في النقاط السابقة:-

☐ أوافق

☐ لا أوافق

☐ أوافق، ولكن أرى أن هناك تأثيرات أخرى للتخطيط في نجاح الدعوة تتمثل في الآتي:

١-

٢-

٣-

٤-

☐ لا أوافق ، وأرى أن تأثير التخطيط في نجاح الدعوة يتمثل في الآتي:

١-

٢-

٣-

٤-

ثانيا : هناك عقبات تحول دون التخطيط الدعوي السليم في العصر الحاضر، وهناك طرق لعلاجها والتصدي لها:

وفي رأيي أن أهم هذه العقبات:

١- البعد عن المنهج الإسلامي.

٢- الجهل بمخططات الأعداء.

٣- ندرة الدعاة المؤهلين.

٤- ضعف التنسيق بين الجهات القائمة بأمر الدعوة في المجتمع الإسلامي.

السؤال: هل تتفق معي في أن هذه هي عقبات التخطيط الدعوي ؟

☐ نعم أوافق.

☐ لا أوافق.

☐ أوافق، وأرى أن هناك عقبات أخرى هي:

١-

٢-

٣-

☐ لا أوافق، وأرى أن العقبات الحقيقية هي:

١-

٢-

٣-

- رأي في سبيل علاج واحدة من هذه العقبات وهو:[1]

١-

الاسم:

الوظيفة:

التخصص:

شاكرا سلفا استجابتكم وحسن تعاونكم،،

الباحث

عبد المولى الطاهر

(١)آمل من فضيلتكم إبداء رأيكم في علاج واحدة من العقبات التي تعتبر أقرب إلى مجال عملكم الدعوي.

[هـ]

ملخص لآراء مجموعة من العلماء والدعاة العاملين والمختصين الذين أجابوا على أسئلة الاستبانتين حول موضوعات التخطيط الدعوي :

لمعرفة رأي العلماء المعاصرين في بعض موضوعات التخطيط الدعوي قمت بتصميم استبانتين :

الأولى : كانت في شكل سؤال مباشر موجه لشريحة من العلماء المختصين في مجال العلوم الشرعية[1] حول مشروعية التخطيط للدعوة؟ وهل يتعاض مع قواعد الدين الثابتة ؟.

الثانية : كانت في شكل سؤالين محدّدين موجهين لشريحة من العلماء في مجال العلوم الاجتماعية ولبعض الدعاة العاملين في حقل الدعوة، فكان السؤال الأول حول تأثير التخطيط في الدعوة؟ والسؤال الثاني : حول عقبات التخطيط الدعوي وسبل مواجهتها ؟ .

وقد كانت إجابات معظم العلماء المختصين في العلوم الاجتماعية[2] والدعاة العاملين[3] فيما يتعلق بالسؤال الأول، الموافقة على نقاط التأثير التي ذكرتها، وأضافوا نقاطا أخرى يمكن إجمالها فيما يلي :

١ - ترتيب الأولويات .
٢ - تحديد الأهداف الدعوية بدقة .
٣ - معرفة خصوم الدعوة ونشاطاتهم .
٤ - توقع المشكلات والتحديات أمام الدعوة ومعالجتها .

---

(١) في مقدمة هؤلاء العلماء الذين كان لي شرف معرفة رأيهم حول مشروعية التخطيط سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - حفظه الله - حيث أجاب بقوله «التخطيط الذي يحدد سير الدعوة لايتعارض مع شيئ من قواعد الدين الثابتة» .

- وكذلك تمكنت من معرفة رأي فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين حيث سبقني لسؤاله الدكتور فهد بن صالح السلطان - في كتابه - النموذج الإسلامي في الإدارة ص ٧٩ ط ١ ١٤١٢هـ، فكان جواب فضيلته : «بأن التخطيط واجب واستدل على ذلك بآيات كثيرة منها ماسبق الإشارة إليه في فصل مشروعية التخطيط» .

- ومن الذين أجابوا على السؤال أيضا فضيلة الشيخ منّاع القطان حيث كان رأيه أن التخطيط واجب في هذا العصر، ولايتعارض مع شيئ من قواعد الدين الثابتة، بل إن كثيرا من النصوص الشرعية تدل عليه وتحث المسلمين على الأخذ به، وذكر نماذج وشواهد على ذلك .

- ومن الذين أجابوا أيضا على سؤال الاستبانة فضيلة الدكتور ناصر بن عبدالكريم العقل رئيس قسم العقيدة بكلية أصول الدين ، حيث أجاب «ما أظن هذا يتعارض مع قواعد الدين بل يظهر لي أن قواعد الدين تستلزمه»، وغيرهم كثير ممن أجاب على هذه الاستبانة بإجابات متقاربة .

(٢) تم توزيع عددا من الاستبانات على بعض الأساتذة في كلية الدعوة والإعلام وكلية العلوم الاجتماعية بأقسامهما المختلفة .

(٣) من الدعاة العاملين والذين أجابوا على الاستبانة الأمين العام للندوة العالمية للشباب الإسلامي، ومساعده، وبعض مدراء مكاتب هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، والأمين العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية وفضيلة عميد كلية الدعوة والإعلام، ووكيل الكلية، وغيرهم ممن له اهتمامات بالعمل الدعوي .

٥ - حسن استخدام الإمكانات .
٦ - توفير الوقت والجهد .
٧ - تجنب التكرار والإزدواجية .
٨ - استشراف مستقبل العمل الدعوي .
٩ - توفير الرصيد المعلوماتي .

أما حول السؤال المتعلق بعقبات التخطيط الدعوي في المجتمع الإسلامي فقد أجاب الجميع بالموافقة على العقبات المذكورة وأضاف بعضهم عقبات أخرى لم أتطرق إليها، يمكن إجمالها فيما يلي :

- استعجال نتائج النشاط الدعوي، وتقديم العاطفة على العقل .
- غياب التحديد الدقيق للوظيفة والقائم عليها أي عدم وضع الرجل المناسب في المكان المناسب في المؤسسات الدينية الرسمية منها والشعبية سواء في الوظائف العليا أو الدنيا .
- التعصب المذهبي والانتماءات الحزبية الضيّقة .
- ضعف الإمكانات المالية .
- عدم وجود جهاز مركزي فعّال يشرف على النشاط الدعوي على المستوى الإقليمي والعالمي .
- الضيق بالنقد وضعف التقييم الداخلي .
- الجهل بمشكلات الشعوب والأمم واهتماماتها .
- عدم احترام كثير من الناس وبعض المسؤلين لعمليات التخطيط .

أما عن رأيهم في الحلول المقترحة لهذه العقبات فقد كانت مختلفة ومعظمها قد تناولته في ثنايا البحث .